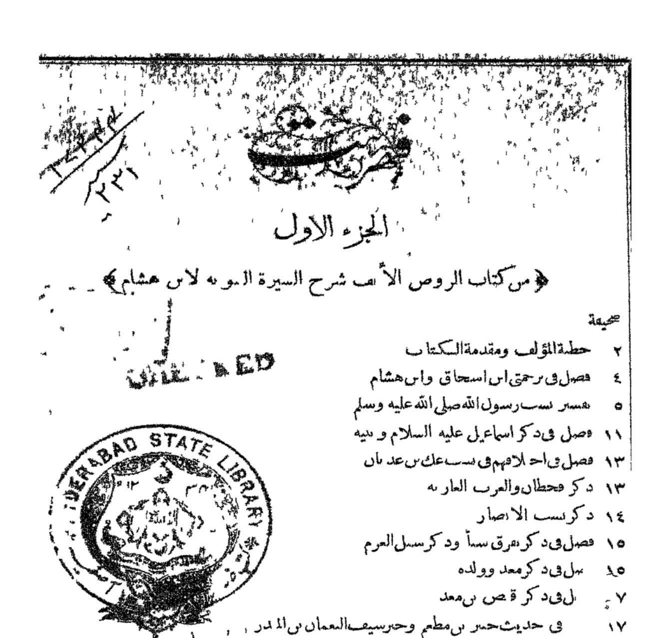


الجزء الأول

﴿ من كتاب الروض الأنف شرح السيرة النبوية لابن هشام ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفه

صحيفة

تم فهرس الجزء

(تنبيه) جعلنا الخطالتي في أعلاه ( ) أصل السيرة وما عداه من الروض

الجزء الأول

من

كتاب

الروض الأنف

« في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام »

للإمام الفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي المولود بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ والمتوفى بمراكش سنة ٥٨١

وبهامشه « السيرة النبوية » للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري الحميري البصري الأصل المتوفى سنة ٢١٣ رحمهم الله أجمعين

طبع هذا الكتاب على نفقة [illegible] رأيه [illegible] الأمراء وبهجة العلماء [illegible] والملاذ الأكبر [illegible] السحر [illegible] مولانا [illegible] السلطان [illegible]

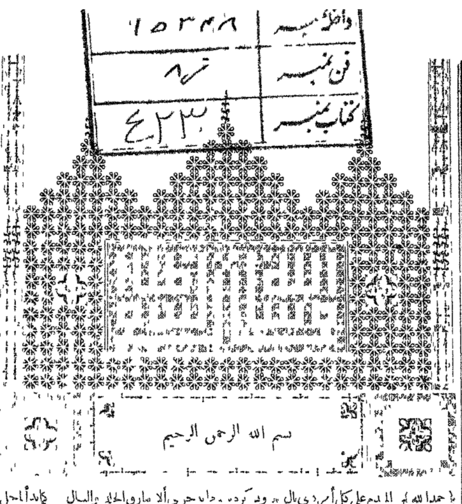
[illegible]

[illegible]

طبع بمطبعة الجمالية بمصر

سنة ١٣٣٢ هـ

[illegible] م



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

(وبه نستعين)

الحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

الحمد لله المنعم على كل أمر ذي بال ... وقد ... الا مارق الحال والمآل كما ... الحل
وعلا ... عوارفه قبل ... اليه والاسهال ... فالحمد لله تعالى حمدا لا يزال ... الاله ...
السربال ... حمدا أعلى من الحمد ... على أن ... وشكره على ...
من ... وآلا من آلائه ... لا ... لحمده ... لا ... ولا ... لا ...
والحمد لله الذي ... الموحدين ... الامر ...
... المرعود ... على اساس السعادة ... أمير المؤمنين ...
ابن أمير المؤمنين ... الساطعة أنوارها ...
... والدان

في دولة ... الزمان ... فارسه ... أردا
من كان ... ارسدها ...

... الحمد لله تعالى على ذلك ... [1] ...
... وأكد ... الى الامام [2] ...
والهادي اليه ... من أفلح ... صلى الله عليه وآله وسلم ...
وأوضح ... الطريقة ... على الله ... على الـ...

---

١) ... الحمل الى ... الاسلام ...
٢) اللهم ... الواضح

محله أعلى منازل الزلفى ﴿ وبعد ﴾ فإني قد قصدت في هذا الإملاء بعد استخارة ذي الطول * والاستعانة بمن له القدرة والحول * إلى إيضاح ما وقع في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي سبق إلى تأليفها أبو بكر محمد بن إسحق المطلبي ولخصها عبد الملك بن هشام المعافري المصري النسابة النحوي مما بلغني علمه * ويسر لي فهمه * من لفظ غريب * أو إعراب غامض * أو كلام مستغلق * أو نسب عويص * أو موضع فقه ينبغي التنبيه عليه * أو خبر ناقص يوجد السبيل إلى تتمته * مع الاعتراف بكلول الحد * عن مبلغ [ذلك] الحد * فأنى يعرض المعتمد * أن يستولي على ذلك الأمد * ولكن لا ينبغي أن يدع الجهد من بذته الأعيار * ومن سابق في العلم همه فلا يلق عصا التسيار * وقد قال الأول

[فاعمل الخير ما استطعت وإن * كان قليلا فلن تحيط بكله]

ومتى تبلغ الكثير من الفضل * إذا كنت تاركا لأقله

نسأل الله التوفيق لمراضيه * وشكرا يستجلب المزيد من فضله ويقتضيه (قال المؤلف) أبو القاسم قلت هذا لأني كنت حين شرعت في إملاء هذا الكتاب خيل إلي أن المرام عسير * فجعلت أخطو خطو الحسير * وأنهض نهض البرق الكسير * وقلت كيف أرد شرعا لم يسبقني إليه فارط * [١] وأسلك سبيلا لم يوطأ لي فيه عقب ولا حافر * [و] إذ أنا أردد تردد الحائر * إذ سنح لي هنالك خاطر * أن هذا الكتاب سيرد الحضرة العلية * المقدسة الإمامية * وأن الإمامة ستحظه بعين القبول * وأنه سيكتب للخزانة المباركة عمرها الله بحفظه وكلاءته * وإمداده بنيات ذوي رعايته * فيطمح الكتاب بذلك أعلاقها * ويتسق مع تلك الأنوار في مطالع إشراقها [فعند ذلك] انبعثت صبوة الجد * ونصرت بعد العزم * ومريت أخلاف الحفظ * واستجهرت ينابيع الذكر * ومصرت * فلله الحمد تيسرت الأبواب فتحا * وسلكت سبيل [illegible] [من الله تعالى] من المعاني العربية عيونها * وانثالت علي من الفوائد اللطيفة أبكارها وعونها * وطمحت عقائل الكلم يرفلن إلي ناهدا أيدا * فأعرضت عن بعضها إيثارا للاختصار * ودخلت في صدور أكثرها خشية الإطالة والإملال * لكن تحصل في هذا الكتاب * من فوائد العلوم والآداب * وأسماء الرجال والأنساب * ومن الفقه الباطن اللباب * وتعليل النحو وصنعة الإعراب * ما هو مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديوانا * سوى ما أنتجه صدري * ونفحه فكري * ونتجته نظري * ونقلته عن مشيختي من نكت علمية لم أسبق إليها * ولم أزحم عليها * [كل ذلك] بمن الله وبركة هذا الأمر المحيي لطلاب الطالبين * والموقظ لهمم المسترشدين * والمحرك للقلوب الغافلة إلى الاطلاع على معالم الدين * [مع أني] قلت المحصول * وتمددت أطراف الفصول * ولم أسمع شجون الأحاديث والحديث شجون * ولا جذبت بحبل الكلام إلى غاية لم أردها وقد عنت لي منه فنون * فجاء الكتاب من أصغر الدواوين حجما * ولكنه كنيف ملئ علما * ولو ألقي عرى لفاتيه أكثر من قولي [هذا] وكان بدء إملائي هذا الكتاب في شهر المحرم من سنة تسع وستين وخمسمائة وكان الفراغ منه في جمادى الأولى من ذلك العام

قال كاتب الدر [illegible] الذي اختصر هو أحمد [illegible] الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي سماعا [illegible] قال [illegible] الشافعي قال نا أبو الحسن [illegible] قال نا أبو محمد عبد الله بن [illegible] بن الورد [illegible] عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبي زرعة [٢] الزهري البرقي عن أبي محمد

١) في النسخة [illegible] لم يسبقني إليه فارط ٢) في الأصل الخط وعبد [illegible] عبد الرحيم

عبد الملك بن هشام * وحدثنا به أيضاً سماعاً عليه أبو مروان عبد الملك بن سعيد بن بونه القرشي العبدري عن أبي بحر سفيان بن العاص الاسدي عن أبي الوليد هشام بن أحمد الكناني * وحدثني به أيضاً أبو مروان عن أبي بكر بن برّال عن أبي عمر أحمد بن محمد المقري الطلمنكي عن أبي جعفر أحمد بن عون الله بن حُدَير عن أبي محمد بن الورد عن البرقي عن ابن هشام * وحدثني به أيضاً سماعاً واجازة ابو بكر محمد بن طاهر الاشبيلي عن أبي علي الغساني عن أبي عمر النمري وغيره من أشياخه عن الطلمنكي بالاسناد المتقدم

﴿فصل﴾ وبدأنا بالتعريف بمؤلف الكتاب وهو أبو بكر محمد بن اسحق بن يسار المطلبي بالولاء لان ولاءه لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف وكان جده يسار من سبي عين التمر سباه خالد بن الوليد * ومحمد ابن اسحق هذا رحمه الله ثبت في الحديث عند أكثر العلماء وأما في المغازي والسير فلا تجهل امامته فيهما قال ابن شهاب الزهري من أراد المغازي فعليه بابن اسحق ذكره البخاري في التاريخ وذكر عن سفيان بن عيينة انه قال ما أدركت أحداً يتهم ابن اسحق في حديثه وذكر أيضاً عن شعبة بن الحجاج انه قال ابن اسحق أمير المؤمنين يعني في الحديث وذكر أبو يحيى الساجي رحمه الله باسناد له عن الزهري انه قال خرج الى قريته مادام فخرج اليه طلاب الحديث فقال لهم أين أنتم من الغلام الاحول [أو قد خلفت فيكم الغلام الاحول] يعني ابن اسحق وذكر الساجي أيضاً قال كان أصحاب الزهري يلجؤن الى محمد بن اسحق فيما شكوا فيه من حديث الزهري ثقة منهم بحفظه هذا معنى كلام الساجي عليه من حفظي لا من كتاب وذكر عن يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان انهم وثقوا ابن اسحق واحتجوا بحديثه وذكر علي بن عمر الدارقطني في السنن حديث القلتين [illegible] طرقه وما فيه من الاضطراب ثم قال في حديث [illegible] وهذا يدل على حفظ محمد بن اسحق وشدة اتقانه (قال المؤلف) واعلم ان البخاري [illegible] وكذلك [illegible] مسلم بن الحجاج لم يخرج عنه أيضاً الا حديثاً واحداً في الرجم عن سعيد المقبري عن أبيه من أجل طعن مالك فيه وانما طعن فيه مالك لانه ذكر ابو عمر رحمه الله عن عبد الله بن ادريس الاودي لانه بلغه ان ابن اسحق قال هاتوا حديث مالك فانا طبيب بعلله فقال مالك وما ابن اسحق انما هو دجال من الدجاجلة نحن أخرجناه من المدينة يشير والله أعلم الى أن الدجال لا يدخل المدينة فقال ابن ادريس وما عرفت ان دجالاً يجمع على دجاجلة حتى سمعته من مالك وذكر ان ابن اسحق مات ببغداد سنة احدى وخمسين ومائة وقد أدرك من لم يدركه مالك روى حديثاً كثيراً عن محمد بن ابراهيم [illegible] بن الحارث [illegible] وما لك انما روى عن رجل عنه وذكر الخطيب [أحمد بن] [علي بن] ثابت في تاريخ بغداد [illegible] ان ابن اسحق رأى انس بن مالك وعليه عمامة سوداء والصبيان خلفه [illegible] ولو [illegible] صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الدجال وذكر الخطيب أيضاً انه روى عن سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وأبان بن عثمان بن عفان

ابن ابي [illegible] الزهري البرقي [illegible] في الاصل الثاني عبد الرحيم [illegible] الزهري البرقي الخ وفي نسخة أبي بكر محمد بن خير الاموي الاشبيلي [illegible] خلاف ذلك ونصه [illegible] عبد الله بن عبد الرحيم البرقي عن عبد الملك بن هشام ثم ساقه من طريق آخر عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد بن أبي زرعة الزهري عن عبد الملك [illegible] الزهري [illegible] ومشيخة ابن خير بالجميع

وذكر أن يحيى بن سعيد الانصاري شيخ مالك روى عن ابن اسحق قال وروى عنه سفيان الثوري والحمادان حماد بن سلمة بن دينار وحماد بن زيد بن درهم وشعبة وذكر عن الشافعي [رضي الله عنه] انه قال من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن اسحق فهذا ما بلغنا عن محمد بن اسحق [رحمه الله] وأما الرواة الذين رووا هذا الكتاب عنه فكثير * منهم يونس بن بكير الشيباني ومحمد بن فليح والبكائي وابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن ادريس وسلمة بن الفضل [الاسدي] وغيرهم * وذكر البكائي لانه شيخ ابن هشام وهو أبو محمد زياد بن عبد الله بن طفيل بن عامر القيسي العامري من بني عامر بن صعصعة ثم من بني البكاء واسم البكاء ربيعة وسمي البكاء لخبر يطول ذكره كذلك ذكر بعض النسابين والبكائي هذا ثقة خرج عنه البخاري في كتاب الجهاد وخرج عنه مسلم في مواضع من كتابه وحسبك بهذا تزكية وقد روى زياد عن حميد الطويل وذكر البخاري في التاريخ عن وكيع قال زياد أشرف من أن يكذب في الحديث ووهم الترمذي فقال في كتابه عن البخاري قال قال وكيع زياد بن عبد الله على شرفه يكذب في الحديث وهذا وهم ولم يقل وكيع فيه الا ما ذكره البخاري في تاريخه ولو رماه وكيع بالكذب ما خرج البخاري عنه حديثا ولا مسلم كما لم يخرجا عن الحارث الاعور لما رماه الشعبي بالكذب ولا عن أبان بن أبي عياش لما رماه شعبة بالكذب وهو كوفي توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة * وأما عبد الملك بن هشام فمشهور بحمل العلم متقدم في علم النسب والنحو وهو حميري معافري من مصر وأصله من البصرة وتوفي بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين وله كتاب في أنساب حمير وملوكها وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب فيما ذكر لي [والحمد لله كثيرا وصلواته على نبيه محمد وسلامه]

﴿ تفسير نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قد ذكرنا في كتاب التعريف والاعلام عند أبهم في القرآن من الاسماء الاعلام معاني بديعة وحكمة من الله العظيم في تخصيص النبي محمد صلى الله عليه وسلم بهذين الاسمين محمد وأحمد فلسطرها الكولما أن نعود اليها في باب مولده من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وأما جده [عبد المطلب] فاسمه عامر في قول ابن قتيبة وشيبة في قول ابن اسحق وغيره وهو الصحيح وقيل سمي شيبة لانه ولد وفي رأسه شيبة وأما غيره من العرب ممن اسمه شيبة فانما قصد في تسميتهم بهذا الاسم التفاؤل لهم ببلوغ سن الحنكة والرأي كما سموا بهرم وكبير وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وكان لده عدي بن الابرص الشاعر غير أن عبيدا [illegible] المدبر [illegible] قال ان عبد المطلب أول من خضب بالسواد من العرب والله أعلم وقد ذكر ابن اسحق سبب تسميته بعبد المطلب والمطلب مفتعل من الطلب وأما هاشم فعمرو كما ذكر وهو أول من هشم الثريد لقومه [illegible] من الحجر والعمر الذي هو من عمرو الاسنان [illegible] أو العمر الذي هو طرف الكم قال سعد على عمر [illegible] هو القرط كما قال الهذلي

وعمرو هاشم [illegible] الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

[illegible] العمر الذي هو اسم لحلي الشنف [illegible] أحد الوجهين [illegible] وقال [illegible] ابن أبي [illegible] الهم [illegible] وعبد مناف اسمه المغيرة

﴿ذكر سرد النسب الزكي من محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى آدم عليه السلام﴾

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن

كاذكر وهو منقول من الوصف والهاء فيه للمبالغة أي انه مغير على الاعداء أو مغيرمن أغار الحبل اذا أحكمه ودخلته الهاء كما دخلت في علامة ونسابة لانهم قصدوا قصد الغاية وأجروه مجرى الطامة والداهية وكانت الهاء أولى بهذا المعنى لان مخرجها غاية الصوت ومنتهاه ومن ثم تكسر ما كانت فيه هذه الهاء فقال في علامة علام وفي نسابة نساب لكي لا تذهب اللفظ الدال على المبالغة كما لم يكسر الاسم المصغر كي لا تذهب بنية التصغير وعلامته ويجوز ان يكون الهاء فيه مغيرة للتأنيث وتكون منقولا من وصف كتيبة أو خيل مغيرة كما سموا عسكر وعبد مناف هذا [كان] ملقب قمر البطحاء فيما ذكر الطبري وكانت أمه حبى قد أخدمته مناة وكان صنما عظيما لهم وكان سمي به عبد مناة ثم نظر قصي فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله عبد مناف ذكره البرقي والزبير أيضا وفي المعيطي عن أبي هشام قال قلت لمالك ما كان اسم عبد المطلب قال شيبة قلت فهاشم قال عمرو قلت فعبد مناف قال لا أدري *وقصي اسمه زيد وهو تصغير قصي أي بعيد لانه بعد عن عشيرته في بلاد قضاعة حين احتملته أمه فاطمة مع زوجها ربيعة بن حرام على ما سيأتي بيانه في الكتاب ان شاء الله تعالى وصغر على فعيل وهو تصغير فعيل لانهم كرهوا اجتماع ثلاث ياآت فحذفوا احداهن وهي الياء الزائدة الثانية التي تكون في فعيل نحو قضيب فبقي على وزن فعيل ويجوز ان تكون المحذوف لام الفعل ويكون وزنه فعيا وتكون ياء التصغير هي الباقية مع الزائدة فقد حاماهوا العرف الحذف من هذا وهي قراءة فيمن قال يا بني مقامياء الصغير وحدها وأما قراءة حفص يا بني فانما هي ياء التصغير مع ياء المتكلم ولام الفعل محذوفة وكان وزنه فعي ومن كسر الياء فقال يا بني فوزنه يا فعيل وياء المتكلم محذوفة في هذه القراءة وأما كلاب فهو منقول اما من المصدر الذي هو في معنى المكالبة نحو كالت العدو مكالبة وكلابا واما من الكلاب جمع كلب لانهم يريدون الكثرة كما سموا بسباع وأنمار وقيل لابي الرقيش الاعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح فقال انما نسمي أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد ان الابناء عدة الاعداء وسهام في نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء ومرة منقول من وصف الحنظل والعلقمة وكثيرا ما تسمى به حنظلة وعلقمة ويجوز ان تكون الهاء للمبالغة فيكون منقولا من وصف الرجل بالمرارة ويقوي هذا قولهم تميم بن مر وأحسب منه مر المثل بالباب لان أبا أحد ... كان المرة قبل نطع وكل بالحنظل والمرارة تشبه ورها وورق الهندباء وأما كعب فمنقول اما من الكعب الذي هو قطعة من السمن أو من كعب القدم وهو عندي أشبه لقولهم ثبت ثبوت الكعب ... الزبير انه كان يجتمع في الكعبة يوم الجمعة ويخطب ... وكعب ابن لؤي هذا أول من جمع يوم العروبة ولم تسم العروبة الجمعة الا مذ جاء الاسلام في قول بعضهم وقيل هو أول من سماها الجمعة وكانت قريش تجتمع اليه في هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمهم انه من ولده ويأمرهم باتباعه والايمان به وينشد في هذا أبياتا منها

باليتني شاهد فحواء دعوته ... اذا قريش تبغي الحق خذلانا

وقد ذكر الماوردي هذا الخبر عن كعب في كتاب الاعلام له وأما لؤي فقال ابن الانباري هو تصغير اللأي وهو الثور الوحشي وأنشد

يعتاد أدحية بقين بقفرة ... ميثاء يسكنها اللأي والفرقد

قال أبو حنيفة اللأي هي البقرة قال وسمعت اعرابيا يقول بكم لأيك هذه وأنشد في وصف ثلاث

كظهر اللأي لو تبتغي ريه بها ... نهارا لاعيت في بطون الشواجن

قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن

ـ الشواجن ـ شعب الجبال ـ والرئة ـ مقلوب من ورى الزند وأصله ورية وهو الحراق الذي يشعل به الشررة من الزند وهو عندي تصغير لأي واللأي البطء كأنهم يريدون معنى الأناة وترك العجلة وذلك اني ألفيته في أشعارهم مذكرا على هذا اللفظ في شعر أبي أسامة حيث يقول

فدونكم بني لأي أخاكم * ودونك مالكا يا أم عمرو

مع ما جاء في شعر الحطيئة في غيره

أرى آل شماس بن لأي وإنما * أتاهم بها الأحلام والحسب العد

وقوله أيضا

فما نات أم جارة آل لأي * ولكن يضمنون لها قراها

وفي الحديث قول أبي هريرة أحب إلي من شاء ولاء فاللاء ههنا جمع اللائي وهو الثور مثل الباقر والجامل وتوهم ابن قتيبة ان قوله لاء مثل ماء فخطأ الرواية وقال انما هو ألآء مثل ألعاع جمع لأي[1] وليس بالصواب الا ما تقدم وانه لاء مثل جاء * وأما فهر فقد قيل انه لقب واسمه فهر من الحجارة الطويل واسمه قريش وقيل بل اسمه فهر وقريش لقبه على ما سيأتي الاختلاف فيه ان شاء الله تعالى ومالك والنضر وكنانة لا اشكال فيها * وخزيمة والذي انه تصغير خزمة وهي واحدة الخزم ويجوز ان يكون تصغير خزمة وكلاهما موجود في أسماء الانصار وغيرهم وهي المرة الواحدة من الخزم وهو شد الشيء واصلاحه وقال أبو حنيفة الخزم مثل الدوم تتخذ من سعفه الحبال ويصنع من أسافله خلايا النحل وله ثمر لا يأكله الناس ولكن تألفه الغربان وتستطيبه * وأما مدركة فقد ذكر في الكتاب والياس أخوه قال فيه ابن الانباري الياس بكسر الهمزة وجعله موافقا لاسم الياس النبي صلى الله عليه وسلم وقال في اشتقاقه أقوالا منها ان يكون فعالا من الآس وهي الخديعة وأنشد * من فهة الجهل والإلكسه * ومنها ان الالياس اختلاط العقل وأنشدوا * انى اذا الضعف العقل مألوس * ومنها انه إفعال من قولهم رجل ألْيَس وهو الشجاع الذي لا يفر قال العجاج * إلياس عن حوبائه سخي * وقال آخر * أليس كالنشوان وهو صاح * وفي غريب الحديث للقتبي ان فلانا أليس أهيس ألد ملحس ان سئل أرز وان دعى انتهز وقد فسره وزعم ان أهيس مقلوب الواو وانه من الهوس زحفا واوه لازدواج الكلام فالأليس الثابت الذي لا يبرح والذي قاله غير ابن الانباري أصح وهو انه الياس سمي بضد الرجاء واللام فيه للتعريف والهمزة همزة وصل وقاله قاسم بن ثابت في الدلائل وأنشد أبياتا شواهد منها قول تميمي

اني لدى الحرب رخي اللبب * أمتهي حذف والياس أبي

وقال انما سمي السل داء ياس وداء الياس لان الياس بن مضر مات منه قال ابن هرمة

يقول العاذلون اذا رأوني * أصيبت بداء ياس فهو مودي

وقال ابن أبي عاصية

لو كان داء الياس بي وأعانني * طبيب بأرواح العقيق شفانيا

وقال عروة بن حزام

بي الياس أو داء الهيام أصابني * فاياك عني لا يكن بك ما بيا

---

[1] في الاصل فص وصحح من لسان العرب فلينه

فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسمه مدركة عامر بن الياس

ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وذكر أنه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج . ذكره في كتاب المولد للواقدي والياس أول من أهدى البدن للبيت قاله الزبير وأم الياس الرباب بنت حيدة (١) بن معد بن عدنان قاله الطبري وهو خلاف ما قاله ابن هشام في هذا الكتاب * وأما مضر فقد قال القتبي هو من المضيرة أو من اللبن الماضر والمضيرة شيء يصنع من اللبن فسمي مصر لبياضه والعرب تسمي الابيض أحمر فلذلك قيل مضر الحمراء وقيل بل أوصى له أبوه بقبة حمراء وأوصى لأخيه ربيعة بفرس فقيل مضر الحمراء وربيعة الفرس ومضر أول من سن للعرب حداء الابل وكان أحسن الناس صوتا فيما زعموا وسنذكر سبب ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى وفي الحديث المروي لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مؤمنين ذكره الزبير بن أبي بكر * وأما نزار فمن النزر وهو القليل وكان أبوه حين ولد له ونظر الى النور بين عينيه وهو نور النبوة الذي كان ينتقل في الاصلاب الى محمد صلى الله عليه وسلم فرح فرحا شديدا به ونحر وأطعم وقال ان هذا كله نزر لحق هذا المولود فسمي نزارا لذلك . وأما معد فقال ابن الانباري فيه ثلاثة أقوال أحدها أن يكون مفعلا من العد والثاني أن يكون مفعلا من معد في الارض أي أفسد كما قال

وخاربين خربا فمعدا لا يحسبان الله الا رقدا

وإن كان ليس في الاسماء ما هو على وزن فعل بفتح الفاء والعين [illegible] الاوزان مالس [illegible] كما قالوا شمر وهو [illegible] ولولا الصفة [illegible] ذلك والثالث أن يكون من المعد وهو موضع عقب الفارس من الفرس وأصل على القولين الآخرين من المعد [illegible] القوة [illegible] المعدة [illegible] وأما عدنان ففعلان من عدن اذا أقام [illegible] الطبري [illegible] قال ابن السراج هو من الود [illegible] وهو [illegible] وقيل في عدنان [illegible] وقال ابن [illegible] قال [illegible] مضطرب فيه والذي صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه انتسب الى عدنان [illegible] من طريق ابن عباس انه لما بلغ عدنان قال كذب النسابون مرتين أو ثلاثا والاصح في هذا [illegible] من قول ابن مسعود [illegible] رضي الله عنه انما قال [illegible] عدنان [illegible] ماهو [illegible] عدنان ما ذكره الله [illegible] وهب بن منبه [illegible] عدنان بن أدد [illegible] ابن الثرى بن أعراق الثرى [illegible] اسماعيل لانه ابن ابراهيم وابراهيم لم تأكله النار كما ان الثرى لا تأكله النار [illegible] الا في هذا الحديث [illegible] الشاعر « [illegible] » [illegible] عارض لما تقدم من قوله كذب النسابون ولا لقول عمر رضي الله عنه [illegible] قوله ابن الثرى بن أعراق الثرى كما قال كلكم بنو آدم وآدم من تراب [illegible] لا يصل [illegible] ولا بد من هذا أو نحوه لأن أصحاب الاخبار لا يختلفون في بعد المدة ما بين عدنان وابراهيم [illegible] العادة ان يكون [illegible] أربعة آباء أو [illegible] كما [illegible] أو عشرون فان المدة أطول من ذلك كله وذلك أن [illegible] عدنان كان في مدة بخت نصر [illegible] قاله الطبري

ابن مضر بن نزار بن معد ابن عدنان بن أدد

١) في النسخة حيدة

وذكر أن الله تعالى أوحى في ذلك الزمان إلى إرمياء بن حلقيا أن اذهب إلى بختنصر فأعلمه أني قد سلطته على العرب واحمل معدا على البراق كي لا تصيبه النقمة فيهم فإني مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل فاحتمل معدا على البراق إلى أرض الشام فنشأ مع بني إسرائيل وتزوج هناك امرأة اسمها معانة بنت جوشن من بني دب بن جرهم ويقال في اسمها ناعمة قاله الزبير ومن ثم وقع في كتاب الإسرائيليين نسب معد بنته في كتبه رخيا وهو يورخ كاتب إرمياء كذلك ذكر أبو عمر النمري حدثت بذلك عن العلماء أنه وشبه بين ابراهيم في ذلك النسب نحو من أربعين جدا وقد ذكرهم كلهم أبو الحسن المسعودي على اضطراب في الأسماء [ولذلك والله أعلم أعرض النبي صلى الله عليه وسلم عن رفع نسب عدنان إلى إسماعيل لما فيه من التخليط والتغيير في الألفاظ] وعواصة تلك الأسماء مع قلة الفائدة في تحصيلها وقد ذكر الطبري نسب عدنان إلى إسمعيل من وجوه ذكر في أكثرها نحوا من أربعين أبا ولكن باختلاف في الألفاظ لأنها نقلت من كتب عبرانية وذكر من وجه قوي في الرواية عن نساب العرب أن نسب عدنان يرجع إلى قيذر بن إسمعيل وأن قيذر كان الملك في زمانه وأن معنى قيذر الملك إذا فسر وذكر الطبري في عمود هذا النسب ثور ابن شوحا وهو أول من عتر العتيرة وأن شوحا هو سعد رجب وأنه أول من سن رجبا العرب والعتيرة هي الرجبية وذكر في هذا النسب عبيد بن ذي يزن بن همادا وهو الطعان وإليه تنسب الرماح اليزنية وذكر فيهم أيضا دوس العتق وكان من أحسن الناس وجها وكان يقال في المثل أعتق من دوس وهو الذي هزم جيش قطورا بن جرهم وذكر فيهم أيضا الأعوج وهو فرسه وإليه تنسب الخيل الأعوجية وهذا هو الذي تشبه فان بخت نصر كان بعد سليمان بنحو من الست مائة لأنه كان عاملا على العراق لكي هراسف ثم لابنه كي بستاسف إلى مدة بهمن قبل غلبة الإسكندر على دارا بن دارا بن بهمن وذلك قريب من مدة عيسى ابن مريم فأين هذه المدة من مدة إسمعيل وكيف يكون بين معد وبينه مع هذا تسعة آباء فكيف أربعة والله أعلم وكان رجوع معد إلى أرض الحجاز بعدما رفع الله بأسه عن العرب ورجعت بقاياهم التي كانت في الشواهق إلى محالهم ومياههم بعد أن دوخ بلادهم بخت نصر وخرب المعمور واستأصل أهل حضور وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله « وكم قصمنا من قرية » الآية وذلك لأنهم قتلوا شعيب بن ذي مهدم نبيا أرسله الله إليهم وقبره بصنين جبل باليمن وليس بشعيب الأول صاحب مدين ذلك شعيب بن عيفا ويقال فيه ابن صيفون وكذلك أهل عدن قتلوا نبيا أرسل إليهم اسمه حنظلة بن صفوان وكانت سطوة الله بالعرب لذلك نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه ثم نعود إلى النسب * فأما مقوم بكسر الواو أو فتحها فهو مقوم المعنى * ويرح يفعل من الترح إن كان عربيا وكذلك ناحور من النحر ويشجب من الشجب وإن كان المعروف أن يقال شجب بكسر الجيم يشجب بفتحها ولكن قد يقال في المعتل شاجبه فشجبه أشجبه بضم الجيم في المستقبل وفتحها في الماضي كما يقال من العلم عالمته فعلمته بفتح اللام أعلمه بضمها وقد ذكر أبو الوليد ابن الشي في قصيدته المنظومة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم إلى آدم كما ذكره ابن إسحق * وإبراهيم هو ابن تارح وآزر يقال معناه يا أعوج ويقال هو اسم صنم وانتصب على إضمار الفعل في التلاوة وقيل هو اسم له كما كان له تارح وآزر وهو في التوراة تارح ... أمه ... واسمها يوتا ... أسماء ... ذكر ابن إسحق ... (١) ... القسام وسالخ ... وذكر الطبري ابن فالخ ...

---

١) كذا في النسخ ... الطبري ...

مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت ابن إسمعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح وهو آزر بن ناحور بن ساروح ابن راعو بن فالخ بن عيبر ابن شالخ بن

ارفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون والله أعلم وكان أول بني آدم أعطي النبوة وخط بالقلم بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم * قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى آدم عليه السلام وما فيه من حديث ادريس وغيره «قال ابن هشام» وحدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي عن شيبان بن زهير بن شقيق بن ثور عن قتادة بن دعامة انه قال اسمعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارح وهو آزر بن ناحور بن اسرغ بن ارعو بن فالخ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ ابن اخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين بن أنوش ابن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» وأنا ان شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسمعيل بن ابراهيم ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولده وأولادهم لاصلابهم الاول فالاول من اسمعيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد اسمعيل على هذه الجهة للاختصار الى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتارك بعض ما ذكره ابن اسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء وليس مما هو لشيء من هذا الكتاب بسبب ولا تفسير له ولا شاهد عليه لما ذكرت من الاختصار وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته و[illegible] ان شاء الله [illegible] ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له [illegible]

أما اسمه قينن اسقط اسمه في التوراة لانه كان ساحرا * وارفخشذ تفسيره مصباح مضيء وشاذ مخشذ بالسريانية الضياء ومنه جمشاذ بالسريانية وهو رابع الملوك بعد جيومرث وهو الذي قتله الضحاك واسمه بيوراسب بن اندراسب والضحاك معرب من اردهاق قال حبيب

وكأنه الضحاك في فتكاته * بالعالمين وأنت أفريدون

لأن أفريدون هو الذي قتل الضحاك بعد أن عاش ألف سنة في جور وعتو وطغيان عظيم وذلك مذكور على التفصيل في تاريخ الطبري وغيره * وذكر نوحا عليه السلام واسمه عبد الغفار وسمي نوحا لنوحه على نفسه وأخوه صابي بن لامك اليه ينتسب دين الصابئين فيما ذكروا والله أعلم * وذكر أن لامك والد نوح عليه السلام ولامك أول من اتخذ العود للغناء بسبب يطول ذكره واتخذ مصانع الماء * وأبوه متوشلخ وذكره الناشئ في قصيدته فقال متوشلح وتفسيره مات الرسول لأن أباه كان رسولا وهو خنوخ وقال ابن اسحق وغيره هو ادريس النبي عليه السلام وروى ابن اسحق في الكتاب الكبير عن شهر بن حوشب عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول من كتب بالقلم ادريس ووقع عليه الصلاة والسلام انه قال أول من كتب بالعربية اسمعيل وقال أبو عمر وهذه الرواية أصح من رواية من روى أن أول من تكلم بالعربية اسمعيل والخلاف كثير في أول من تكلم بالعربية وفي أول من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز فقيل حرب بن أمية قاله الشعبي وقيل هو سفيان بن أمية وقيل عبد بن قصي تعلمه بالحيرة وتعلمه أهل الحيرة من أهل الانبار (قال المؤلف) ثم نرجع الآن الى ما كنا بسبيله فقول ان ادريس عليه السلام قد قيل انه الياس وانه ليس بجد لنوح ولا هو في عمود هذا النسب وكذلك سمعت شيخنا الحافظ أبا بكر رحمه الله يقول واستشهد بحديث الاسراء وان النبي صلى الله عليه وسلم كلما لقي نبيا من الانبياء الذين لقيهم ليلة الاسراء قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح وقال له آدم مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح وكذلك قال له ابراهيم وقال له ادريس والاخ الصالح فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قال له أبوه ابراهيم وأبوه آدم ولخاطبه بالبنوة ولم يخاطبه بالأخوة وهذا القول عندي أنس والقلب اليه أميل لما اعتضد من هذا الدليل * وقال ادريس بن يرد ويرد تفسيره الضابط ابن مهلاييل وتفسيره الممدوح في زمنه كانت عبادة الاصنام ابن قينان وتفسيره المستوى ابن أنوش وتفسيره الصادق وهو بالعربية أنس وهو أول من غرس النخلة وبوب الكعبة وبذر الحبة ذكر ابن شيث وهو بالعبرانية شاث وبالعربية شيث وتفسيره عطية الله ابن آدم وفي [illegible] أقوال قيل هو اسم سرياني [illegible] وقيل هو أفعل من الادمة وقيل [illegible] لفظ الادم لانه خلق من أديم الارض وروى ذلك عن ابن عباس [illegible] الدلائل [illegible] وهو تطريف انا قال لو كان من أديم الارض لكان على وزن فاعل [illegible] ولم [illegible] أفعل من الادمة ولذلك [illegible] (قال المؤلف) وهذا القول ليس بشيء لانه لا يمتنع أن يكون من الأديم [illegible] على وزن أفعل [illegible] الزائدة على الهمزة الاصلية كما دخلت على [illegible]

همزة أصلية فكذلك أول الأدم همزة أصلية فلا يمتنع أن يبنى منها أفعل فيكون غير مجرى كما يقال رجل أعين وأرأس من العين والرأس وأسوق وأعنق من الساق والعنق مع ما في هذا القول من المخالفة لقول السلف الذين هم أعلم منا لسانا وأذكى جنانا ﴿قال المؤلف﴾ وإنما تكلمنا في رفع هذا النسب على مذهب من رأى ذلك من العلماء ولم يكرهه كابن إسحق والطبري والبخاري والزبيريين وغيرهم من العلماء وأما مالك [رحمه الله تعالى] فقد سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم فكره ذلك قيل له فإلى إسمعيل فأنكر ذلك أيضا وقال ومن يخبره به وكره أيضا أن يرفع في نسب الأنبياء مثل أن يقال إبراهيم بن فلان بن فلان قال ومن يخبره به وقع هذا الكلام لمالك في الكتاب الكبير المنسوب إلى المعيطي وإنما أصله لعبد الله بن محمد بن حنين وعمه المعيطي فنسب إليه وقول مالك هذا نحو مما روي عن عروة بن الزبير أنه قال ما وجدنا أحدا يعرف ما بين عدنان وإسمعيل وعن ابن عباس رضي الله عنه قال بين عدنان وإسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون

﴿ذكر إسمعيل صلى الله عليه وبنيه﴾

وقد كان لإبراهيم عليه السلام بنون سوى إسحق وإسمعيل منهم ستة من قطورا بنت يقطر وهم مديان وزمران وسرج بالجيم ونقشان ومن ولد نقشان البربر في أحد الأقوال وأميم رعوة ومنهم نشق وله بنون آخرون من حجون بنت أهيب وهم كيسان وسورح وأميم ولوطان ونافس هؤلاء بنو إبراهيم وقد ذكر ابن إسحق أسماء بني إسمعيل ولم يذكر بنته وهي نسمة بنت إسمعيل وهي امرأة عيصو بن إسحق وولدت له الروم وفارس فيما ذكر الطبري وقال أشك في الأشبان هل هي أمهم أم لا وهم من ولد عيصو ويقال فيه أيضا عيصاو ذكر في ولد إسمعيل طيما وقيده الدارقطني ظمياء بالظاء منقوطة بعدها ميم كأنها تأنيث أظمى والظمى مقصور سمرة في الشفة وذكر دما ورأيت للبكري أن دومة الجندل عرفت بدوماء بن إسمعيل وكان نزلها فلعل دما مغير منه وذكر أن الطور سمي بيطور بن إسمعيل فلعله محذوف الياء أيضا إن كان صح ما قاله والله أعلم وأما الذي قاله أهل التفسير في الطور فهو كل جبل ينبت الشجر فإن لم ينبت شيئا فليس بطور وأما قيذر فيقال هو صاحب الإبل وذلك أنه كان صاحب إبل إسمعيل * قال وأمه هاجر ويقال فيها آجر وكانت سرية لإبراهيم وهبتها له سارة بنت عمه وهي سارة بنت توبيل بن ناحور وقيل بنت هاران بن ناحور وقد قيل هاران بن تارح وهي بنت أخيه على هذا وأخت لوط قاله القتبي في المعارف وقاله النقاش في التفسير وذلك أن نكاح بنت الأخ كان حلالا إذ ذاك فيما ذكر ثم نقض النقاش هذا القول في تفسير قوله تعالى «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا» إن هذا يدل على تحريم بنت الأخ على لسان نوح عليه السلام وهذا هو الحق وإنما توهموا أنها بنت أخيه لأن هاران أخوه وهو هاران الأصغر وكانت هي بنت هاران الأكبر وهو عمه وبهاران سميت مدينة حران لأن [illegible] وهو [illegible] قال وذكر الطبري أن إبراهيم إنما نطق بالعبرانية حين عبر النهر فارا من النمرود وكان النمرود قد قال للطلب الذين أرسلهم في طلبه إذا وجدتم فتى يتكلم بالسريانية فردوه فلما أدركوه استنطقوه فحول الله لسانه عبرانيا وذلك حين عبر النهر فسميت العبرانية بذلك وأما السريانية فيما ذكر ابن سلام فسميت بذلك لأن الله سبحانه حين علم آدم الأسماء كلها علمه سرا من الملائكة وأنطقه بها حينئذ وكانت هاجر قبل ذلك لملك الأردن واسمه صادوق فيما ذكر القتبي دفعها إلى سارة حين أخذها من إبراهيم عجبا من جمالها فصرع مكانه فقال ادعي الله أن يطلقني الحديث وهو مشهور في الصحاح فأرسلها وأخدمها هاجر وكانت هاجر قبل ذلك الملك بنت ملك من ملوك القبط بمصر ذكره الطبري من

﴿سياقة النسب من ولد إسمعيل عليه السلام﴾

«قال ابن هشام» حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق المطلبي قال ولد إسمعيل بن إبراهيم عليهما السلام اثني عشر رجلا نابتا وكان أكبرهم وقيدر وأدبل ومبشا ومسمع وماشي ودما وأذر وطيما ويطور ونبش وقيدما وأمهم بنت مضاض بن عمرو الجرهمي «قال ابن هشام» ويقال مضاض وجرهم بن قحطان وقحطان أبو اليمن كلها وإليه يجتمع نسبها ابن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح * قال ابن إسحق جرهم بن يقطن ابن عيبر بن شالخ وقحطان بن عيبر بن شالخ * قال ابن إسحق وكان عمر إسمعيل فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات رحمة الله وبركاته عليه ودفن في الحجر مع أمه هاجر رحمهم الله تعالى «قال ابن هشام» تقول العرب هاجر وآجر فيبدلون الألف من الهاء كما قالوا هراق الماء وأراق الماء وغيره وهاجر من أهل مصر «قال ابن هشام» حدثنا عبد الله بن وهب عن عبد الله بن لهيعة

عن عمر مولى غفرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله الله في أهل الذمة أهل المدرة السوداء السحم الجعاد فإن لهم نسبا وصهرا قال عمر مولى غفرة نسبهم أن أم إسمعيل النبي صلى الله عليه وسلم منهم وصهرهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسرر فيهم قال ابن لهيعة أم إسمعيل هاجر من أم العرب قرية كانت أمام الفرما من مصر وأم إبراهيم مارية سرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أهداها له المقوقس من حفن من كورة أنصنا [illegible] قال ابن إسحق وحدثني محمد ابن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري أن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك الأنصاري ثم السلمي حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحما فقلت لمحمد بن مسلم ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم فقال كانت هاجر أم إسمعيل منهم

حدثت بسند عن عمر أو غيره أن عمرو بن العاص حين حاصر مصر قال لأهلها إن نبينا عليه السلام قد وعدنا فتحها وقد أمرنا أن نستوصي بأهلها خيرا فإن لهم نسبا وصهرا فقالوا هذا نسب لا يحفظ حقه إلا نبي لأنه نسب بعيد وصدق كانت أمكم امرأة لملك من ملوكنا فحاربنا أهل عين الشمس فكانت لهم علينا دولة فقتلوا الملك واحتملوها فمن هناك تصيرت إلى أبيكم إبراهيم أو كما قالوا وذكر الطبري أن الملك الذي أراد سارة هو سنان بن علوان وأنه أخو الضحاك الذي تقدم ذكره وفي كتاب التيجان لابن هشام أنه عمرو ابن امرئ القيس بن نابليون بن سبأ وكان على مصر والله أعلم وهاجر أول امرأة ثقبت أذناها وأول من خفض من النساء وأول من جرت ذيلها وذلك أن سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة في النساء [illegible] هذا [illegible] وإسمعيل عليه السلام نبي مرسل أرسله الله تعالى إلى أخواله من جرهم وإلى العماليق الذين كانوا بأرض الحجاز فآمن بعض وكفر بعض [illegible] وأمهم بنت مضاض ولم يذكر اسمها [illegible] فقد كان له امرأة سواها من جرهم وهي التي أمره أبوه بطلاقها حين قال لها إبراهيم قولي لزوجك [illegible] ثم تزوج أخرى وهي التي قال لها إبراهيم في الزورة الثالثة [illegible] الحديث وهو مشهور في الصحاح أيضا [illegible]

[illegible]

يثبت الفسيح الا بنصبا وهو عود تشد به ألواح السفن وربما أرعف باشرها وباع اللوح منها بخمسين دينارا أو نحوها واذا شذ لوح منها بلوح وطرح في الماء سمي الشاما وصار لوحا واحدا

﴿فصل﴾ وذكر عك بن عدنان وأن بعض أهل اليمن يقول فيه عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد وذكر الدارقطني في هذا الموضع عن ابن الحباب انه قال فيه عك بن عبد الله بن عدثان بالثاء المثلثة ولا خلاف في الأول انه بنون كالذي يختلف في دوس بن عدثان انه بالثاء وهي قبيلة من الأزد أيضا واسم عك الحارث والديث الذي ذكره هو بالثاء وقاله ابن دريد بالدال والثاء ولعدنان أيضا ابنان اسمهما الحارث وآخر يقال له المذهب ولذلك قيل في المثل أحمق من المذهب وقد ذكر أيضا في بنيه الضحاك وقيل في الضحاك انه ابن معد لا ابن عدنان وقيل ان عدن الذي تعرف به مدينة عدن وكذلك أبين هما ابنا عدنان قاله الطبري ولعدنان بن أدد أخوان نبت بن أدد وعمرو بن أدد قاله الطبري أيضا

﴿ذكر قحطان والعرب العاربة﴾

أما قحطان فاسمه مهزم فيما ذكر ابن ماكولا وكانوا أربعة اخوة فيما روي عن ابن منبه قحطان وقاحط ومقحط وفالغ وقحطان أول من قيل له أبيت اللعن وأول من قيل له عم صباحا واختلف فيه فقيل هو ابن عابر بن شالخ وقيل هو ابن عبد الله أخي هود وقيل هو هود نفسه فهو على هذا القول من إرم بن سام ومن جعل العرب كلها من اسمعيل قال انه هو ابن تيمن بن نبت بن اسمعيل ويقال هو ابن الهميسع بن عمرو بن تيمن وبه سميت اليمن في قول وقيل بل سميت بذلك لانها عن يمين الكعبة وتفسير الهميسع الصراع وقال ابن هشام يقال هو يعرب بن قحطان سمي بذلك لأن هودا عليه السلام قال له أنت أعرب ولدي بيمنة في خبر ذكره قال وهو أول من قال المراثي والرجز وهو الذي أجلى بني حام الى بلاد المغرب بعد أن كانوا أخذوا الجزيرة من ولد قوط بن يافث قال وهي أول حرب وجراح أحدثت في بني آدم وقد احتج لهذا القول أعني ان قحطان من ولد اسمعيل عليه السلام بقول النبي صلى الله عليه وسلم ارموا يا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا قال هذا القول لقوم من أسلم بن أفصى وأسلم اخو خزاعة وهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وهم من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولا حجة عندي في هذا الحديث لاهل هذا القول لان اليمن لو كانت من اسمعيل مع ان عدنان كلها من اسمعيل بلا شك لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسب الى اسماعيل معنى لأن غيرهم من العرب أيضا أبوهم اسمعيل ولكن في الحديث دليل والله أعلم على ان خزاعة من بني قمعة ابن مدركة بن الياس بن مضر كما يأتي بيانه في هذا الباب بحديث عمرو بن لحي ان شاء الله وكذلك قول أبي هريرة رضي الله عنه تلك أمكم يا بني ماء السماء يعني هاجر يحتمل أن يكون تأول في قحطان ما تأوله غيره ويحتمل أن يكون نسبهم الى ماء السماء على زعمهم فانهم ينسبون وقد النسبة كثير من العرب الى حاضنهم والى رابهم أي زوج أمهم كما سيأتي بيانه في باب ... ان شاء الله وسبأ اسمه عبد شمس فيما ذكر وكان أول من توج من ملوك العرب وأول من سبى فسمي سبأ وليس من هذا الاشتقاق على أنه لا يهمز والسبي غير مهموز وذكر ... الهمزة وشدة الميم مكسورة ولا نظير له في الكلام والعرب تضطرب في هذه الأسماء القديمة قال المعري

تراه والدهر الأمير بحاله * كما قد رأته جرهم وأميم

شجاعة على ورد فعمل وهو الاكبر ... وكان ملكا

«قال ابن هشام» والعرب كلها من اسمعيل وقحطان وبعض أهل اليمن يقول قحطان من ولد اسمعيل ويقول اسمعيل أبو العرب كلها * قال ابن اسحق عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام بن نوح وطسم وعملاق وأميم بنو لاوذ بن سام بن نوح عرب كلهم فولد نابت بن اسمعيل يشجب بن نابت فولد يشجب يعرب بن يشجب فولد يعرب تيرح بن يعرب فولد تيرح ناحور بن تيرح فولد ناحور مقوم بن ناحور فولد مقوم أدد بن مقوم فولد أدد عدنان بن أدد «قال ابن هشام» ويقال عدنان بن أد قال ابن اسحق فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام فولد عدنان رجلين معد بن عدنان وعك بن عدنان «قال ابن هشام» فصارت عك في دار اليمن وذلك أن عكا تزوج في الأشعريين فأقام فيهم فصارت الدار واللغة واحدة والأشعريون بنو أشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن هميسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد

وكان يسمى آدم وهو عند العرب آدم الاصغر وولده وبار وهم أمة هلكت في الرمل هالت الرياح الرمل على مخاحهم وما هلهم فها لكوا قال الشاعر

وكرّ دهر على وبار * فاهلكت عنوة وبار

والنسب اليه أنارى على غير قياس ومن العماليق ملوك مصر الفراعنة منهم الوليد بن مصعب صاحب موسى وقابوس بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن اراشة بن معاوية بن عمليق أخو الاول ومنهم الريان بن الوليد صاحب يوسف عليه السلام ويقال فيه ابن دومع فيما ذكر المسعودي وأما طسم وجديس فافنى بعضهم بعضا قلبت طسم جديسا ليسوءملكهم ايامهم وجورهم فيهم فافلت منهم رجل اسمه رياح بن مرة فاستصرخ تبع وهو حسان بن تبان أسعد وكانت أخته اليمامة واسمها عنز ناكحا في طسم وكان هواها معهم فانذرتهم فلم يقبلوا فصبحهم جنود تبع فاوقعوا بهم قتلا وصلبوا اليمامة الزرقاء بباب جو وهي المدينة سميت جو باليمامة من ذلك الى اليوم وذلك في أيام ملوك الطوائف وقيل بعد طسم بانالا تاكل ثمرها الاعوافي الطير والسباع حتى وقع عليها عبيد بن ثعلبة الحنفي وكان رائداً لقومه في البلاد فلما أكل التمر قال ان هذا لطعام وحجر بعصاه على موضع وقصبة اليمامة فسميت حجرا وهي منازل حنيفة الى اليوم وحجر طسم وجديس مشهوراه ضربا به على هذه السدة [لشهرته عند الاسماريين]

﴿ ذكر نسب الانصار ﴾

وهم الأوس والخزرج والأوس الذئب والعطيه أيضا والخزرج الريح البارده ولا أحسب الاوس في اللغه الاالعطيه خاصة وهي مصدر أسه وأما أوس الذي هو الذئب فعلم كاسم الرجل وهو كقولك أسامة في اسم الاسد وليس أوس اذا أردت الذئب كقولك ذئب وأسد ولو كان كذلك لجمع وعرف وقال كلا يفعل باسماء الاجناس ولقيل في الاثنى أوسة كما قال ذئبة وفي الحديث ما يقوى هذا وهو قوله عليه السلام هذا أوس يسألكم من أموالكم فقالوا لا نطيب له نفسا بشيء وانما هذا الاوس فاماه ولا تقول أوس على قياس المسمى بالسباع ولانه قولاه من الاجناس الا من العطيه خاصة وفيه عمرو وهو مزيقيا لانه فيما ذكروا كان يمزق كل يوم حلة ابن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس وهو البهلول بن ثعلبة بن مازن بن الاسد وقال لثعلبة أيضا العنقاء وكان مالك بن ثعلبة ابن عمرو جد الاوس والخزرج ثعلبة العنقاء وكانوا ملوكا وحرق ويقال حارثة بن ثعلبة العنقاء والد الاوس والخزرج بالمدينة لطولهم على الروم بالشام ومصالحة غسان [1] لملك الروم وكان ثعلبة وحارثه وجذع بن غسان من صيحة كانت من السماء والارض يسمع فيها صهيل الخيل وعند موت حارثة كان ما كان من فكت ... طرب الاوس والخزرج عليهم ... سبب ... الى اسد صروانه من ملوك [حده] ... قال في الاسد الازد ... الرأي ... الاسد بن الغوث قاله ... بن موسى بن العراب وقال غيره ... أسد الكرة ما أسدى الى الناس من الايادي ورفع في النسب الى كهلان بن سبا وكهلان كان ملكا بعد حمير وعاش فيما ذكروا الاعما ... ثم ... الملك الى أحد ... في ... وهم وائل ومالك وعمرو وعامر وسعد وعوف ... ذكرلهما ولد عمرو بن عامر لانه وانه كان اصغر ولده قال المسعودي واسمه مالك وقال غيره ثعلبة وقال ... انه كان ... حجره وقول حسان

---

[1] في الاصل ... بعد حربهم الروم وظهورهم على كثير من حاربوه

ابن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال أشعر بن نبت بن أدد وقال أشعر بن مالك ومالك مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب وقال الشعر ابن سبا بن يشجب (وأنشدني) أبو محرز خلف الاحمر وابو عبيدة لعباس بن مرداس احد بني سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان يفخر بعك

وعك بن عدنان الذين تلعبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت في قصيدة له وغسان ماء بسد مأرب باليمن كان شربا لولد مازن ابن الاسد بن الغوث فسموا به وقال غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة والذين شربوا منه تحزبوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الاسد بن الغوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال حسان بن ثابت الانصاري والانصار بنو الاوس والخزرج بني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الاسد بن الغوث

أما سألت فانا معشر أنجب * الاسد نسبتنا والماء غسان

وقوله يا أخت آل فراس انني رجل * من معشر لهم في المجد بنيان

واشتقاق غسان اسم ذلك الماء من الغسن وهو الضعف كما قال * غسن الامانة صُبور مصبور *
ويروى غسي و قال الهرادار جرعس تحريف السين [قاله صاحب العين] والعسيسة من الرطب التي
يبدأ بها الارطاب من قبل معلاقها ولا تكون الاصبعية ساقطة

﴿ فصل ﴾ وذكر هرقى سبأ والعرب تقول ذهبوا أيدي سبا وأيادي سبا نصبا على الحال وان كان معرفة
في الظاهر لانه مثل أيدي سبا والياء ساكنة فيه في موضع النصب لانه صار مع الاسم بمنزلة اسما
واحداً مثل معدي كرب ولم يسكنوها في ثماني عشرة لانها متحركة في ثمانية عشر

﴿ فصل ﴾ وذكر سيل العرم وفي العرم أقوال قيل هي المسناة أي السد وهو قول قتادة وقيل هو اسم
للوادي وهو قول عطاء وقيل هو الجرذ الذي خرب السد وقيل هو صفة للسيل من العرامة وهو معنى
رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وقال البخاري العرم ماء أحمر حفر في الارض حتى ارتفعت عنه
الجنتان فلم يسقهما حتى يبستا ولم يكن الماء الاحمر من السد ولكنه كان عذابا أرسل عليهم انتهى كلام
البخاري والعرب تضيف الاسم الى وصفه لانهما اسمان فيعرف أحدهما بالآخر وحقيقة اضافة المسمى الى
الاسم الثاني أي صاحب هذا الاسم كما تقول ذو زيد أي المسمى بزيد ومنه سعد ناشرة وعمرو بطة وقول
الاعشى * ومأرب عفى عليها العرم * نوى انه السيل ومأرب بسكون الهمزة اسم لقصر كان لهم وقيل
هو اسم لكل ملك كان يلي سبا كما ان تبعا اسم لكل من ولي اليمن وحضرموت والشحر قاله المسعودي وكان
هذا السد من بناء سبا بن يشجب بن يعرب وكان ساق اليه سبعين واديا ومات قبل أن يستتمه فأتمته ملوك حمير
بعده وقال المسعودي بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخا في فرسخ وجعل له ثلاثين مثعبا وقول الاعشى

* اذا جاء مواره لم يرم * من قوله تعالى « يوم تمور السماء مورا » فهو مفتوح الميم وبعضهم يرويه مضموم الميم
والفتح أصح وهو من قولهم دم مائر أي سائل وفي الحديث أمر الدم بما شئت أي أسله ورواه أبو عبيد أمر
بسكون الميم جعله من مريت الضرع والنفس الى الرواية الاولى أميل من طريق المعنى وكذلك رواه الناس
وفسره وقوله لم يرم أي [لم] تمسكه السد حتى يأخذوا منه ما يحتاجون اليه * وقوله فاروى الزروع
وأعنابها أي أعناب تلك البلاد لان الزروع لا عنب لها وأنشد لامية بن أبي الصلت

من سبأ الحاضرين مأرب إذ * يبنون من دون سيله العرما

وهذا أبين شاهد على أن العرم هو السد واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب بن علاج الثقفي وأمه رقية بنت
عبد شمس بن عبد مناف

﴿ ذكر معد وولده ﴾

قوله وولد معد اربعة نفر أما اربعة فتعليل على انه ابن معد بن [عدنان] ولد معد فيختلف فيه فمنهم جشم بن معد وسلام
ابن معد وجنادة بن معد وقناصة بن معد وقنص بن معد [وسنام بن معد] وعوف وقد انقرض عقبه وجنادة
وهم الآن في قضاعة واودعم في مذحج اندجوا في بني أود بن عمرو ومنهم عبد الرماح وحيدة وحيادة
وجند وقحم فاما قضاعة فاكثر النسابين يذهبون الى ان قضاعة هو ابن معد وهو مذهب الزبير بن بكار وابن
هشام وقد روي من طريق ابن هشام بن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل عن قضاعة فقال

اما سألت فانا معشر نجب
الاسد نسبتنا والماء غساد
وهذا البيت في أبيات لها
قالت اليمن وبعض علماء
وهم الذين بخراسان منهم
علك بن عدنان بن عبد الله
بن الاسد بن الغوث
ويقال عدنان بن الديث
بن عبد الله بن الاسد بن
الغوث

هو ابن معد وكان بكره فقال أبو عمر وليس دون هشام بن عروة من يحتج به في هذا الحديث وقد عارضه حديث آخر عن عقبة بن عامر الجهني وجهينة هو ابن [زيد بن ليث بن] سود بن أسلم بضم اللام ابن الحاف بن قضاعة أنه قال يا رسول الله لمن نحن فقال أنتم بنو مالك بن حمير وقال عمرو بن مرة وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكنى أبا مريم

* يا أيها الداعي ادعنا [وبشر] * وكن قضاعياً ولا تنزر

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر * قضاعة بن مالك بن حمير

[قال ذو الحسبين قال الزبير الشعر لأفلح بن اليعبوب] وعمرو بن مرة هذا له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان أحدهما في أعلام النبوة والآخر من ولي أمر الناس فسد بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة ومما احتج به أصحاب القول الأول أيضاً قول زهير

وقضاعة أو آخرها مضرية * تحرق في حافاتها الحطب الجزل

يعني قضاعة ومضر أخوين وأشعار كثيرة للبيد وغيره وقد قال الكميت بانتساب قضاعة في انتسابهم إلى اليمن

علام نزلتم من غير فقر * ولا ضراء منزلة الحميل

والحميل السبي لأنه يحمل من بلد إلى بلد قال الأعشى كان أبي حميلا فورثناه [illegible] وقد أراد أن [illegible] وما كان يرى التوارث بولادة الأعاجم وقال ابن الماجشون كان ابن [illegible] ومالك وابن دينار والمغيرة يقولون في الحميل وهو السبي يقول ابن هرمز [illegible] مالك قبل موته [illegible] إلى قول ابن شهاب وابن [illegible] يورثون بشهادة العدول وإنما [illegible] في قضاعة [illegible] أطرافها [illegible] على صدق [illegible] وذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن امرأة مالك بن حمير واسمها عكبرة [illegible] وهي [illegible] قضاعة [illegible] وقال بل ولد [illegible] على فراشه [illegible] إليه وهو قول الزبير [illegible] إلى علي بن مسعود بن مازن بن الذئب الأسدي لأنه كان حاضن [illegible] فقال [illegible] وكذلك [illegible] وهو حاضن بني عوف بن ودين [illegible] ولكن [illegible] الأكل وكذلك [illegible] ابن [illegible] وهذا كان حاضن [illegible] قائل [illegible] أبي [illegible] إن شاء الله ونسب قضاعة [illegible] صاحب [illegible] كتاب [illegible] واسمه [illegible] وهو [illegible] [واسمه عمرو و[illegible] أبا [illegible] وكنيته أبا حكم] [1] [illegible] وقول ابن إسحاق كان بكر معد فالبكر أول ولد الرجل وابنه بكر والثني ولده الثاني [illegible] والثالث ولا [illegible] [illegible] ولا [illegible] شيء في هذا الباب [illegible] في انتسابهم إلى اليمن [illegible] أعشى بني ثعلبة [illegible] من كلب وكلب من قضاعة

أرى [illegible] كانت * [illegible] لا [illegible]

[illegible] * [illegible] مالا [illegible]

[illegible] وقال بعض شعراء [illegible] في قضاعة

[illegible] على [illegible] عدوة * [illegible] الروم والبلدان

[illegible] لهم [illegible] * [illegible] الروم [illegible]

---

(1) في الأصل «وكنيته أبو عمرو [illegible]» وعلى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

* قال ابن اسحق فولد معد بن عدنان أربعة نفر نزار بن معد وقضاعة بن معد وكان قضاعة بكر معد الذى به يكنى فيما يزعمون وقنص بن معد وإياد بن معد فاما قضاعة فتيامنت الى حمير بن سبأ وكان اسم سبأ عبد شمس وانما سمى سبأ لأنه أول من سبى فى العرب ابن يعرب بن يشجب بن قحطان «قال ابن هشام» فقالت اليمن وقضاعة قضاعة بن مالك بن حمير وقال عمرو بن مرة الجهنى وجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة

نحن بنو الشيخ الهجان الازهر * قضاعة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر * فى الحجر المنقوش تحت المنبر

* قال ابن اسحق وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما يزعم نساب معد وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ان النعمان بن المنذر كان من ولد قنص بن معد «قال ابن هشام» ويقال قنص * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس عن شيخ من الانصار من بنى زريق انه حدثه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أتى بسيف النعمان بن (١٧) المنذر دعا جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى وكان جبير من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة وكان يقول انما أخذت النسب من أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب فسلحه اياه ثم قال ممن كان يا جبير النعمان بن المنذر فقال كان من أشلاء قنص بن معد «قال ابن هشام» فأما سائر العرب فيزعمون انه كان رجلا من لخم من ولد ربيعة بن نصر والله أعلم أى ذلك كان «قال ابن هشام» لخم بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن [illegible] بن عريب بن زيد بن كهلان [illegible] ويقال لخم بن عدى بن [illegible]

فقالوا ألا انا وجدنا [illegible] * فقلت لهم [illegible] مكان
وقالوا وجدناه [illegible] * فقلت اذا ما أمكم بحصان
فما من حصى [illegible] أمكم * ولا بات [illegible] الفرج [illegible]
فقالوا بلى والله حتى كأنما * [illegible] فى باب أسها [illegible]

ذكره أبو عمر رحمه الله فى كتاب الاستيعاب وقال [illegible] وهو من [illegible] بن [illegible] من قضاعة [illegible] وهى من [illegible]

[illegible] الروابى من معد وفضلت * على المحصنات البيض وهى [illegible]

وقال جميل أو الأحوص يمدح الوليد بن عبد الملك

أنا جميل فى السنام من معد * فى [illegible] من الناس وفى الركن الأشد

ذكر قنص بن معد

وكان قنص بن معد [illegible] ولده [illegible] ووقعت [illegible] أبيهم [illegible] ونصاهم [illegible] وأحدثت لهم الارض فساروا نحو [illegible] العراق وذلك أيام ملوك الطوائف [illegible] الاردن [illegible] ملوك الطوائف وأجلوهم عن السواد [illegible] الا [illegible] وسلوا [illegible] والعهم

«قنص» وذكر ابن اسحق حديث جبير بن مطعم حين أتى عمر بسيف النعمان بن المنذر وكان جبير [illegible] الناس [illegible] وذكر الطبرى ان سيف النعمان بن المنذر [illegible] الى [illegible] حتى [illegible] وكانت [illegible] كسرى [illegible] الى اصطخر [illegible] وأثنى [illegible] أسياف [illegible] أحدها [illegible] كسرى [illegible] كسرى أنوشروان [illegible] النعمان بن المنذر الذى كان [illegible] وألقاه الى [illegible] رجال الفرس [illegible] فى [illegible] الطاعون الذى كان فى الفرس [illegible]

([illegible])
[illegible] عمرو بن سبأ ويقال ربيعة بن نصر بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر وكان [illegible] باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن [illegible] عمرو بن عامر [illegible] قصد أرض [illegible]
[illegible] عمرو بن عامر [illegible] الأنصارى [illegible] الذى كان [illegible]
[illegible] امرأة [illegible] امرأة [illegible]
[illegible]
[illegible] فخرجوا [illegible]
[illegible]
[illegible]

وتزلت أزد عمان عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم» والعرم السد واحدته عرمة فيما حدثني أبو عبيدة * قال الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد «قال ابن هشام» ويقال أفصى بن دعمي بن جديلة واسم الأعشى ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة

وفي ذاك للمؤتسي أسوة * ومأرب عفى عليها العرم

رخام بنته لهم حمير * إذا جاء مواره لم يرم

فأروى الزروع وأعنابها * على سعة ماؤهم إذ قسم

فصاروا أيادي ما يقدرو * ن منه على شرب طفل فطم

وهذه الأبيات في قصيدة له *وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي واسم ثقيف قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

من سبا الحاضرين مأرب إذ * يبنون من دون سيله العرما

وهذا البيت في قصيدة له * ويروى للنابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد الله أحد بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وهو حديث طويل منعني من استقصائه ما ذكرت من الاختصار * قال ابن إسحق وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هالته وفظع بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته إلا جمعه إليه فقال لهم إني قد رأيت رؤيا هالتني وفظعت بها فأخبروني بها وبتأويلها فقالوا له اقصصها علينا نخبرك بتأويلها قال إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها فإنه لا يعرف تأويلها إلا من عرفها قبل أن أخبره بها فقال له رجل منهم فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سطيح وشق فإنه ليس أحد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدي بن مازن غسان وشق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قسر بن عبقر بن أنمار بن نزار وأنمار أبو بجيلة وخثعم «قال ابن هشام» وقالت اليمن وبجيلة بنو أنمار بن إراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال إراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث ودار بجيلة وخثعم يمانية [illegible]

هرقل وكان نصيرا إلى كسرى أيام غلبته على الروم في المدة التي ذكرها الله تعالى في قوله «الم غلبت الروم في أدنى الارض» الآية فهذا كان سبب تصيير سيف النعمان إلى كسرى أبرويز ثم إلى كسرى يزدجرد ثم إلى عمر رضي الله عنه وكان الذي قتل النعمان منهم أبرويز بن هرمز بن أنوشروان وكان لأبرويز فيما ذكروا ألف فيل وخمسون ألف فرس وثلاثة آلاف امرأة فيما ذكر الطبري وتفسير أنوشروان بالعربية مجدد الملك فيما ذكروا والله أعلم وكذلك فسر أبرويز بالمظفر قاله المسعودي والطبري أيضا وزاد الطبري في حديث جبير حين سأله عمر عن نسب النعمان قال كانت العرب تقول إنه من أشلاء قنص بن معد وهو من ولد عجم بن قنص إلا أن الناس لم يدروا ما عجم فجعلوا مكانه لخما وقالوا هو من لخم ونسبوا إليه [و]أبرويز هو الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق

﴿ حديث ربيعة بن نصر ورؤياه ﴾

وبعضهم يقول فيه نصر بن ربيعة وهو في قول نساب اليمن ربيعة بن نصر بن الحارث بن نمارة بن لخم وقال الزبيري هذا النسب نصر بن مالك بن شعود بن مالك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن لخم ولخم أخو جذام وسمي لخما لأن أخاه لخمه أي لطمه فعضه الآخر في يده فجذمها فسمي جذاما وقال قطرب اللخم سمك في البحر وبه سمي الرجل لخما [وأكثر المؤرخين يقولون في نصر بن ربيعة] وفي ربيعة هذا يقول [illegible] ... النعمان وهو من ولده [illegible] ... وسطيحا الكاهن [illegible] وقد ... في شيء من هذا النسب في كتاب الخبر وكان سطيح جسدا ملقى لا جوارح له فيما يذكرون ولا يقدر على الجلوس إلا إذا غضب انتفخ فجلس وكان شق شق إنسان فيما يذكرون إنما له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ويذكر عن وهب بن منبه أنه قال قيل لسطيح أنى لك هذا العلم فقال لي صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سينا حين كلم الله تعالى منه موسى عليه السلام فهو يؤدي إلي من ذلك ما يؤديه وولد سطيح وشق في اليوم الذي ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر ... فدعت بسطيح ... [illegible]

وقعت بها فأخبرني بها فإنك إن أصبتها أصبت تأويلها قال أفعل رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت منها شيئا يا سطيح فما عندك في تأويلها فقال أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن أرضكم الحبش فلتملكن ما بين أبين إلى جرش فقال له الملك وأبيك يا سطيح إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني هذا أم بعده قال لا بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين قال أفيدوم ذلك

من ملكهم أم ينقطع قال لا بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين قال ومن يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم قال يليه إرم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي قال وممن هذا النبي قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الأولون والآخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال أحق ما تخبرني قال نعم والشفق والغسق والفلق إذا اتسق إن ما أنبأتك به لحق ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان قال نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة قال فلما قال له ذلك عرف أنهما قد اتفقا وأن قولهما واحد إلا أن سطيحا قال وقعت بأرض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة وقال شق وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة فقال له الملك ما أخطأت يا شق منها شيئا فما عندك في تأويلها قال أحلف بما بين الحرتين من إنسان لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين إلى نجران فقال له الملك وأبيك يا شق إن هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفي زماني أم بعده قال لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم أشد الهوان قال ومن هذا العظيم الشان قال غلام ليس بدني ولا مدن

شق ففعلت به مثل ما فعلت بسطيح ثم ماتت وقبرها بالجحفة وذكر أبو الفرج أن خالد بن عبد الله القسري كان من ولد شق هذا فهو خالد بن عبد الله بن أسد بن يزيد بن كرز وذكر أن كرزا كان دعيا وأنه كان من اليهود فجنى جناية فهرب إلى بجيلة فانتسب فيهم وقال كان عبدا لعبد القيس وهو ابن عامر ذي الرقعة وسمي ذي الرقعة لأنه كان أعور يغطي عينه برقعة ابن عبد شمس بن جوين بن شق الكاهن بن صعب * وقوله في حديث الرؤيا أكلت منها كل ذات جمجمة وكل ذات نسمة بنصب كل أصح في الرواية وفي المعنى لأن الحممة نار وهي لا تأكل ولا تؤكل على أن في رواية الشيخ برفع كل ولها وجه ولكن في حاشية كتابه أن في نسخة البرقي التي قرأها على ابن هشام كل ذات بنصب اللام * وقوله خرجت من ظلمة أي من ظلمة وذلك أن الحممة قطعة من نار وخروجها من ظلمة تشبه خروج عسكر الحبشة من أرض السودان والحممة الفحمة وقد تكون جمرة محرقة كما في هذا الحديث فيكون لفظها من الحميم ومن الحمى أيضا الحرارة أو قد تكون طفئة فيكون لفظها من الحمة وهي السواد يقال أحم وحماء أي أسود فيه وكلا المعنيين حاصل في لفظ الحممة هاهنا * وقوله بين روضة وأكمة لأنها وقعت بين صنعاء وأحوازها * وقوله في أرض تهمة أي منخفضة ومنه سميت تهامة * وقوله أكلت منها كل ذات جمجمة ولم يقل كل ذي جمجمة وهو من باب قوله تعالى سبحانه «ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء» لأن القصد إلى النفس والنسمة فهو أعم ويدخل فيه جميع ذوات الأرواح ولو جاء بالتذكير لكان خاصا بالإنسان أو عاما في كل شيء حي أو جماد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل نائلة فيه ج أي تكون فيها الجذب وهي الحدث وقال النحاس هو بتأنيث الضربة والجائفة * وقوله لتهبطن أرضكم الحبش هم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح وبه سميت الحبشة * وقوله ما بين أبين إلى جرش ذكر سيبويه أبين بكسر الهمزة على مثال إصبع وحكاه الفارسي وكذلك قيد في هذا الكتاب وقال ابن ماكولا هو أبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع من حمير أو ذو أبين حمير سميت به البلدة وقد تقدم قول الطبري أن أبين وعدن ابنا عدنان سميت بهما البلدتان * وقوله غلام ليس بدني ولا مدن الدني معروف والمدن الذي جمع الضعف مع الدناءة قاله صاحب العين * وقوله ليس فيه أمض أي ليس فيه شك ولا مستراب وقد عمر سطيح زمانا طويلا بعدها في الحديث حتى أدرك مولد النبي صلى الله عليه وسلم ورأى كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز ما رأى من ارتجاس الإيوان وخمود النيران ولم تكن خمدت قبل ذلك بألف عام وسقطت من قصره أربع عشرة شرفة وأخبره الموبذان وهو القاضي أو المفتي بلغتهم أنه رأى إبلا صعابا تقود خيلا عرابا انسربت في بلادهم [illegible] فأرسل كسرى عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بقيلة الغساني [إلى سطيح] وكان سطيح من أخوال عبد المسيح ولذلك أرسله كسرى فيما ذكر الطبري إلى سطيح ليخبره بعلم ذلك ويعبر له رؤيا الموبذان فقدم عليه وقد أشفى على الموت فسلم عليه فلم يحر إليه سطيح جوابا فأنشأ عبد المسيح يقول

أصم أم يسمع غطريف اليمن * أم فاد فازلم به شأو العنن
يا فاصل الخطة أعيت من ومن * أتاك شيخ الحي من آل سنن
وأمه من آل ذئب بن حجن * أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يسري للوسن * لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب بي الأرض علنداة شزن * ترفعني وجنا وتهوي بي وجن
حتى أتى عاري الجآجي والقطن * تلفه في الريح بوغاء الدمن
* كأنما حثحث من حضني ثكن *

ثكن — اسم جبل فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال عبد المسيح على جمل مشيح جاء الى سطيح حين أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وفاض وادي السماوة وغاضت بحيرة ساوة فليس الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه وقوله [illegible] [illegible] قال ثعلب وقوله — شأو العنن — يريد الموت وما عن منه قاله الخطابي وقد [illegible] فادهو — وأما [illegible] [illegible] ابن اسحق [illegible] [illegible] وكتب [illegible] الى ملك [illegible] سابور [illegible] | قال المؤلف | الشيخ الخطيب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ملوك بني [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] أول [illegible] رضي الله [illegible] [illegible] [illegible] والور [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وهو الظاهر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] أرله [illegible] ملوك الطوائف [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ملوك الطوائف [illegible] [illegible] [illegible] كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دارا بن دارا [illegible] [illegible] [illegible] ذلك [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دارا [illegible] ذلك [illegible] [illegible] [illegible] لان كل واحد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقد [illegible] من ذلك وقال المسعودي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ملوك الطوائف وبعد ملوك الاشغانيين وساسان بن بهمن وهو من [illegible] [illegible] [illegible] كل واحد منهم [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible] واول من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

يخرج عليهم من يبيد ... قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال رسول مرسل يأتي بالحق والعدل من أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم يجزى فيه الولاة يدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الأحياء والأموات ويجمع فيه الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال أحق ما تقول قال اي ورب السماء والأرض وما بينهما من رفع وخفض ان ما أنبأتك به لحق ما فيه أمض

قال الضحاك فبار جده جم ثم صار الملك في عقبه الى منوشهر الذي بعث موسى عليه السلام في زمانه الى كي قاوس وكان في زمن سليمان عليه السلام وسيأتي طرف من ذكره في الكتاب الى كي بستاسب الذي ولي بخت نصر وملكه وبخت نصر هو الذي حير الحيرة حين حمل فيها سبايا العرب فتحيروا هنالك فسميت الحيرة وأخذ اسمه من بوخت وهي النخلة لانه ولد في اصل نخلة ثم كان بعد كي بستاسب بهمن بن اسفنديار ابن بستاسب وكان له ابنان دارا وساسان وكان ساسان هو الاكبر فكان قد طمع في الملك بعد أبيه فصرف بهمن الامر عنه الى دارا لخبر يطول ذكره فحمله على ذلك خماني أم دارا فخرج ساسان سائحا في الجبال ورفض الدنيا وهانت عليه وعهد الى بنيه متى كان لهم الامر أن يقتلوا كل أشغاني وهم نسل دارا فلما قام أردشير بن بابك وقيده الدارقطني أردشير بالراء المهملة ودعا ملوك الطوائف الى القيام معه على من خالفه حتى يطلب له ملك فارس وأجابه الى ذلك أكثرهم وكانوا ابدا على الاول حتى أزالوه وجعل أردشير يقتل كل من ظهر عليه من أولئك الاشغانيين فقتل ملكا منهم [يقال له الاردوان] واستولى على قصره فالفى فيه امرأة جميلة رائعة الحسن فقال لها ما أنت فقالت أمة من إماء الملك وكانت بنت الملك الاردوان لا ذنب بهذا الخلق من القتل لانه كان لا يبقي منهم احدا فلولا أني فصدق قولها واستسرها فحملت منه فلما أثقلت استشعرت الامان منه فأقرت انها بنت الاشغاني الذي قتل واسمه اردوان فبادر [illegible] برأيه واسحاق وقد سماه الطبري في التاريخ فقال استودع هذه بطن الارض فكره الوزير أن يهلكها وفي بطنها ابن للملك وكره أن يعصي أمره فاتخذ لها مطمورة تحت الارض ثم خصى نفسه [illegible] ووضع الخرزة في حق وختم عليه ثم جاء به الملك [illegible] وجعل لا يدخل الى المرأة في ذلك القصر سواه ولا يراها الا هو حتى وضعت المولود فكره أن يسميه قبل أن يسميه شاهبور ومعناه ابن الملك وكان الصبي يدعى بهذا ولا يعرف له سواه [illegible] الى أن ترعرع الغلام فدخل الوزير يوما على أردشير وهو واجم فقال لا يسوءك الله أيها الملك [illegible] في أطرافك ووحرمك فقال كبرت [illegible] ولا ابن لي ولد أولده الامر بعدي وأخاف [illegible] بعدي [illegible] وافتراق الكلمة بعد اجتماعها فقال ان لي عندك وديعة [illegible] الملك وقد احتجت اليها [illegible] وأخرج [illegible] فقال الملك ما هذا فقال كرهت أن أعصي الملك [illegible] أمرني في الجارية [illegible] واستودعتها بطن الارض حتى أخرج الله منها [illegible] فأمر الملك [illegible] أردشير [illegible] في مائة غلام [illegible] يلعبون بالكرة فوافى [illegible] فكانت الكرة تقع في ايوان الملك [illegible] أحدها حتى طارت الكرة ووقعت في سرير الملك فتقدم حتى أخذها ولم يهب ذلك [illegible] الملك [illegible] ثم قال له الملك ما اسمك يا غلام [illegible] شاهبور [illegible] الاسم [illegible] الملك باسمائهم واجدادهم [illegible] على الدراهم [illegible] الكتابة التي كانت في أوائل أسماء الملوك [illegible] فكانوا [illegible] أردشير [illegible] الى ابنه شاهبور [illegible] في الكتاب في قول الاعشى

اقام به شاهبور الجنود * حولين تضرب فيه القدم

[illegible] العرب هذا الاسم فقالوا سابور [illegible] ملوك [illegible] سابور ذو الاكتاف الذي وطئ ارض العرب وكان يخلع اكتافهم حتى مر بارض بني تميم [illegible]

عم وهو ابن ثلاثمائة سنة لم يقدر على القرار وكان في قفة معلقا من عمود الخيمة من الكبر فاحتج وجيء به الملك فاستنطقه سابور فوجد عنده رأيا ودهاء فقال له ايها الملك لم تفعل هذا بالعرب فقال يزعمون ان ملكنا يصير اليهم على يدي نبي يبعث في آخر الزمان فقال عمرو فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلا يضرك وان يكن حقا الفاك وقد اتخذت عندهم يدا يكافئونك عليها ويحفظونك بها في دولتهم فقال ان سابور انصرف عنهم واستبقى بقيتهم واحسن اليهم بعد ذلك والله اعلم واما ابرويز بن هرمز وتفسيره بالعربية مظفر فهو الذي كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي طرف من ذكره وهو الذي عرض على الله تعالى في النام فقيل له سلم ما في يديك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم أن الامر سيصير اليه حتى كان من امره ما كان وهو الذي سلط عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بايحة الله على كسرى فقال ان الله تعالى ارسل اليه ملكا فسلك يده في جدار مجلسه حتى اخرجها اليه وهي تتلألأ نورا فارتاع كسرى فقال له الملك لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسوله وانزل عليه كتابه فاتبعه تسلم فقال سانظر ذكره الطبري في اعلام كثيرة من النبوة عرضت على ابرويز اضربنا عن الاطالة بها في هذا الموضع وسمي ابرويز ابناه سابور بعد هذا سابور بن ابرويز اخو شيرويه وقد ملك بعده شهر بن في مدة النبي صلى الله عليه وسلم وملك اخوه شيرويه نحوا من ستة اشهر ثم ملكت بوران اختهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ملكتهم امرأة فلما كسرت وهلكت وتشتت امرهم كل الشتات ثم اجتمعوا على يزدجرد بن شهريار والمسلمون قد علوا على اطراف ارضهم ثم كانت حروب القادسية فهزمهم الى ان قهرهم الاسلام وفتحت بلادهم على يدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وانقطع امرهم والحمد لله وسابور بن سابور هذا الذي ينسب اليه الثيابية قال الخطابي وزعم انه من النسب الذي عرفا انسبوا الى سابور الثيابية قالوا سابوري على القياس وزعم بعضهم انه نبي في هي الخصب وكانت مخصبة فاعتمد سابور مدة فنسبت اليه والله اعلم

﴿ فصل ﴾ وقول سطيح في حديث شق بعده ارم ذي يزن المعروف سيف بن ذي يزن ولكن جعل ارما مثلا لان الارم هو العلم فمدحه بذلك [وامامته] بعاد ارم في عظم الخلق والقوة قال الله تبارك وتعالى « بعاد إرم ذات العماد » ويزعم بن نصر هذا اخو أحد ملوك الحيرة وهم آل المنذر والمنذر هو ابن ماء السماء وهي أمه عرف بها وهي من النمر بن قاسط واسمه عمرو بن هند عرف بأمه أيضا وهي بنت الحارث الكل المرار جد امرىء القيس الشاعر ويعرف عمرو بمحرق لانه حرق بني تميم فقال هاما اليوم وهي عند اليمامة وقال المبرد والذي سمي محرقا لانه حرق مائة من بني تميم وعبد كريم وولد نصر بن ربيعة عدي وكان كاتب الابرش واسم عمرو وابن أخت جذيمة ونكى جذيمة أبا مالك بن فهم الابرش وهو ماد العرب ومن واسم أخته جذيمة رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن دوس وهو الذي اخطفه الجن وقد حرى الخيل شب عمرو عن الطوق وهو قائل الزيادات عمرو واعمل بالا في هذا الطبري ويعقوب بن السكيت ومنه قول ابن دريد واستشهد الطبري بقول الشاعر

العرو بعده لا يزال في وقد ... نزل بالله العدم

وقد أما في غير هذا الموضع ذكرنا طرفا من أخبارها واسم عمرو بن هند النعمان بن المنذر وهو ابن مامه وكان ملكه بعد عمرو وفي ملكه عمرو وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي زمن كسرى أنوشروان بن قباذ وادرك بطن ابن اخيه من هذا الدم رحلة رحمه الله ابن امرىء القيس

(قال ابن هشام) امضني بعني شكا هذا بلغة حمير وقال أبو عمرو امض أي باطل فوقع في نفس ربيعة بن نصر ما قالا فجهز بنيه واهل بيته الى العراق بما يصلحهم وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاد فاسكنهم الحيرة فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر فهو في نسب اليمن وعلمهم النعمان ابن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدي ابن ربيعة بن نصر ذلك الملك (قال ابن هشام) النعمان ابن المنذر بن المنذر فيما أخبرني خلف الاحمر

وأبوه امرؤ القيس بن عمرو بن عدي وقد قيل إن النعمان هذا هو أخو امرئ القيس وملك بعده وسيأتي ذكر النعمان بعد هذا عند ذكر صاحب الحضر إن شاء الله تعالى وانه الذي بنى الخورنق والسدير

﴿ فصل ﴾ وقوله في نسب حسان بن تبان أسعد هو تبان أسعد اسمان جعلا اسماً واحداً وإن شئت أضفت كما تضيف معدي كرب وإن شئت جعلت الاعراب في الاسم الآخر وتبان من التبانة وهي الذكاء والفطنة يقال رجل تبن وطبن وكلي كرب اسم مركب أيضاً وسيأتي معنى الكرب في لغة حمير عند ذكر معدي كرب إن شاء الله تعالى وكان ملك كلي كرب خمساً وثلاثين سنة وكان مضعفاً ساقط الهمة لم يغز قط «وقوله» في نسب حسان بن تبان أسعد [وتبان أسعد تبع الآخر] فهو تبع فقص من النسب أسماء كثيرة وملوكاً فإن عمراً ذا الاذعار كان بعده ناشر بن عمرو ويقال له ناشر النعم وإنما قيل له ناشر لأنه نشر الملك واسمه مالك ملك بعد بلقيس بن سليمان عليه السلام بالشام وهو الذي انتهى إلى وادي الرمل ومات فيه طائفة من جنده جرت عليهم الرمال وبعده تبع الأقرن وأقرن هو شمس بن ناشر الذي بنى أقرنة وبه سميت وساق الشجر من أرض كنعان وتبع بن الأقرن وهو التبع الأوسط وشمر بن مالك الذي سميت به سمرقند ومالك هو الأملوك وفي بني الأملوك يقول الشاعر

فنقب عن الأملوك واهتف بيعفر * وعش جار عز لا تغالبه الدهر

وقد قيل إن الأملوك كان على عهد منوشهر وذلك في زمن موسى عليه السلام كل هؤلاء مذكورون بأخبارهم في غير هذا الكتاب وعمرو وذو الاذعار كان على عهد سليمان أو قبله بقليل وكان أوغل في ديار المغرب وسبا أمة وجوهها في صدورها فذعر الناس منهم فسمي ذا الاذعار وبعده ملكت بلقيس بنت هداهد بن شرحبيل[1] صاحبة سليمان عليه السلام واسم أمها يلمقة بنت جني وقيل رواحة بنت سكين قاله ابن هشام وزعم أن بلقيس قتلت عمراً ذا الاذعار بحيلة ذكرها وانه سمي ذا الاذعار لكثرة ما ذعر الناس منه لجور وانه ابن أبرهة ذي المنار بن الصعب وهو ذو القرنين بن ذي مراثد الحميري وأبوه أبرهة ذو المنار سمي بذلك لانه رفع المنار في طريق ليهتدى بها وأما حسان الذي ذكره فهو الذي استباح طسماً وصلب اليمامة الزرقاء وذلك حين استصرخه عليهم رباح بن مرة أخو الزرقاء وهو من قبل جديس وقد تقدم الانتماء إلى خبرهم ومعنى تبع في لغة اليمن الملك المتبوع وقال المسعودي لا يقال للملك تبع حتى يغلب اليمن والشحر وحضرموت وأول التبابعة الحارث الرائش وهو ابن همال بن ذي شدد وسمي الرائش لأنه راش الناس بما أوسعهم من العطاء وقسم فيهم من الغنائم وكان أول من غزا فيما ذكروا وأما العرنجج الذي ذكر انه حمير بن سبأ فمعناه بالحميرية العتيق قال ابن هشام وفي عهد زمن تبع الأوسط وهو حسان بن تبان أسعد كان خروج عمرو بن عامر من اليمن من أجل سيل العرم فيما ذكر القتبي وأما عمرو أخو حسان الذي ذكر ابن إسحاق وصنيعه بأخيه فهو المعروف بموثبان سمي بذلك للزومه الوثاب وهو الفراش وقيل غزوه بالآنية انما ذكره من غزو تبع المدينة فقد ذكر القتبي انه لم يقصد غزوها وإنما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها وذلك أن الأوس والخزرج كانوا نزلوها معهم حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم فلم يف لهم بذلك يهود واستضاموهم فاستغاثوا بتبع فعند ذلك قدمها وقد قيل بل كان هذا الخبر لأبي جبيلة الغساني وهو الذي استصرخه الأوس والخزرج على يهود فالله أعلم والرجل الذي عدا على عذق الملك وجده من بني النجار هو مالك بن

---

(١) في الأصل هداهد بن شرحبيل [illegible]

قال ابن إسحاق فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله إلى حسان ابن تبان أسعد أبي كرب وتبان أسعد تبع الآخر ابن كلي كرب ابن زيد وزيد تبع الأول ابن عمرو ذي الاذعار بن أبرهة ذي المنار بن الريش (قال ابن هشام) ويقال الرائش * قال ابن إسحاق ابن عدي بن صيفي بن سبأ الأصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ابن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب ابن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج والعرنجج حمير ابن سبأ الأكبر ابن يعرب ابن يشجب بن قحطان «قال ابن هشام» يشجب بن يعرب بن قحطان * قال ابن إسحاق وتبان أسعد أبو كرب الذي قدم المدينة وساق الحبرين من يهود إلى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر «قال ابن هشام» وهو الذي يقال له ليت حظي من أبي كرب أن يسد خيره خبله قال ابن إسحاق وكان قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة وكان قد مر بها في بدأته فلم يهج أهلها وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع لإخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها فجمع له هذا الحي من الأنصار ورئيسهم عمرو بن طلة أخو بني

العجلان فيما قال القتبي ولا يصح هذا عندي في القياس لبعد عهد تبع من مدة مالك بن العجلان وبحر
مالك ابن العجلان انما هو مع أبي جبيلة الغساني حين استصرخت به الانصار على اليهود فجاء حتى
قتل وجوها من يهود وأما تبع فحديثه أقدم من ذلك يقال كان قبل الاسلام بسبعمائة عام والصحيح في اسم
أبي جبيلة جبيلة غير مكنى ابن عمرو بن جبلة بن جفنة وجفنة هو علبة بن عمرو بن عامر ماء السماء وجبيلة
هو جد جبلة بن الايهم آخر ملوك بني جفنة ومات جبلة الغساني من علقمة شربها في ماء وهو منصرف عن
المدينة * وقد كان تبع أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فقال له رجل منهم له مائتان وخمسون سنة
الملك أجل من أن يطير به نزق أو يستخفه غضب وأمره أعظم من أن يضيق عنا حلمه أو نحرم صفحه مع ان
هذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم وهذا اليهودي هو أحد الحبرين اللذين ذكر ابن اسحق واسم أحد
الحبرين سحيت والآخر منبه ذكر ذلك قاسم بن ثابت في الدلائل وفي رواية يونس عن ابن اسحق قال
واسم الحبر الذي كلم الملك بنيامين وقد كان من أقام منهم فكثرهم من بني زريق كان [illegible]
[illegible] فقال له الحبران [illegible] وكف عن أهل المدينة وقد دخلوا عسكره فأعطى [illegible]
فلم يزل هو وعشيرتها في الانصار حتى جاء الاسلام فلما أمر الملك محمد صلى الله عليه وسلم [illegible]
بخبره قال

شهدت على أحمد أنه ... رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه ... وفرجت عن صدره كل هم

وقد كان أبي الذي في كتاب الله [illegible] أن أباه أبي اسحق الزجاج [illegible] كان العار [illegible]
[illegible] فوجد فيه إن ابان [illegible] اللوح [illegible] وفيه [illegible]
[illegible] أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وعلى ذلك مات الصالحون [illegible] وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا أدري أتبع لعين أم لا وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم
فان صح هذا الحديث الاخير فانما هو بعد ما أعلم بحاله ولا ندري أي الاثنة [illegible]
معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا [illegible] وأول [illegible] فانه
أول من كسى الكعبة فهذا أصح من الحديث الاول [illegible] ذكر فيه [illegible]
ذكره وقد كان تبع الاول من الخمسة الذين كانت لهم الدنيا [illegible] صلى الله عليه وسلم وهو الرائش وقد قال [illegible]
النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] بقوله

و [illegible] عظم [illegible] لا [illegible] في الحرام

وقد قيل انه القائل

[illegible] الماء [illegible] وطارعها من [illegible]
[illegible] أعلم [illegible]
[illegible] [illegible] كاله [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible]

[illegible] أرسله [illegible] الشم [illegible] الا [illegible]

النجار ثم أحد بني
عمرو بن مبذول واسم
مبذول عامر بن مالك بن
النجار واسم النجار تيم الله
بن ثعلبة بن عمرو بن
الخزرج بن حارثة بن ثعلبة
عمرو بن عامر « قال ابن
هشام » عمرو بن طلة
عمرو بن معاوية بن عمرو
ابن عامر بن مالك بن النجار
وطلة أمه وهي بنت عامر بن
زريق بن عامر بن زريق بن
عبد حارثة بن مالك بن
غضب بن جشم بن الخزرج

قال ابن اسحق وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من أصحاب تبع حين نزل بهم فقتله وذلك انه وجده فى عذق له يجده فضربه بمنجله فقتله وقال انما التمر لمن أبره فزاد ذلك تبعاً حنقاً عليهم قال فاقتتلوا فتزعم الانصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار و يقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم و يقول والله ان قومنا لكرام فبينا تبع على ذلك من

قتالهم اذ جاءه حبران من أحبار يهود من بنى قريظة وقريظة والنضير والنحام وعمرو وهو هدل بنو الخزرج ابن الصريح بن التومان بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوى بن خير بن النحام بن تنحوم بن عازر بن عزرى بن هرون بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو اسرائيل ابن اسحق ابن ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم عالمان راسخان فى العلم حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال لهما ولم ذلك فقالا هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى عن ذلك ورأى ان لهما علما وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما فقال خالد بن عبد العزى بن غزية بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة

﴿ غريب حديث تبع ﴾

ذكر فيه يجد عذق الملك العذق النخلة بفتح العين والعذق بالكسر الكباسة بما عليها من التمر وذكر فى نسب قريظة والنضير عمرا وهو هدل بفتح الدال والهاء كانه مصدر هدل هدلا اذا استرخت شفته وذكره الامير ابن ماكولا عن أبى عبيدة النسابة فقال فيه هدل بسكون الدال وذكر فيه بن التومان على وزن فعلان كانه من لفظ التوم وهو الدر أو نحوه وفيه ابن السبط بكسر السين وفيه بن تنحوم بفتح التاء وسكون النون والحاء المهملة وهو عبرانى وكذلك عازر وعزرى بكسر العين من عزرى وقاهت وبالتاء المنقوطة باثنتين وهكذا وقع فى نسخة الشيخ أبى بحر وفى غيرها بالثاء المثلثة وكلها عبرانية وكذلك اسرائيل وتفسيره بالعربية سرى الله * وقوله فى شعر خالد بن عبد العزى * أصحى أم قد نهى ذكره * الذكر جمع ذكرة كما تقول بكرة وبكر والمستعمل فى هذا المعنى ذكرى بالالف وقلما يجمع فعلى على فعل وانما يجمع على فعال فان كان أراد فى هذا البيت جمع ذكرى وشبه ألف التأنيث بهاء التأنيث فلا وجه له فقد يحملون الشىء على الشىء اذا كان فى معناه * وقوله ذكرك الشباب أو عصره أراد أو عصره والعَصر والعُصر لغتان وحرك الصاد بالضم قال ابن جنى ليس شىء على وزن فعل بسكون العين الا ويجوز فيه فعل * وقوله انها حرب رباعية مثل أى ليست بصغيرة ولا جذعة بل هى فوق ذلك وضرب سن الرباعية مثلا كما قال حرب عوان لان العوان أقوى من الفتية وأدرب * وقوله غدوا فانقع الزهرة يريد تصبحهم بالبأس قبل مغيب الزهرة * وقوله أبدا بهادوره يعنى الدروع وذفرة من الذفر وهى سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة واما الدفر بالدال المهملة فانما هو فيما يكره من الروائح ومنه قيل للدنيا أم دفر وذكره القالى فى الامالى بتحريك الفاء وغلط فى ذلك والدفر بالسكون أيضا الدفع * وقوله أم النجرة جمع ناجر والناجر والنجار بمعنى واحد وهذا كما قيل المنادرة فى بنى المنذر والنجار هو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج وسمى النجار لانه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب * وقوله فيهم قتلى وانهم أظهر ان بعد الواو وأراد ان اولى وترة والترة الوتر فأظهر المضمر وهذا البيت شاهد على ان حروف العطف تضمر بعدها العامل المتقدم نحو قولك ان زيدا وعمرا فى الدار فالتقدير ان زيدا وان عمرا فى الدار وناب الواو على ما أردت وان احتجت الى الاظهار أظهرت كما فى هذا البيت الا ان تكون الواو الجامعة فى نحو اختصم زيد وعمرو فليس ثم اضمار لقيام الواو مقام صيغة التثنية كانك قلت اختصم هذان وعلى هذا تقول طلع الشمس والقمر فاذا ذكرت كانك قلت طلع هذان النيران فان حذفت الواو وهى التى تضمر بعدها الفعل قلت طلعت الشمس والقمر وتقول فى نفى المسئلة الاولى ما طلع الشمس والقمر وفى نفى المسئلة الثانية ما طلعت الشمس ولا القمر لتجرى النفى على تقدير الفعل المضمر ويتفرع من هذا الاصل فى النحو مسائل كثيرة لا نطول بذكرها * وقوله واية بهم عانقة بكسر النون أى كامنة باقية ولو فتحت النون لكان حالا من المصدر الذى يكون أخوالا ذى كله عائقا ولهذا قل

أصحى أم قد نهى ذكره أم قضى من لذة وطره
أم تذكرت الشباب وما ذكرك الشباب او عصره
انها حرب رباعية مثلها أتى الفتى عبره
فاسألا عمران أو أسدا اذ أتت عدوا مع الزهره
فيلق فيها أبو كرب سبغ أبدانها ذفره
ثم قالوا من يؤم بها أبنى عوف أم النجره
بل بنى النجار ان لنا فيهم قتلى وان تره
فيلقتهم مسايفة

فيها كالغبية النثره * فيهم عمرو بن طلة ملّى الإله قومه عمره * سيد سامى الملوك ومن * رام عمرا لا يملك قدره

وهذا الحي من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنق تبع على هذا الحي من يهود الذين كانوا بين أظهرهم وإنما أراد هلاكهم فمنعوهم منه حتى انصرف عنهم ولذلك قال في شعره

حنقا على سبطين حلا يثربا * أولى لهم بعقاب يوم مفسد

«قال ابن هشام» الشعر الذي فيه هذا البيت مصنوع فذلك الذي منعنا من إثباته * قال ابن إسحق وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه إلى مكة وهي طريقه إلى اليمن حتى إذا كان بين عسفان وأمج أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد فقالوا له أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده وإنما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل إلى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتا لله اتخذه في الأرض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك إليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا قال فماذا تأمرانني أن أصنع إذا أنا قدمت عليه قالا تصنع

هذه الحال أن يكون ما ذكر في الكتاب فكشف عن سرها وبين ما خفي على الناس من أمرها وفي تفسير الشيخ فلم نفسه مساهمة بالباء والقاف والغبية الدفعة من المطر * وقوله النثره أي المنثره وهي التي لا تمسك ماء * وقوله الإله من قولهم تألهت حيا أي عبدت منه حيا أو هو مأخوذ من الملاوة والملوين قال ابن أحمر

ألا يا ديار الحي بالسبعان * أمل عليها بالبلى الملوان

ألا يا ديار الحي لا هجر بيننا * ولكن روعات من الحدثان

نهار وليل دائب ملواهما * على كل حال الناس يختلفان

معنى قول الشاعر دائب ملواهما والملوان الليل والنهار وهو مشكل لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه لكنه جاز هاهنا لأن الملا هو المتسع من الزمان والمكان وسمي الليل والنهار ملوين لاتساعهما فكأنه وصف لهما لا عبارة عن ذاتيهما ولذلك جازت إضافتهما إليهما فقال دائب ملواهما أي مداهما أو متسعهما وقد رأيت معنى هذا الكلام في هذا البيت بعينه لأبي علي الفسوي في بعض مسائل الشعر له * وقوله لا يملك قدره أراد عليه والهاء عائدة على عمرو أراد لا يملك قدرا عليه وحذف حرف الجر فعدى الفعل بنفسه ولا يجوز حذف حرف الجر في كل فعل وإنما جاز في هذا لأنه في معنى استطاع أو أطاق فحمل على ما هو في معناه ونظائره كثيرة ومن البيت الذي أنشده

ليت حظي من أبي كرب * أن يسد خيره خبله

قال البرقي نسب هذا البيت إلى الأعشى ولم يصح قال وإنما هو لعجوز من بني سالم أحسبه قال في ابن عجلان قاله حين جاء مالك بن العجلان إلى تبع فدخل بين ابنه ... البيت * وقوله في حديث تبع وقوم يزعمون أن حنقه إنما كان على هذا الحي من يهود ... وذكر البيت والشعر الذي زعم ابن هشام أنه مصنوع وقد ذكره في كتاب التيجان وهو شعر مطول أوله

ما بال عينك لا تنام كأنما * كحلت مآقيها بكحل الإثمد

حنقا على سبطين حلا يثربا * أولى لهم بعقاب يوم مفسد

وذكر فيه هذا البيت وما كساه من البرود قال فيه

وأقمنا بالشعب ستة أشهر * ... بالبرد

... المفرد ... ولا ... الحمد

والشعر ... في هذا البيت ... أكثر شعره وفيه يقول

... من ... ذي حلب ... برد

والخاف الطين ... الخرمد ... الأسود ... وروي ... الأخبار ... إلى البيت ...

عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذل له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكما أنتما من ذلك قالا أما والله إنه لبيت أبينا إبراهيم وإنه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوها حوله وبالدماء التي يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك أو كما قالا له فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل وأري في المنام أن يكسو البيت ...

الخصف ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر ثم أري أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دما ولا ميتة ولا مئلاة وهي المحائض وجعل له بابا ومفتاحا وقالت سبيعة بنت الأحب بن زبينة بن جذيمة بن عوف بن نصر بن معاوية بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة لابن لها منه يقال له خالد تعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها وتذكر تبعا وتذللها وما صنع بها

أبني لا تظلم بمكة * لا الصغير ولا الكبير

واحفظ محارمها بني * ولا يغرنك الغرور

أبني من يظلم بمكة * يلق أطراف الشرور

أبني يضرب وجهه * ويلح بخديه السعير

أبني قد جربتها * فوجدت ظالمها يبور

الله آمنها وما * بنيت بعرصتها قصور

والله آمن طيرها * والعصم تأمن في ثبير

ولقد غزاها تبع * فكسا بنيتها الحبير

وأذل ربي ملكه * فيها فأوفى بالنذور

يمشي إليها حافيا * بفنائها ألفا بعير

ويظل يطعم أهلها * لحم المهاري والجزور

يسقيهم العسل المصفى * والرحيض من الشعير

والفيل أهلك جيشه * يرمون فيها بالصخور

والملك في أقصى البلاد * وفي الأعاجم والخزير

فاسمع إذا حدثت وافهم * كيف عاقبة الأمور

أخبر أنه رمي بداء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا يثج ثجا وأنتن حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه قيد الرمح وقيل بل أرسلت عليه ريح كتعت منه يديه ورجليه وأصابتهم ظلمة شديدة حتى دفت خيلهم فسمي ذلك المكان الدف فدعا بالحزاة والأطباء فسألهم عن دائه فهالهم ما رأوا منه ولم يجد عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبران لعلك هممت بشيء في أمر هذا البيت فقال نعم أردت هدمه فقالا له تب إلى الله مما نويت فإنه بيت الله وحرمه وأمراه بتعظيم حرمته ففعل فبرئ من دائه وصح من وجعه وأخلق بهذا الخبر أن يكون صحيحا فإن الله سبحانه يقول ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم أي ومن يهم فيه بظلم والباء في قوله بظلم تدل على صحة المعنى وأن من هم فيه بالظلم وإن لم يفعل عذب تشديدا في حقه وتعظيما لحرمته وكما فعل الله بأصحاب الفيل أهلكهم قبل الوصول إليه * وقوله فكسى البيت الخصف جمع خصفة وهي شيء ينسج من الخوص والليف والخصف أيضا ثياب غلاظ والخصف لغة في الخرف في كتاب العين والخصف بضم الخاء وسكون الصاد هو الجوز ويروى أن تبعا لما كسى البيت المسوح والأنطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه وفعل ذلك حين كساه الخصف فلما كساه الملاء والوصائل قبلها ومن ذكر هذا الخبر قاسم في الدلائل وأما الوصائل فثياب موصلة من ثياب اليمن واحدتها وصيلة * وقوله ولا يقربوه مئلاة وهي الميثاء لم يرد الميثاء الحيض لأن رائحة الدم على المحائض وإنما هي جمع حيضة وهي خرقة الحيض وقال للخرقة أيضا الإلاة وجمعها المآلي قال الشاعر

كأن مصفحات في ذراه * وأنواحا عليهن المآلي

وهي هنا خرق تمسكهن النواحات بأيديهن فكان المئلاة كل خرقة تمسح بها كانت أو لغيره وربما مفعلة من ألوت إذا قصرت وضيعت وجعلها أصحاب الغريب في باب الأليه والأيه فلام الفعل عندنا ياء على هذا والله أعلم ويروى في هذا الموضع مئلاة بالهمزة ومن قوله حين كسى البيت

وكسونا البيت الذي حرم الله * ملاء معصدا وبرودا

فأقمنا به من الشهر عشرا * وجعلنا لبابه إقليدا

ونحرنا بالشعب ستة ألف * فترى الناس نحوهن ورودا

ثم سرنا عنه نؤم سهيلا * فرفعنا لواءنا معقودا

وقال الذي بات مقصودا في الإسلام بنية إنه غاعم * وقوله بنت الأحب بالحاء المهملة ابن زبينة

«قال ابن هشام» يروى لي قوله ولا يغرنك الغرور ثم خرج منها متوجها إلى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى النار التي كانت باليمن * قال ابن إسحق حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم إلى دينه وقال إنه دين خير من دينكم فقالوا فحاكمنا إلى النار قال نعم قال وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تأكل الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلدين لها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار إليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فذمرهم من حضرهم من الناس

وأمروهم بالصبر [illegible] عشائرهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما فأصفقت عند ذلك حمير على دينه فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن * قال ابن إسحق وقد حدثني محدث أن الحبرين ومن خرج من حمير إنما اتبعوا النار ليردوها وقالوا من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وتنكص عنهما حتى رداها الى مخرجها الذي خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما والله أعلم أي ذلك كان * قال ابن إسحق وكان رئام بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون منه اذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع إنما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا أسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقاياه اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي كانت تهراق عليه * فلما ملك ابنه حسان بن تبان أسعد أبي كرب سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم حتى إذا كانوا ببعض أرض العراق (قال ابن هشام) بالبحرين فيما ذكر لي بعض أهل العلم كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه وأرادوا الرجعة الى بلادهم وأهليهم فكلموا أخا له يقال له عمرو وكان معه في جيشه فقالوا له كلم أخاك حسان بالرجوع الى بلادنا وأهلينا فأبى عليهم فأجمعوا على ذلك الا ذا رعين الحميري فإنه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فقال ذو رعين

ألا من يشتري سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين
فإما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الاله لذي رعين

ثم كتبهما في رقعة وختم عليها ثم أتى بها عمرا فقال له ضع لي هذا الكتاب عندك ففعل ثم قتل عمرو أخاه حسان ورجع بمن معه الى اليمن

بالزاي والباء والنون فعيلة من الزبن والنسب اليه زباني على غير قياس ولو سمي به رجل لقيل في النسب اليه زبني على القياس قال سيبويه الأخثب بالخاء المعجمة يقوله أهل النسب وأبو عبيدة يقوله بالحاء وإنما قالت بنت الأخثب هذا الشعر في حرب كانت بين بني السباق بن عبد الدار وبين بني علي بن سعد بن تميم حتى تفانوا وألحقت طائفة من بني السباق بعك فهم فيهم قال وهو أول بغي كان في قريش وقد قيل أول بغي كان في قريش بغي الأفاقش وهم بنو أقيش من بني سهم بغى بعضهم على بعض فلما كثر بغيهم على الناس أرسل الله عليهم فأرة تحمل فتيلة فأحرقت الدار التي كانوا فيها ساكنيها فلم يبق لهم عقب وقولها وكسي بيتها المعصفر يريد الحبرات والرخيص من الشعر أي الغالي والمصون منه وقال ابن إسحق في غير هذا الموضع أول من كسى الكعبة الديباج الحجاج وذكر جماعة سواه منهم الدارقطني نتيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيرا فنذرت إن وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته وكانت من بيت مملكة وسيأتي ذكر نسبها فيما بعد إن شاء الله وقال الزبير إنه قيل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير وذكر البيت الذي كان لهم يقال له رئام وهو فعال من رأمت الأنثى ولدها ترأمه رئما ورئاما إذا عطفت عليه ورحمته فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التي كانوا يلتمسون في عبادته والله أعلم وفي رواية يونس عن ابن إسحق أن رئاما كان فيه شيطان وكانوا يملؤون له حياضا من دماء القربان فيخرج فيصيب منها ويكلمهم وكانوا يعبدونه فلما جاء الحبران مع تبع نشرا التوراة عنده وجعلا يقرآنها فطار ذلك الشيطان حتى وقع في البحر وقوله في حديث عمرو أخي حسان وهو الذي كان يقال له موثبان وقد قدمنا لم لقب بذلك وقول ذي رعين له في البيتين

ألا من يشتري سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين

معناه أمن يشتري وحسن حذف ألف الاستفهام هاهنا لتقدم همزة ألا كما حسن في قول امرئ القيس

أحار ترى بريقا هب وهنا

أراد أترى وفي البيت حذف تقديره أم من بات قرير عين هو السعيد فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه وفي كتاب ابن دريد سعيد أم يبيت بحذف من وهذا من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه لأن من هاهنا نكرة موصوفة ونظيره قول الراجز

لو قلت ما في قومها لم تيثم * يفضلها في حسب وميسم

أي من يفضلها وهذا إنما يحسن في الكلام إذا كان الفعل مضارعا لا ماضيا قاله ابن السراج وغيره وذو رعين تصغير رعن والرعن أنف الجبل ورعين جبل اليمن قاله صاحب العين والنسب اليه ذو رعين وقوله في الأبيات فمعذرة الاله من رأى لحسان أراد لله وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل وهذا حذف كثير ولكنه جائز في هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الألسنة ومثل قول الفراء لهنك من برق علي كريم أراد والله إنك وقال بعضهم أراد لأنك وأبدل الهمزة هاء وهذا بعيد لأن اللام

فقال رجل من حمير

لاه عينا الذي رأى مثل حسا * ن قتيلا في سالف الأحقاب
قتلته مقاول خشية الحبـ * ـس غداة قالوا لباب لباب
ميتكم خيرنا وحيكم * رب علينا وكلكم أرباب

قال ابن اسحق وقوله لباب لباب لا بأس لا بأس بلغة حمير «قال ابن هشام» ويروى لباب لباب * قال ابن اسحق فلما نزل عمرو بن تبان اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فلما جهده ذلك سأل الأطباء والحزاة من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم انه والله ما قتل رجل قط أخاه أو ذا رحمه بغياً على مثل ما قتلت أخاك عليه الا ذهب نومه وسلط عليه السهر فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن حتى خلص الى ذي رعين فقال له ذو رعين ان لي عندك براءة فقال وما هي قال الكتاب الذي دفعت اليك فأخرجه فاذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة فقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم فقال قائل من حمير للخنيعة

تقتل أبناها وتنفي سراتها * وتبني بأيديها لها الذل حمير
تدمر دنياها بطيش حلومها * وما ضيعت من دينها فهو أكثر
كذاك القرون قبل ذاك بظلمها * واسرافها تأتي الشرور فتخسر

وكان لخنيعة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل الى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه في مشربة قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك الى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكا فجعله في فيه ليعلمهم انه قد فرغ منه حتى بعث الى زرعة ذي نواس بن تبان أسعد أخي حسان وكان صبيا صغيرا حين قتل حسان ثم شب غلاما جميلا ذا هيئة وعقل فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه فأخذ سكينا حديدا لطيفا فخبأه بين قدمه ونعله ثم أتاه فلما خلا معه وثب اليه فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حز رأسه فوضعه في الكوة التي كان يشرف منها ووضع مسواكه في فيه ثم خرج على الناس فقالوا له ذا نواس أرطب أم يباس فقال سل نخماس استرطبان ذو نواس استرطبان لا باس

لا تجمع مع ان لأن ان تؤخر اللام الى الخبر لأنهما حرفان مؤكدان وليس انقلاب الهمزة هاء بمزيل العلة المانعة من اجتماعهما وقوله لمه المقاول يريد الأقيال وهم الذين دون التابعة واحدهم قيل وأصله قيل مثل سيد ثم خفف واستعمل بالياء في افراده وجمعه وان كان أصله الواو لأن معناه الذي يقول يسمع قوله ولكنهم كرهوا ان يقولوا اقوال فيلتبس بجمع قول كما قالوا عيد وأعياد وان كان من عاد يعود لكن اماتوا الواو فيه اماتة كي لا تشتبه بجمع العود واذا أرادوا احياء الواو في جمع قيل قالوا مقاول كأنه جمع مقول أو جمع مقال ومقالة فلم يبعدوا من معنى القول وأمنوا اللبس وقد قالوا محاسن ومذاكير لا واحد لها من لفظها وكأنهم ذهبوا أيضاً في مقاول مذهب المرازبة وهم ملوك العجم والله اعلم على انهم قالوا أقيال وأقوال ولم يقولوا في جمع عيد الا أعياد ومثل عيد وأعياد ريح وأرياح في لغة بني أسد وقد يجوز ان يكون من القيل فعلا وقالوا قال علينا فلان أي ملك والقيالة الامارة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في تسبيحه الذي رواه الترمذي سبحان الذي تعطف العز وقال به أي ملك به وقهر كذا فسره الهروي في الغريبين

﴿ خبر لخنيعة وذي نواس ﴾

وقال فيه ينوف بن ذي لخنيعة وقال هو من اللخع وهو استرخاء في الجسم وذو شناتر الأصابع بلغة حمير واحدها شنترة وذو نواس اسمه زرعة وهو من قولهم للغلام زرعك الله أي أنبتك وسموا زارعا كما سموا نباتا وقال الله تعالى « أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » أي تنبتونه وفي مسند وكيع بن الجراح عن أبي عبد الرحمن الحبلي انه كان يكره ان يقول الرجل زرعت في أرض كذا وكذا الا ان الله هو الزارع وفي مسند البزار مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن ذلك أيضا وقد تكلمنا على وجه هذا الحديث في غير هذا الاملاء وقد جاء في الصحيح ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا الحديث وفي كتاب الله تعالى أيضا قال « تزرعون سبع سنين دأبا » وسمي ذا نواس بغديرتين كانتا تنوسان أي تضطربان من شعره والنوس الحركة والاضطراب فمنه كان مثلما قال الراجز

لو رأى والنعاس غالبي * على البعير نائسا ذباذبي

يريد ذباذب القميص وقال ابن قتيبة أراد بالذباذب مذاكيره والأول أشبه بالمعنى وذكر قول ذي نواس للحرس حين قالوا له أرطب أم يباس واليباس والييس مثل الكبار والكبير فقال لهم سل نخماس والنخماس في لغتهم هو الرأس كما ذكر ووقع في نسخة أبي بحر التي قيدها على أبي الوليد الوقشي تخماس بتاء وخاء منقوطة ولعل هذا هو الصحيح اذ يحتمل ان يكون التخماس في لغتهم هو الرأس ثم صحف وفيه كراع بالتاء المنقوطة باثنتين من فوق والحاء المهملة وصاد كرلي وقوله استرطبان الى آخر الكلام مشكل تفسيره ما ذكره أبو

«قال ابن هشام» هذا كلام حمير ونخماس الرأس فنظروا الى الكوة فاذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجوا في اثر ذي نواس حتى أدركوه فقالوا ما ينبغي أن يملكنا غيرك اذ أرحتنا من هذا الخبيث فملكوه واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير وتسمى يوسف فأقام في ملكه زمانا وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الانجيل أهل فضل واستقامة من أهل دينهم لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران وهي بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها وذلك ان رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه فدانوا به * قال ابن اسحق حدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الاخنس عن وهب بن منبه اليماني انه حدثهم ان موقع ذلك الدين بنجران كان ان رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا ينزل بين القرى لا يعرف بقرية الا خرج منها الى قرية لا يعرف بها وكان لا يأكل الا من كسب يده وكان بناء يعمل الطين وكان يعظم الاحد فاذا كان يوم الاحد لم يعمل فيه شيئا وخرج الى فلاة من الارض فصلى بها حتى يمسي قال وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح فأحبه صالح حبا لم يحبه شيئا كان قبله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الاحد الى فلاة من الارض كما كان يصنع وقد اتبعه صالح وفيميون لا يدري فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه لا يحب أن يعلم بمكانه وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي اذ أقبل نحوه التنين الحية ذات الرؤس السبعة فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخافها عليه فعيل عوله فصرخ يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى فانصرف وعرف انه قد عرف وعرف صالح انه قد رأى مكانه فقال له يا فيميون تعلم والله اني ما أحببت شيئا قط حبك وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيث كنت فقال ما شئت أمري كما ترى فان علمت انك تقوى عليه فنعم ولزمه صالح وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه وكان اذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشفي واذا دعي الى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شأن فيميون فقيل له انه لا يأتي أحدا دعاه ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالاجر فعمد الرجل الى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوبا ثم جاءه فقال له يا فيميون اني قد أردت أن تعمل لي في بيتي عملا فانطلق معي اليه حتى تنظر اليه فأشارطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له ما تريد أن تعمل في بيتك هذا قال كذا وكذا ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي ثم قال له يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له فدعا له فيميون فقام الصبي ليس به بأس وعرف فيميون انه قد عرف فخرج من القرية واتبعه صالح فبينما هو يمشي في بعض الشام اذ مر بشجرة عظيمة فناداه منها رجل فقال يا فيميون قال نعم قال ما زلت أنظرك وأقول متى هو جاء حتى سمعت صوتك فعرفت انك هو لا تبرح حتى تقوم علي فاني ميت الآن قال فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب فعدوا عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة اذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء ثم خرجوا اليها فعكفوا عليها يوما فابتاع فيميون رجل من أشرافهم وابتاع صالحا آخر فكان فيميون اذا قام من الليل يتهجد في بيت له أسكنه اياه سيده يصلي استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح فرأى ذلك سيده فأعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به وقال له فيميون انما أنتم في باطل ان هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ولو دعوت عليها الهي الذي أعبده لأهلكها وهو الله وحده لا شريك له قال فقال له سيده فافعل فانك ان فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه قال فقام فيميون فتطهر وصلى ركعتين ثم دعا الله عليها فأرسل الله عليها ريحا فجعفتها من أصلها فألقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم عليه السلام ثم دخلت عليهم الاحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض

السرح في الاغاني قال كان الغلام اذا خرج من عند لخنيعة وقد لاط به قطعوا مشافر ناقته وذنبها وصاحوا به أرطب أم يباس فلما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقة له قال لها السراب فالوا ذا نواس أرطب أم يباس فقال ستعلم الاحراس است ذي نواس أرطب أم يباس فهذا اللفظ مفهوم والذي وقع في الاصل هذا معناه ولفظه فيه [illegible] هذا وانه نقص في اللفظ والله أعلم وكان الملك لخنيعة [illegible] سنة وملك ذو نواس بعده [illegible] سنة [illegible] قال ابن [illegible]

﴿حديث فيميون﴾

وذكر عن الطبري انه قال فيه فيميون بالياء وشك فيه [illegible] قال [illegible] فيه رجل من آل جفنة من غسان جاءهم من الشام فحملهم على دين عيسى عليه السلام ولم يسمه وقال فيما [illegible] وكان أبوه ملكا فتوفي وأراد قومه أن يملكوه بعده فهرب من الملك ولزم السياحة وذكر الطبري قصة الرجل الذي [illegible] يمشي

ما تم مما ذكرها ابن إسحق قال فيميون حين دخل مع الرجل وكشف له عن ابنه اللهم لا تدع من عبادك دخل عليه عدوك في نعمتك ليفسدها عليه فاشفه وعافه وأمنه فقام الصبي ليس به بأس فمن هذا أن الصبي كان مجنونا فقوله دخل عليه عدوك يعني الشيطان وليس هذا في حديث ابن إسحق وذكر ابن إسحق في الرواية الأخرى عن محمد بن كعب القرظي وعن بعض أهل نجران وما ذكروه من خبر فيميون قال ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منبه «قال المؤلف رحمه الله» يحتمل أنهم سموه يحيى وهو الاسم الذي تقدم ذكره وما قاله النقاش والقتبي وفيه ذكر نجران في هذا الحديث ونجران اسم رجل كان أول من نزلها فسميت به وهو نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان قاله البكري وذكر أصحاب الأخدود وما أنزل الله تعالى فيهم وقد روى ابن سنجر عن جبير بن نفير قال الذين خدّوا الأخدود ثلاثة تبع صاحب اليمن وقسطنطين بن هلاني وهي أمه حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح إلى عبادة الصليب وبخت نصر من أهل بابل حين أمر الناس أن يسجدوا للصنم فامتنع دانيال وأصحابه فألقاهم في النار فكانت بردا وسلاما عليهم وحرق الذين بغوا عليهم

﴿خبر ابن الثامر﴾

وذكر فيه الاسم الأعظم وقول الراهب له إنك لن تطيقه أي لن تطيق شروطه والاستخلاص بما يجب من حقه وقد قيل في قول الله تعالى «وقال الذي عنده علم من الكتاب» إنه أوتي الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب وهو آصف بن برخيا في قول أكثرهم وقيل غير ذلك وأعجب ما قيل فيه إنه ضبة بن أد بن طابخة قاله النقاش ولا يصح وهي مسألة اختلف فيها العلماء فذهبت طائفة إلى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى وقالوا لا يجوز أن يكون اسم من أسمائه أعظم من الاسم الآخر وقالوا إذا أتى في خبر أو أثر ذكر الاسم الأعظم فمعناه العظيم كما قالوا الله أكبر أي كبير وكما قال بعضهم في أكبر من قولك الله أكبر أي كبير وإن لم يكن قول سيبويه وذكروا أن أدرك عنى هين من قولك شر رجل وهو أهون عليه وأكثروا الاستشهاد على هذا وممن ذهب أبو الحسن بن بطال هذا القول إلى جماعة منهم ابن أبي زيد والقابسي وغيرهما ومما احتجوا به أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليحرم أمته هذا الاسم وقد علمه من هو دونه من الناس نبي ولم يكن ليدعو حين اجتهد في الدعاء لأمته ألا يجعل بأسهم بينهم وهو رؤوف بهم عزيز عليه عنتهم إلا بالاسم الأعظم ليستجاب له فلما منع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله إلا وهو كسائر الأسماء في الحكم والفضيلة يستجيب الله إذا دعي ببعضها إن شاء ويمنع إذا شاء وقال الله سبحانه «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى» وظاهر هذا الكلام التسوية بين أسمائه الحسنى وكذلك ذهب هؤلاء وغيرهم من العلماء إلى أنه ليس شيء من كلام الله تعالى أفضل من شيء لأنه كلام واحد من رب واحد فلا يتفاضل «قال الشيخ الفقيه الحافظ أبو القاسم عفا الله عنه» وجه ما احتج به هؤلاء كلام مقنع إن تأمل

فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب * قال ابن إسحاق فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران. قال ابن إسحق وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وحدثني أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان في قرية من قراها قريبا من نجران ونجران القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيميون ولم يسموه لي باسمه الذي سماه به وهب بن منبه قالوا رجل نزلها ابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث إليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران وكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه إياه وقال يا ابن أخي إنك لن تحمله أخشى عليك ضعفك عنه والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عليه وتخوف ضعفه فيه عمد إلى قداح فجمعها ثم لم يبق لله اسما يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم تضره شيئا فأخذه ثم أتى صاحبه فأخبره بأنه قد علم الاسم الذي كتمه فقال وما هو قال هو كذا وكذا قال وكيف علمته فأخبره بما صنع قال أي ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن الثامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قال يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني وأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم ويدعو له فيشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له

يستحيل هذا عقلاً أم يستحيل شرعاً ولا يستحيل عقلاً أن يفضل الله سبحانه عملاً من البر على عمل وكلمة من الذكر على كلمة فإن التفضيل راجع إلى زيادة الثواب ونقصانه وقد فضلت الفرائض على النوافل بالإجماع وفضلت الصلاة والجهاد على كثير من الأعمال والدعاء والذكر عمل من الأعمال فلا يبعد أن يكون بعضه أقرب إلى الإجابة من بعض وأجزل ثواباً في الآخرة من بعض والأسماء عبارة عن المسمى وهي من كلام الله سبحانه القديم ولا نقول في كلام الله هو هو ولا هو غيره كذلك لا نقول في أسمائه التي نطقنا كلامه بها هو ولا هي غيره فإن تكلمنا نحن [بها] فالتسمية المخلوقة والفاظنا المحدثة فكلانا عمل من أعمالنا والله سبحانه وتعالى يقول «والله خلقكم وما تعملون» وقبحا الله المعتزلة فإنهم زعموا أن كلامه مخلوق فأسماؤه على أصلهم الفاسد محدثة غير المسمى بها وسووا بين كلام الخالق وكلام المخلوق في الغيرية والحدوث وإذا ثبت هذا وصح جواز التفضيل بين الأسماء التي أمرنا أن ندعو بها فكذلك القول في تفضيل السور والآي بعضها على بعض فإن ذلك راجع إلى التلاوة التي هي عملنا لا إلى المتلو الذي هو كلام ربنا وصفة من صفاته القديمة وقد قال صلى الله عليه وسلم لأبي أي آية معك في كتاب الله أعظم فقال «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» فقال ليهنك العلم أبا المنذر ومحال أن يريد بقوله أعظم معنى عظيم لأن القرآن كله عظيم فكيف يقول له أي آية في القرآن عظيمة وكل آية فيه عظيمة كذلك وكل ما استشهدوا به من قولهم أكبر بمعنى كبير وأهون بمعنى هين باطل عند حذاق النحاة ولولا أن نخرج عما نحن بصدده لأوضحنا بطلانه بما لا قبل لهم به ولو كان صحيحاً في العربية ما جاز أن يحمل عليه قوله أي آية معك في كتاب الله أعظم لأن القرآن كله عظيم وإنما سأله عن الأعظم منه والأفضل في ثواب التلاوة وقرب الإجابة وفي هذا الحديث دليل أيضاً على ثبوت الاسم الأعظم وأن لله اسماً هو أعظم أسمائه ومحال أن يخلو القرآن عن ذلك الاسم والله تعالى يقول «ما فرطنا في الكتاب من شيء» فهو في القرآن لا محالة وما كان الله ليزيده تعالى حمداً وأمسك وقد وصفاه على الأنبياء وفضلهم على الأمم فإن قلت فأين هو في القرآن فقد قيل إنه أخفي فيه كما أخفيت الساعة في يوم الجمعة وليلة القدر في رمضان ليجتهد الناس ولا يتكلوا «قال الفقيه الحافظ أبو القاسم رضي الله عنه» في قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أي آية معك في كتاب الله أعظم ولم يقل أفضل إشارة إلى الاسم الأعظم لأنه من الدلالة بمكان وإن لم تكن هي أعظم آية ويكون الاسم الأعظم في أخرى دونها بل إنما صارت أعظم الآيات لأن الاسم الأعظم فيها الأخرى كما سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بما أعطاه الله تعالى من العلم وما هيأه الأنبياء له من أن عرف الاسم الأعظم والآية العظمى التي في كتاب الأمم قبلنا إلا بعلم ... الا الأفراد عبد الله بن الثامر وأصحابه ... سليمان عليه السلام ويقوم قبل ان ... الشيطان ... كان من العاو ... وقد جاء منصوصاً في حديث أم سلمة رضي الله عنها الذي خرجه الترمذي وأبو داود وروى أيضاً عن أسماء بنت يزيد ... فلعل الحديث واحد أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الأعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هاتين الآيتين «الله لا إله إلا هو الحي القيوم» و «الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم[1]» وقال سبحانه «هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين» الآية أي فادعوه بهذا الاسم ثم قال «الحمد لله رب العالمين» تنبيهاً على بدء وشكره إذا دعاه بأن هذا الاسم العظيم ما لم يكن يعلم فإن قلت فقد روى أبو داود والترمذي أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً وهو [يزيد] أبو عياش الزرقي ذكر اسمه الحربي بن أبي أسامة في مسنده يقول اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام يا حي يا ...

---

[1] في الآية ... والهكم إله واحد، والله لا إله إلا هو الحي القيوم

على أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك قال لا تقدر على ذلك قال فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ليس به بأس وجعل يبعث به إلى مياه بحران بحور لا يقع فيها شيء إلا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر إنك والله لن تقدر على قتلي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فإنك إن فعلت ذلك سلطت على فقتلني قال فوحد الله تعالى ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ثم ضربه بعصا في يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله ثم هلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وكان على ما جاء به عيسى صلى الله عليه وسلم من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم مثل ما أصاب أهل دينهم من الأحداث فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران والله أعلم بذلك قال ابن إسحق فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن الثامر والله أعلم أي ذلك كان فسار

الله باسمه الاعظم وروي انه قال لهم في هذا الحديث غفر الله له غفر الله له وروى الترمذي نحو هذا فيمن قال
اللهم اني أسالك فانك انت الله الذي لا اله الا أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد وهذا معارض لحديث أم
سلمة فلا معارضة بين هذا وبين ما تقدم فانه لم يقل ان الاسم الاعظم هو الحي القيوم بل الحي القيوم صفتان
تابعتان للاسم الاعظم ويمهد لذكره وكذلك المنان وذو الجلال والاكرام في حديث أبي داود وقد خرجه
الترمذي أيضا في الدعوات وكذلك الاحد الصمد في حديث الترمذي وقوله الله لا اله الا هو هو الاسم
لانه لا سمي له ولم يتسم به غيره وقد قال بعض العلماء في التسعة والتسعين اسما انها كلها تابعة للاسم الذي
هو الله وهو تمام المائة فهي مائة على عدد درج الجنة اذ قد ثبت في الصحيح انها مائة درجة ما بين كل درجتين
مسيرة مائة عام وقال من [illegible] أحصاها دخل الجنة فهي على عدد درج الجنة وأسماؤه تعالى
لا تحصى وانما هذه الاسماء التي [illegible] والذي [illegible] في القرآن يدل على ذلك قوله في الصحيح
أسالك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم [illegible] في جامع ابن وهب [illegible] لا أحصي أسماءك
ومما يدل على انه الاسم الاعظم [illegible] الاسماء [illegible] يقول [illegible] اسم من أسماء
الله ولا تقول الله اسم من أسماء [illegible] كانت لا يعجم لام في كلام العرب الا مع
حروف الاطباق نحو الطلاق ولا [illegible] من الحروف الواقعة في أسمائه
التي [illegible] الا في هذا الاسم [illegible] والاصوب والهاء
راجعة الى مخرج الالف [illegible] هذا الاسم [illegible] والهاء والاعادة
أهون من الابتداء [illegible] والالف من الهمزة التي هي مبدأ الاسم
[illegible] هذا الكلام أو نحوه [illegible] رحمه الله [illegible] أبو بكر [illegible] في كتاب
شرح الاسماء الحسنى له (فان قيل) [illegible] الاسم الاعظم وانه لا يدعى الا أجاب ولا يسئل به
شيئا الا أعطاه (قلنا) عن ذلك جوابان أحدهما [illegible] الاسم [illegible] كان [illegible]
[illegible] الاطاهر [illegible] الذي [illegible] أهلها
[illegible] عظمة المسمى [illegible] ويكون تكلمه في معرض
الطالات والهزل والعمل [illegible] الاجابة وتعجيل قضاء
الحاجة للداعي ما كان [illegible] الهوى [illegible] بالرحلين [illegible]
[illegible] كان الله [illegible] أي [illegible] الى [illegible] الا في
حق وفي الحديث عن النبي [illegible] الله على طهر فقد لاح لك لتعظيم
الاداء له (والجواب الثاني) ان الله [illegible] الانسان [illegible]
عن الاستجابة [illegible] وذلك [illegible] وأما
ان يصرف [illegible] الخير [illegible] وسلم [illegible] الا يحل باسمهم
[illegible] على [illegible] أمة مرحومة ليس عليها في
الآخرة عذاب [illegible] في الدنيا [illegible] كانت البعض [illegible] عذاب
الآخرة [illegible] الآخرة حين نزلت
«قل هو القادر على أن [illegible] عليكم [illegible]» [illegible] «أو من تحت أرجلكم»
[illegible] فلما سمع «أو [illegible]» [illegible] أهون [illegible]

الهم دو نواس بحوده فدعاهم
الى اليهودية وخيرهم بين
ذلك والقتل فاختاروا
القتل فخد لهم الاخدود
فحرق من حرق بالنار وقتل
من قتل بالسيف ومثل
بهم حتى قتل منهم قريب من
عشرين ألفا وهو ذو نواس

هاهنا والله أعلم أعيذت أمه من الأولى والثانية ومع الثالثة حين سألها بعد وقد عرضت هذا الكلام على رجل من فقهاء زماننا فقال هذا حسن جدا غير أنا لا ندري أكانت مسألته بعد نزول الآية أم لا فإن كان بعد نزول الآية فالحق بهذا النظر أن يكون صحيحا قلت له أليس في الموطأ أنه دعا بها في مسجد بني معاوية وهو في المدينة ولا خلاف أن سورة الأنعام مكية فقال نعم وسلم وأذعن للحق وأقر به رحمه الله ﴿فصل﴾ وقد ذكر من وجدان عبد الله في حفرته من خربة نجران يده فوق صدغه وقوله تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء» الآية وما وجد في صدر هذه الأمة من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة كحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فإنه وجد حين حفر معاوية العين صحيحا لم يتغير وأصابت الفأس أصبعه فدميت وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام [وعمرو بن الجموح] وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم استخرجته ابنته عائشة [من قبره] حين رأته في المنام فأمرها أن تنقله من موضعه فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير ذكره ابن قتيبة في المعارف والأخبار بذلك صحيحة وقد قال عليه السلام إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء خرجه سليمان بن الأشعث وذكر أبو جعفر الداوودي في كتاب النامي (1) هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين وهي زيادة غير معلومة [إلا] أن مسندها عن الداودي من أهل الثقة والعلم وفي المسند من طريق أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنبياء أحياء يصلون في قبورهم إلا أنه رواه ثابت البناني عن أنس وقد روي أن ثابتا حفر قبره بعد ما دفن فلم يوجد فذكر ذلك لابنته فقالت كان يصلي فلم يروه لأبي كان أبي إذا تهجد بالليل يقول اللهم اجعلني ممن يصلي في قبره بعد الموت وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مررت بموسى عليه السلام وهو يصلي في قبره وحديث عبد الله بن الثامر [illegible] وأما ابن إسحاق فهو مروي على [illegible] كتب القرطبي عن بعض أهل نجران لعله بالحديث فموقوف وهو حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق ابن أبي ليلى عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى أن يعتمد عليه وهو يخالف حديث ابن إسحاق في ألفاظ كثيرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حدث بهذا الحديث يعني حديثا تقدم قبل هذا الحديث يحدث بهذا الحديث الآخر قال كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يكهن له فقال الكاهن انظروا إلى غلاما فهما أو قال فطنا لقنا فأعلمه علمي هذا فإني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه قال فنظروا له على ما وصف فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف إليه فجعل يختلف إليه وكان على طريق الغلام راهب في صومعة قال معمر أحسب أن أصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين قال فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به فلم يزل به حتى أخبره فقال إنما أعبد الله قال فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطئ على الكاهن فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام إنه لا يكاد يحضرني فأخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب إذا قال لك الكاهن أين كنت فقل عند أهلي فإذا قال لك أهلك أين كنت فأخبرهم أنك كنت عند الكاهن قال فبينما الغلام على ذلك إذ مر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة فقال بعضهم إن تلك الدابة كانت أسدا قال فأخذ الغلام حجرا فقال اللهم إن كان ما يقول الراهب حقا فأسألك أن تقتله قال ثم رمى فقتل الدابة فقال الناس من قتلها فقالوا الغلام ففزع الناس وقالوا قد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد قال فسمع به أعمى فقال له إن أنت رددت بصري فلك كذا وكذا قال لا أريد منك هذا ولكن أرأيت إن رجع إليك بصرك أتؤمن بالذي رده قال نعم قال فدعا الله فرد عليه بصره فآمن الأعمى فبلغ الملك أمرهم فبعث إليهم فأتي بهم فقال

وعند ذلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قتل أصحاب الأخدود إلى آيات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد

(1) في الأصل [illegible] ولعله [illegible] على ما ذكرنا نحوه

(قال ابن هشام) الأخدود الحفر المستطيل في الأرض كالخندق والجدول ونحوه وجمعه أخاديد . قال ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة أحد بني عدي بن عبد مناف بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر

من العراقية اللاتي يحيل لها ... بين الفلاة وبين النخل أخدود

يعني جدولا وهذا البيت في قصيدة له قال ويقال لأثر السيف والسكين في الجلد وأثر السوط ونحوه أخدود وجمعه أخاديد (قال ابن اسحق) ويقال كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رأسهم وإمامهم (قال ابن اسحق) (٣٥) وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلا من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا واضعا يده على ضربة في رأسه ممسكا عليها بيده فإذا أخرت يده عنها تنبعث دما وإذا أرسلت يده ردها عليها فأمسكت دمها وفي يده خاتم مكتوب فيه ربي الله فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبر بأمره فكتب إليهم عمر رضي الله عنه أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذي كان عليه ففعلوا (قال ابن اسحق) وأفلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له فسلك الرمل فأعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذي نواس وجنوده وأخبره بما بلغ منهم فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك إلى ملك الحبشة فإنه على هذا الدين وهو أقرب إلى بلادك وكتب إليه يأمره بنصره والطلب بثأره فقدم دوس على النجاشي بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمر عليهم رجلا منهم يقال له أرياط ومعه في جنده أبرهة الأشرم فركب أرياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان وسار إليه ذو نواس في حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه في البحر ثم ضربه فدخل به

لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه فأمر بالراهب وبالرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله ثم قتل الآخر بقتلة أخرى ثم أمر بالغلام فقال انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه فانطلقوا به إلى ذلك الجبل فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون منه حتى لم يبق منهم إلا الغلام قال ثم رجع فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه فانطلق به إلى البحر فغرق الله الذين كانوا معه وأنجاه فقال الغلام للملك إنك لا تقتلني حتى تصلبني وترميني وتقول إذا رميتني بسم الله رب هذا الغلام قال فأمر به فصلب ثم رماه فقال بسم الله رب هذا الغلام قال فوضع الغلام يده على صدغه حين رمي ثم مات فقال الناس لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد فإنا نؤمن برب هذا الغلام قال فقيل للملك أجزعت أن خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك قال فخد أخدودا ثم ألقى فيه الحطب والنار ثم جمع الناس فقال من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار فجعل يلقيهم في تلك الأخدود قال يقول الله سبحانه «قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود حتى بلغ العزيز الحميد» قال فأما الغلام فإنه دفن قال فيذكر أنه أخرج في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن عبد الرزاق عن معمر ورواه مسلم عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن ابن أبي ليلى عن صهيب غير أن في حديث مسلم أن الأعمى الذي شفي كان جليس الملك وأنه جاءه بعد ما شفي فجلس من الملك كما كان يجلس فقال من رد عليك بصرك قال ربي قال وهل لك رب غيري فقال الله ربي وربك فأمر بالمنشار فجعل على رأسه حتى وقع شقاه وأمر بالراهب ففعل به مثل ذلك وزاد مسلم في آخر الحديث قال فأتي بامرأة لتلقى في النار ومعها صبي يرضع فقال لها الغلام يا أمه لا تجزعي فإنك على الحق وذكر ابن قتيبة أن الغلام الرضيع كان ابن سبعة أشهر

﴿ حديث الحبشة ﴾

وذكر فيه دوسا ذا ثعلبان الذي أتى قيصر ودوس هو ابن [illegible] الذي قتل أخوه قاله ابن اسحاق في غير رواية ابن هشام . وذكر فيه قيصر وكتابه للنجاشي وقيصر اسم علم لكل من ولي الروم وقيصر معناه بلسانهم [illegible] الذي بقر بطن أمه عنه وكان أول من [illegible] للملك وعرف به تسمى به كل من ملك بعده قاله المسعودي وإنما كتب (بذلك) إلى النجاشي لأنه على دينه وكان أقرب إلى اليمن منه . وذكر غير ابن اسحاق أن ذا نواس ادخل الحبشة [illegible] حين رأى أن لا قبل له بهم [illegible] المدارك ليكونوا معه يدا واحدة فأبوا إلا أن يحمي كل واحد منهم حوزته على حدته فخرج إليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله على أن يسالموه ومن معه ولا يقتلوا أحدا فكتبوا إلى النجاشي بذلك فأمرهم أن يقبلوا ذلك منهم فقبلوا صلحه ودفع إليهم المفاتيح وأمرهم أن يقبضوا ما في بلاده من خزائن أمواله ثم كتب هو إلى كل موضع من أرضه أن اذبحوا كل ثور أسود فقتل أكثر الحبشة فلما بلغ ذلك النجاشي وجه جيشا إلى أبرهة

[وعليهم ارياط] وأمره أن يقتل ذا نواس ويخرب ثلث بلاده ويقتل ثلث الرجال ويسبي ثلث النساء والذرية ففعل ذلك ارهة وابرهة بالحبشة هو الابيض الوجه وفي هذا قوة لقول من قال ان ابرهة هذا هو ابرهة بن الصباح الحميري وليس بابي يكسوم الحبشي وان الحبشة كانوا قد أمروا ابرهة بن الصباح على اليمن وهذا القول ذكره ابن سلام في تفسيره واقتحم ذو نواس البحر فهلك وقام بامر اليمن بعده ذو جدن واسمه علس بن الحارث أخو سميع بن الحرث والجدن حسن الصوت فقال انه أول من أظهر الغناء باليمن فسمي به وجدن أيضا مفازة باليمن زعم البكري ان ذا جدن الهالك منسوب اليها حين حارب الحبشة بعد ذي نواس وكسروا جنده وعلوه على أمره فسار الى البحر كما فعل ذو نواس فهلك فيه وذكروا سبب ارتفاع ابرهة لارياط وان ذلك انما كان لان ابرهة بلغ النجاشي انه استبد بسببه ولم يرسل اليه من جباية اليمن شيئا فوجه ارياطا الى خلعه فعند ذلك دعاه ابرهة الى المبارزة كما ذكر ابن اسحاق وذكر الطبري ان عتودة الغلام الذي قتل ارياطا والعتودة الشديدة وقد قيل في اسمه ارنجدة فقال له ابرهة احتكم علي فقال احكم أن لا تدخل امرأة الى زوجها حتى أكون أنا الذي ابدأ بها وله فقبل ذلك ابرهة وعزاله دهرا فاشتد ذلك على اهل اليمن ولوا عتودة غيلة فقال لهم الملك قد انى لكم يا أهل اليمن أن تفعلوا فعل الاحرار وأن تغضبوا لحرمكم ولو علمت ان هذا الذي سألني هذا الذي سأل ما حكمته ولكن والله لا تؤخذ منكم دية ولا تطلبون بدخل وحيا ووقع اسم ارياط في رواية يونس لم يسمه بهذا الاسم انما سماه روزبه وذكر الطبري أن سيف بن ذي يزن لما قتل ذو نواس بالحبشة ما فعل ثم ظهر أبرهة بعد عظمهم الى أبي مرة سيف بن ذي يزن فانتزع منه ريحانة بنت علقمة بن مالك وكانت قد ولدت له معدي كرب فنكحها أبرهة وأولدها مسروق بن أبرهة وبعد ذلك توجه سيف الى كسرى أنوشروان يطلب منه العون على الحبشة فوعده بذلك وأقام عنده سنين ثم مات وخلفه ابنه معدي كرب في طلب الثأر فدخل على كسرى فقال له من أنت فقال رجل يطلب ارث أبيه وهو وعد الملك الذي وعده فسأل عنه كسرى أهو من بيت الملك أم لا فاخبر انه من بيت ملك فوجه معه وهرز الفارسي في سبعة آلاف وخمسمائة من الفرس وقال ابن اسحاق في غير هذه الرواية ثمانمائة غرق منهم مائتان وسلم ستمائة والقول الاول قول ابن قتيبة وهو أشبه بالصواب ان بعد مقاومة الحبشة بستمائة وان كان قد جمع اليهم من العرب كما ذكر ابن اسحاق ما جمع وان معدي كرب بن سيف لما قتل الحبشة وملك هو ووهرز اليمن أقام في ذلك خمس وعشرين سنة ثم ان معدي كرب له كان قد اتخذهم من أولئك الحبشة رجالا يمشون بين يديه فزرقوه بحرابهم ثم هربوا فاتبعهم ناس فقتلوهم ووفد أمر اليمن بعده الى خالف عليها مقاول كملوك الطوائف لا يدين بعضهم لبعض الا ما كان من صنعاء وكون الابناء فيها حتى جاء الاسلام

(فصل) وانشد ابن هشام في هذا الخبر على الاخدود بيت ذي الرمة وهو غيلان بن عقبة بن بهيش وصاحب مية ابن عم مية بنت ذي الرمة قالت في الورد أسمت ناقة ذي الرمة فقيل انما سمي بذلك وكان قد قال لها اصلحي لي هذا الدلو فقالت له اني خرقاء ولي وهي على مهر فذهب ذو الرمة ان كانت خرقاء فان لي امة صناعا فانك سماها خرقاء كما سمته هي ذا الرمة

(فصل) وقوله شاذ بن جدن ما احتجز الى عمرة الصحيحة من الماء الذي يطهره فالغمر وكان أدنى من السيح وهو حر الشمس كان الشمس تدخله لا تجد فيه احد من الناس مرادا كما قالوا في غرة زيارة وفي قال عمل وهو قول المكود من من الغموض وانت أمر ذا انه لا تدعه ولا تاله الاورده وقال لا أسما

خاض به ضحضاح البحر حتى أفضى به الى غمرة فأدخله فيه وكان آخر العهد به وذهب ارياط الذي قال كما قال رجل من أهل اليمن وهو يذكر ما ساق اليهم دوس من أمر الحبشة لا كدوس ولا كاعلاق رحله فهي قصة اليمن الى هذا اليوم

الرقراق والضحل وقد تستعار في غير الماء كقول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب حين سئل عنه فقال هو في ضحضاح من النار ولولا مكاني لكان في الطمطام وفي البخاري وجدته في غمرة من النار فأخرجته الى الضحضاح والغمر هو الطمطام وأما قول ذي جدن * هونك لن يرد الدمع ما فاتا * هكذا روى هذا القسم ناقصا قاله البرقي وقد روي عن ابن اسحاق من غير رواية ابن هشام هونك لن يرد قال وهو من باب قول العرب للواحد افعلا وهو كثير في القرآن والكلام وفيه

أبعد بينون لا عين ولا أثر * وبعد سلحين يبني الناس أبياتا

بينون وسلحين مدينتان خربهما ارياط كما ذكر قال البكري في كتاب معجم ما استعجم سميت بينون لأنها كانت بين عمان والبحرين فهي اذا على قوله فعلون من البين والياء أصلية وقياس النحويين يمنع من هذا لأن الاعراب اذا كان في النون لزمت الاسم الياء في جميع أحواله كغسلين وفلسطين ألا ترى كيف قال في آخر البيت وبعد سلحين فكذلك كان القياس أن يقول على هذا أبعد بينين وعلى مذهب من جعله من العرب بالواو في الرفع وبالياء في الخفض والنصب يقول أيضا أبعد بينين وليس للعرب فيه مذهب ثالث ويثبت أنه ليس من البين انما هو فيعول والواو زائدة من ابن بالمكان وبن اذا أقام فيه ولكنه لا ينصرف للتعريف والتأنيث غير أنا سمعنا بالسيرافي ذكر وجها ثالثا للعرب في تسمية الاسم بالجمع المسلم فأجاز أن يكون الاعراب في النون وتثبت الواو وقال في زيتون انه فعلون من الزيت وأجاز أبو الفتح بن جني أن يكون الزيتون فيعولا من الزيت والكن بن فولهم زين المكان اذا أنبت الزيتون قال فتحت هذه الحكاية عن العرب والا فالظاهر انه من الزيت وانه فعلون وقد كثر هذا في كلام الناس غير أنا لم نسمعه في كلام العرب القدماء في العرب ومنهم من أسماء الناس سحنون وعبدون قال الشاعر وهو ابن المعتز

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ودير عبدون معروف بالشام وكذلك دير فثيون وعيرانه فيون يحتمل أن يكون فعلون فلا يكون من هذا الباب كما اتفق في زيتون وهو الأظهر لأنا لا نعرف زيتون وفرهود يكون بالعتب وأكثر ما يكون في الزيت من باب فلسطين وما جرى مجراه لكنا اذا وجدنا مثل أصلا نجرحون له الا اذا حمله أبو عبيد في باب فعلون وكذلك فعل صاحب كتاب العين أدخله في باب الرباعي فدل على ان الواو عنده فيه زائدة وأنه من باب فعاول ملا من * وقول ذي جدن وبعد سلحين عطف على اذ لكن يحمل على كل حال لان الذي ذكره البكري من المذهب الثالث ان صح فانها هي لغة أخرى غير لغة ذي جدن الحميري اذ كان من لغته ان يجعل وأعرب النون مع ها الزائدة المنفصلة ... يدل بقوله بالياء ان الواو ليس أصليا ان كان مقدما وقوله دعيني لا أبالك لن تطيقي أي لن تطيقي رد الماضي عن ساقي وحجبه من الدنيا لا يصيب أن للمرء على ما تمسك خرم مال ان كان ذلك من أن والياء الى بعدها أثبت ان هم يقضمونه في قول ... ويحرف عن علامة التأنيث في قول الأحمش وللحذف هما وعليه أوردوه عن الحد ... أي أكثر فيلي من العمل حتى أ... في ... الراوي الحصر وكره من قوة الإنسان من باب الخاسن قال الراجز

اني اذا ما بت الاشداق * وكثر اللجاج واللقلاق * ثبت الجنان مرجم وداق

ما بت الاشداق من الزبد عند الريق في حال الغضب ... كلام ... وقوله وداق أي ... كانوا ... لان الزبد ... الأخرس ... كان ... الكلام ...

وقال ذو جدن الحميري
هونك لن يرد الدمع ما فاتا
لا تهلكي أسفا في إثر من ماتا
أبعد بينون لا عين ولا أثر
وبعد سلحين يبني الناس أبياتا
بينون وسلحين وغمدان
من حصون اليمن التي هدم
ارياط ولم يكن في الناس
مثلها وقال ذو جدن أيضاً
دعيني لا أبالك لن تطيقي
لحاك الله قد أنزفت ريقي
لدى عزف القيان اذا
انتشينا
واذ نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس علي عارا
اذا لم يشكني فيها رفيقي
فان الموت لا ينهاه ناه

لعابه * وقوله ولو شرب الشفاء مع النشوق أي لو شرب كل دواء يستشفى به ويلنشق كل نشوق يحمل في الانف للتداوي به مانجى ذلك الموت عنه * وقوله ولا مرهب يجوز ان يكون رفعه عطفا على ناه أي لا يرد الموت ناه ولا مترهب أي دعاء مترهب يدعو لك ويجوز أن يكون مترهب رفعا على معنى ولا ينجو منه مترهب كما قال بالله يبقى على الايام ذو حيد . البيت والاسطوان أفعوال النون أصلية لان جمعه أساطين وليس في الكلام أفاعين * وقوله ساطع جذره بيض الانوق بجذره جمع جذار وهو مخفف من جذور وفي التنزيل «أو من وراء جدر» هكذا قيده بضم الجيم والجدر أيضا نبت الحيطان والحائط ولكن الرواية في الكتاب كما ذكرنا والانوق الانثى من الرخم فقال في المثل اعز من بيض الانوق اذا أرادوا الا يوجد لانها تبيض حيث لا تدرك بيضها من شواهق الجبال هذا قول المبرد في الكامل ولا يوافق عليه فقد قال الخليل الانوق الذكر من الرخم وهذا أشبه بالمعنى لان الذكر لا يبيض فمن أراد بيض الانوق فقد أراد المحال كمن أراد الابلق العقوق وقد قال القالي في الامالي الانوق يقع على الذكر والانثى من الرخم * وقوله وعمدان الذي حدث عنه هو الحصن الذي كان هوذة بن علي ملك اليمامة وسيأتي طرف من ذكره وذكر مكانه فاما قول سمك السماء والنيق اعلى الجبل وقوله نهمة هو موضع الرهبان والراهب قال له النهامي ويقال للنجار أيضا نهامي فيكون النهمة أيضا على هذا موضع نجر . وقوله وأسفله جروف جمع جرف وهو ما تجرفه السيول [من جرف الوادي اذا لان] ورواية أبي الوليد الوقشي جروب بالباء وكذلك ذكر الطبري بالباء أيضا وفي حاشية كتاب الوقشي الجروب حجارة سود كذا نقل أبو بحر عن نسخة كتابه فان صح هذا في اللغة والا فالجروب جمع جرب على حذف الناس من جرب بمعنى الاسم على حذف الزوائد كما جمعوا صاحبا على صحاب وقالوا طوى واطواء ونحو ذلك والجرب المزرعة * وقوله وحر الموجل يعني الجاه وهو القياس لانا من وجل يوجل ولو كان الفعل مفتوحا على فعل وعلى هذا كان القياس في الموجل الكسر لا غير وقد ذكر ما يتى فيه اللغتين الكسر والفتح والاصل ماقدمناه . وقوله وحر نعم الجاء هو ساقص كل شيء وفي كتاب أبي حنيفة عن الزيدي وحر الموجل فتح الجاء والجيم من الموجل لمن وحفوه بالموجل فقال حجارة ملس المستو والذي أذهب اليه ان الموجل ههنا واحد المواجل وهي مناهل الماء وفتحت الجيم لان الاصل ما حل كذا قال أبو عبيد المآجل واحدها ماجل وفي آثار المدونة سئل مالك رحمه الله عن مواجل برقة يعني المناهل ولو كانت الواو في الكلمة أصلية لقيل الواحد موجل ولم يجمع الا ان يراد به ابن الوحل ويكون الماضي من الوحل مكسور الجيم والمستعمل لمن وجافه الرجل حتى لا سبيل في هذا الموضع وقولنا الماء في الراي الماء من الابن ودوان الماء التراب وكرهه الراي قال بحر الماء الماء المالح والماء في اختلاف ما ونشد البيت هكذا فارحه في أصل ابن هشام ولا معنى للنون والله أعلم والمعنى اذا تحقق الشرع نفسه بالمحدوق أي بالماء وهو جمع عدق بكسر العين وهي الكباسة فهم عدق بفتح العين وهي النخلة وهو أيضا في وجه ما بالاندلس ان يكون جمع عدق بالفتح وقوله وامرد وبوا بيهما أي جاءه الموق وقيل في قوله امسكا فقال ابن الانباري فيه قولان أحدهما أن يكون من السكون ويكون الاصل ارسى على ورن او حال مكا والله اعلم فاما كما قال الشاعر

رأى صحب بالمأوى لصرى س حمث ماما كوا ادنوا فاطور

وقال آخر ما نهاحرب على الا كا كان اراد الا كا كل والا قل الاسد ان كس اسه ل من كان

ولو شرب الشفاء مع النشوق
ولا مترهب في اسطوان
ساطع جذره بيض الانوق
وعمدان الذي حدثت عنه
بوه فسمكا في رأس نيق
نهمة وأسفله جروف
وحر الموحل اللاتي الدلق
مصابيح السليط تلوح فيه
اذا يمسي كومض البروق
ونخلته التي غرست اليه
يكاد البسر يهصر بالعذوق
فاصبح بعد جدته رمادا
وغير حسنه لهب الحريق
وأسلم ذو نواس مستكينا
وحذر قومه ضنك المضيق

يكون مثل استقام من قام يقوم ﴿قال المؤلف رحمه الله﴾ هذا القول الأخير جيد في التصريف مستقيم في القياس لكنه بعيد في المعنى من باب الخضوع والذلة والقول الأول قريب في المعنى لكنه بعيد عن قياس التصريف إذ ليس في الكلام فعل على وزن افعال بالف ولكن وجدت لغير ابن الأنباري قولا ثالثا انه استفعل من السكن وكأن الانسان يخره ويؤخره وكان المسكين قد أذلته ما كما يقال صلى أي جاء صلاه والصلى أسفل الظهر وهذا القول جيد في التصريف قريب المعنى من الخضوع *وذكر قول ابن الدئنة واسمه ربيعة بن عبد ياليل وقال فيه لعمرك ما الفتى بصخرة وهو المتسع أخذ من لفظ الصحراء والوزر الملجأ ومنه اشتق الوزير لأن الملك يلجأ إلى رأيه وقد قيل من الوزر لأنه يحمل عن الملك أثقالا والوزر الثقل ولا يصح قول من قال هو من آزره إذا أعانه لأن فاء الفعل في الوزير واو وفي الأزر الذي هو العون همزة *وذات العسر أي ذات الجرن يقال عبر الرجل إذا حزن ويقال لأمه العبر كما يقال لأمه الثكل * والمقربات الخيل العتاق التي لا تسرح في المرعى ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو * وقوله يسعون من قابلوا الذرء أي يحصيهم ونعدهم يسعون من قاتلوا وهذا افراط في وصفهم بالكثرة قال البرقي أراد يسعون من قاتلوا الذر آباطهم أي بها والذر بالذال المعجمة يسعى في قوة الريح الطيبة والجيف ﴿قال المؤلف رحمه الله﴾ فإن كان أراد هذا فقد قصده لأن السودان أنتن الناس آباطا وأعراقا *وقوله سعالى شبههم بالسعالى من الجن جمع سعلاة ويقال بل هي الساحرة من الجن * وقوله كمثل السماء أي كمثل السحاب لاسوداد السحاب وظلمته قبيل المطر

﴿فصل﴾ وقوله عمرو بن معدي كرب ومعدي كرب بالحميرية وجه الفلاح المعدي هو الوجه بلغتهم والكرب هو الفلاح وقد تقدم أبو كرب فمعناه على هذا أبو الفلاح قاله ابن هشام في غير هذا الكتاب وكذلك تقدم كلكي كرب ولا أدري ما كلكي * وقوله قيس بن مكشوح المرادي إنما هو حليف لمراد واسم مراد يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج ونسبه في بجيلة ثم في بني أحمس وأبوه مكشوح اسمه هبيرة بن هلال ويقال عبد يغوث بن هبيرة بن الحرث بن عمرو بن عامر بن علي بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار وأنمار هو والد بجيلة وخثعم وسمي أبوه مكشوحا لأنه ضرب بسيف على كشحه ويكنى قيس أبا شداد وهو قاتل الأسود العنسي الكذاب هو وفادويه وفيروز وكان قيس بطلا بئيسا وقتل مع علي رضي الله عنه يوم صفين وله في ذلك اليوم مواقف لم يسمع بمثلها عن غيره من البهم وكذلك له في حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد وعمرو بن معدي كرب رضي الله عنه يكنى أبا ثور أصرب الأمثال به ويشبهونه ويسالمه ويقول الشاعر حين مات

فليقل لمذحج كلها * رزئتم أبا ثور فتكم عمرا

والصمصامة المشهورة كانت من سيفه وحدث عند الكعبة مدفونا في الجاهلية فصنع منها ذو الفقار والصمصامة ثم نصرت إلى خالد بن سعيد بن العاص يقال ان عمرا وهبها له وكتب له علمه بذلك ان ريحانة أحب عمرو إلى هرله بها عمرو

أمن ريحانة الداعي السميع * [يؤرقني وأصحابي هجوع]

كان أبوها خالد بن سعيد سيفا بني سهم عليها وحلي بها أنها تكون ذلك لعمر وأخوها في آخر الكتاب من عرف بن بني مكشوح وعمرو بن معدي كرب أكبر ساقوهما والسعر التي الذي يذكر ابن إسحاق وأرلا أبو عدي كانت ذو رعين ذكر المسعودي ان عمرا قالها لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد عمر لا بالدرة في حديث ذكر ونشأ الراوية ولم يقع في السيرة قوله

وقال عبد الله بن الدئنة الثقفي في ذلك (قال ابن هشام) الدئنة أمه واسمه ربيعة بن عبد ياليل بن سالم ابن مالك بن حطيط بن جشم بن قسي

لعمرك ما للفتى من مفر
مع الموت يلحقه والكبر
لعمرك ما للفتى صحرة
لعمرك ما إن له من وزر
أبعد قبائل من حمير
أبيدوا صباحا بذات العبر
بألف ألوف وحرابة
كمثل السماء قبيل المطر
يصم صياحهم المقربات
وينفون من قاتلوا بالذفر
سعالى مثل عديد التراب
ييبس منهم رطاب الشجر

وقال عمرو بن معدي كرب الزبيدي في شيء كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرادي فبلغه أنه يتوعده فقال يذكر حمير وعزها وما زال من ملكها عنها

أتوعدني كأنك ذو رعين
بأفضل عيشة أو ذو نواس
وكائن كان قبلك من نعيم
وملك ثابت في الناس راسي
قديم عهده من عهد عاد
عظيم قاهر الجبروت قاسي
فأمسى أهله بادوا وأمسى
يحول من أناس في أناس

(قال ابن هشام) زبيد بن سلمة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ابن مذحج ويقال زبيد بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ويقال زبيد ابن صعب ومراد يحابر بن مذحج

لعمرك ما للفتى من مفر]

(قال ابن هشام) وحدثني أبو عبيدة قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سلمان بن ربيعة الباهلي وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وهو بارمينية يأمره أن يفضل أصحاب الخيل العراب على أصحاب الخيل المقارف في العطاء فعرض الخيل فمر به فرس عمرو بن معديكرب فقال له سلمان فرسك هذا مقرف فغضب عمرو وقال هجين عرف هجينا مثله فوثب اليه قيس فتوعده فقال عمرو هذه الابيات
(قال ابن هشام) وهذا الذي عنى سطيح الكاهن بقوله ليهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين أبين الى جرش والذي عنى شق الكاهن بقوله لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين الى نجران (قال ابن اسحق) فاقام ارياط بارض اليمن سنين في سلطانه ذلك ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي حتى تفرقت الحبشة عليهما فانحاز الى كل واحد منهما طائفة منهم ثم سار أحدهما الى الآخر فلما تقارب الناس أرسل أبرهة الى ارياط (٤٠) انك لا تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا فابرز الي وأبرز اليك فأينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده فارسل اليه ارياط أنصفت فخرج اليه أبرهة وكان رجلا قصيرا لحيما وكان ذا دين في النصرانية وخرج اليه ارياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا وفي يده حربة له وخلف أبرهة غلام له يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته فبذلك سمي أبرهة الأشرم وحمل عتودة على ارياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف جند ارياط الى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى أبرهة ارياط فلما بلغ ذلك النجاشي غضب غضبا شديدا وقال عدا على أميري فقتله بغير أمري ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فحلق أبرهة رأسه وملأ جرابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشي ثم كتب اليه أيها الملك انما كان ارياط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا في أمرك وكل طاعته لك الا أني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من أرضي ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه في فلما انتهى ذلك الى النجاشي رضي عنه وكتب اليه أن اثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري فأقام أبرهة باليمن [illegible] ثم ان أبرهة بنى القليس بصنعاء [illegible] الأرض [illegible] العرب [illegible]

ولا يغررك ملكك كل ملك ⁂ يصير لذلة بعد الشماس

وذكر سلمان بن ربيعة حين هجن فرس عمرو ونسبه الى باهلة بن أعصر وكذلك هو عند أهل النسب باهلي ثم أحد بني قتيبة بن معن وباهلة أمهم وهي بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج وأبوهم يعصر وهو منبه بن سعد بن قيس بن عيلان وسمي يعصر بقوله

أعمير ان أباك غير لونه ⁂ مر الليالي واختلاف الأعصر

ويقال له أعصر ويعصر وكان سلمان بن ربيعة قاضيا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على الكوفة ويقال سلمان الخيل لأنه كان يلي النظر فيها وقال أبو وائل اختلفت الى سلمان بن ربيعة أربعين صباحا وهو قاض فما وجدت عنده أحدا يختصم اليه واستشهد سلمان بأرمينية سنة تسع وعشرين * وذكر عتودة [illegible] علام أبرهة [illegible] وما زاده الطبري وغيره وان العتودة الشديد في الحرب وذكر [illegible] الحربة [illegible] وسط الرأس وقال أهل [illegible] الطفل [illegible] فاذا اشتد [illegible]
[illegible]

﴿ خبر [illegible] الفيل وذكر بنيان أبرهة القليس ﴾

وهي الكنيسة التي أراد أن يصرف اليها حج العرب وسميت بهذا الاسم لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لأنها في أعلى الرؤوس ويقال تقلنس الرجل [illegible]
[illegible]

الى النجاشي غضب رجل من النسأة أحد بني فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر والنسأة الذين كانوا ينسؤن الشهور على العرب في الجاهلية فيحلون الشهر من الاشهر الحرم ويحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ليواطئوا عدة ما حرم الله ويؤخرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله تبارك وتعالى انما النسيء زيادة (٤١) في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما (قال ابن هشام) ليواطئوا ليوافقوا والمواطأة الموافقة تقول العرب واطأتك على هذا الامر أي وافقتك عليه والإيطاء في الشعر الموافقة وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد نحو قول العجاج واسم العجاج عبد الله بن رؤبة أحد بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر [illegible] المحجون المرسل ثم قال [illegible] في الخلج المرسل وهذان البيتان في أرجوزة له قال ابن اسحق وكان أول من نسأ الشهور على العرب فأحل منها ما أحل وحرم منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة [illegible] ثم قام على ذلك بعده ابنه عباد بن حذيفة ثم قام بعد عباد [illegible] ثم قام بعد [illegible]

ثم قام بعد أمية عوف بن أمية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فحرم الاشهر الحرم الاربعة رجبا وذا القعدة وذا الحجة والمحرم فاذا أراد أن يحل منها شيئا أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة الاشهر الحرم فاذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال اللهم اني [illegible]

فأخربه موضعها وأعفى الناس من العمل فيها بعد ولما هلك ومزقت الحبشة كل ممزق وأقفر ما حول هذه الكنيسة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات وكان كل من أراد أن يأخذ شيئا منها أصابته الجن فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوي قناطير من المال لا يستطيع أحد أن يأخذ منها شيئا الى زمن أبي العباس فذكر له أمرها وما يتهيب من جنها وحياتها فلم يرعه ذلك وبعث اليها ابن الربيع عامله على اليمن معه أهل الحزم والجلادة فخربوها وحصلوا منها مالا كثيرا بيع ما أمكن بيعه من رخامها وآلاتها فعفا بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها ودرست آثارها وكان الذي يصيبهم من الجن ينسبونه الى كعيب وامرأته صنمين كانت الكنيسة بنيت عليهما فلما كسر كعيب وامرأته أصيب الذي كسره بجذام فافتتن بذلك رعاع اليمن وطغامهم وقالوا أصابه كعيب وذكر أبو الوليد الازرقي أن كعيبا كان من خشب طوله ستون ذراعا. وذكر النسأة والنسيء من الاشهر فأما النسأة فأولهم القلمس واسمه حذيفة بن عبد بن فقيم وقيل [illegible] القلمس لجوده اذ القلمس من أسماء البحر وأنشد قاسم بن ثابت

الى ابن القلمس عبد شمس كأنهم ... هضبات أجا أركانه لم تقصف

فلاة مسامير الامور فأحكمت ... [illegible] حتى أقرت لمردف

وذكر أبو علي القالي في الامالي أن الذي نسأ الشهور منهم نعيم بن ثعلبة [illegible] المعروف وأما نسؤهم للشهر فكان على ضربين أحدهما ما ذكر ابن اسحق من تأخير شهر المحرم الى صفر لحاجتهم الى شن الغارات وطلب الثارات والثاني تأخيرهم الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية فكانوا يؤخرونه في كل عام أحد عشر يوما أو أكثر قليلا حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته ولذلك قال عليه السلام في حجة الوداع ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وكانت حجة الوداع في السنة التي عاد فيها الحج الى وقته ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة غير تلك الحجة وذلك لاخراج الكفار الحج عن وقته ولطوافهم بالبيت عراة والله أعلم اذ كانت مكة بحكمهم حتى فتحها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (قال شيخنا أبو بكر) يرى أن قول الله تعالى «يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج» [illegible] الحج بالذكر دون غيره من العبادات المؤقتة بالازمان [illegible] الاهلة [illegible] حساب الاعاجم [illegible] الحج من الاشهر [illegible] والله أعلم وذكر ابن هشام قول العجاج وفي أبياته المحجون المرسل [illegible] ما يدفع من الماء [illegible] والمرسل [illegible] ظليل وقد ذكر [illegible] في موضع آخر [illegible] قال [illegible] وهو الذي [illegible] والحامة [illegible] والخلج [illegible] وذكر اسم

الصفر بن الصفر الاول وسات الآخر للعام المقبل فقال في ذلك عمير بن قيس جذل الطعان أحد بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة يفخر بالنسأة على العرب

لقد علمت معد ان قومي * كرام الناس ان لهم كراما
فأي الناس فاتونا بوتر * وأي الناس لم نعلك لجاما
ألسنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما

(قال ابن هشام) أول الاشهر الحرم المحرم * قال ابن اسحق فخرج الكناني حتى أتى القليس فقعد فيها (قال ابن هشام) يعني أحدث فيها * قال ابن اسحق ثم خرج فلحق بأرضه فأخبر بذلك أبرهة فقال من صنع هذا فقيل له صنع هذا رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي تحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب غضب فجاء فقعد فيها أي انها ليست لذلك بأهل فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه ثم أمر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه واخرابه فأجابه الى ذلك من أجابه ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر وأصحابه وأخذ له ذو نفر فأتي به أسيرا فلما أراد قتله قال له ذو نفر أيها الملك لا تقتلني فانه عسى أن يكون بقائي معك خيرا لك من قتلي فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق وكان أبرهة رجلا حليما ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى اذا كان بأرض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه أبرهة وأخذ له نفيل أسيرا فأتي به فلما هم بقتله قال له نفيل أيها الملك لا تقتلني فاني دليلك بأرض العرب وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يدله حتى اذا مر بالطائف

(٤٢)

العجاج ولم يكن به وكنيته أبو الشعثاء وسمي العجاج بقوله * حتى يعج عندها من عججا * وقال عمير بن قيس كرام الناس ان لهم كراما * أي آباء كراما وأخلاقا كراما * وقوله وأي الناس لم نعلك لجاما أي لم نقدعهم ونكفهم كما يقدع الفرس باللجام تقول أعلكت الفرس لجامه اذا رددته عن جريه فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه فهو مقدوع قال الشاعر

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك اللجام الى انصراف الزائر

وكان عمير هذا من أطول الناس وهو مذكور في مقتلي الطعن وسمي جذل الطعان لثباته في الحرب كأنه جذل شجرة واقف وقيل لأنه كان يستشفى برأيه ويستراح اليه كما تستريح البهيمة الجرباء الى الجذل تحتك به ومن ذلك قول الحباب انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقول الأعرابي يصف امرأة انها لجذل حكاك ومدره لكاك واللكاك الزحام

﴿ فصل ﴾ وذكر جنادة بن عوف بن أمية الذي قام عليه الاسلام ولم يذكر هل أسلم أم لا وقد وجدت له خبرا يدل على اسلامه حضر الحج في زمن عمر فرأى الناس يزدحمون على الحجر فقال أيها الناس اني قد أجرته منكم فخفقه عمر بالدرة وقال ويحك ان الله قد أبطل أمر الجاهلية وذكر الزبير عن ابن الكلبي قال قد نسأ القلمس [illegible] أربعين سنة ونسأ بعده ابنه [illegible] احدى وعشرين سنة ثم نسأ من بعده جنادة [illegible] القلمس [illegible] وقول ابن هشام أول الاشهر الحرم المحرم يقول وقد قيل أولها ذو القعدة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ به حين ذكر الاشهر الحرم ومن قال المحرم أولها احتج بأنه أول السنة وفائدة هذا الخلاف ان من نذر صيام الاشهر الحرم فيقال له على القول الاول ابدأ بالمحرم ثم رجب ثم ذي القعدة وذي الحجة وعلى القول الآخر يقال له ابدأ بذي القعدة حتى يكون آخر صيامك في رجب من العام الثاني وقوله خرج الكناني حتى قعد في القليس أي أحدث فيها [illegible] شاهد [illegible] وذكر قول نفيل الخثعمي وهاتان يداي لك على قبيلي خثعم شهران وناهس [illegible] ابن خلف بن أفتل بن أنمار [illegible] فالله أعلم وقال رجل من خثعم

[illegible]

فأجابه الكلبي فقال

[illegible]

حرج اليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال من ثقيف واسم ثقيف قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن اياد بن معد بن عدنان * قال أمية بن أبي الصلت الثقفي

قومي اياد لو أنهم أمم * أو لو أقاموا فتهزل النعم قوم لهم ساحة العراق اذا * ساروا جميعا والقط والقلم وقال أمية بن أبي الصلت أيضا

فاما تسألي عني لبيني * وعن نسبي أخبرك اليقينا فانا للنبيت أبي قسي * (٤٣) لمنصور بن يقدم الاقدمينا

فلو كنت اعلمهم ما نفيتني * الهم بري ابي بذلك أثلب

فان لا تكن عماي حلما وناصرا * فاني امرؤ عماي بكر وتغلب

أبونا الذي لم يركب الخيل قبله * ولم يدر مرء قبله كيف يركب

يريد انه من ربيعة ونسبه كان يقال له ربيعة الفرس * وأما ثقيف وما ذكر من اختلاف النسابين فيهم فمنهم من ينسبهم الى اياد وبعضهم ينسبهم الى قيس وقد نسبوا الى ثمود أيضا * وقد روي في ذلك حديث عن علي عليه السلام رواه معمر بن راشد في جامعه وكذلك أيضا روي في الجامع ان أبا رغال من ثمود وانه كان بالحرم حين أصاب قومه الصيحة فلما خرج من الحرم أصابه من الهلاك ما أصاب قومه فدفن هنالك ودفن معه غصن من ذهب * وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالقبر وأمر بانتزاع الغصن منه فاستخرجاه وقال جرير أو غيره

اذا مات الفرزدق فارجموه * كرجمكم لقبر أبي رغال

ووقع في هذه النسخة في نسب معد الاول ابن اياد بن معد * وفي الحاشية ان الناس أبوا دعوة يجعل مكان ابن معد بن معد وذلك والله أعلم لان اياد هو ابن نزار وليس بابن معد لصلبه ولعل ابن اسمه اياد وهو ابن لصلبه وقد ذكره ابن اسحق وقد تقدم ذكره مع بني معد في أول الكتاب وهو ايادي والاياد في اللغة التراب الذي يجعل الى الخباء وهو من اليد والقوة وهو مأخوذ من الايد وهي القوة لان فيه قوة للخباء وهو من الأوى والخباء والأوى شيء من التأبي لانه حمير وأنه المطر أي يحفظ عن الخباء وأنشد لامية بن أبي الصلت واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب في قول الزبير

قومي اياد لو أنهم أمم * أو لو أقاموا فتهزل النعم

يريد أي لو أقاموا لتجار وان هزلت نعمهم لانهم اسلموا نعمهم الا تساق عن مسارحهم فدخلوا الى ريف العراق ولذلك قال والقط والقلم يعني القط من الكاغد والرق ونحوه وذلك ان الكتابة كانت في اياد لا الى اليسار واليها وقيل لم يكن فيهم القط فتالوا فانه اهون اسل لمعرفة ولعله اهل الخير من أهل الانبار ونحو قوله والقط قيل هو القط على حرف التميمي الصمي في الأرض وقوله تعالى «فلولا ان كنا من ذكر المؤمنين» رواه لعلها نفي نسبة القيسي أي نسب للرجم والطائف انشاء الله تعالى وقوله فلما زال ابرهة المغمس لكذا الحمد في نسخة الشيخ أي بجر المغمس على أنوا ذالغاصي في فتح الميم الأخرى من المغمس * وذكر البكري في كتاب المعجم عن ابن دريد عن عبد الله انه المغمس بكسر الميم الأخرة وانه أصح ما قيل فيه وذكر أيضا انه روي بالفتح والرواة بالكسر هو من معنى من عمست كانه اسم من الاسم وهو المسير وقوله كتاب الأحمر الذي نبت في الحرم تحت الناس ذلك من الكلأ وعمر الدارس وقد ذلك كما قال فالرحج وسجرا على رواية الفتح كانه من عمست

(قال ابن هشام) ثقيف قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والبيتان الاولان والآخران في قصيدتين لامية * قال ابن اسحق فقالوا له أيها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة (قال ابن هشام) وأنشدني أبو عبيدة النحوي لضرار بن الخطاب الفهري

وفرت ثقيف الى لاتها * بمنقلب الخائب الخاسر

وهذا البيت في ابيات له * قال ابن اسحق فبعثوا معه أبا رغال يدله على الطريق الى مكة فخرج أبرهة ومعه أبو رغال حتى أنزله المغمس فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس فلما نزل أبرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموال أهل تهامة من قريش وغيرهم فأصاب فيها مائتي

لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك وبعث أبرهة حناطة الحميري إلى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ثم قل له إن الملك يقول لك إني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرد حربي فأتني به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم عليه السلام أو كما قال فإن يمنعه منه فهو بيته وحرمه وإن يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فانطلق معي إليه فإنه قد أمرني أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر وكان له صديقا حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا ما عندنا غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيسا سائس الفيل صديق لي وسأرسل إليه فأوصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير إن قدر على ذلك فقال حسبي فبعث ذو نفر إلى أنيس فقال له إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في رءوس الجبال وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت

فقال أفعل فكلم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو يطعم الناس في السهل والوحوش في رءوس الجبال فأذن له عليك فليكلمك في حاجته قال فأذن له أبرهة قال وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه عن أن يجلسه تحته وكره أن تراه الحبشة [illegible] على سرير ملكه فنزل أبرهة عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي أن يرد علي الملك مائتي بعير أصابها لي فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتني [illegible] في مائتي بعير [illegible] هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه [illegible] قال له عبد المطلب إني أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه [illegible] قال أنت وذاك [illegible] وكان فيما زعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حناطة يعمر بن نفاثة بن عدي بن الديل بن بكر [illegible] وهو يومئذ سيد بني بكر وخويلد بن واثلة [illegible] فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم والله أعلم أكان ذلك أم لا [illegible] على عبد المطلب الإبل التي أصاب له [illegible] انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعف الجبال [illegible] عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة [illegible]

لاهم إن العبد يمنع رحله فامنع حلالك

لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك … إن كنت تاركهم [illegible]

الشيء إذا أعطيته وذلك أنه مكان مستور إما بهضاب وإما بعضاه [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان بمكة كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المغمس وهو على ثلث فرسخ كذلك رواه ابن السكن في كتاب السنن له وفي السنن لأبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد البراز أبعد ولم يبين مقدار البعد وهو مبين في حديث ابن السكن كما قدمنا ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] إلى مكانا للمذهب إلا وهو مستور [illegible] قام المعنى فيه على الروايتين جميعا وقوله في صفة عبد المطلب أوسم الناس وأجمله [illegible] هذا الكلام [illegible] العرب [illegible] على المعنى [illegible] رجل وأجمله [illegible] الاسم المضمر [illegible] إلى هذا المعنى وهو عندي محمول على الجنس كأنه حين [illegible] قال هو أجمل هذا الجنس من الخلق [illegible] الأول لأن في الحديث الصحيح خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده [illegible]

لاهم إن [illegible] فامنع حلالك

[illegible]

« قال ابن هشام » هذا ما صح له منها * قال ابن اسحق وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي

لاهم اخز الاسود بن مقصود
الآخذ الهجمة فيها التقليد
بين حراء وثبير فالبيد
يحبسها وهي أولات التطريد
فضمها الى طماطم سود
اخفره يا رب وأنت محمود

(قال ابن هشام) هذا ما صح له منها والطماطم الاعلاج قال ابن اسحق ثم أرسل ابرهة حناطة الحميري الى مكة وقال له سل عن سيد أهل هذا البلد وشريفها ثم قل له ان الملك يقول لك اني لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لي بدمائكم فان هو لم يرد حربي فأتني به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم ...

قول من قال في لاهم لا هم ان العبد والله انك وهذا لكثرة دور هذا الاسم على الالسنة وقد قالوا لاهم وهو دونه في الاستعمال أحلك تفعل كذا وكذا أي من احل انك تفعل كذا وكذا والحلال في هذا البيت القوم الحلول في المكان والحلال مركب من مراكب النساء قال الشاعر * بغير حلال غادرته مجحفل *
والحلال أيضا متاع البيت وجائز ان يستعيره ها هنا وفي الرجز بيت ثالث لم يقع في الاصل وهو قوله

وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك

وفيه حجة على النحاس والزبيدي حيث زعما ومن قال بقولهما انه لا يقال اللهم صل على محمد وعلى آله لان المضمر يرد المعتل الى أصله وأصله أهل فلا يقال الا وعلى أهله وهذه المسئلة حكم النحاس بأنه الكسائي وقولهما خطأ من وجوه وغير معروف في قياس ولا سماع وما وجدنا قط مضمرا يردنه الا الى أصله الا قولهم أعطيتكموه برد الواو وليس هو من هذا الباب في ورد ولا صدر (ولا يقول) أحد ان آلا أصله أهل ولا هو في معناه (ولا يقول) ان أهلا لا يصير آلا كالظاهر بعينهم والحجة عليهم في مع سيرهذا في الكامل من قول الكسائي لمعاوية ... عبد الله من آلك وليس من ذلك وقول عكرمة بن عامر الآخذ الهجمة منها التقليد الهجمة ما بين التسعين الى المائة ... وقال بعضهم الى الاربعمائة ... واسدوا ... الهجمة هو الشحم من الابل ...

كبيرا له ... وسيرت صرفا محسا ... وقال المقدح الذي يحلب فيه اذا كان كبيرا ... وقوله اخفره يا رب اي انقض عهده ... لا تؤمنه يقال أخفرت الرجل اذا نقضت عهده وخفرته أخفره اذا أجرته ... ان لا ... هذا الا ... مع المدر ... ثم الثلاث ... وقوله الى طماطم سود يعني العلوج وقال ... أعجمي طمطمان وطمطم وتدعى الاحبش طمطم ... الطاء ... وقوله
عن حبشة قال ... الحبش ... بالتمر ... وحكى ... بالتمر وهو ...
وقوله فبرك الفيل فيه ... لان الفيل لا يبرك ... ويحتمل أن يكون بروكه سقوطه الى الارض لما جاءه من أمر
الله سبحانه ويحتمل ان يكون فعل فعل البارك الذي يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك وقد
سمعت من يقول ان في الفيل ... بارك ... فان صح ... والاسود بن مقصود
صاحب الفيل هو الاسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو
ابن علة ... عمرو بن خالد ... وكان الاسود ... الذي ... النجاشي ...
وكانت الفيلة ثلاثة عشر ... الا ... أرسله ... من ... الى الحرم
والله أعلم ... الذي ... بن عامر بن ... ابن أكاب
... أول ... كذلك ... البيت ...
... قال ... وقال ... مسلط ... الارض ...
... الطير ... كعب ... ابن عباس
... الحجارة ... كأنها ... الذي ذكره ابن اسحق ... رواية
... البيت ... الحرم ...

فزعوه ثم القوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك فأرسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا الا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذي منه جاؤوا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

ابن الغمر والاله الطالب
والاشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن هشام قوله ليس الغالب عن غير ابن اسحق
قال ابن اسحق وقال نفيل أيضا

الا [illegible] عنا يا ردينا
[illegible] أ [illegible]
ردينة لو رأيت ولا تريه
[illegible] المحصب ما رأينا
اذا [illegible]
[illegible]

و[illegible] على ما فات [illegible]
[illegible] الله اذ أبصرت طيرا
[illegible] حجارة [illegible]
[illegible] كل [illegible]
كأن علي للحبشان [illegible]

نسخة الشيخ أبي بحر بسكون الباء وذكره البكري في المعجم وان الاصل فيه طبرزين بفتح الباء وقال طبرهو الفاس * وذكر طبرستان بفتح الباء وقال معناه شجر قطع بفاس لانها قبل ان تبنى كانت شجراء فقطعت ولم يقل في طبرية مثل هذا قال ولكنها نسبت الى طبارا وهو اسم الملك الذي بناها وقد أنشد في شعر فيه بطبرزين بفتح الباء كما قال البكري وجائز في طبرزين وان كان ما ذكر ان يسكن الباء لان العرب تلاعب بالاسماء الاعجمية تلاعبا لا تقرها على حال قاله ابن جني *وقوله فبزغوه أي ادموه ومنه سمي المبزغ وفي رواية يونس عن ابن اسحق ان الفيل ربض فجعلوا يقسمون بالله انهم رادوه الى اليمن فحرك لهم أذنيه كانه يأخذ عليهم عهدا بذلك فاذا أقسموا له قام يهرول فيردونه الى مكة فيربض فيحلفون له فيحرك لهم أذنيه كالمؤكد عليهم ففعلوا ذلك مرارا*وقوله أمثال الحمص والعدس قال حمص وحمص كما قال حلق وحلق قاله ابو عبيد ولم يذكر أبو حنيفة في الحمص الا الفتح وليس لهما نظير في الابنية الا الحلزة وهو القصير وقال ابن الانباري الحلز البخيل بتشديد الزاي وصرف القالي هذا الزاي وانه في الغريب المصنف لان فعلا بالتشديد ليس في الصفات عند سيبويه وانما هي عنده الحجارة للحمص انها على شكلها والله أعلم لانه قد روي انها كانت صحاحا تكسر الرؤس وروي ان غالب الطيور كانت كالكلاب والله اعلم وفي رواية يونس عن ابن اسحق قال جاءتهم طير من البحر كرجال الهند وفي رواية أخرى عنه انهم استشعروا العذاب في تلك الليلة لانهم نظروا الى النجوم كالحة اليهم تكاد تكلمهم من اقترابها منهم ففزعوا لذلك [illegible] وقوله ولم يأس على ما فات نصبا هو [illegible] المصدر المؤكد [illegible]

[illegible]

* قال ابن اسحق حدثني يعقوب بن عتبة انه حدث ان أول ما رؤيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام وانه أول ما رؤي بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام * قال ابن اسحق فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ما رد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال الله تبارك وتعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وقال لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أي لئلا يغير شيئا من حالهم التي كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه (قال ابن هشام) الأبابيل الجماعات ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه وأما السجيل فأخبرني يونس النحوي وأبو عبيدة انه عند العرب الشديد الصلب * قال رؤبة بن العجاج ومسهم ما مس أصحاب الفيل ترميهم حجارة من سجيل ولعبت طير بهم أبابيل * وهذه الأبيات في أرجوزة له [illegible] كلمتان بالفارسية [illegible] العرب كلمة واحدة وانما [illegible] [illegible] والحجر والطين [illegible] الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين والعصف ورق الزرع الذي لم يقصب واحدته [illegible] (قال ابن هشام) [illegible] [illegible] وهذا البيت [illegible]

والا فله طرف الاصبع ولكن قد تغير بها عن طرف غير الاصبع والحرة الصغيرة في مسند الحرث بن أبي أسامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الشجر شجرة هي مثل المؤمن لا يسقط لها أنملة ثم قال هي النخلة وكذلك المؤمن لا يسقط له دعوة * وقوله مرائر الشجر فقال شجرة مرة ثم يجمع على مرائر كما يجمع حرة على حرائر ولا يعرف فعيلة تجمع على فعائل الا في هذين الحرفين وقيا من جمع ما فعل بخودرة [illegible] ولكن الحرة من النساء في معنى الكريمة والعقيلة ونحو ذلك فأجروها مجرى ما هو في معناها من الفعيلة وكذلك المرة قياسه ان يقال فيه مر لان المرارة في الشيء طبيعة فقياسه أن يكون فعل كما يقول عذب الشيء وقبح وعسر اذا صار عسيرا واذا كان قياسه فعل فقياس الصفة منه أن يكون على فعيل والانثى فعيلة والشيء المر عسر أكله شديد فأجروا الحج مجرى هذه الصفات التي هي على فعيل لانها طباع وخصال وافعال الطباع والخصال كلها تجري هذا المجرى * وذكر العشر وهو شجر مر له حمل كالاترج وليس فيه منفعة وليس العشر تعالج به الجلود فلا يحمل في الادية وهي المدبغة كما تعالج بالعلقة وهي شجرة وفي العشر الحروع والحرمع وهوشه القطن ويجني من العشر المغافير واحدها مغور ومعافر واحدها معفر و[illegible] سكر العشر ولا يكون المغافير الا فيه وفي الرمث وفي [illegible] أكثرها [illegible] في المثل هذا الجني لا ان يكر [illegible] أبي حنيفة ذكر ابن هشام الابابيل وقال لم نسمع لها بواحد وقال غيره واحدها ابالة وابول وزاد ابن عمرو [illegible] وأشداس [illegible] * وصيرواد [illegible] كعصف ما كول * وقال ولهذا البيت تفسير في النحو وتفسيره ان الكاف تكون حرف جر وتكون اسما بمعنى مثل ومن ذلك انها حرف وفيها صلة للذي لا [illegible] تقول رأيت الذي كزيد ولو قلت الذي مثل زيد لم يحسن وذلك انها تكون اسما حول حرف الجر عليها كقوله * ورب اذكار المدامة [ينفض رأسه] * وتدخل الكاف عليها وأنشدوا * وصاليات ككما يؤثفين * واذا دخلت على مثل كقوله تعالى «ليس كمثله شيء» فهي اذا حرف اذ لا تنتظم ان يقال مثل مثله وكذلك هي حرف في بيت رؤبة مثل كعصف لكنها مقحمة لما كدا التشبيه كما أقحموا اللام من قوله يا بؤس للحرب ولا يجوز ان يقحم حرف من حروف الجر سوى اللام والكاف أما اللام فلانها تعطي معنى الاضافة فلم تزد اذا وكذلك الكاف تعطي معنى التشبيه فاقحمت لتأكيد معنى المماثلة غير ان دخولها على مثل [illegible] تجيء دخولها على مثل كما في القرآن أحسن من شيء لانها حرف [illegible] في الاسم والاسم لا يعدل فهما فلا [illegible] الا ان قحمها كما أقحمت اللام وأنشد شاهدا على التصيير قول علقمة وآخره [illegible] وهذا البيت أنشده أبو [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الساطع [illegible] على كل واحد من الحدر كما قال الآخر * ترى [illegible] بالشحم [illegible] أي ترى كل [illegible]

[illegible] فصل [illegible] وقال للقصة [illegible] المحيط به الحدور [illegible] ومشارة [illegible]

* فصيروا مثل كعصف مأكول * (قال ابن هشام) ولهذا البيت تفسير في النحو وإيلاف قريش إيلافهم الخروج إلى الشام في تجارتهم وكانت لهم خرجتان خرجة في الشتاء وخرجة في الصيف (أخبرنا) ابن هشام قال أخبرني أبو زيد الأنصاري أن العرب تقول ألفت الشيء إلفا وآلفته إيلافا في معنى واحد وأنشدني لذي الرمة

من المؤلفات الرمل أدماء حرة * شعاع الضحى في لونها يتوضح

وهذا البيت في قصيدة له وقال مطرود بن كعب الخزاعي

(٤٨) المنعمين إذا النجوم تغيرت * والظاعنين لرحلة الإيلاف

وهذا البيت في أبيات له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى والإيلاف أيضا أن يكون للإنسان ألف من الإبل أو البقر أو الغنم أو غير ذلك يقال آلف فلان إيلافا قال الكميت بن زيد أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد

بعام يقول له المؤلفو * ن هذا المعيم لنا المرجل

وهذا البيت في قصيدة له والإيلاف أيضا أن يصير القوم ألفا يقال آلف القوم إيلافا قال الكميت بن زيد

وآل مزيقياء غداة لاقوا * بني سعد بن ضبة مؤلفينا

وهذا البيت في قصيدة له والإيلاف أيضا أن تؤلف الشيء إلى الشيء فيألفه ويلزمه يقال آلفته إياه إيلافا والإيلاف أيضا أن تصير ما دون الألف ألفا يقال آلفته إيلافا قال الشاعر [illegible] عبد الله بن الزبعرى [illegible] بن سهم [illegible]

الأعصم أعيد بالتخفيف والتثقيل وذكر إيلاف قريش للرحلتين وقال هو مصدر ألفت الشيء وألفته بمعناه من الإلف للشيء وفيه تفسير آخر أليق بالمعنى لأن السورة قطعة من العذاب ولا بالمعنى ما [illegible] أن تألف الدعة والكينونة مع الأهل قال الهروي هي حبال أي عهود كانت بينهم وبين ملوك العجم فكان هاشم يؤالف إلى ملك الشام وكان المطلب يؤالف إلى كسرى والآخران يؤالفان أحدهما إلى ملك مصر والآخر إلى ملك الحبشة وهما عبد شمس ونوفل قال ومعنى يؤالف يعاهد ويصالح ونحو هذا فيكون الفعل منه أيضا آلف على وزن فاعل والمصدر إلافا بغير ياء مثل قاتل قتالا ويكون الفعل منه أيضا آلف على وزن أفعل مثل آمن ويكون المصدر إيلافا بالياء مثل إيمانا وقد قرئ لإلاف قريش بغير ياء ولو كان من ألفت الشيء على وزن أفعلت [illegible] لكن هذه القراءة صحيحة وقد قرأها ابن عامر ودل هذا على صحة ما قاله الهروي وقد حكاه عن [illegible] وظاهر كلام ابن إسحاق أن اللام من قوله تعالى لإيلاف قريش متعلقة بقوله سبحانه فجعلهم كعصف مأكول وقد قاله غيره وهو مذهب الخليل وسيبويه [illegible] فليعبدوا رب هذا البيت أي فليعبدوه من أجل [illegible] وقال قوم هي لام التعجب وهي متعلقة بمضمر كأنه قال أعجب لإيلاف قريش [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] سبحان الله [illegible] الله [illegible] الصالح [illegible]

تمام قول المؤلفين هذا المعيم لنا المرجل

المؤلف صاحب الإيلاف [illegible] بالمعيم [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] قال ابن إسحاق [illegible]

[illegible]

لم تخلق الشعرى ليالي حرمت * إذ لا عزيز من الأنام يرومها   سائل أمير الجيش عنها ما رأى * ولسوف ينبي الجاهلين عليمها

ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم * بل لم يعش بعد الإياب سقيمها   كانت بها عاد وجرهم قبلهم * والله من فوق العباد يقيمها

قال ابن إسحق يعني ابن الزبعرى بقوله بعد الإياب سقيمها أبرهة إذ حملوه معهم حين أصابه ما أصابه حتى مات بصنعاء. وقال أبو قيس ابن الأسلت الأنصاري ثم الخطمي واسمه صيفي (قال ابن هشام) أبو قيس صيفي بن الأسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الأوس

ومن صنعه يوم فيل الحبوش * (٤٩) إذ كل ما بعثوه رزم

محاجنهم تحت أقرابه * وقد شرموا أنفه فانخرم

وقد جعلوا سوطه مغولا * إذا يمموه قفاه كلم

فولى وأدبر أدراجه * وقد باء بالظلم من كان ثم

فأرسل من فوقهم حاصبا * فلفهم مثل لف القزم

تحض على الصبر أحبارهم * وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

(قال ابن هشام) وهذه الأبيات في قصيدة له والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبي الصلت. قال ابن إسحق وقال أبو قيس ابن الأسلت

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا * بأركان هذا البيت بين الأخاشب

فعندكم منه بلاء مصدق * غداة أبي يكسوم هادي الكتائب

كتيبته بالسهل تمشي ورجله * على القاذفات في رؤس المناقب

فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم * جنود المليك بين ساف وحاصب

فولوا سراعا هاربين ولم يؤب * إلى أهله ملحبش غير عصائب

(قال ابن هشام) أنشدني أبو زيد الأنصاري قوله على القاذفات في رؤس المناقب وهذه الأبيات في قصيدة لأبي قيس سأذكرها في موضعها إن شاء الله. وقوله غداة أبي يكسوم يعني أبرهة كان يكنى أبا يكسوم. قال ابن إسحق وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس * وجيش أبي يكسوم إذ ملؤوا الشعبا   فلولا دفاع الله لا شيء غيره * لأصبحتم لا تمنعون لكم سربا

(٧ ـ روض ١)

وهو من المرفل والمرفل من الكامل ألا ترى أن قبله

وشربت بردا ليتني * من بعد برد كنت هامه

فالمحذوف من الطويل إذا خرم حرف من وتد مجموع والمحذوف من الكامل إذا خرم حرف من سبب ثقيل بعد ... ولما كان الإضمار فيه كثيرا وهو إسكان التاء من متفاعلن ثم قال أبو علي لا يجوز فيه أخرم ... ن ذلك يؤول إلى الابتداء بساكن وهذا الكلام لمن تدبره نادر عجب لأن الكلمة التي يدخلها الخرم لم يكن قط فيها إضمار نحو كلوا عن بطن مكة والتي يدخلها الإضمار لا يتصور فيها الخرم نحو لا يبعدن قومي ونحو قوله * لم تخلق الشعرى ليالي حرمت * فعليه في هذا الشعر إذا لا يفيد شيئا وما أبعد العرب من الالتفات إلى هذه الأغراض التي يستعملها بعض النحاة وهي أوهى من نسج الخدرنق * وقوله * لم تخلق الشعرى ليالي حرمت * إن كان ابن الزبعرى قال هذا في الإسلام فهو منتزع من قول النبي صلى الله عليه وسلم إن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس ومن قوله في حديث آخر إن الله حرمها يوم خلق السموات والأرض والنجوم فقد حرمت قبل خلق الكواكب وإن كان ابن الزبعرى قاله في الجاهلية فإنما أخذه والله أعلم من الكتاب الذي وجدوه في الحجر بالخط المسند حين بنوا الكعبة وفيه أنا الله رب بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض الحديث * وقوله * ولم يعش بعد الإياب سقيمها * هكذا في النسخة المقيدة على أبي الوليد المقابلة بالأصلين اللذين كانا عنده وقابلها أبو بحر رحمه الله بهما بين وحسب بعضهم أنه كسر في البيت فزاد من قبل نفسه بل لم يعش فأفسد المعنى وإنما هو خرم في أول القسم من مجزوء البيت كما كان في الصدر من أول بيت منها * وقول قيس بن الأسلت مثل لف القزم القزم صغار الغنم ويقال رذال المال ورزم ثبت ولزم موضعه وأرزم من الرزيم وهو صوت ليس بالقوي وكذلك صوت الفيل ضئيل على عظم جثته ويفرق من الهر ويفر منه وقد احتيل على الفيلة في بعض الحروب مع الهند أحضرت لها الهررة فعزت وولت وكان سبب الهزيمة على الهند ذكره المسعودي ونسب هذه الحيلة إلى هرون بن موسى حين غزا بلاد الهند وأول من ذلل الفيلة فيما قال الطبري أفريدون بن أثفيان ومعنى أثفيان صاحب البقر وهو أول من نتج البغال واتخذ للخيل السروج والوكف وذكر أيضا أن أول من سخر الخيل وركبها طهمورث وهو الثالث من ملوك الأرض فيما زعموا وثؤاج الغنم صوتها ووقع في النسخة نحوا وعليه تكلم والصواب ثأجوا كثؤاج الغنم * وقول ابن الأسلت فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا سيأتي شرح هذه الأبيات في القصيدة حيث ذكرها ابن إسحاق كلها إن شاء الله * وذكر قول طالب بن أبي طالب * فأصبحتم لا تمنعون لكم سربا * ويروى سربا بالكسر والسرب بالفتح المال الراعي والسرب

(قال ابن هشام) هتذان البيتان في قصيدة له في يوم بدر سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى * قال ابن اسحق وقال أبو الصلت ابن أبي ربيعة الثقفي في شأن الفيل ويذكر الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام (قال ابن هشام) تروى لأمية بن أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي

ان آيات ربنا ثاقبات * لا يماري فيهن الا الكفور
خلق الليل والنهار فكل * مستبين حسابه مقدور
ثم يجلو النهار رب رحيم * بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور
لازما حلقة الجران كما قطـ * ـر من صخر كبكب محدور (٥٠)
حوله من ملوك كندة أبطا * ل ملاويث في الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعا * كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند الله * الا دين الحنيفة بور

(قال ابن هشام) وقال الفرزدق واسمه همام بن غالب أحد بني مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويهجو الحجاج بن يوسف ويذكر الفيل وحبشه

فلما طغى الحجاج حين طغى به * غنى قال اني مرتق في السلالم
فكان كما قال ابن نوح سأرتقي * الى جبل من خشية الماء عاصم
رمى الله في جثمانه مثل ما رمى * عن القبلة البيضاء ذات المحارم
جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم * هباء وكانوا مطرخمي الطراخم
نصرت كنصر البيت اذ ساق فيله * اليه عظيم المشركين الأعاجم

وهذه الأبيات في قصيدة له (قال ابن هشام) وقال عبد الله بن قيس الرقيات أحد بني عامر بن لؤي بن غالب يذكر أبرهة وهو الأشرم والفيل

كاده الأشرم الذي جاء بالفيـ * ـل فولى وجيشه مهزوم
واستهلت عليهم الطير بالجنـ * ـدل حتى كأنه مرجوم
ذاك من يغزه من الناس يرجع * وهو فل من الجيوش ذميم

سحوى ساطلاء اركا مليات ثنا اسما كسـ ابرهه ـه كا كم لماسلك ام او ... الى ا ٨ أسـ م ر ر

ما كسر المطبع من المعز والظباء ومن النساء أيضا قال الشاعر

فلم يرع مثل سرب رأيته * خرجن علينا من زقاق ابن واقف

وطالب بن أبي طالب كان أسن من عقيل بعشرة أعوام وكان عقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من علي رضي الله عنه بمثل ذلك وذكروا أن طالبا اختطفته الجن فذهب ولم يذكر أنه أسلم وذكر شعر أبي الصلت واسمه ربيعة بن وهب بن علاج وقوله حبس الفيل بالمغمس وقد تقدم الكلام على المغمس وأن كسر الميم الآخرة أشهر فيه وقوله بمهاة شعاعها منشور والمهاة الشمس سميت بذلك لصفائها والمهاة من الأجسام الصافي الذي يرى باطنه من ظاهره والمهاة البلورة والمهاة الظبية وقيل انما الشمس الغزالة اذا ارتفعت وهذا في معنى المهاة وقيل انها ... علي بن أبي طالب رضوان الله عليه عن وقت صلاة الضحى قال حين ترتفع الغزالة ذكره الهروي والخطابي ومن أسماء الشمس حناذ وبراح والسبح وذكاء وإلاهة والضح وبوح ويقال يوح بالياء وهو قول الفارسي والتاء ذكره ابن الانباري والشرق والسراج * وقوله حلقة الجران الجران العنق يريد أنه يحر بجرانه الى الأرض وقوله لازما حلقة الجران كأنما قطر من صخر كبكب وهو جبل محدور أي حدر حتى لزم الأرض * وقوله ابذعروا أي تفرقوا من ذعر وقوله كانهم حوتا من أسنان من الذعر * وقوله الا دين الحنيفة يريد بالحنيفة الأمة الحنيفة أي المسلمة التي على دين ابراهيم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انما حنف عن اليهودية والنصرانية أي عدل عنها ... ابراهيم ... وقول الفرزدق في شعر الفرزدق كما قال ابن نوح استعمل ... ولو كان ... مطرخمي الطراخم المطرخم المتكبر أو غضبا والطراخم جمع مطرخم على قياس ... فان المطرخم ... أحرف ... ما فيه من الزوائد ... الميم الأولى والميم في الآخرة لان ... في ... طراخيم ... وذكر ... الاحاط بالعين ... اطرخم ... وذكر ... عبد الله بن ... الرقيات واختلف في ... ابن الرقيات ... كان ... أنه ... فقال ... ابن قيس ... الرقيات ... الواحد ... ابن ... من ... ابن ... عامر ... والاعمى ...

أبرهة فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذي يزن الحميري وكان يكنى بأبي مرة حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا إليه ما هم فيه وسأله أن يخرجهم عنه ويليهم هو ويبعث إليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق فشكا إليه أمر الحبشة فقال له النعمان إن لي على كسرى وفادة في كل عام فأقم حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فأدخله على كسرى وكان كسرى يجلس في إيوان مجلسه الذي فيه تاجه وكان تاجه مثل القنقل العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة في مجلسه ذلك وكانت عنقه لا تحمل تاجه إنما يستر عليه بالثياب حتى يجلس في مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه في تاجه فإذا استوى في مجلسه كشفت عنه الثياب فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له فلما دخل عليه سيف ابن ذي يزن برك (قال ابن هشام) حدثني أبو عبيدة أن سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك إن هذا الأحمق يدخل علي من هذا الباب الطويل ثم يطأطئ رأسه فقيل ذلك

لسيف فقال إنما فعلت هذا لهمي لأنه يضيق عني كل شيء * قال ابن إسحق ثم قال له أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة فقال له كسرى أي الأغربة الحبشة أم السند فقال بل الحبشة فجئتك لتنصرني ويكون ملك بلادي لك قال بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لأورط جيشا من فارس بأرض العرب لا حاجة لي بذلك ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر ذلك الورق للناس فبلغ ذلك الملك فقال إن لهذا لشأنا ثم بعث إليه فقال عمدت إلى حباء الملك تنثره للناس فقال وما أصنع بهذا ما جبال أرضي التي جئت منها إلا ذهب وفضة يرغبه فيها فجمع كسرى مرازبته فقال لهم ماذا ترون في أمر هذا الرجل وما جاء له فقال قائل أيها الملك إن في سجونك رجالا قد حبستهم للقتل فلو أنك بعثتهم معه فإن يهلكوا كان ذلك الذي أردت بهم وإن ظفروا كان ملكا ازددته فبعث معه كسرى من كان في سجونه وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم رجلا يقال له وهرز وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حسبا وبيتا فخرجوا في ثمان سفائن فغرقت سفينتان ووصل إلى ساحل عدن ست سفائن فجمع سيف إلى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا أو نظفر جميعا قال له وهرز أنصفت وخرج إليه مسروق بن أبرهة ملك اليمن وجمع إليه جنده فأرسل إليهم وهرز ابنا له ليقاتلهم فيختبر قتالهم فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهرز أروني ملكهم فقالوا له أترى رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء قال نعم قالوا ذاك ملكهم فقال اتركوه [illegible]

بالمرجوم وهو مرجوم بالحجارة وهل يجوز أن يقال فيه مقول كأنه مقول فيقول لما ذكر استهلال الطير وحملها كالسحاب تستهل بالمطر والطير ليس ترجم وإنما الرجم بالأكف ونحوها فشبهه بالمرجوم الذي رجمه الآدميون أو من يعقل ويعمد الرجم من عدو ونحوه فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوما على الحقيقة ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك وإنما أمطروا حجارة قيل ثم قال كأنه مرجوم * ذكر سيف بن ذي يزن وخبره مع النعمان وكسرى وقد ذكرنا قصته في أول حديث الحبشة وأنه مات عند كسرى وقام ابنه مقامه في الطلب وهو سيف بن ذي يزن بن ذي أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج وهو حمير بن سبا وكسرى هذا هو أنوشروان بن قباذ ومعناه مجدد الملك لأنه جمع ملك فارس بعد شتات والنعمان اسمه منقول من النعمان الذي هو الدم قاله صاحب العين والقنقل الذي شبه به التاج هو مكيال عظيم قال الراجز يصف الكمأة

مالك لا تجرفها بالقنقل * لا تحزر في الكماة إن لم تفعل

وفي الغريبين للهروي القنقل مكيال [illegible] وهذا التاج قد أتي به عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استلب من يزدجرد بن شهريار [illegible] جده أنوشروان المذكور فلما أتي به عمر رضي الله عنه دعا سراقة بن مالك المدلجي فحلاه بأسورة كسرى وجعل التاج على رأسه وقال له قل الحمد لله الذي نزع تاج كسرى ملك الأملاك من رأسه ووضعه في رأس أعرابي من بني مدلج وذلك بعز الإسلام وبركته لا بقوتنا وإنما خص عمر سراقة بهذا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قال له يا سراقة كيف بك إذا وضع تاج كسرى على رأسك وأسواره في يديك أو كما قال صلى الله عليه وسلم وذكر قدوم سيف مع وهرز على صنعاء في سفائنه وعدد من [illegible] وأنهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة وانضافت إليهم قبائل من العرب وذكر دخول [illegible] وإنما كانت [illegible] قبل ذلك أوائل

قال على ماهو قالوا قد تحول على البغلة قال وهو ربت الحمار دل ودل ملكه اني سا رميه فان رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى اوذنكم فاني قد أخطأت الرجل وان رأيتم القوم قد استداروا ولاذوا به فقد أصبت الرجل فاحملوا عليهم ثم وتر قوسه وكانت فيما يزعمون لا يوترها غيره من شدتها وأمر بحاجبيه فعصباله ثم رماه فصك الياقوتة التي بين عينيه فتغلغلت النشابة في رأسه حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته واستدارت الحبشة ولاثت به وحملت عليهم الفرس وانهزموا فقتلوا وهربوا في كل وجه وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى اذا أتى بابها قال لا تدخل رايتي (٥٢) منكسة أبدا اهدموا الباب فهدم ثم دخلها ناصبا رايته فقال سيف بن ذي يزن الحميري

يظن الناس بالملكين انهما قد التأما
ومن يسمع بلأمهما فان الخطب قد فقما
قتلنا القيل مسروقا وروينا الكثيب دما
وان القيل قيل النا س وهرز مقسم قسما
يذوق مشعشعا حتى يفيء السبي والنعما

(قال ابن هشام) وهذه الابيات في أبيات له وأنشدني خلاد بن قرة السدوسي آخرها بيتا لاعشى بني قيس بن ثعلبة في قصيدة له وغيره من اهل العلم بالشعر ينكرها له * قال ابن اسحق وقال أبو الصلت بن أبي ربيعة الثقفي (قال ابن هشام) وتروى لامية ابن أبي الصلت

لبطلب الوتر أمثال ابن ذي يزن ريم في البحر للأعداء أحوالا * يمم قيصر لما حان رحلته * فلم يجد عنده بعض الذي سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة * من السنين يهين النفس والمالا * حتى أتى ببني الاحرار يحملهم * انك عمري لقد اسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا * ما ان أرى لهم في الناس أمثالا * غلبا مرازبة بيضا أساورة * أسدا تربب في الغيضات أشبالا
يرمون عن شدف كأنها غبط * بزمخر يعجل المرمى اعجالا * أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد * أضحى شريدهم في الارض فلالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا *

[بفتح الهمزة وكسرها] قال ابن الكلبي وسميت صنعاء لقول وهرز حين دخلها صنعة صنعة يريد أن الحبشة أحكمت صنعها قال ابن مقبل يذكر أوال

عمد الحداة بها لعارض قريه * وكأنها سفن بسيف أوال

وقال جرير

وشبهت الحدوج غداة قو * سفين الهند روح من أوالا

وقال الاخطل

خوص كأن شكيمهن معلق * بقنا ردينة أو جذوع أوال

وقد قيل ان صنعاء اسم الذي بناها وهو صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ وكانت تعرف تارة بأوال وتارة بصنعاء * وقوله في شعر أمية ابن أبي الصلت ريم في البحر أي أقام فيه ومنه الروايم وهي الاثافي كذلك وجدته في حاشية الشيخ التي عارضها بكتاب أبي الوليد الوقشي وهو عندي غلط لان الروايم من رأمت اذا عطفت وريم ليس من رأم وانما هو من الريم وهو الدرج أو من الريم الذي هو الزيادة والفضل أو من رام يريم اذا برح كانه يريد غاب زمانا وأحوالا ثم رجع للاعداء وارمى في درجات المجد أحوالا ان كان من الريم الذي هو الدرج ووجدته في غير هذا الكتاب حتى مكان ريم يدامه يا فاقام * وقوله عمري أراد لعمري وقد قال الطائي

عمري لقد نصح الزمان وانه * لمن العجائب ناصح لا يشفق

وقوله اسرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها وكقول الآخر * وقلقل يبغي العز كل مقلقل * وفي شدة الحركة وقوله يرمون عن شدف كانها يعني الشدف الشخص ويجمع على شدوف ولم يذكرها الا القتبي وليس شدوف جمع الشدف وانما هو جمع شدوف وهو النشيط المرح قال شدف يشدف فهو شدف ثم يقول شدوف كما يقول مروح وقد يستعار المرح والنشاط للقسي لحسن تأتيها وجودة ربتها واصابتها وانما احتجنا الى هذا التأويل لان فعلا لا يجمع على فعل الا في وزن (فان قلت) فيجمع على فعول بل انه وقد يقول شادف ثم يجمع الجمع فيقول شدف (قلنا) الجمع الكثير لا يجمع وانما يجمع ما اشبه الفاعل نحو افعال وافعل وافعلة وانما قال في هذا البيت انه جمع على غير قياس هذا ان كان الشدف القسي ويجوز ان يكون جمع شدف على شدف مثل اسد وأسد ثم حرك الدال ويجوز ان يكون أراد المرح من الخيل كما تقدم وجعلها كالغبط لاشراف ظهورها وعلوها * وقوله يرمون عن شدف أي يدفعون سهامها الرمي، ويكون الزمخر القسي أولا

والسط الهوادج والزمخر القصب الفارسي * وقوله في رأس غمدان ذكر ابن هشام ان غمدان أسسه يعرب بن قحطان وأكمله بعده واحتله وائل بن حمير بن سبأ وكان ملكاً متوجاً كأبيه وجده * وقوله شالت نعامتهم أي هلكوا والنعامة باطن القدم وشالت ارتفعت ومن هلك ارتفعت رجلاه وانتكس رأسه فظهرت نعامة قدمه تقول العرب نعمت اذا مشيت حافياً قال الشاعر

نعمت لماجاءني سوء فعلهم * الا انما البأساء للمتنعم

والنعامه أيضاً الظلمة والنعامة الدعامة التي تكون عليها البكرة والنعامة الجماعة من الناس وابن النعامة عرق في باطن القدم * وذكر النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد الله وقيل ان اسمه حبان بن قيس بن عبد الله بن وحوح والوحوح في اللغة وسط الوادي قاله أبو عبيد وأبو حنيفة وهو أحد النوابغ وهم ثمانية ذكرهم البكري وذكر الاعاشي وهم خمسة عشر والنابغة شاعر معمر عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها في الجاهلية وقدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشاده اياه ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم ألا يفضض الله فاه مشهور وفي كتب الادب والخبر مسطور فلا معنى للاطالة به * وذكر شعر عدي بن زيد العبادي نسب الى العباد وهم من عبد الله بن ابن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة وقيل انهم اسلوا من أربعة عبد المسيح وعبد كلال وعبد الله وعبد ياليل وكذلك سائرهم في اسم كل واحد منهم عبد وكانوا وفدوا على ملك فسموا له فقال أنتم العباد فسموا بذلك وقد قيل غير هذا وفي الحديث المسند أبعد الناس عن الاسلام الروم والعباد وأحسبهم هؤلاء لانهم تنصروا وهم من ربيعة ثم من بني عبد القيس والله أعلم والذي ذكره الطبري في نسب عدي بن زيد انه ابن زيد ابن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم وقد دخل بنو امرئ القيس بن زيد مناة في العباد ولذلك نسب عدي اليهم * وقوله صوت الهام يريد ذكر البوم وقاصبها الذي يزمر في القصب * وقوله فهادون غزى الكائد يريد غزى السماء وأسبابها * ووقع في نسخة الشيخ غزى بفتح الغين وهي الناحية وأضافها الى الكائد وهو الذي كادهم والبارى سبحانه وتعالى كيده متين * وقوله فوّرت بالبغال أي ركبت المفاوز * وقوله توسق بالحتف أي وسق البغال الحتوف وتوالبها جمع تولب وهو ولد الحمار والتاء في تولب بدل من واو كما هي في تئم وتولج وفي توراة على أحد القولين لان اشتقاق التولب من الوالبة وهي ما تولده الزرع وجمعها أوالب * وقوله من طرف المقتل أي من أعالي حصونها والمقتال الحرج ينقل الى الملوك من قرية الى قرية وكان النقل من هذا والله اعلم * وقوله مخضرة كتائبها يعني من الحديد ومنه الكتيبة الخضراء * وقوله سادون آل بربر لان البربر والحبشة من ولد حام وقد قيل انهم من ولد جالوت من العمالقة وقد قيل في جالوت انه من الخزر وان افريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بربرة وهي اختلاط الاصوات فقال ما أكثر بربرتهم فسموا بذلك وقيل غير هذا * وقوله والعرب أراد العرب بضم الراء جمع عراب [والاعرب هي الرواية و) يكمل الوزن] وان كان المعروف أغربة وغربان ولكن القياس لا يدفعه وعني بهم السودان * وقوله وبدل الفيج بالزرافة وهو المنفرد في مشيه والزرافة الجماعة وقيل في الزرافة التي هي حيوان طويل العنق انه اختلط فيها النسل بين الابل الوحشية والبقر الوحشية والنعام وانها متولدة من هذه الاجناس الثلاثة وكذلك ذكر الرشدي وغيره وأنكر الجاحظ هذا في كتاب الحيوان له وقال انما دخل هذا الغلط عليهم من تسمية الفرس لها اشتركا وماه

في رأس غمدان داراً منك محلالا * واشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم * واسبل اليوم في برديك اسبالا

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا (قال ابن هشام) هذا ما صح له مما روى ابن اسحق منها الا آخرها بيتاً

تلك المكارم لا قعبان من لبن

فانه للنابغة الجعدي واسمه عبد الله بن قيس أحد بني جعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن في قصيدة له * قال ابن اسحق وقال عدي بن زيد الحيري وكان أحد بني تميم (قال ابن هشام) ثم أحد بني امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ويقال عدي من العباد من أهل الحيرة

ماذا بعد صنعاء كان يعمرها ولاة ملك جزل مواهبها

رفعها من بني لدى قزع المزن وتندى مسكا محاربها

محفوفة بالجبال دون عرى الـ كائد ما ترتقى غواربها

يأنس فيها صوت النهام اذا جاوبها بالعشي قاصبها

ساقت اليه الاسباب جند بني الاحـ رار فرسانها مواكبها

وفوّزت بالبغال توسق بالـ حتف وتسعى بها توالبها حتى رآها الاقوال من طرف الـ منقل مخضرة كتائبها يوم ينادون آل بربر واليكسوم لا يفلحن هاربها

وكان يوماً باقي الحديث وزا لت أمة ثابت مراتبها وبدل الفيج بالزرافة والايـ ـام جون جم عجائبها

بعدي تسع مجاورة * فقد اطمأنت بها من أرابها (قال ابن هشام) وهذه الأبيات في قصيدة له وأنشدني أبو زيد ورواه لي عن المفضل الضبي قوله يوم ينادون آل بربر واليكسوم وهذا الذي عنى سطيح بقوله ليهبطنكم ارم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن والذي عنى شق بقوله غلام ليس بدني ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذي يزن * قال ابن اسحق فأقام وهرز والفرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الأبناء الذين باليمن اليوم وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرياط إلى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة اثنتين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة أرياط ثم أبرهة ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن أبرهة {ذكر ما انتهى إليه أمر الفرس باليمن}

(قال ابن هشام) ثم مات وهرز فأمر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فأمر كسرى ابنه التيجان بن (٥٤) المرزبان على اليمن ثم مات التيجان فأمر كسرى ابن التيجان على اليمن ثم عزله وأمر باذان فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فبلغني عن الزهري أنه قال كتب كسرى إلى باذان انه بلغني أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم أنه نبي فسر إليه فاستتبه فإن تاب وإلا فابعث إلي برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد وعدني أن يقتل كسرى في يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال إن كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى في اليوم الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) قتل على يدي ابنه شيرويه (وقال) خالد بن حق الشيباني

وكسرى إذ تقسمه بنوه * بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

(قال الزهري) فلما بلغ ذلك باذان بعث بإسلامه وإسلام من معه من الفرس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الرسل من الفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من نحن يا رسول الله قال أنتم منا وإلينا أهل البيت (قال ابن هشام) فبلغني عن الزهري أنه قال فمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت (قال ابن هشام) فهو الذي عنى سطيح بقوله نبي زكي يأتيه الوحي من قبل العلي والذي عنى شق بقوله بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل

والفرس أعجما سمته بذلك لأن في خلقتها شبها من جمل ونعامة وبقرة فاشتقوا لها من الحمل [illegible] وكانوا عامة وماء المرء والفرس يركب الأسماء ويخرج الألفاظ إذا كان في المسمى شبه من شيئين أو أشياء وقال زرافة بفتح الفاء حكاه أبو عبيد عن الفراء * وقوله بعدي تسع تجاوره * هكذا في نسخة سفيان بن أبي العاص الأسدي مصححا عليه وقد كتب في الحاشية تجاوره في الأمن وفي الحاشية الحاوره الكرام وكذلك في المجموعة على ابن هشام من نسخة أبي الوليد الوقشي الأمن قال بها من بني وعني بالحاشية حاشية دار الأمن وإن فيهما تجاوره الأمن والحاشية موطأة بها الكرام [illegible] قصة باذان وما كتب به إلى كسرى وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ومعنى أبرويز بالعربية المظفر وهو الذي غلب الروم حين أنزل الله «ألم غلبت الروم في أدنى الأرض» وهو الذي عرض [illegible] في المنام وقيل له سلم ما في يدك إلى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب إليه النعمان بن المنذر بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم أن الأمر سيصير إليه حتى كان من أمره ما كان وهو الذي كتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم وحفيده يزدجرد بن شهريار بن أبرويز وهو آخر ملوك الفرس وكان سلب ملكه وهدم سلطانه على يدي عمر بن الخطاب ثم قتل في أول خلافة عثمان وجد مقتولا في رحى [illegible] وطرح في ماء الرحى وذلك بمرو من أرض فارس وقد ذكر خبر باذان ومقتل كسرى وكان مقتل كسرى في ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الأولى سنة سبع من الهجرة وإسلام باذان باليمن [illegible] وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الأبناء يدعوهم إلى الإسلام [illegible] وطاوس وداود [illegible] الأسود العنسي الكذاب وقد قيل في طاوس إنه ليس من الأبناء وإنما هو [illegible] من فارس واسمه ذكوان بن كيسان وهو مولى بحير بن ريسان وقيل مولى همدان وكان يقال لطاوس [illegible] وقول خالد بن حق

تمخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

المنون اسم من أسماء الدهر وهو من منّ الحبل إذا قطعه [illegible] فاعل [illegible] [illegible] أي [illegible]

وقد قلبوه فقالوا آن شئ والدليل على أن آن شئ مقلوب من أنى انى قولهم آناء الليل وواحدها أنى وإنى وإنى فالنون مقدمة على الياء فى كل هذا وفى كل ما تصرف منه نحو الاناء والآنى الذى بلغ اناه أى منتهى وقته فى السخين وهذا المعنى كقولهم فى المثل الدهر حبلى لا يدرى ما تضع ان كان أراد بالمؤن فى البيت الدهر وان كان أراد بالمؤن المنية فبعيد ان يقال تمخضت المنون لهذا اليوم الذى مات فيه فان موته منه فكيف تتمخض المنية بالمنية الا أن يريد أسبابها وما تمنى له أى قدر من وقتها فيصح الاستعارة حينئذ ويستقيم التشبيه *وقول ابن اسحق* وكسرى ابن هرمز ابنه *وانما كان قتله على يدى ابنه شيرويه لم يذكر فيه لابن هشام السير شيئا ويقال ان ابنه فرخان رأى فى النوم انه قاعد على سرير الملك فى موضع أبيه فبلغ أباه ذلك وكتب الى ابنه شهريار وكان واليا له على بعض البلاد أن اقتل أخاك فرخان فأخفى شهريار الكتاب من أخيه فكتب اليه مرة أخرى فأبى من ذلك فعزله وولى فرخان وأمره بقتل شهريار فعزم على ذلك فأراه شهريار الكتاب الذى كتب له أبوه فيه فتواطئا بذلك على القيام على أبيهما وأرسلا الى ملك الروم يستعينان به فى حرب أبيهما وكان هذا بدء الشر ثم ان الفرس خلعت كسرى لأحداث أحدثها وولت ابنه شيرويه فكان كسرى ابرويز ربما أشار برأى من حبسه فقالت المرازبة لشيرويه لا يستقيم لك الملك الا ان تقتل أباك فأرسل اليه من يقتله فقال انه كان يضرب بالسيف فلا يعمل فيه شيئا ففتش فوجد على عضده حجر معلق كالخرزة فنزع فعملت فيه السلاح وكان قتل بقول لابنه يا قصير العمر فلم يدم أمره بعده الا أقل من ستة أشهر فيما ذكروا والله أعلم *وقوله وجد بحجر باليمن ان ملك ذمار رحكى ابن هشام عن يونس ذ ار بفتح الذال فدل على أن رواية ابن اسحق بالكسر فاذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف لانه اسم لمدينة والغالب عليه التأنيث ويجوز صرفه أيضا لانه اسم بلد واذا فتحت الذال فهو مبنى مثل رقاش وحذام و تميم يعربون مثل هذا الباب فيقولون رقاش فى الرفع ورقاش وحذام فى النصب والخفض يعربونه ولا يصرفونه فاذا كان آخر الفعل راء فموافق أهل الحجاز على البناء بالكسر وذمار من ذمر الرجل اذا حرضه على الحرب *وقوله لحمير الاخيار لانهم كانوا أهل دين كما تقدم فى حديث فيمون وابن الثامر *وقوله لفارس الاحرار فلان الملك فيهم وارث من أول الدنيا من عهد جيومرت فى زعمهم الى أن جاء الاسلام لم يدينوا لملك من غيرهم ولا أدوا الاتاوة لذى سلطان من سواهم فكانوا أحرارا لذلك وأما قوله للحبشة الاشرار فلما أحدثوا فى اليمن من العيث والفساد واخراب البلاد حتى هموا بهدم بيت الله الحرام وسيهدمونه فى آخر الزمان اذا رفع القرآن وذهب من الصدور الايمان وهذا الكلام المسجوع ذكره المسعودى منظوما

حين شيدت ذمار قيل لمن أنت فقالت لحمير الاخيار

ثم سئلت من بعد ذاك فقالت انا للحبش أخبث الاشرار

ثم قالوا من بعد ذاك لمن أنت فقالت لفارس الاحرار

ثم قالوا من بعد ذاك لمن أنت فقالت الى قريش التجار

وهذا الكلام الذى ذكره وجدوه مكتوبا بالحجر ونحو من كلام ردعا ..... ويقال ان ..... حين كشفت الريح ..... الرمل ..... وذلك ..... ركاد حطه ..... وقال ان الذى فى ذمار سوى .... الاملوك والاملاك ..... ذمار ..... ذكره ..... الاعشى

*قال ابن اسحق وكان فى حجر باليمن فيما يزعمون كتاب بالزبور كتب فى الزمان الاول لمن ملك ذمار لحمير الاخيار لمن ملك ذمار للحبشة الاشرار لمن ملك ذمار لفارس الاحرار لمن ملك ذمار لقريش التجار وذمار اليمن او صنعاء (قال ابن هشام) ذمار بالفتح فيما أخبرني يونس * قال ابن اسحق وقال الاعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة فى وقوع ما قال سطيح وصاحبه

ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب «قال ابن هشام» وهذا البيت في قصيدة للأعشى واسم الأعشى ميمون بن قيس

﴿قصة ملك الحضر﴾ «قال ابن هشام» وحدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي عن جناد أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب أنه يقال إن النعمان بن المنذر من ولد ساطرون ملك الحضر والحضر حصن عظيم كالمدينة كان على شاطئ الفرات وهو الذي ذكر عدي بن زيد في قوله

وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجـ ... ـلة تجبى إليه والخابور

شاده مرمرا وجلله كلـ ... ـسا فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون فباد الـ ... ـملك عنه فبابه مهجور

(قال ابن هشام) وهذه الأبيات في قصيدة له والذي ذكره أبو داود الإيادي في قوله

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ ... ـر على رب أهله الساطرون

وهذا البيت في قصيدة له ويقال إنها لخلف الأحمر ويقال إنها لحماد الراوية وكان كسرى سابور ذو الأكتاف غزا ساطرون ملك الحضر فحصره سنتين فأشرفت بنت ساطرون يوما فنظرت إلى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا فدست إليه أتتزوجني إن فتحت لك باب الحضر   إسحق

فقال نعم فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت إلا سكران فأخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخربه وسار بها معه فتزوجها فبينا هي نائمة على فراشها ليلا إذ جعلت تتململ لا تنام فدعا لها بشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس فقال لها سابور أهذا الذي أسهرك قالت نعم قال فما كان أبوك يصنع بك قالت كان يفرش لي الديباج ويلبسني الحرير

---

* ما نظرت ذات أشفار كنظرتها * البيت يريد زرقاء اليمامة وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام وقد تقدم طرف من ذكرها في خبر جديس وطسم وقبل البيت

قالت أرى رجلا في كفه كتف ... أو يخصف النعل لهفي أية صنعا

فكذبوها بما قالت فصبحهم ... ذو آل حسان يزجي الموت والسلعا

وكان جيش حسان هذا قد أمروا أن يحملوا عليها أن يمسك كل واحد منهم نعلا كأنه يخصفها وكتفا كأنه يأكلها وأن يحملوا على أكتافهم أغصان الشجر فلما أبصرتهم قالت لقومها قد جاءتكم الشجر أو قد غزتكم حمير فقالوا قد كبرت وخرفت فكذبوها فاستبيحت بيضتهم وهو الذي ذكر الأعشى

﴿خبر الحضر والساطرون﴾

ذكر فيه قول من قال إن النعمان من ولد الساطرون وهو صاحب الحضر (قال المؤلف) فنذكر شرح قصة الحضر وصاحبه وما قيل في ذلك ملخصا بعون الله الساطرون بالسريانية هو الملك واسم الساطرون الضيزن ابن معاوية قال الطبري هو جرمقاني وقال ابن الكلبي هو قضاعي من العرب الذين تنوخوا بالسواد فسموا تنوخ أي أقاموا بها وهم قبائل شتى ونسبه ابن الكلبي فقال هو ابن معاوية بن عبيد وجدته بخط أبي بحر عبيد بن العبس بن أجرم من بني سليح بن حلوان بن الحاف بن قضاعة وأمه جيهلة وبها كان يعرف وهي أيضا قضاعية من بني تزيد الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية وذكر قول أبي دواد

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ ... ـر على رب أهله الساطرون

واسم أبي دواد جارية بن حجاج وقيل حنظلة بن شرقي وبعد هذا البيت

صرعته الأيام من بعد ملك ... ونعيم وجوهر مكنون

وكان الضيزن من ملوك الطوائف وكان يقدمهم إذا اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم وكان الحضر بين دجلة والفرات وكان قد ملك أطراف الشام وكان سابور قد غاب عن العراق إلى خراسان فأغار الضيزن على بلاده في جمع من العرب فلما قفل سابور وأخبر بما صنع الضيزن نهد إليه وأقام عليه أربع سنين وذكر الأعشى في شعره حولين لا يقدر على فتح الحصن وكان للضيزن بنت اسمها النضيرة وفيها قيل

أقفر الحضر من نضيرة فالمر ... باع منها فجانب الثرثار

وكانت سنتهم في الجارية إذا عركت أي حاضت أخرجوها إلى ربض المدينة فعركت النضيرة فأخرجت إلى ربض الحضر فأشرفت ذات يوم فأبصرت سابور وكان من أجمل الناس فهويته فأرسلت إليه أن يتزوجها وتفتح له الحضر واشترطت عليه والتزم لها ما أرادت ثم اختلف في السبب الذي دلته عليه فقال ابن

اسحق ما في الكتاب وقال المسعودي دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء الى الحضر فقطع لهم الماء ودخلوا منه * وقال الطبري دلته على طلسم كان في الحضر وكان في علمهم انه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل الحمامة فتنزل على سور الحضر فيقع الطلسم فيفتح الحضر ففعل سابور ذلك فاستباح الحضر وأباد قبائل من قضاعة كانوا فيه منهم بنو عبيد رهط الضيزن لم يبق منهم عقب وخرب حرائب الضيزن واكتسح أموالهم ثم قتل نضيرة وذكر الطبري في قتله اياها حين تململت على الفراش الوثير ولين الخز برأته فقال لها ما كان يصنع بك أبوك فقالت كان يطعمني المخ والزبد وشهد أبكار النحل وصفو الخمر وذكر أنه كان يرى مخ ساقها من صفاء بشرتها وأن ورقة الآس أدمتها في عكنة من عكنها وأن المرافق التي باتت عليها كانت من حرير محشوة بالقز وقال المسعودي كان حشوه زغب الطير ثم [illegible] في [illegible] ورد لها [illegible] أن ابن اسحق قال كان المستبيح للحضر سابور ذو الأكتاف وخالفه غيره [illegible] لأن سابور بن أردشير بن بابك [illegible] أردشير هو أول من جمع ملك فارس وأذل ملوك الطوائف حتى دان الملك له والضيزن كان من ملوك الطوائف فمحال أن يكون [illegible] سابور ذي الأكتاف وهو سابور بن هرمز وذو الأكتاف لأنه كان بعد سابور الأكبر بدهر طويل وبينهم ملوك مسمون في كتب التاريخ وهم هرمز بن سابور وبهرام بن هرمز وبهرام بن بهرام وبهرام الثالث ونرسي بن بهرام وبعده كان ابنه سابور ذو الأكتاف والله أعلم * وقول الأعشى شاهبور الجنود بخفض الدال يدل على أنه ليس بشاهبور ذي الأكتاف وأما أبيات عدي بن زيد

وأخو الحضر اذ بناه واذ * دجلة تجبى اليه والخابور

فالشعر جيد * حدثنا [illegible] الحافظ أبو بكر عن ابن أيوب عن البرقي عن أبي الحسن علي بن عمر قال حدثنا أبو بكر الأزرق يوسف بن يعقوب بن اسحق بن البهلول قال حدثني جدي قال حدثني أبي عن اسحق بن [illegible] عن [illegible] بن لؤي عن [illegible] خالد بن صفوان بن الأهتم قال أوفدني يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك [illegible] فدخلت عليه وقد خرج متبديا بقرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه فنزل في أرض قاع صحصح أفيح في عام بكر وسميه وتتابع وليه وأخذت الأرض [illegible] أحسن منظرا وأحسن مستمطرا وأحسن [illegible] فكان [illegible] قطع [illegible] وقد ضرب له سرادق من حبرة كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة من خز أحمر مثلها عمامتها قال وقد أخذ الناس مجالسهم فأخرجت رأسي من ناحية الطاق فنظر الي شبه المستنطق فقلت أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه وسوغكها بشكره وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشدا وعاقبة ما تؤول اليه حمدا أخلصه لك بالتقى وكثره لك بالنماء ولا كدر عليك منه ما صفا ولا خالط سروره الردى فقد أصبحت للمسلمين ثقة ومستراحا اليك يقصدون في أمورهم واليك يفزعون في مظالمهم وما أجد يا أمير المؤمنين شيئا جعلني الله فداءك هو أبلغ في قضاء حقك وتوقير مجلسك [illegible] على من مجالستك والنظر الى وجهك من أن أذكرك نعم الله عليك [illegible] يا أمير المؤمنين [illegible] هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك [illegible] قال هات يا ابن الأهتم [illegible] ان ملكا من الملوك [illegible] خرج [illegible] الى الخورنق والسدير في عام قد بكر وسميه وتتابع وليه وأخذت الأرض [illegible] على أحسن منظر

ويطعمني المخ ويسقيني الخمر فقال وكان جزاء أبيك ما صنعت به أنت الى ذلك أسرع ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها ففيه يقول أعشى بن قيس ابن ثعلبة

ألم تر للحضر اذ أهله
بنعمى وهل خالد من نعم

وأحسن مسمطر وأحسن محتبر نصعيد كان برانه قطع الكافور حتى لوان قطعة ألقيت فيهم لم سرب قال وقد كان أعطى فناء السن مع الكثرة والعلة والقهر قال فنظرنا بعد النظر فقال لجلسائه لمن هذا هل رأيتم مثل ما أنا فيه هل أعطى احد مثل ما أعطيت قال وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضي على أدب الحق ومنهاجه قال ولن تخلو الارض من قائم لله بحجته في عباده فقال أيها الملك انك قد سألت عن أمر أفتأذن في الجواب عنه قال نعم قال أرأيت ما انت فيه أشيء لم يزل فيه ام شيء صار اليك ميراثا من غيرك وهو زائل عنك وصائر الى غيرك كما صار اليك ميراثا من لدن غيرك قال فكذلك هو قال فلا أراك أعجبت بشيء يسير يكون فيه قليلا وتغيب عنه طويلا وتكون عدا بحسابه مرتهنا قال ويحك فأين المهرب وأين المطلب قال اما ان تقيم في ملكك تعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرك ومضك وأرمضك واما ان تضع تاجك وتضع أطمارك وتلبس أمساحك وتعبد ربك في هذا الجبل حتى يأتيك أجلك قال فاذا كان في السحر فاني قارع عليك بابي فاني مختار أحد الرأيين فان اخترت ما أنا فيه كنت وزيرا لا تعصى وان اخترت خلوات الارض وقفر البلاد كنت رفيقا لا تخالف قال فقرع عليه بابه عند السحر فاذا هو قد وضع تاجه ولبس أمساحه وتهيأ للسياحة قال فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما وهو حيث يقول أخو بني تميم عدي بن زيد العبادي

أيها الشامت المعير بالدهر ٭ أأنت المبرأ الموفور

أم لديك العهد الوثيق من الايا ٭ م بل أنت جاهل مغرور

من رأيت المنون خلدن ام ٭ من ذا عليه من أن يضام خفير

أين كسرى كسرى الملوك أبو ٭ شروان أم أين قبله سابور

وبنو الاصفر الكرام ملوك الروم ٭ لم يبق منهم مذكور

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجلة ٭ تجبى اليه والخابور

شاده مرمرا وجلله كلسا ٭ فللطير في ذراه وكور

لم يهبه ريب المنون فباد الملك ٭ عنه فبابه مهجور

وتذكر رب الخورنق اذ ٭ أشرف يوما وللهدى تفكير

سره ماله وكثرة ما يملك ٭ والبحر معرضا والسدير

فارعوى قلبه وقال وما ٭ غبطة حي الى الممات يصير

ثم أضحوا كأنهم ورق جف ٭ فألوت به الصبا والدبور

ثم بعد الفلاح والملك والامة ٭ وارتهم هناك القبور

قال فبكى هشام حتى اخضل لحيته وبل عمامته وأمر بنزع أبنيته وبنقلان قراباته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ولزم قصره فقال فاقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان بن الاهتم فقالوا أردت الى أمير المؤمنين أفسدت عليه لذته ونغصت عليه باديته قال اليكم عني فاني عاهدت الله عهدا أن لا أخلو بملك الا ذكرته الله عز وجل والذي ذكره عدي بن زيد في هذا الشعر والنعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن المنذر وأول هذا الشعر

أرواح مودع أم بكور ٭ فانظر لاي ذلك تصير

فاما عدي وهو في سجن النعمان بن المنذر وهو عدي بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم وقال عمرو بن أبي الخنساء

ألم يحزنك والأنباء تنمي * بما لاقت سراة بني العبيد
ومصرع ضيزن وبني أبيه * وأحلاس الكتائب من تزيد
أتاهم بالفيول مجللات * وبالأبطال سابور الجنود
فهدم من أواسي الحصن صخرا * كأن ثفاله زبر الحديد

وقال الأعشى

أقام به شاهبور الجنو * د حولين تضرب فيه القدم

وقد قدمنا أن شاهبور معناه ابن الملك وأن بور هو الابن بلسانهم وفي هذا البيت دليل على ما قلناه من أن سابور مغير من شاهبور والقدم جمع قدوم وهو الفأس ونحوه والقدوم اسم موضع أيضا اختتن فيه ابراهيم عليه السلام الذي جاء في الحديث أن ابراهيم اختتن بالقدوم مخفف أيضا وقد روي فيه التشديد وبعده

فهل زاده ربه قوة * ومثل مجاوره لم يقم
وكان قد دعا قومه * هلموا الى أمركم قد صرم
فموتوا كراما بأسيافكم * أرى الموت يجشمه من جشم

وفي الشعر وهل خالد من نعم يقال نعم ينعم ونعم ينعم مثل حسب يحسب ويحسب * وفي أدب الكاتب أنه يقال نعم ينعم مثل فضل يفضل حكى ذلك عن سيبويه وهو غلط من القتبي ومن تأمله في كتاب سيبويه تبين له غلط القتبي وأن سيبويه لم يذكر الضم الا في فضل يفضل * وقول عدي بن زيد ربيه لم توق والدها يحتمل أن يكون فعيلة من ربيت الا أن القياس في فعيلة بمعنى مفعولة أن يكون بغير هاء ويحتمل أنه أراد معنى الربو والنماء لأنها ربت في نعمة فيكون بمعنى فاعلة ويكون الهاء واقعا للقياس وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد ربيئة بالهمز وسهل الهمزة فصارت ياء وجعلها ربيئة لأنها كانت طليعة حيث اطلعت حتى رأت سابور وجنوده ويقال للطليعة ربيئة كما كان أو ابن ربيئة ويقال له رابئ على وزن فاعل وأنشدوا ربأت شبالا ثاوي لهلتها * البيت وقوله أضاع راقبها أي أضاع المرتبة الذي يرقبها ويحرسها ويحتمل أن يكون الهاء عائدة على الجارية أي أضاع راقبها خاطبها * وقوله والخمر وهل يقال وهل الرجل وهلا ووهلا إذا أراد شيئا فذهب وهمه الى غيره ويقال وهم أيضا بفتح الهاء وأما وهم بالكسر فمعناه غلط وأوهم بالألف معناه أسقط * وقوله سبائبها السبائب جمع سبيبة وهي كالعمامة أو نحوها ومنه السبب وهو الحبل * وقوله في خدرها مشاجبها المشاجب جمع مشجب وهو ما تعلق عليه الثياب ومنه قول جابر إن أبي لعلى المشجب وكانوا يسمون القربة مشجبا لأنها خادماء قد شجب أي عطب وكانوا لا يكون القربة وهي الشجب الا معلقة فالعود الذي يعلق به هو المشجب فجمعه بما يجمعه واسمه وأما تعلق به الثياب مشجبا تشبيها به وفي شعر عدي المتقدم ذكر الخابور وهو واد معروف وهو فاعول من خبرت الأرض إذا حرثتها وهو واد عظيم عليه مزارع قالت ليلى أخت الوليد بن طريف الخارجي الشيباني حين قتل أخوها الوليد لعنه الله يزيد بن مزيد الشيباني أيام الرشيد فلما قتل قالت أخته

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف
فديناه ود أن الرمح ولينا * فديناه من ساداتنا بألوف

وأما الخابور بالهاء فنبات بخور تحكى تقطع شهرة البناء كأنه مثل الحق ويقال له المر وفي هذا الاسم عرفه الناس وهو الزعفران أيضا

أقام به شاهبور الجنو
د حولين تضرب فيه القدم
فلما دعا ربه دعوة
أناب اليه فلم ينتقم
وهذه الأبيات في قصيدة
له * وقال عدي بن زيد في
ذلك
والحصن صابت عليه
داهية
من فوقه أيد مناكبها
ربيه لم توق والدها
لحينها إذ أضاع راقبها
إذ غبقته صهباء صافية
والخمر وهل يهيم شاربها
فأسلمت أهلها بليلتها
تظن أن الرئيس خاطبها
وكان حظ العروس إذ
جشر الـ
صبح دماء تجري سبائبها
وخرب الحصن واستبيح
وقد
أحرق في خدرها مشاجبها
وهذه الأبيات في قصيدة له

هشام) وإياد بن نزار قال الحرث بن دوس الإيادي ويروى لأبي دؤاد الإيادي واسمه حارثة بن الحجاج

وفتو حسن أوجههم ... من إياد بن نزار بن معد

وهذا البيت في أبيات له فأم مضر وإياد سودة بنت عك بن عدنان وأم ربيعة وأنمار شقيقة بنت عك بن عدنان ويقال جمعة بنت عك بن عدنان * قال ابن إسحق فأنمار أبو خثعم وبجيلة قال جرير بن عبد الله البجلي وكان سيد بجيلة وهو الذي يقول له القائل

لولا جرير هلكت بجيلة ... نعم الفتى وبئست القبيلة

وهو ينافر الفرافصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي

يا أقرع بن حابس يا أقرع ... إنك إن يصرع أخوك تصرع

وقال

ابني نزار انصرا أخاكما ... إن أبي وجدته أبا كما

لن يغلب اليوم أخ والاكما

وقد تيامنت فلحقت باليمن (قال ابن هشام) قالت اليمن وبجيلة أنمار بن إراش بن لحيان بن عمرو ابن الغوث بن نبت بن مالك بن [illegible] بن كهلان بن [illegible] ويقال إراش بن [illegible]

عمرو بن لحيان بن الغوث ودار بجيلة وخثعم يمانية * قال ابن إسحق فولد مضر بن نزار رجلين إلياس بن مضر وعيلان بن مضر

﴿ذكر نزار بن معد ومن تناسل منهم﴾

قد ذكرنا أولاد معد العشرة فيما تقدم فأما مضر فقد تقدم ذكره في عمود نسب النبي صلى الله عليه وسلم وذكرنا أنه أول من سن حداء الإبل وسببه فيما ذكروا أنه سقط عن بعيره فوثئت يده وكان أحسن الناس صوتا فكان يمشي خلف الإبل ويقول وايداه وايداه يترنم بذلك فأعنقت الإبل وذهب كلالها فكان ذلك أصل الحداء عند العرب وذلك أنها تنشط بحداء الإبل وتسرع وأما أنمار بن نزار وهو أبو بجيلة وخثعم فسمي بالأنمار جمع [illegible] ربما سموا باسم [illegible] وكلب وأم بجيلة [illegible] بنت صعب بن سعد العشيرة وولده من غيرها أفتل وهو خثعم وولدت له بجيلة [illegible] في خمسة عشر سماهم أبوانا [illegible] وصهيم والحارث ومالك وشقه وطريفا وفهم والغوث وسهل وعبقر وأشهل كلهم [illegible] خثعمة [illegible] أولاد أنمار الذين سميناهم ولم يحصن أفتل وهو خثعم فلم ينسب إليه [illegible] وفي الترمذي من طريق فروة بن مسيك أنه لما أنزل الله في سبأ ما أنزل قال رجل يا رسول الله ما سبأ امرأة أم أرض قال ليس بامرأة ولا أرض ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير ومذحج وكندة وأنمار فقال الرجل ومن أنمار فقال الذين منهم خثعم وبجيلة * وقوله

لولا جرير هلكت بجيلة ... نعم الفتى وبئست القبيلة

قال لما سمع هذا [illegible] رجل [illegible] عبد الله بن [illegible] مالك بن [illegible] بن ثعلبة بن [illegible] عدي بن مالك بن سعد بن [illegible] وهو [illegible] أنا عبد الله [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] عمر [illegible] العرب الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وجدتهم مشهورين [illegible] عن [illegible] بن الذير أو [illegible] وأحد عما [illegible] الآخر وقال ابن إسحق في السيرة [illegible] وقوله وهو ينافر الفرافصة الكلبي إلى الأقرع بن حابس التميمي ينافر أي يحاكم يقال نافرته [illegible] المنافرة مأخوذ من النفر وكانوا إذا تنازع الرجلان وادعى كل واحد منهما أنه أعز نفرا من صاحبه تحاكما إلى العلاء [illegible] فمن فضل منهما قيل نفره عليه أي فضل عليه الآخر [illegible] في هذا أحدث المنافرة وقال زهير

فإن الحق مقطعه ثلاث ... يمين أو نفار أو جلاء

والفرافصة [illegible] اسم الأسد [illegible] [illegible] بن عفان [illegible] في الرجز إن يصرع أخوك [illegible] على إضمار الفاء [illegible] إلياس [illegible] سعد بن معد بن عدنان [illegible] ذكر الطبري [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

(قال ابن هشام) وأمهما جرهمية * قال ابن اسحق فولد الياس بن مضر ثلاثة نفر مدركة بن الياس وطابخة بن الياس وقمعة بن الياس وامهم خندف امرأة من اليمن (قال ابن هشام) خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة * قال ابن اسحق وكان اسم مدركة عامرا واسم طابخة عمرا وزعموا انهما كانا في ابل لهما يرعيانها فاقتنصا صيدا فقعدا عليه يطبخانه وعدت عادية على ابلهما فقال عامر لعمرو أتدرك الابل أم تطبخ هذا الصيد فقال عمرو بل أطبخ فلحق عامر بالابل فجاء بها فلما راحا على ابيهما حدثاه بشأنهما فقال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو وأنت طابخة وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس

{قصة عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب}

قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن أبيه قال حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فسألته عمن بيني وبينه من الناس فقال هلكوا * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي ان أبا صالح السمان حدثه انه سمع أبا هريرة (قال ابن هشام) واسم أبي هريرة عبد الله بن عامر ويقال اسمه عبد الرحمن بن صخر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأكثم بن الجون الخزاعي يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا

نفسه لأبوه وسمي بفرس له اسمه عيلان وكان يجاوره قيس كبة من بجيلة عرف نكبة اسم فرسه ففرق بينهما بهذه الاضافة وقيل عيلان اسم كلب له وكان يقال له الياس ولأخيه الناس وقد قدم في أول الكتاب القول في عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه غنية من شرح تلك الاسماء وذكر مدركة وطابخة وقمعة وسبب تسميتهم بهذه الاسماء وفي الخبر زيادة وهو ان الياس قال لامهم واسمها ليلى وأمها ضرية بنت ربيعة بن نزار التي ينسب اليها حمى ضرية وقد أقبلت تخندف في مشيها ما لك تخندفين فسميت خندف والخندفة سرعة في مشي وقال لمدركة وأنت قد أدركت ما طلبتا وقال لطابخة وأنت قد أنضجت ما طبخا وقال لقمعة وهو غسر وأنت قد قعدت فانقمعا وخندف التي عرف بها بنو الياس وهي التي ضربت الامثال بحزنها على الياس وذلك انها تركت بنيها وساحت في الارض تبكيه حتى ماتت كمدا وكان مات يوم خميس وكانت اذا جاء الخميس بكته من أول النهار الى آخره فمما قيل من الشعر في ذلك

اذا مؤنس لاحت خراطيم شمسه * بكت غدوة حتى ترى الشمس تغرب

فما رد بأسا حزنها وعويلها * ولم يغنها [illegible]

وكانوا يسمون الخميس مؤنسا قال الزبير [illegible] والياس لامهم لا يهاجين تركهم شغلا بحزنها على أبيهم رحمهم الناس فقالوا هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم وهم صغار أيتام حتى عرفوا بني خندف وأما عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان فسميت العوانة وهي الانثى من الطير [illegible] * وذكر حديث عمرو بن لحي بن قمعة ابن الياس وقد قدمنا في نسب خزاعة وأسلم انهما ابنا حارثة بن ثعلبة وان ربيعة بن حارثة هو أبو خزاعة من بني أن حارثة بن عامر لا من حارثة [illegible] ذلك وقول النبي صلى الله عليه وسلم لأسلم ارموا بني اسمعيل فان أباكم كان راميا وهو معارض لحديث أكثم بن الجون في الظاهر الا ان بعض أهل النسب ذكر ان عمرو بن لحي كان حارثة قد خلف على أمه بعد ابيه قمعة ولحي صغير [illegible] فتبناه حارثة وانتسب اليه فيكون النسب صحيحا بالوجهين جميعا الى حارثة بالتبني والى قمعة بالولادة وكذلك أسلم بن أفصى بن حارثة وهو أخو خزاعة والقول في أسلم كالقول في خزاعة وقيل في أسلم بن أفصى انهم من بني أبي حارثة ابن عامر لا من بني حارثة فعلى هذا لا يكون في الحديث حجة لمن نسب قحطان الى اسمعيل والله اعلم * ومن حجة من نسب خزاعة الى قمعة مع الحديث المذكور قول المعطل يخاطب قوما من خزاعة

لعلكم من أسرة قمعية * اذا حضروا لا يشهدون المعرفا

* وقوله في حديث أكثم الذي يرويه أبو هريرة [illegible] عبد الله بن عمرو وقيل عبد الرحمن بن صخر وقيل [illegible] ذكره ابن هشام وقال البخاري اسمه عبد شمس [illegible] ويحتمل أن يكون هذا اسمه في الجاهلية [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدل كثيرا من الاسماء وقد [illegible] بن عمرو [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] وقد ذكر أن الهرة كانت [illegible] * اما أكثم الذي ذكره [illegible] ولاده [illegible] وقوله لأكثم انك مؤمن وهو كافر وقد روي [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [illegible] في حديث الدجال [illegible] بن قطن [illegible] قال أيضرني شبهي به يا رسول الله [illegible]

الدجال فقال له كما قال لا كمثل إنك مؤمن وهو كافر وأحسب هذا وهما في الحديث والله أعلم كما ذكره البخاري عن الزهري قال ابن قطن رجل من خزاعة هلك في الجاهلية ولا كمثل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان . أحدهما خير الرقباء أربعة وقد تكلمنا على معناه في كتاب التعريف والاعلام . والآخر أعز مع عسر ومنك تحسين خلقك قال الاسكاف في كتاب فوائد الاخبار معنى هذا أن الرجل اذا عزى مع عز قومه تحفظ ولم يسترسل وتكلف من رياضة نفسه ما لا يتكلفه في صحبة من يثق باحتماله لنظرهم اليه بعين الرضى ولصحبة اذلاله وان ذلك تحسين خلقه لرياضة نفسه على الصبر والاحتمال فهذا أحسن من التأويل غير ان الحديث مختلف في لفظه فمن روى فيه سافر مع قومك فقد ذكر الرواتين أبو عمر رحمه الله * وذكر في الحديث عمرو بن لحي وأنه أول من بحر البحيرة ، وقد روى أيضا أن أول من بحر البحيرة رجل من بني مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهما وحرم ألبانهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته في النار تخبطانه بأخفافهما وتعضانه بأفواههما وقال عليه السلام قد عرفت أول من سيب السائبة ونصب النصب عمرو ابن لحي رأيته يؤذي أهل النار بريح قصبه رواه ابن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر مرسلا ولم يقع في رواية البكائي عنه

﴿ اصل عبادة الاوثان ﴾

قال المؤلف ... من حجر أو غيره ... ولا ... الا انه كان ... حجرة كالحائط ... وكان عمرو ابن لحي حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسو في الموسم فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة حتى انه اللات الذي يلت السويق للحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذي يلت كان من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو ان ربكم لم يمت ولكن دخل في الصخرة ثم أمرهم بعبادتها وأن يبنوا عليها بيتا يسمى اللات ويقال دام أمره وأمر ولده على هذا ... لا ... فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات ... الياء ... وقد ذكر ابن اسحق ... أول من أدخل الاصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها وسيأتي ذكر اساف ونائلة وما كان من أمرهما وذكر أنواع الاوثان في أخبار وكان عمرو بن لحي ... يعتبرون ... تعالوا ... اذا ... الا ... فاذا ... الحجر ... الاخرى ... الراجز

فكان تشكر الموهم ... كي ال ... حاب ... الاعس

... ابراهيم لبيك لا شريك لك ... كان عمرو بن لحي ... الشيطان ... شيخ ... فقال عمرو ... لا شريك لك ... الا شريك هو لك ... ذلك عمرو ... عمرو ... العرب ... ابن اسحق ... كانت في قوم نوح ... الاولى ... ذكر الله في القرآن في قوله « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » وكان ... وذلك في ... ذكرا ... ذكر البخاري عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ... قوم صالحين من ... الشيطان الى قومهم ان ... التي كانوا ... أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولئك ... العلم عبدت ... وذكر الطبري ... الذي ... ان ... كان ... الهدى ... كانوا ... الاصنام ... [illegible]

أشد ه رجل منك به ولا بك ... فقال أكثم عسى أن يضرني شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر انه كان أول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي (قال ابن هشام) حدثني بعض أهل العلم ان عمرو بن لحي خرج من مكة الى الشام ... فلما قدم ... أرض البلقاء ... وهم ... العماليق ... ولد عمليق ... بن نوح ... الاصنام ... هذه الاصنام ... أراكم ... تعبدون ... [illegible] ... ال ... العرب

فعبدوه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه * قال ابن إسحق ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسمعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين إبراهيم وإسمعيل غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدي البدن والإهلال بالحج والعمرة مع إدخالهم فيه ما ليس منه فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون أي ما يوحدونني لمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكا من خلقي وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها (٦٣) قص الله تبارك وتعالى خبرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من ولد إسمعيل وغيرهم وسموا بأسمائهم حين فارقوا دين إسمعيل هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر اتخذوا سواعا وكان لهم برهاط وكلب بن وبرة من قضاعة اتخذوا ودا بدومة الجندل * قال ابن إسحق وقال كعب بن مالك الأنصاري

وننسى اللات والعزى وودا * ونسلبها القلائد والشنوفا

وعظمت لموضعه من الدين ولما عهدوا في دعائه من الإجابة فلم يزالوا هكذا حتى خلف الخلوف وقالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا الأوثان إلا لأنها ترزق وتنفع وتضر واتخذوها آلهة وهذه أسماء سريانية ووقعت إلى الهند فسموا بها أصنامهم التي زعموا أنها صور الدراري السبعة وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم ثم أدخلها إلى العرب عمرو بن لحي كما ذكرنا وعلمهم تلك الأسماء وألقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانت في عهد نوح فود كان لكلب بن وبرة من قضاعة ووبرة بسكون الباء في نسخة الشيخ وهي الأنثى من الوبر اتخذوا ودا بدومة الجندل ودومة هذه بضم الدال ذكروا أنها سميت بدومى بن إسمعيل كان نزلها ودومة أخرى بضم الدال عند الكوفة ودومة بفتح الدال أخرى مذكورة في أخبار الردة كذا وجدته للبكري مقيدا في أسماء هذه المواضع وذكر طيئ بن أدد وأنه مالك بن أدد على الخلاف ومالك هو مذحج وسموه مذحجا لأنه ولد على أكمة يقال لها مذحج وطيئ بن أدد هو أول من طوى المناهل في الأرض فالله أعلم وعلى قول القتبي إنه أول من طوى المناهل لأن طيئا إنما هو مصدر وطويت غير مهموز * وذكر جرش من مذحج والمعروف أنهم من حمير وأن مذحج من كهلان بن سبأ وقال ابن الكلبي كان لكهلان ... حمير وأن مالكا دام لما أنه ... عادى بني حمير ... وذكر الدارقطني أن جرش ... وأمهما ... من حديث الكلبي فهما قبيلان من كلب والله أعلم وذكر مالك بن نمط الهمداني وهو أبو ثور لقب ذا المشعار وهو من بني خارف وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ... وكلاهما من همدان ... يريش الله في الدنيا ويبري هو من ريشت السهم وبريته ثم استعير في النفع والضر قال سويد

فرشني بخير طالما قد بريتني * وخير الموالي من يريش ولا يبري

(قال ابن هشام) وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله (قال ابن هشام) وكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة * قال ابن إسحق وأنعم من طيئ وأهل جرش من مذحج اتخذوا يغوث بجرش (قال ابن هشام) ويقال بن أنعم وطيئ بن أدد بن مالك ومالك مذحج بن أدد ويقال طيئ بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ * قال ابن إسحق وخيوان بطن من همدان اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض اليمن (قال ابن هشام) اسم همدان أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال أوسلة بن زيد بن أوسلة بن الخيار (قال ابن هشام) وقال مالك بن نمط الهمداني

يريش الله في الدنيا ويبري * ولا يبري يعوق ولا يريش

وهذا البيت في أبيات له ويقال همدان بن أوسلة بن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ * قال ابن إسحق وذو الكلاع من حمير اتخذوا نسرا بأرض حمير وكان لخولان صنم يقال له عميانس بأرض خولان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم فما دخل في حق عميانس من حق الله تعالى الذي سموه له تركوه له وما دخل في حق الله من حق عميانس ردوه عليه وهم بطن من خولان يقال لهم الأدوم وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان

فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون (قال ابن هشام) خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ويقال خولان بن عمرو بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج * قال ابن إسحق وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر صنم يقال له سعد صخرة بفلاة من أرضهم طويلة فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم فلما رأته الإبل وكانت مرعية لا تركب وكان يهراق عليه الدماء نفرت منه فذهبت في كل وجه وغضب ربها الملكاني فأخذ حجرا فرماه به ثم قال لا بارك الله فيك نفرت على إبلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة * من الأرض لا تدعو لغي ولا رشد

وكان في دوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي (قال ابن هشام) سأذكر حديثه في موضعه إن شاء الله (٦٤) ودوس بن عدثان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث ويقال دوس بن عبد الله بن زهران بن الأزد بن الغوث * قال ابن إسحق وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل (قال ابن هشام) سأذكر حديثه إن شاء الله في موضعه قال ابن إسحق واتخذوا إسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما وكان إساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم هو إساف بن بغي ونائلة بنت ديك فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله حجرين قال ابن إسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنها قالت سمعت عائشة رضي الله عنها تقول ما زلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم قال ابن إسحق وقال أبو طالب وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم * بمفضى السيول من إساف ونائل (قال ابن هشام) وهذا البيت في أبيات له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى * قال ابن إسحق واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره وإذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدي لها كما تهدي للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهي تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم الخليل ومسجده فكانت لقريش وبني كنانة العزى بنخلة

وذكر حديث الملكاني وقوله * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد * هو نحو قولهم في العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر لا مع تكرار لا مثل أن تقول لا زيد في الدار ولا عمرو وقد كرهه المبرد لم يكرر لا إن معنى وقال إنما جاز هذا لأن فيه معنى الفعل أي لا نلقى لك أن نعمل وكذلك إذا قلت يمينك في ذلك تمليها على جهة الخبر ولكن على قصد التبري فكان معنى الكلام ولو لم تكرر لا [illegible] حسن دخول لا على الابتداء كما حسن لا نولك * وقوله الا صخرة بتنوفة التنوفة القفر [illegible] وزنها فعولة ولو كانت فعلة من النوف وهو الارتفاع لجمعت تنوف وانما لم تجعل تفعلة الا ان حركة الواو بالضم لئلا تشبه الفعل ولو مثل فيها وقيل التاء لا تجعل حينئذ أن تكون فعولة أو تفعلة على مثال فعل اذ ليس في الافعال تفعل بالضم [illegible] في علم التصريف * وأما ملكان بن كنانة وكسر الميم قال أبو جعفر بن حبيب النسابة كل شيء في العرب فهو ملكان بكسر الميم وسكون اللام غير ملكان في قضاعة وملكان في السكون فإنهما بفتح الميم واللام فأما ملكان قضاعة فهو ابن جرم بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وملكان السكون هو ابن عباد بن عياض بن عقبة بن السكون [illegible] كذلك قال الهمداني في ملكان بن جرم وقال في ملكان قال ابن حبيب [illegible] يقولون ملكان بفتح اللام قال أبو الوليد [illegible] ملكان بن أفصى بن حارثة [illegible] عامر [illegible] أبو علي القالي في أماليه [illegible] العرب فهو ملكان [illegible] بكسر الميم [illegible] كان في جرم بن زبان (قال المؤلف) [illegible] أبيه [illegible] وقال وهو [illegible] ملكان

فصل * وذكر إسافا ونائلة وأنهما رجل وامرأة من جرهم وأن إسافا وقع على نائلة في الكعبة [illegible] ذكر [illegible] في قصة لمكة عن بعض السلف قال ما أمهلهما الله إلى أن [illegible]

وكانت سدنتها وحجابها بني شيبان من سليم حلفاء بني هاشم (قال ابن هشام) حلفاء أبي طالب خاصة وسليم سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان * قال ابن اسحق فقال شاعر من العرب

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة * من الأدم أهداها امرؤ من بني غنم
رأى قدعا في عينها إذ يسوقها * إلى غبغب العزى فوسع في القسم

وكذلك كانوا يصنعون إذا نحروا هديا قسموه فيمن حضرهم والغبغب المنحر ومهراق الدماء (قال ابن هشام) وهذان البيتان لأبي خراش (٦٥) الهذلي واسمه خويلد بن مرة في أبيات له والسدنة الذين يقومون بأمر الكعبة قال رؤبة بن العجاج

فلا ورب الآمنات القطن * بمحبس الهدي وبيت المسدن

وهذان البيتان في أرجوزة له وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه * قال ابن اسحق وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بني معتب من ثقيف (قال ابن هشام) وسأذكر حديثها إن شاء الله تعالى في موضعه. قال ابن اسحق وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد (قال ابن هشام) وقال الكميت بن زيد أحد بني أسد بن خزيمة بن مدركة

وقد آلت قبائل لا تولي * مناة ظهورها متحرفينا

وهذا البيت في قصيدة له (قال ابن هشام) فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها ويقال علي بن أبي طالب * قال ابن اسحق وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة (قال ابن هشام) ويقال ذو الخلصة قال رجل من العرب

(٩ – ز ص ل)

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا * مثلي وكان شيخك المقبورا * لم تنه عن قتل العداة زورا

قال وكان أبوه قتل فأراد الطلب بثأره فأتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالأزلام فخرج السهم بنهيه عن ذلك فقال هذه الأبيات ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حجر الكندي

فأخرجا إلى الصفا والمروة فنصبا عليهما ليكونا عبرة وموعظة فلما كان عمرو بن لحي نقلهما إلى الكعبة ونصبهما على زمزم فطاف الناس بالكعبة وبهما حتى عبدا من دون الله . وأما هبل فإن عمرو بن لحي جاء به من هيت وهي من أرض الجزيرة حتى وضعه في الكعبة . وذكر الواقدي أن نائلة حين كسرها النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتنادي بالويل والثبور وذكر في الحديث وقول عائشة أخا بني الكعبة أرادت الحدث الذي هو الفجور كما قال عليه السلام من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله . وقال عمر حين كانت الزلزلة بالمدينة أحدثتم والله لئن عادت لأخرجن من بين أظهركم وقول أبي طالب من إساف ونائل هو ترخيم في غير النداء للضرورة كما قال أبان بن خطل وذكر قول الشاعر

رأى قدعا في عينها * والقدع ضعف البصر من إدمان النظر * وقوله في الغبغب وهو المنحر ومراق الدم كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعاثه ويجوز أن يكون مقلوبا من قولهم ثغ يثغ وثغثغ إذا كانت كثيرة الماء قال الراجز * ثغثغ قصيرة الرشاء * [illegible] ومعنى هذا البيت الذم ونسبه هذا المهجو برأس بقيرة قد قاربت أن يذهب بصرها فلا تصلح إلا للذبح والقسم * وذكر فلسا [illegible] بين أجا وسلمى . ويذكر عن ابن الكلبي أو غيره أن أجا اسم رجل بعينه وهو أجا بن عبد الحي وكان فجر بسلمى بنت حام أو اتهم بذلك فصلبا في ذينك الجبلين [illegible] العرجاء وكانت العرجاء حاضنة سلمى فيما ذكر وكانت السفير بينها وبين أجا فصلبت في الجبل الثالث فسمي بها * وذكر ذا الخلصة وهو بيت دوس والخلص في اللغة نبات طيب الريح يتعلق بالشجر له حب كعنب الثعلب وجمع الخلصة خلص وأن الذي استقسم بالأزلام عنده امرؤ القيس بن حجر ووقع في كتاب أبي الفرج أن امرأ القيس بن حجر حين وتره بنو أسد بقتل أبيه استقسم عند ذي الخلصة بثلاثة أزلام وهي الزاجر والآمر والمتربص فخرج له الزاجر فسب الصنم ورماه بالحجارة وقال له اعضض بظر أمك * وقال الرجز الذي ذكره ابن اسحق لو كنت يا ذا الخلص الموتورا * إلى آخره ولم يستقسم أحد عند ذي الخلصة بعد حتى جاء الإسلام وموضعه اليوم مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم ذكره المبرد عن أبي عبيدة [illegible] في الرمل والقداس الشدة والنجدة قال الشاعر

وأنت على الأعداء [illegible] * وأنت على الأدنى هشام ونوفل

والنسب [illegible] إلى كل امرئ القيس سواه [illegible] وقد قيل إن جدها اسم امرئ القيس بن عابس ولا يصح وهو كندي مثل الأول [illegible] * وقوله * لم تنه عن قتل العداة زورا * نصب زورا على الحال من المصدر الذي هو النهي أراد نهيا زورا [illegible] المصدر على هذه الصورة فهو حال أو مفعول مطلق فإذا حذفت المصدر وأقمت الصفة مقامه لم يكن إلا حالا والدليل على ذلك أنك تقول ساروا شديدا

بجبلي طيء بين سلمى وأجا (قال ابن هشام) حدثني بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليها علي بن أبي طالب فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لاحدهما الرسوب وللآخر المخذم فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبهما له فهما سيفا علي رضي الله عنه * قال ابن اسحق وكان لحمير واهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رئام (قال ابن هشام) قد ذكرت حديثه فيما مضى * قال ابن اسحق وكانت رضاء بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الاسلام

ولقد شددت على رضاء شدة

فتركتها قفرا بقاع أسحما

(قال ابن هشام) قوله فتركتها قفرا بقاع أسحما عن رجل من بني سعد * قال ابن هشام والمستوغر عمر ثلاثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمرا وهو الذي يقول

ولقد سئمت من الحياة وطولها

وعمرت من عدد السنين مئينا [illegible]

وساروا رويدا فان رددته الى ما لم يسم فاعله لم يجز رفعه لأنه حال ولو لفظت بالمصدر فقلت ساروا سيرا رويدا لجاز أن تقول فيما لم يسم فاعله سير عليه سير رويد وهذا كله معنى قول سيبويه فدل على أن حكمه اذا لفظ به غير حكمه اذا حذف والسر في ذلك ان الصفة لا تقوم مقام المفعول اذا حذف لا تقول كلمت شديدا ولا ضربت طويلا فقبح ذلك اذا كانت الصفة عامة والحال ليست كذلك لأنها تجري مجرى الظرف وان كانت صفة فموصوفها معها وهو الاسم الذي هي حال له ومن هذا الباب قوله تعالى « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا »

وذكر بعث جرير البجلي الى هدم ذي الخلصة وذلك قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بشهرين أو نحوهما قال جرير بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائة وخمسين راكبا من أحمس الى ذي الخلصة فقلت يا رسول الله اني لا أثبت على الخيل فدعا لي وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا وفي كتاب مسلم في هذا الحديث وكان يقال له الكعبة اليمانية والشامية وهذا مشكل ومعناه كان يقال الكعبة اليمانية والشامية يعنون بالشامية البيت الحرام فزيادة له سهو وباسقاطه يصح المعنى قاله بعض المحدثين والحديث في جامع البخاري بزيادة له كما في صحيح مسلم وليس هذا عندي بسهو وانما معناه كان يقال له أي يقال من أجله الكعبة الشامية للكعبة وهو الكعبة اليمانية ولا بد من اضمار له كما قال ابن أبي ربيعة

وقمير [illegible] آخر الليل [illegible] له قالت الفتاتان قوما

وذو الخلصة بضم الخاء واللام في قول ابن اسحق وبفتحهما في قول ابن هشام ويذكر أنه سيعبد في آخر الزمان ثبت في الحديث انه لا تقوم الساعة حتى تصطفق أليات نساء دوس وخثعم حول ذي الخلصة

(فصل) وذكر المستوغر بن ربيعة واسمه كعب قال ابن دريد سمي المستوغر بقوله

ينش الماء في الربلات منها نشيش الرضف في اللبن الوغير

والوغير فعيل من وغرة الحر وهي شدته وذكر القتبي أن المستوغر حضر سوق عكاظ ومعه ابن ابنه وقد هرم والجد فتى فقال له رجل ارفق بهذا الشيخ فقد طال ما رفق بك فقال ومن هو فقال هو أبوك أو جدك فقال ما رأيت [illegible] المستوغر بن ربيعة فقال انا المستوغر والابيات التي أنشدها

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا

الى آخرها وذكر ما يروى لزهير بن جناب الكلبي وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة وزهير هذا من المعمرين وهو الذي يقول

أبني ان أهلك فاني قد بنيت لكم بنيه

وتركتكم أولاد سادات زنادكم وريه

من كل ما نال الفتى قد نلته الا التحيه

يريد بالتحية الملك [illegible] في كتاب [illegible] ما لا [illegible] أوله

أ[illegible] الذي [illegible]

وابنه جابر [illegible]

وكتب [illegible]

[illegible]

أحب لحبها زيدا جميعا * ونبتة كلها وبني الرباب

وأخرى لانهام آل لأم * أحبهم وطرا بني جناب

ومن المعمرين من العرب سوى المستوغر ممن زادوا على المائتين والثلاثمائة زهير بن جناب وعبيد بن شرية ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن ضبع الفزاري وذو الإصبع العدواني ونصر بن دهمان بن أشجع ابن ريث بن غطفان وكان قد اسود رأسه بعد ابيضاضه وتقوم ظهره بعد انحنائه وفيه يقول القائل

لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها * وتسعين حولا ثم قوم فانصاتا

وعاد سواد الرأس بعد ابيضاضه * ولكنه من بعد ذلك قد ماتا

وأمره عند العرب من أعجب العجب ومن أطول المعمرين عمرا دويد واسمه زيد بن نهد من قضاعة وأبوه نهد الذي ينسب الحي المعروفون من قضاعة ونهد بن زيد عاش دويد أربعمائة عام فيما ذكروا وكان له آثار في العرب ووقائع وغارات فلما جاءه الموت قال

اليوم يبنى لدويد بيته * ومغنم يوم الوغى حويته

ومعصم موشم لويته * لو كان للدهر بلى أبليته

* أو كان قرني واحدا كفيته *

وقول المستوغر

ولقد شددت على رضا شاته * فتركتها قفرا تقاع أسحما

يريد تركها سحما من آثار النار ونحوه

وأغار عبد الله في مكروهها * وعلى عبد الله أعشى المحرما

ذكر ذا الكلبي في الكتاب ... وأنشد للأسود بن يعفر

أرض الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذي الشرفات من سنداد

والخورنق قصر بناه النعمان الأكبر ملك الحيرة لسابور ليكون ولده فيه عنده وبناه بناء عجيبا لم تر العرب مثله واسم الذي بناه سنمار وهو الذي ردي من أعلاه حتى قالت العرب جزاء سنمار وذلك أنه لما تم الخورنق وعجب الناس من حسنه قال سنمار أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت فقال له الملك أإنك لتحسن أن تبني أجمل من هذا وغارت نفسه أن يبني لغيره مثله وأمر به فطرح من أعلاه وكان بناه في عشرين سنة قال الشاعر

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

سوى رصه البنيان عشرين حجة * يعد عليه بالقرامد والسكب

فلما انتهى البنيان يوما تمامه * وآض كمثل الطود والباذخ الصعب

رمى بسنمار على حق رأسه * وذاك لعمر الله من أقبح الخطب

ذكر هذا الشعر الجاحظ في كتاب الحيوان والنار من أسماء ... وأول شعر الأسود

* ذهب الرقاد فما أحس رقادي * وفيها يقول

ولقد عمرت وإن تطاول في المدى * إن السبيل سبيل ذي الأعواد

قيل يريد بالأعواد النعش وقيل أراد عامر بن الظرب الذي قرعت له العصا لما عوتب في الحكم والشرف وفيها يقول

* قال ابن إسحق وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب بني وائل وإياد بسنداد وله يقول أعشى بني قيس بن ثعلبة
بين الخورنق والسدير وبارق
والبيت ذي الشرفات من سنداد
(قال ابن هشام) وهذا البيت للأسود بن يعفر النهشلي نهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم في قصيدة له وأنشدنيه أبو محرز خلف الأحمر

أهل الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذي الشرفات من سنداد

أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي

* قال ابن إسحاق: فأما البحيرة فهي بنت السائبة، والسائبة الناقة إذا تابعت بين عشر إناث ليس بينهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنها ثم خلي سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة * والوصيلة الشاة إذا أتأمت عشر إناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة، قالوا قد وصلت، فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون إناثهم، إلا أن يموت منها شيء فيشتركوا في أكله ذكورهم وإناثهم (قال ابن هشام) ويروى: فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم * قال ابن إسحاق: والحامي الفحل إذا نتج له عشر إناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمي ظهره فلم يركب ظهره ولم يجز وبره وخلي في إبله يضرب فيها لا ينتفع منه (٦٨) بغير ذلك (قال ابن هشام) وهذا عند العرب على غير هذا إلا الحامي فإنه عندهم على ما قال ابن إسحاق، والبحيرة عندهم الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها إلا ضيف أو يتصدق به وتهمل لآلهتهم، والسائبة التي ينذر الرجل أن يسيبها إن برئ من مرضه أو إن أصاب أمرا يطلبه، فإذا كان ذلك أساب ناقة من إبله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها، والوصيلة التي تلد أمها اثنين في كل بطن فيجعل صاحبها لآلهته الإناث منها ولنفسه الذكور منها فتلدها أمها ومعها ذكر في بطن فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخوها معها فلا ينتفع به (قال ابن هشام) حدثني به يونس بن حبيب النحوي وغيره، روى بعض ما لم يرو بعض * قال ابن إسحاق: فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه: «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون» وأنزل الله تعالى: «وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم» وأنزل عليه: «قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون» وأنزل عليه: «من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين» (قال ابن هشام) قال الشاعر

ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد إياد
نزلوا بأنقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجيء من أطواد
أرض الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذي الكعبات من سنداد
جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنما كانوا على ميعاد
وأرى النعيم وكل ما يلهى به * يوما يصير إلى بلى ونفاد

ومعنى السدير بالفارسية بيت الملك، يقولون له سه دلي أي له ثلاث شعب. وقال البكري: سمي السدير لأن الأعراب كانوا يرفعون أبصارهم إليه فيسدر من علوه، يقال سدر بصره إذا تحير.

فصل وذكر البحيرة والسائبة وفسر ذلك، وفسر ابن هشام بتفسير آخر، وللمفسرين في تفسيرها أقوال سواهما قريب، ومنها ما بعد من قولهما، وحسبك منها ما وقع في الكتاب لأنها أمور كانت في الجاهلية قد أبطلها الإسلام فلا تمس الحاجة إلى علمها [illegible] كما أنزل الله في ذلك من قوله تعالى: «خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا» وفيه من الفقه الزجر عن التشبه بهم في تخصيصهم الذكور دون الإناث [illegible] وقد روي عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: يعمد أحدكم إلى المال فيجعله عند ذكور ولده، إن هذا إلا كما قال الله تعالى: «وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا» رواه البخاري في التاريخ من حديث [illegible] وأنشد في البحيرة

فيه من الأخرج المرباع قرقرة * هدر الديامي وسط الهجمة البحر

هكذا الرواية المرباع بالباء من الربيع، والمرباع هو الفحل الذي يبكر بالإلقاح [illegible] والأخرج [illegible] وهو الظليم الذي فيه بياض وسواد أي فيه [illegible] قرقرة أي صوت وهدير [illegible] الديامي [illegible] بالشام [illegible] من أن [illegible] المرباع [illegible] وفسره في الشرح [illegible]

حول الصائل فى شر هنحقة * والخاميات طهوروها والسيب وقال تميم بن مقبل أحد بنى عامر بن صعصعة

فيه من الاحرح المرياع قرقره * هدر الديانى وسط الهجمة البحر وهذا البيت فى قصيدة له وجمع بحيرة بحائر وبحر وجمع وصيلة

وصائل ووصل وجمع سائبة الاكثر سوائب وسيب وجمع حام الاكثر حوام * قال ابن اسحق وخزاعة تقول نحن بنو عمرو بن عامر من

اليمن « قال ابن هشام » وتقول خزاعة نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس

الرواية الاولى أسكن وحكى عن ابن قتيبة أنه قال فى البحر هى الغزيرات اللبن لا جمع بحيرة كأنها جمع بحور

عنده وظن هذا مذهب المعنى الذى ذكر من أمهاتها فهذا ليس هذا المعنى فى الغزيرات اللبن لكنه أظهر

فى العربية لان بحيرة فعيلة وفعيلة لا تجمع على فعل الا أن تشبه بسفينة وسفن وجريدة وجرد وهو قليل وقيل

النبات فى وصف روض

تعارب النبت برماح الفؤاد له * رأد النهار لأصوات من النعر

و بعد البيت الواقع فى السيرة

والازرق الاخضر السربال منتصب * قيد العصا فوق ذيال من الزهر

يعنى بالازرق ذباب الروض وكذلك البعير * وقوله فى البيت الآخر حول الوصائل جمع حائل ويقال فى جمعها

أيضا حوال ومثله عائط وعوطط على عيروايس والشرب اسم موضع وقوله فى نسب خزاعة تقول

خزاعة نحن بنو عمرو بن عامر الى آخر النسب وقد تقدم أن عمرا يقال له مزيقياء وأما عامر فهو ماء السماء

سمى بذلك لجوده وأنه كان يقوم مقام الغيث وحارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة وهو البطريق وقول عون

لما هبطنا بطن مر يريد مر الظهران وسمى مرا لان فى عرق من الوادى من غير لون الارض شبه الميم

الممدودة وبعدها راء خلقت كذلك ويذكر عن كثير أنه قال سميت مرا لمرارتها ولا أدرى ما صحة هذا

فلما هبطنا بطن مر البيتين وبعدهما

حرابا أهل احياء مجرة * وأنصارنا جند النبى المهاجر

وسرنا الى ان قد نزلنا بيثرب * بلا وهن منا وغير تشاجر

وسار رب السيارة ذات مسلر * نكوم المطايا الخول الخناسر

يؤمون أهل الشام حتى تمكنوا * ملوكا بأرض الشام فوق الزوافر

اولاك بنو ماء السماء توارثوا * دمشقا بملك كابرا بعد كابر

الحلول جمع حال والكراديس جمع كردوس الخيل (١) وقوله دمشقا يريد مدينة الشام باسم الرجل الذى

هاجر الى ابراهيم وهو دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشد وكان أبوه كان اسمه داسق

وأمن بابراهيم وهاجر الى الشام كذلك كرمه ... وذكر ذلك بكرى فى كتاب المعجم

والمشق فى اللغة ... قد كان قال ... فيه ... بنو ماء السماء ... وهو

عمرو بن ... وقول أبو هلال

... الا ... ودارا ... حرود

وذكر ... الارض ... كانوا ... الطبرى ... أبو الحارث

والعرب ... وعمرو بن ... كانوا ...

(١) كذا فى الاصل وكان فى الكلام ...

ابن ثعلبة بن مازن بن الاسد بن الغوث وخندف أمنا فيما حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم ويقال خزاعة بنو حارثة بن عمرو ابن عامر وانما سميت خزاعة لانهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بمر الظهران فأقاموا بها * قال عون ابن أيوب الانصارى أحد بنى عمرو بن سواد ابن تميم بن كعب بن سلمة ابن الخزرج فى الاسلام

فلما هبطنا بطن مر تخزعت خزاعة منا فى حلول كراكر حمت كل واد من تهامة واحتمت بصم القنا والمرهفات البواتر

وهذا البيت فى قصيدة له * وقال أبو المطهر اسماعيل بن رافع الانصارى احد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الاوس

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت خزاعة دار الآكل المتحامل فحلت أكاريسا وشتت قنابلا على كل حى بين نجد وساحل

نفوا جرهما عن بطن مكة واحتبوا بعز خزاعى شديد الكواهل (قال ابن هشام) وهذه الابيات فى قصيدة له وأنا ان شاء الله

أذكر نفيها جرهما فى موضعه ... قال ابن اسحق ... بن الياس ... ولد ... بن مدركة ... بن ...

... أبي ... وكان ... بن ... بن ... وأم ...

بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر «قال ابن هشام» ويقال الهون بن خزيمة * قال ابن إسحق فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر النضر بن كنانة ومالك بن كنانة وعبد مناة بن كنانة وملكان بن كنانة فأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وسائر بنيه لامرأة أخرى «قال ابن هشام» أم النضر ومالك وملكان برة بنت مر وأم عبد مناة هالة بنت سويد بن الغطريف من أزد شنوءة وشنوءة عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث وإنما سموا شنوءة لشنآن كان بينهم والشنآن البغض «قال ابن هشام» النضر قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي وقال جرير بن عطية أحد بني كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان

فما الأم التي ولدت قريشا … بمقرفة النجار ولا عقيم

وما قرم بأنجب من أبيكم … وما خال بأكرم من تميم

[illegible] من أم النضر وهذان البيتان في قصيدة له ويقال فهر بن مالك قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي وإنما سميت قريش قريشا من التقرش والتقرش التجارة والاكتساب قال رؤبة بن العجاج

[illegible]

والتقرش [illegible] «قال ابن هشام» والقروش [illegible] ولم أسمع [illegible] ورأيت [illegible] وهذه الأبيات [illegible] أبو جلدة [illegible] بن بكر بن وائل [illegible] في حديث [illegible] قال ابن إسحق [illegible]

﴿فصل﴾ وذكر النضر بن كنانة وقول من قال إنه قريش والقول الآخر في أن فهرا هو قريش وقد قيل إن فهرا لقب واسمه الذي سمي به قريش * وأما مخلد بن النضر فذكر أبو عبد الله الزبير بن بكار في أنساب قريش له قال قال عمي وأما بنو مخلد بن النضر فذكر في بني عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانة ومنهم قريش ابن بدر بن مخلد بن النضر وكان دليل بني كنانة في تجاراتهم فكان يقال قدمت عير قريش فسميت قريش به وأبوه بدر بن مخلد صاحب بدر الموضع الذي لقي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وقال عن غير عمه قريش بن الحارث بن مخلد وابنه بدر الذي سميت به بدر وهو احتفرها قال وقد قالوا اسم فهر بن مالك قريش ومن لم يلده فهر فليس من قريش وذكر عن عمه أن فهرا هو قريش • وقال أبو عبد الله حدثني عمرو بن أبي بكر المؤملي عن جدي عبد الله بن مصعب رحمه الله أنه سمعه يقول اسم فهر بن مالك قريش وإنما فهر لقب وكذلك حدثه المؤملي عن عثمان بن أبي سليمان في اسم فهر بن مالك أنه قريش وقبل ذلك ذكر عن المؤملي عن أبي عبيدة بن عبد الله في اسم فهر بن مالك أنه قريش قال وحدثني إبراهيم بن المنذر وقال حدثنا أبو البختري وهب بن وهب قال حدثني ابن أخي ابن شهاب عن عمه أن اسم فهر بن مالك الذي أسمته أمه قريش وإنما نبزته فهرا كما سمي الصبي غرارة وشملة وأشباه ذلك قال قال وقد أجمع النساب من قريش وغيرهم أن قريشا إنما تفرقت عن فهر والذي عليه من أدركت من نساب قريش وغيرهم أن ولد فهر بن مالك قريش وأن من جاوز فهر بن مالك بنسبه فليس من قريش * وذكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي فيما حدثه أبو الحسن الأثرم عنه أن النضر بن كنانة هو قريش * وذكر عنه أنه قال في موضع آخر ولد مالك بن النضر فهرا وهو جماع قريش وقال قال محمد بن حسن عن نصر بن مزاحم عن عمرو بن جميل عن الشعبي قال النضر بن كنانة هو قريش وإنما سمي قريشا لأنه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله والتقريش هو التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيرفدونهم بما يبلغهم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشا وقد قال الحارث بن حلزة في بيان القرش

أيها الناطق المقرش عنا * عند عمرو وهل لذاك انتهاء

وحدثنا أبو الحسن الأثرم عن أبي عبيدة [illegible] قال منتهى من وقع عليه اسم قريش النضر بن كنانة فولده قريش دون سائر بني كنانة بن خزيمة بن مدركة وهو عامر بن الياس بن مضر فأما ولد كنانة سوى النضر فلا يقال لهم قريش وإنما سميت بنو النضر قريشا لتجمعهم لأن التقرش التجمع قال وقال بعضهم [illegible] التجار [illegible] يتجرون [illegible] لكل على [illegible] هذا القول أن قريشا مجتمعوا [illegible] كلاب فلم يخرج الأولاد فهر بن مالك لا من به عند أحد في ذلك [illegible] أعلم [illegible] وأرجى الآثار [illegible] لا [illegible] ولم [illegible] قريشا ولم [illegible] إلا ولد فهر بن مالك (قال المؤلف) في [illegible] هذا الكلام من قول الزبير [illegible] عن [illegible] كتاب [illegible] الزبير [illegible]

فاطمة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ولا أدري أهي أم مخلد أم لا « قال ابن هشام » والصلت بن

المدني وأمهم جميعا بنت سعد بن ظرب العدواني وعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان قال كثير بن عبد

بن عمرو من خزاعة أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي * لكل هجان من بني النضر أزهرا

بنا وبهم والحضرمي المخصرا فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا * أراكا بأذناب الفوائج أخضرا

له والذين يعزون إلى الصلت بن النضر من خزاعة بنو مليح بن عمرو رهط (٧١) كثير عزة

ورأيت لغيره أن قريشا تصغير القرش وهو حوت في البحر يأكل حيتان البحر سميت به القبيلة أو سمي به

أبو القبيلة والله أعلم ورد الزبير على ابن إسحق في أنها سميت قريشا بجمعها وأنه لا يعرف قريش إلا في

فهر ورد الزبير لا يلزم لأن ابن إسحق لم يقل إنهم بنو قصي خاصة وإنما أراد أنهم سموا بهذا الاسم مذ جمعهم قصي

وكذا قال المبرد في المقتضب إن هذه التسمية إنما وقعت لقصي والله أعلم غير أنا قد ما في قول كعب بن

ما يدل على أنها كانت تسمى قريشا قبل مولد قصي وهو قوله * إذا قريش تبغي الحق خذلانا

وذكر قول رؤبة * قد كان يغنيهم عن الشغوش * والخشل من تساقط القروش

وفي حاشية الشيخ عن أبي الوليد قال إنما الخشل المقل والقروش ما سقط من حتاته وقشره وأنشد

لكثير بن عبد الرحمن * أليس أبي بالصلت أم ليس إخوتي * البيت وبعده

رأيت ثياب العصب مختلط السدى * بنا وبهم والحضرمي المخصرا

والعصب برود اليمن لأنها تصبغ بالعصب ولا ينبت العصب ولا الورس إلا باليمن وكذلك اللبان قاله أبو

حنيفة يريد أن قدودنا من قدودهم فسدى أثوابنا مختلط بسدى أثوابهم والحضرمي النعال المخصرة التي تضيق

من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين كما يقال رجل مبطن أي ضامر البطن وجاء في صفة نعل النبي صلى الله

عليه وسلم أنها كانت معقبة مخصرة ملسنة محترما والمخترمة التي لها اخترامة وهو كالتحديد في مقدمها

وكانت نعله عليه السلام من سبت ولا يكون السبت إلا من جلد بقر مدبوغ قاله أبو حنيفة عن الأصمعي

وأبي زيد * وذكر قول جرير بن الخطفي

وقس بالليل إذا ما أسدفا * أعناق جنان وهاما رجفا * وعنقا باقي الرسيم خيطفا

والخيطفة سرعة في العدو فإذا وصفت به العنق والجري قلت عنق خيطف وإذا سميت به الرجل قلت خيطفي

وكذلك إن جعلته اسما للمشية فهو مثل الجمزى والبشكى * وقوله وتيم بن غالب وهم بنو الأدرم والأدرم

المدفون الكعبين من اللحم يقال امرأة درماء وكعب أدرم قال الراجز

قامت تريه خشية أن تصرما * ساقا بخنداه وكعبا أدرما

* تركه لا يسل إلا ما أعطانا *

والأدرم أيضا المنقوص الذقن وكان تيم بن غالب كذلك فسمي الأدرم قاله الزبير وبنو الأدرم من

أعراب مكة وهم من قريش الظواهر لا من قريش البطاح وكذلك بنو محارب بن فهر وبنو الحارث بن

عامر * وذكر بني لؤي فقال أم عامر ماوية بنت كعب بن القين سميت بالماوية وهي المرآة كأنها نسبت

إلى الماء لصفائها وقلبت همزة الماء واوا وكان القياس أن تقلب هاء فقال ماهية ولكن فهو ماهي

نسبة ماهيته عن ماء إنه أراد إنما كان حكم الهاء أن لا يهمز في هذا الموضع فلما شبهت بحروف المد والين

الذين يقال لهم بنو الأدرم « قال ابن هشام » وقيس بن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو

ابن إسحق فولد لؤي بن غالب أربعة نفر كعب بن لؤي وعامر بن لؤي وسامة بن لؤي

بنت كعب بن القين بن جسر بن قضاعة « قال ابن هشام » ويقال والحرث بن لؤي وهم جشم بن الحرث

بني جشم ابن لهرابن ناصرا * لا على الزاد

فهجروها لذلك اطرد فيها ذلك التشبيه ويحتمل اسم المرأة ان يكون من أويته اذا ضممته اليك يقال أويت مثل ضممت وأويته مثل أدنيته ثم قال في المفعول من أويته على وزن فعلت مأوي والمرأة مأوية ثم تسهل الهمزة فتكون ألفا ساكنة وخالفه ابن هشام في أم عامر فقال محشية بنت شيبان بن محارب بن فهر وماوية أم سائر بنيه غير عامر * وذكر سعد بن لؤي وانهم بانة في شيبان غير واحد [illegible] وكان بنو ضبيعة قد ادعوهم وهو ضبيعة أضجم بن ربيعة لا ضبيعة بن أقيش بن ثعلبة فلما كان زمن عمر قدموا عليه وفيهم سيد لهم يقال له أبو الدهماء فكلم أبو الدهماء عمر أن يلحقهم بقريش فأنكر عمر ذلك فأخبره عثمان عن أبيه عفان انه حدثه بصحة نسبهم الى قريش ونسب جروة [illegible] فواعدهم الى العام المقبل فيلحقهم فقتل أبو الدهماء عند انصرافه وشغلوا بأمره حتى مات عمر فألحقهم عثمان بقريش فلما كان علي نفاهم عن قريش وردهم الى شيبان فقال الشاعر

ضربت الصحيفة [illegible] * ردت بنانة في بني شيبانا
والعانا [illegible] * لما نكن وكأنا قد كانا

لخص هذا الخبر [illegible] ذكره البرقي عن ابن الكلبي والبانة في اللغة الرائحة الطيبة * وقال أبو حنيفة البانة [illegible] أي [illegible] وذكر [illegible] بن لؤي وانهم انتسبوا في شيبان [illegible] بأمهم عائذة [illegible] وعائذة من اليمن وقال [illegible] ولدت لعبد [illegible] وحاربانهم [illegible] وحرب بن [illegible] ومن بني [illegible] الذي [illegible] وقد [illegible] طرف من ذلك [illegible] ان شاء الله تعالى [illegible] الذي [illegible] الرحال [illegible] وذكر سعد بن [illegible] وقصة [illegible] عوف بن لؤي [illegible] أحياء من العرب [illegible] في قضاعة [illegible] وذكر ابن دريد في كتاب الاشتقاق [illegible] قال [illegible] وذكر [illegible] بن لؤي [illegible] على رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الشاعر [illegible] على أبي [illegible] وهو الصحيح [illegible] كلام [illegible] وان كان [illegible]

[illegible]

اين جسر بن شيع الله
ويقال سيع الله بن الأسد
ابن وبرة بن ثعلبة بن
حلوان بن عمران بن الحاف
ابن قضاعة وقال بنت
النمر بن قاسط من ربيعة
ويقال بنت جرم بن ربان
ابن حلوان بن عمران بن
الحاف بن قضاعة وجرمه
ابن لؤي بن غالب وهم
عائذة في شيبان بن ثعلبة
وعائذة امرأة من اليمن وهي
أم بني [illegible] بن [illegible]
لؤي وأم بني لؤي كلهم الا
عامر بن لؤي [illegible]
[illegible] وأم
عامر بن لؤي محشية بنت
شيبان بن محارب بن [illegible]
[illegible]
محارب بن فهر

[illegible]

يوم حلوا به قتيلاً لناقه ... لعامر أو لكعب رسولا * أن نفسي إليهما مشتاقه ... إن تكن في عمان داري فإني * عالي خرجت من غير فاقه

رب كأس هرقت يا ابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهراقه ... رمت دفع الحتوف يا ابن لؤي * ما لمن رام ذاك بالحتف طاقه

وخروس السرى تركت رذيا * بعد جد وجدة ورشاقه ... «قال ابن هشام» وبلغني أن بعض ولده أتى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فانتسب إلى سامة بن لؤي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آلشاعر فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله

رب كأس هرقت يا ابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهراقه ... قال أجل

﴿ أمر عوف بن لؤي ونقلته ﴾

* قال ابن إسحق وأما عوف بن لؤي فإنه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش حتى إذا كان بأرض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبطئ به فانطلق من كان معه من قومه فأتاه ثعلبة بن سعد وهو أخوه في نسب بني ذبيان بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وعوف بن سعد ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان فحبسه وزوجه والتاطه وآخاه فشاع نسبه في بني ذبيان وثعلبة فيما يزعمون الذي يقول لعوف حين أبطئ به فتركه قومه

احبس علي ابن لؤي جملك * تركك القوم ولا مترك لك

* قال ابن إسحق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين أن عمر

* وقوله * لعامر أو لكعب رسولا * يجوز أن يكون رسولا مفعولا بلغا إذا جعلت الرسول بمعنى الرسالة كما قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم * بليلى ولا أرسلتهم برسول

أي برسالة وإنما سموا الرسالة رسولا إذا كانت كتابا أو ما يقوم مقام الكتاب من شعر وشبهه كأنهم كانوا يقيمون الشعر مقام الكتاب وبلغه الركبان كما يبلغ الكتاب فيعرب عن ضمير الكاتب كما يعرب الرسول ولذلك الشعر المبلغ فسمي رسولا وبين الرسول والمرسل معنى دقيق ينتفع به في فهم قول الله عز وجل «وأرسلناك للناس رسولا» فإنه لا يحسن في مثل هذا أن يقال أرسلناك مرسلا ولا أتاك نبيئا كما لا يحسن ضربتك مضروبا ولكشف هذا المعنى وإيضاحه موضع غير هذا واختصار القول فيه أن ليس كل مرسل رسولا فالرياح مرسلات والحاصب مرسل وكذلك كل عذاب أرسله الله وإنما الرسول اسم لا يطلق على المرسل ويجوز أن يكون رسولا حالا من قوله لعامر أو لكعب رسولا أفرده والمراد الواحد عن الاثنين والجماعة في مثل هذا اللفظ يقول اسم رسول وهي رسول يستوي الجماعة والواحد والذكر والمؤنث وفي التنزيل «إنا رسول رب العالمين» ويكون المفعول على هذا أن نفسي إليهما مشتاقة ويكون أن على القول الأول بدلا من رسول أي رسالة * وقوله وخروس السرى تركت رذيا * إن خفضت فهو أعرب خروس السرى تركت فتركت في موضع الصفة لخروس وإن نصبت جعلته مفعولا بتركت ولم تكن تركت في موضع صفة لأن الصفة لا تعمل في الموصوف والسرى في موضع خفض لخروس على المجاز كما يقول نام ليلك يريد ناقة صموتا صبورا على السرى لا تصخر فهو يراها كالخرس ومنه قول الكميت

كتوم إذا ضج المطي كأنما * تكرم عن أخلاقهن وترغب

وقول الأعشى

كتوم الرغاء إذا هجرت * وكانت بقية ذود كتم

وإنما قال خروس في معنى الأخرس لأنه أراد كتوم خافه على وزنه قال البرقي وكانت ناقة لسامة أكرم من أخويه وكان يقول وهي ترقصه صغيرا

وإن ظني بني ابن كعب * أن يشتري الحمد ويلي بالثمن

ويهزم الجيش إذا الجيش ازدحم * ويروي الشيان من محض اللبن

قال كن رأس إذا الله ... وذكر قول جرير لبني جشم بن لؤي

بني جشم لستم لهزان فانتموا * لأعلى الروابي من لؤي بن غالب

ابن الخطاب قال لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بني مرة بن عوف إنا لنعرف فيهم الأشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعني عوف بن لؤي * قال ابن إسحق فهو في نسب غطفان مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وهم يقولون إذا ذكر لهم هذا النسب ما ننكره وما نجحده وإنه لأحب النسب إلينا وقال الحارث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع «قال ابن هشام» أحد بني مرة بن عوف حين هرب من النعمان بن المنذر فلحق بقريش ... فما قومي بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا ... وقومي إن سألت بنو لؤي * بمكة علموا مضر الضرابا [illegible]

سمعها ناساغ بي بعيض * وترك الاقربين لنا انسانا   سعاهة مخالف لما روى * هراق الماء واسع السرابا
فلوطووعت عمرك كنت فيهم * وما ألفيت أنتجع السحابا   وحش رواحة القرشي رحلي * ساحية ولم نطلب ثوابا

«قال ابن هشام» هذا ما أنشدني أبو عبيدة منها * قال ابن اسحق فقال الحصين بن الحمام المري ثم أحد بني سهم بن مرة يرد على الحرث بن ظالم وينتمي الى غطفان   الا لستم منا ولسنا اليكم * برئنا اليكم من لؤي بن غالب   أقمنا على عز الحجاز وأنتم * بمعتلج البطحاء بين الاخاشب

يعني قريشا ثم ندم الحصين على ما قال   (٧٤)   وعرف ما قال الحرث بن ظالم فانتمى الى قريش وأكذب نفسه فقال

ندمت على قول مضى كنت قلته

تبينت فيه انه قول كاذب

فليت لساني كان نصفين منهما

بكيم ونصف عند مجرى الكواكب

أبونا كناني بمكة قبره

بمعتلج البطحاء بين الاخاشب

لنا الربع من بيت الحرام وراثة

وربع البطاح عند دار ابن حاطب

أي ان بني لؤي كانوا أربعة كعبا وعامرا وسامة وعوفا * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرجال من بني مرة ان شئتم أن ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه قال ابن اسحق وكان القوم أشرافا في غطفان هم سادتهم وقادتهم منهم هرم بن

يقال انهم أعطوا آخر براعلى هذا الشعر ألف بعير ربي وكانوا ينتسبون الى ربيعة فلما انتسبوا بعد الى قريش ودكر شعر الحارث بن ظالم * وقوله سعاهة مخالف وهو المسمى وفيه المذكر

لعمرك اني لاحب كعبا * وسامة اخوتي حتى الترابا

وقوله * وحش رواحة القرشي رحلي * ساحية أي ساقه سرعة يقال حش السهم بالريش اذا راشه به فاراد راشي وأصلح رحلي ساحية ولم نطلب ثوابا عندهم بذلك ورواحة هذا هو رواحة بن منقذ بن معيص بن عامر كان قد ربع في الجاهلية أي رأس وأخذ المرباع * وقوله * ولوطووعت عمرك كنت فيهم * ونصب عمرك على الظرف * وقوله وما ألفيت أنتجع السحابا أي كانوا يسقونني بسيبهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب وارتياد المراعي في البلاد * وقول الحصين بمعتلج البطحاء أي حيث تعتلج السيول والاعتلاج عمل مود قال الشاعر

لو قلت للسيل دع طريقك والمو * ج عليه كالهضب يعتلج

وفي الحديث ان الدعاء والبلاء ليعتلجان ما بين السماء والارض وفي الحديث ان الدعاء ليلقى البلاء نازلا من السماء فيعتلجان الى يوم القيامة أي يتدافعان * وقوله لنا الربع من بيت الحرام أي لبني لؤي كانوا أربعة أحدهم ابوهم وهو عوف ونولؤي هم اهل الحرم ولهم وراثة البيت والاخاشب جبال مكة وقد قال الكلبي جبل أخشب أشد أخشب [illegible] أحشب [illegible] وذكر حسان بن ثابت الذي يزعم أن الجن احتطفته [illegible] عمر فقال لما كان أوان أعطي زهيرا [illegible] رحمه [illegible] قال الحطيئة [illegible]

لقد علمت خيل ابن حية انها * متى ما تكن يوما حلاد تجالد

وقول عامر بن الملوك [illegible] وذكروا انه قال عن [illegible] وهذا [illegible] فان الرواية [illegible] والدي أرادوا [illegible] كما قال كحول الدهناء [illegible] ان [illegible] الا الله * وقوله * [illegible] اعجب هذا البيت [illegible] بالعز والامتناع

سنان بن أبي حارثة وخارجة بن سنان بن أبي حارثة والحرث بن عوف والحصين بن الحمام وهاشم بن حرملة الذي يقول له القائل   وانا [illegible] أحيا أباه هاشم بن حرملة يوم الهباآت ويوم اليعمله [illegible] ترى الملوك عنده مغربله [illegible] ويقتل الذنب ومن لا ذنب له

«قال ابن هشام» أنشدني أبو عبيدة هذه الابيات لعامر الخصفي خصف بن قيس بن عيلان احيا أباه هاشم بن حرملة يوم الهباآت ويوم اليعمله ترى الملوك عنده مغربله يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له ورمحه للوالدات مثكله «قال ابن هشام» وحدثني ان هاشما قال لعامر قل في بيتا جيدا أثبك عليه فقال عامر البيت الاول فلم يعجب هاشما ثم قال الثاني فلم يعجبه ثم قال الثالث فلم يعجبه فلما قال الرابع يقتل ذا الذنب

ومن لا ذنب له أعجمه فاتاه عليه «قال ابن هشام» وذلك الذي أراد الكميت بن زيد في قوله

وهاشم مرة المفني ملوكا * بلا ذنب اليه ومذنبينا

وهذا البيت في قصيدة له وقول عامر يوم الهباءة عن غير أبي عبيدة * قال ابن اسحق وقوم لهم صيت وذكر في غطفان وقيس كلها فأقاموا على نسبهم وفيهم كان البسل «أمر البسل» والبسل فيما يزعمون نسيئهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه يسيرون به الى أي بلاد العرب شاؤا لا يخافون منهم شيئاً قال زهير بن أبي سلمى يعني بني مرة «قال ابن هشام» زهير أحد بني مزينة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ويقال (٧٥)

زهير بن أبي سلمى من غطفان ويقال حليف في غطفان

تأمل فان تقو المروراة منهم
وداراتها لا تقو منهم اذا نخل
بلاد بها نادمتهم وألفتهم
فان تقويا منهم فانهم بسل

أي حرام يقول ساروا في حرمهم «قال ابن هشام» وهذان البيتان في قصيدة له * قال ابن اسحق * وقال أعشى بني قيس ابن ثعلبة

أجارتكم بسل علينا محرم
وجارتنا حل لكم وحليلها

«قال ابن هشام» وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق * فولد كعب بن لؤي ثلاثة نفر مرة بن كعب وعدي بن كعب وهصيص بن كعب وأمهم وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر * فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر كلاب بن مرة وتيم بن مرة ويقظة بن مرة فأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة وأم يقظة البارقية امرأة من بارق من الاسد من اليمن ويقال هي أم تيم ويقال تيم لهند بنت سرير أم كلاب «قال ابن هشام» بارق بنو عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الاسد بن الغوث وهم في شنوءة قال الكميت بن زيد

وأزد شنوءة اندرؤا علينا * بجم يحسبون لها قرونا

فما قلنا لبارق قد أسأتم * وما قلنا لبارق أعتبونا

قال وهذان البيتان في قصيدة له وانما سموا ببارق لانهم تبعوا البرق

وانه لا يخاف جانيا يعدى عليه ولا ترة من طالب ثار وهاشم بن حرملة هذا هو جد منظور بن زبان بن سيار الذي كانت تحته رحلة عند ابن الزبير فهو جده لأمه واسمها قهطم بنت هاشم كانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين وولدته بأضراسه فسمي منظورا لطول انتظارهم اياه وفي زبان بن سيار والد منظور يقول الحطيئة

وفي آل زبان بن سيار فتية * يرون ثنايا المجد سهلا صعابها

ولم يصرف سيارا لما سنذكره بعد ان شاء الله وذكر زهيرا ونسبه الى مزينة وهم بنو عثمان بن عمرو بن الاطم بن أد بن طابخة قال حسان بن ثابت

فانك خير عثمان بن عمرو * وأسناها اذا ذكر السناء

يمدح رجلا من مزينة ومزينة أمهم وهي بنت كلب بن وبرة وأختها الحوأب بنت كلب التي يعرف بها ماء الحوأب المذكور في حديث عائشة أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب وذكر البسل وهو الحرام والبسل أيضا الحلال فهو من الأضداد ومنه بسلة الراقي أي ما يحل له أن يأخذه على الرقية وبسل في الدعاء بمعنى آمين قال الراجز

لا خاب من نفعك من رجاك * بسلا وعادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول في أثر الدعاء آمين وبسلا أي استجابة * وقول زهير فان المروراة منهم البيت وقع في بعض النسخ المرورات بتاء ممدودة كأنه جمع مرور وليس في الكلام مثل هذا البناء وانما هو المروراة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام فهو فعلعلة مثل صمحمحة والألف فيه منقلبة عن واو أصلية وهذا قول سيبويه حمله على صمحمحة وأبطل أن يكون من باب غدودن وقال ابن السراج في قطوطاة وهو مثل مروراة هو فعوعل مثل غدودن وقال سيبويه فيه انما هو من باب صمحمحة فالواو زائدة على قول ابن السراج ووزنه عنده فعوعلة * وذكر هصيص بن كعب وهو فعيل من الهص وهو القبض بالأصابع من كتاب العين * وذكر يقظة بن مرة بفتح القاف وقد وجدته بسكون القاف في أشعار مدح بها خالد بن الوليد في قول الشاعر

وأنت لمخزوم بن يقظة جنة * كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد

وأم مخزوم بن يقظة جد بني مخزوم كانت بنت عامر بن لؤي بن غالب بن فهر * وذكر بارقا وهم بنو عدي من الازد وقال سموا بارقا لانهم اتبعوا البرق وقد قيل انهم نزلوا عند جبل يقال له بارق فسموا به وقول الكميت بجم يحسبون لها قرونا أي ينطحون بلا عدة ولا منة كالكباش الجم التي لا قرون لها وهم يحسبون أن لهم قوة

* قال ابن إسحق فولد كلاب بن مرة رجلين قصي بن كلاب وزهرة بن كلاب وأمهما فاطمة بنت سعد ابن سيل أحد الجدرة من جعثمة الأزد من اليمن حلفاء في بني الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة «قال ابن هشام» ويقال جعثمة الأسد وجعثمة الأزد وهو جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأسد بن الغوث ويقال جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن نصر بن زهران بن الأسد بن الغوث وإنما سموا الجدرة لأن عامر بن عمرو ابن خزيمة بن جعثمة تزوج بنت الحرث بن مضاض الجرهمي وكانت جرهم أصحاب الكعبة فبنى للكعبة جدارا فسمي عامر بذلك الجادر فقيل لولده الجدرة لذلك * قال ابن اسحق ولسعد بن سيل يقول الشاعر

ما نرى في الناس شخصا واحدا
من علمناه كسعد بن سيل

فارسا أضبط فيه عسرة
وإذا ما واقف القرن نزل

فارسا يستدرج الخيل كما
استدرج الحر القطامي الحجل

«قال ابن هشام» قوله كما استدرج الحر عن بعض أهل العلم بالشعر «قال ابن هشام» ونعم بنت كلاب وهي أم أسعد وسعيد ابني سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤي وأمها فاطمة بنت سعد بن سيل * قال ابن اسحق فولد قصي بن كلاب أربعة نفر وامرأتين عبد مناف بن قصي وعبد الدار بن قصي وعبد العزى بن قصي وعبد بن قصي وتخمر بنت قصي وبرة بنت قصي وأمهم حبى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي «قال ابن هشام» ويقال حبشية ابن سلول «قال ابن هشام» فولد عبد مناف بن قصي أربعة نفر هاشم بن عبد مناف وعبد شمس بن عبد مناف والمطلب بن عبد مناف وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج ولدن

والكميت هذا هو ابن زيد أبو المستهل من بني أسد * وفي أسد الكميت بن معروف كان قبل هذا وفيهم أيضا الكميت بن ثعلبة وهو أقدم الثلاثة وابن معروف هو الذي يقول

ولا تكثروا فيه الضجاج فإنه * محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

وذكر الجدرة وقال هم بنو عامر بن عمرو بن خزيمة بن جعثمة * وفي حاشية الشيخ أبي بحر زيادة خزيمة خطأ إنما هو عمرو بن جعثمة * وذكر غير ابن اسحق أن السيل جاءت مرة فدخل الكعبة وصدع بنيانها ففزعت لذلك قريش وخافوا انهدادها إن جاءها سيل آخر وأن يذهب شرفهم ودينهم فبنى عامر لها جدارا فسمي الجادر * وقوله في الجدرة حلفاء بني الديل المعروف عند أهل النسب أن الديل في عبد القيس وهو الديل بن عمرو بن وديعة والديل في الأزد وهو ابن هداد بن زيد مناة والدول في تغلب وهو ابن ثعلبة بن عمرو بن غنم بن تغلب والدول أيضا في إياد وهو ابن أمية بن حذافة بن زهير بن إياد وأما الذي في كنانة وهم الذين ينسب إليهم أبو الأسود الدؤلي وهو ظالم بن عمرو وهم حلفاء الجدرة فابن الكلبي ومحمد ابن حبيب وغيرهما من أهل النسب يقولون فيه الدئل بضم الدال وهمزة مكسورة وينسبون إليه دؤلي وطائفة من أهل اللغة منهم الكسائي ويونس بن حبيب والأخفش يقولون فيه الديل بكسر الدال وينسبون إليه الديلي واختاره أبو عبيدة قال محمد بن حبيب ابن الكلبي وغيره من أهل النسب [illegible] وإليهم يرجع فيما أشكل من هذا الباب (قال المؤلف) وأما الدؤل فالدؤل بن حنيفة واسم حنيفة أثال بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل ومنهم رهط مسيلمة الكذاب وفي ربيعة أيضا في عنزة الدؤل بن صباح وفي الرباب الدؤل بن جل بن عدي بن عبد مناة بن أد بن طابخة وفي الأسد الدؤل بن سعد مناة بن غامد والذي قيد عن ابن اسحق في الديل بن بكر بكسر الدال والياء الساكنة وقد وافقه على ذلك من النساب العدوي وابن سلام الجمحي ومن قدمنا ذكره من أهل اللغة والدئل على وزن فعل من دأل يدأل إذا مشى بتحامل والدئل دويبة [illegible] وكانه [illegible] ولم يجئ على وزن ما لم يسم فاعله وقد قيل إن الدئل بن بكر سمي بالدئل وهي دويبة صغيرة وأنشد لكعب بن مالك

جاءوا بجيش لو قيس معرسه * ما كان إلا كمعرس الدئل

وأنشد في سعد بن سيل واسم سيل خير [illegible] قاله الطبري والسيل هو [illegible] وهو أول من حلى السيوف بالذهب والفضة فارسا أضبط فيه عسرة الأضبط الذي يعمل بكلتا يديه [illegible] أيضا [illegible] وقوله فيه [illegible] والاسم منه [illegible] * وذكر حليل بن حبشية والحبشية [illegible] وذكر [illegible] ولدت له عبد مناف وأخوته وقال غيره أم عبد مناف عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان وأم هاشم عاتكة بنت مرة فالأولى عمة الثانية وأم وهب جد النبي عليه السلام لأمه عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال فهن عواتك

ابن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة ونوفل بن عبد مناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية مازن بن منصور بن عكرمة « قال ابن هشام » فبهذا النسب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور ابن عكرمة « وقال ابن هشام » وأبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وريطة وأم الأخثم وأم سفيان بنو عبد مناف فأم أبي عمرو ريطة امرأة من ثقيف وأم سائر النساء عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف وأمها صفية بنت حوزة بن

ولد النبي عليه السلام ولذلك قال أنا ابن العواتك من سليم وقد قيل في تأويل هذا الحديث ان ثلاث نسوة من سليم أرضعنه كلهن تسمى عاتكة والأول أصح وأم عاتكة بنت مرة ماوية بنت حوزة بن عمرو بن مرة أخي عامر بن صعصعة وهم بنو سلول وأم ماوية أم أناس المذحجية * وقال في أمهات بني عبد مناف وأما صفية فأمها بنت عبد الله بن سعد العشيرة بن مذحج وهو وهم لأن سعد العشيرة بن مذحج هو أبو القبائل المنسوبة إلى مذحج الأعلم فيستحيل أن يكون في عصر هاشم من هو ابن لصلبه ولكن هكذا رواه البرقي عن ابن هشام كما قلنا ورواه غيره بنت عبد الله من سعد العشيرة وهي رواية الغساني وقد قيل فيه عائذ الله وهو أقرب إلى الصواب ولسعد العشيرة ابن لصلبه واسمه عبد الله وهي قبيلة من قبائل جنب من مذحج وقد ذكرت بطون جنب وأسماؤها وولد سعد العشيرة أو أكثرهم في هذا الكتاب ولم تسميت تلك القبائل جنب وأحسب الوهم في رواية البرقي إنما جاء من اشتراك الاسم لأن أم صفية المذكورة بنت عبد الله ولكن ليس بعبد الله الذي هو ابن سعد العشيرة لصلبه ولكنه من سعد العشيرة * وذكر عبد شمس بن عبد مناف وكان تلو هاشم ويقال كانا توأمين فولد هاشم ورجله في جبهة عبد شمس ملصقة فلم يقدر على نزعها إلا بدم فكانوا يقولون سيكون بين ولدهما دماء فكانت تلك الدماء ما وقع بين بني هاشم وبني أمية بن عبد شمس وأما سلمى أم عبد المطلب فقد ذكر نسبها وأن أمها عميرة بنت صخر المازنية وأخاه عمرو بن أحيحة بن الجلاح وأخوه معبد ولدتهما لأحيحة بعد هاشم وكان عمرو من أجمل الناس وأنطقهم بحكمة وقال رجل من بني هاشم للمنصور رأيت ابن اسمه أبي السمين وصف أبي الدنيا فالي من يدفعا نعي في المصاهرة فأنشد

عبد شمس كان يتلو هاشما * وهما بعد لأم ولأب

* وذكر الدارقطني ان الحارث بن حبيش السلمي كان أخا هاشم وعبد شمس والمطلب لأمهم وإنه ربي هاشما لهذه الأخوة وهذا يرى أن أمهم عاتكة السلمية

(فصل) وذكر ابن إسحق أن أم أسد بن هاشم وأم أبي صيفي هند بنت [illegible] الأجحم بن دندنة الخزاعي ولدت له أسد وفاطمة بنت الأجحم التي تقول

[illegible] الود [illegible] أخي [illegible]

وهم هذا الشعر في الحماسة وغيرها وذكر أم العباس وهي نتيلة بنت جناب بن كليب وهي من بني عامر الذي يعرف بالضحيان وكان من ملوك ربيعة وقد ذكر باقي نسبها وأنها أول من كسا البيت الديباج وذكر سبب ذلك [illegible] ذكره الماوردي قال أول من كسا البيت الديباج خالد بن جعفر بن كلاب أخذ لطيمة من البر وأخذ فيها أنطاعا [illegible] على الكعبة وأم [illegible] من همدان [illegible]

عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن وأم صفية بنت عائذ الله بن سعد العشيرة ابن مذحج « قال ابن هشام » فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب بن هاشم وأسد بن هاشم وأبا صيفي ابن هاشم ونضلة بن هاشم والشفاء وخالدة وضعيفة ورقية وحية فأم عبد المطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر وأمها عميرة بنت صخر بن الحرث بن ثعلبة بن مازن ابن النجار وأم عميرة سلمى بنت عبد الأشهل النجارية وأم أسد قيلة بنت عامر ابن مالك الخزاعي وأم أبي صيفي وحية هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية وأم نضلة والشفاء امرأة من قضاعة وأم خالدة وضعيفة واقدة بنت أبي عدي المازنية

أولاد عبد المطلب بن هاشم

« قال ابن هشام » ولد عبد المطلب ابن هشام عشرة نفر وست نسوة العباس وحمزة وعبد الله وأبا طالب واسمه عبد مناف والزبير والحارث وحجلا والمقوم وضرارا وأبا لهب واسمه عبد العزى وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة فأم العباس وضرار نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وقال أفصى بن

دعمى بن حذيفة وأم حمزة والمقوم وحجل وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره وسعة ماله وأم صفية هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي وأم عبد الله وأبي طالب والزبير وجميع النساء غير صفية فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأمها صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم صخرة تخمر بنت عبد بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر وأم الحرث ابن عبد المطلب سمراء بنت جندب بن جحير بن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة وأم أبي لهب لبنى بنت هاجر بن عبد مناف ابن ضاطر بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي «قال ابن هشام» وولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم (محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب) صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة وأمها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم برة أم حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم أم حبيب برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر «قال ابن هشام» فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم

لا

مثلثة * وذكر بني عبد المطلب جحلا بتقديم الجيم على الحاء هكذا رواية البكائي وقال الدارقطني هو حجل بتقديم الحاء وقال حجل بتقديم الجيم هو الحكم بن حجل يروي عن علي ومن حديثه عنه أنه قال من وصلى على أبي بكر جلدته حد الفرية والحجل السقاء الضخم والحجل الخرباء وذكر ابن دريد أن اسم حجل مصعب وقال غيره كان اسمه مغيرة وحجل لقب له والحجل ضرب من اليعاسيب قاله صاحب العين وقال أبو حنيفة كل شيء ضخم فهو حجل وحجل هو العيداق والغيداق ولد الضب وهو أكبر من الحسل ولم يعقب وكذا المقوم لم يعقب الا بنتا اسمها هند وأم الغيداق فيما ذكر القتبي ممنعة بنت عمرو الخزاعية وهذا خلاف قول ابن اسحق وذكر في أعمامه أيضا الزبير وهو أكبر أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي كان يرقص النبي صلى الله عليه وسلم وهو طفل ويقول

محمد بن عبدم ... عشت بعيش أنعم ... في دولة ومغنم * دام سجيس الأزلم

وابنته ضباعة كانت تحت المقداد وعبد الله بن الزبير ذكر في الصحابة رضي الله عنهم وكان الزبير رضي الله عنه يكنى أبا الطاهر بابنه الطاهر وكان من أظرف فتيان قريش وبه سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه الطاهر وأحسب الزبير بن عبد المطلب كان بمكة إذ مات فقال بأي عمو به كان موته فقيل مات حبيب أبيه فقال وإن فلانة من يوم ... فيه المطلومين هذا دليل على اقراره بالبعث وذكر أبا طالب واسمه عبد مناف وله يقول عبد المطلب

أوصيك يا عبد مناف بعدي ... بموحد بعد أبيه فرد
مات أبوه وهو حلف المهد

وذكر أبا لهب واسمه عبد العزى وكنى أبا لهب لاشراق وجهه وكان بعد من الله تعالى لما صار اليه من اللهب وأمه لبنى بنت هاجر بكسر الجيم من بني ضاطر بضاد منقوطة واللبنى في اللغة شيء يجمع من بعض الشجر قاله أبو حنيفة وقال العصمة والدودم مثل اللبنى يسيل من الشجر غير أنه أحمر وقال حاضت السمرة إذا رشح ذلك منها

﴿ أمهات النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكر آخرهن برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي وهن كلهن قرشيات ولذلك ومن في برة وأن كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا أم برة وأم أمها وأم أم الأم ولكنهن من غير قريش قال محمد بن حبيب وأم برة قلابة بنت الحرث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن عادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل وأم قلابة أميمة بنت مالك بن غنم بن لحيان بن عادية بن كعب [وأم أميمة دبة بنت الحرث بن لحيان بن عادية] وأمها بنت كهف الظلم من بني ثقيف وذكر الزبير قلابة بنت الحرث وزعم أن أباها الحرث كان يكنى أبا قلابة وأنه أقدم شعراء هذيل وذكر من قوله

لا بأس وإن أمسيت في حرم * إن المنايا بجنبي كل إنسان
واسلك طريقك تمشي غير مختشع * حتى تلاقي ما يمني لك الماني
فالخير والشر مقرونان في قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان

﴿ باب مولد النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكر نسب أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة وأن زهرة هو ابن كلاب وفي المعارف لابن قتيبة أن زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة وهذا منكر غير معروف وإنما هو اسم جدهم كما قال ابن إسحاق والزهرة في اللغة إشراق في اللون أي لون كان من بياض أو غيره وزعم بعضهم أن الأزهر هو الأبيض خاصة وأن الزهر اسم للأبيض من النوار وخطأ أبو حنيفة من قال بهذا القول وقال إنما الزهرة إشراق في الألوان كلها وأنشد في نور الحوذان وهو أصفر

ترى زهر الحوذان حول رياضه * يضيء كلون الأتحمي المورس

وفي حديث يوم أحد نظرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيناه تزهران تحت المغفر وذكر فيه حفر إسمعيل وأمه وقد تقدم طرف منه * وذكر أن جبريل عليه السلام همز بعقبه في موضع زمزم فنبع الماء وكذلك زمزم تسمى همزة جبريل بتقديم الميم على الزاي ويقال فيها أيضا هزمة جبريل لأنها هزمة في الأرض وحكى في أسمائها زمزم وزمزم حكى ذلك عن المطرز وتسمى أيضا طعام طعم وشفاء سقم وقال الحربي سميت زمزم بزمزمة الماء وهي صوته وقال المسعودي سميت زمزم لأن الفرس كانت تحج إليها في الزمن الأول فزمزمت عليها والزمزمة صوت يخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء وقد كتب عمر رضي الله عنه إلى عماله أن انهوا الفرس عن الزمزمة وأنشد المسعودي

زمزمت الفرس على زمزم * وذاك في سالفها الأقدم

وذكر البرقي عن ابن عباس رضي الله عنه أنها سميت زمزم لأنها زمت بالتراب لئلا يأخذ الماء يمينا وشمالا ولو تركت لساحت على الأرض حتى تملأ كل شيء وقال ابن هشام والزمزمة عند العرب الكثرة والاجتماع قال الشاعر

وباشرت معطنها المدهشما * وغمت زمزوما المزمزما

المدهشم اللين وكان سبب إنزال هاجر وابنها إسماعيل بمكة ونقلها إليها من الشام أن سارة بنت عم إبراهيم عليه السلام شجر بينها وبين هاجر أمر وساء ما بينهما فأمر إبراهيم أن يسير بها إلى مكة فاحتملها على البراق واحتمل معه قربة ماء ومزود تمر وسار بها حتى أنزلها بمكة في موضع البيت ثم ولى راجعا عوده على بدئه فتبعته هاجر وهي تقول آلله أمرك أن تدعني وهذا الصبي في هذا البلد الموحش وليس معنا أنيس فقال نعم فقالت إذا لا يضيعنا فجعلت تأكل من التمر وتشرب من ماء القربة حتى نفد الماء وعطش الصبي وجعل ينشغ للموت وجعلت هي تسعى من الصفا إلى المروة ومن المروة إلى الصفا ترى أحدا حتى سمعت صوتا عند الصبي فقالت قد أسمعت إن كان عندك غوث ثم جاءت الصبي فإذا الماء ينبع من تحت خده فجعلت تغرف بيديها وتجعل في القربة قال النبي صلى الله عليه وسلم لو تركته لكانت عينا أو قال نهرا معينا وكلمها الملك وهو جبريل عليه السلام وأخبرها أنها ستقر بها وولدها إلى يوم القيامة وأنها موضع بيت الله الحرام ثم ماتت هاجر وإسماعيل عليه السلام ابن عشرين سنة فدفنها في الحجر ثم قبر إسماعيل عليه السلام وكان الحجر قبل بناء البيت زربا لغنم إسماعيل صلى الله عليه وسلم ويقال إن أول من سميت به هاجر إسماعيل عليه السلام وأم النمر

﴿ حديث مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك ابن هشام قال وكان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق المطلبي قال بينا عبد المطلب بن هاشم نائم في الحجر إذ أتي فأمر بحفر زمزم وهي دفن بين صنمي قريش إساف ونائلة عند منحر قريش وكانت جرهم دفنتها حين ظعنوا من مكة وهي بئر إسمعيل بن إبراهيم التي سقاه الله حين ظمئ وهو صغير فالتمست له أمه ماء فلم تجده فقامت على الصفا تدعو الله وتستغيثه لإسمعيل ثم أتت المروة ففعلت مثل ذلك وبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فهمز له بعقبه في الأرض فظهر الماء وسمعت أمه أصوات السباع فخافتها عليه فجاءت تشتد نحوه فوجدته يفحص بيده عن الماء من تحت خده ويشرب فجعلته حسيا

القرية التي كانت تعرف بالفرع من ناحية المدينة والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر نزول جرهم وقطوراء على أم إسماعيل هاجر وجرهم هو قحطان بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ويقال جرهم بن عابر وقد قيل انه كان مع نوح عليه السلام في السفينة وذلك انه من ولد ولده وهم من العرب العاربة ومنهم تعلم اسماعيل العربية . وقيل ان الله تعالى أنطقه بها انطاقا وهو ابن أربع عشرة سنة * وأما قطوراء فهو قطوراء بن كركر * وأما السميدع الذي ذكره فهو السميدع بن هوثر بثاء مثلثة قيدها البكري بن لاي بن قطوراء بن كركر بن عملاق وقال ان الرباء التي كانت من ذريته وهي بنت عمرو بن أذينة بن ظرب بن حسان وبين حسان وبين السميدع آباء كثيرة ولا يصح قول من قال ان حسان اسم لعلمه لعدد من الرباء من السميدع وقد ذكرنا الاختلاف في اسمه في غير هذا الموضع * [وذكر الحرث ابن مضاض الاكبر بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هيّ بن نبت بن جرهم]

﴿ فصل ﴾ وذكر ولاية جرهم البيت الحرام دون بني اسماعيل الى ان تولى الحرم وكان أول من بغى في الحرم فاذكر من حرب جرهم لقطوراء * وأما أجياد فلم يسم باجياد من أجل جياد الخيل كما ذكر لان جياد الخيل لا يقال فيها أجياد وانما أجياد جمع جيد * وذكر أصحاب الاخبار ان مضاضا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة فسمى الموضع بأجياد وهكذا ذكر ابن هشام في غير هذا الكتاب ومن شعب أجياد خرجت الدابة التي تخرج ... وكلم ابن ... يوم اليمامة ... روى عن صالح مولى التوأمة عن ... عمرو بن العاص ... ذكر ... في هذا الاسم ... واطعم ووضع سلاحه وأسلحته ... بهذا المكان ... فسمي ... والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر استحلال جرهم لحرمة الكعبة وذلك ان ابراهيم عليه السلام كان احتفر بئرا في بطن الكعبة ... كان يلقى فيها ما يهدى اليها فلما ... أمر جرهم سرقوا مال الكعبة ... من ... رجلا منهم ... البئر يسرق مال الكعبة فسقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كرأس الجدي سوداء البطن بيضاء الظهر فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة وأقامت في البئر ... واحواما ... عام ... ذكر ... خبر ... شأن الكعبة ان شاء الله

﴿ فصل ﴾ فلما كان من بني جرهم ما كان وافق ... سنا من ... على ... عمرو بن عامر أرض مكة وذلك ... امرأة عمرو بن ... وكان ... اسناد ... حتى ... البلاد ... عليهم جرهم وأخرجوهم ... من مكة الا ... عليهم واعتزلت ... مع ... فقد ذلك ... جراء ... وكان رئيسهم عمرو بن لحي الذي تقدم ذكره فلما شردت جرهم فسار ... وسلط ... الذر والرعاف وأهلكهم ... وكان آخرهم موتا ... بطوف ... طولها ... الى الذي ... الى موضع ... الدر ...

﴿ أمر جرهم ودفن زمزم ﴾

« قال ابن هشام » وكان من حديث جرهم ودفنها زمزم وخروجها من مكة ومن ولي أمر مكة بعدها الى أن حفر عبد المطلب زمزم ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائي عن محمد ابن اسحق قال لما توفي اسمعيل بن ابراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت بن اسمعيل ما شاء الله ان يليه ثم ولي البيت بعده مضاض ابن عمرو الجرهمي « قال ابن هشام » ويقال مضاض بن عمرو الجرهمي « قال ابن اسحق » وبنو اسمعيل وبنو نابت مع جدهم مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرهم وجرهم وقطوراء يومئذ أهل مكة ... وكانا ظعنا من اليمن فأقبلا سيارة وعلى جرهم مضاض بن عمرو وعلى قطوراء السميدع رجل منهم وكانوا اذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا الا ولهم ملك يقيم أمرهم ... ولا ... وشجر ...

فنزل مضاض بن عمرو ومن معه من جرهم أعلى مكة بقعيقعان فما حاز ونزل السميدع قطوراء أسفل مكة بأجياد فما حاز وكان مضاض يعشر من دخل مكة من أعلاها وكان السميدع يعشر من دخل مكة من أسفلها وكل في قومه لا يدخل واحد منهما على صاحبه ثم إن جرهم وقطوراء بغى بعضهم على بعض وتنافسوا الملك بها ومع مضاض يومئذ بنو اسمعيل وبنو نابت واليه ولاية البيت دون السميدع فسار بعضهم الى بعض فخرج مضاض بن عمرو من قعيقعان في كتيبته سائرا الى السميدع ومع كتيبته عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب يقعقع بذلك معه فيقال ما سمي قعيقعان بقعيقعان الا لذلك (٨١) وخرج السميدع من أجياد ومعه الخيل والرجال فيقال ما سمي أجياد أجيادا الا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه فالتقوا بفاضح واقتتلوا قتالا شديدا فقتل السميدع وفضحت قطوراء فيقال ما سمي فاضح فاضحا الا لذلك ثم ان القوم تداعوا الى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعبا بأعلى مكة واصطلحوا به وأسلموا الامر الى مضاض فلما جمع اليه أمر مكة فصار ملكها له نحر للناس فأطعمهم فاطبخ الناس وأكلوا فيقال ما سميت المطابخ المطابخ الا لذلك وبعض أهل العلم يزعم انها انما سميت المطابخ لما كان تبع نحر بها وأطعم وكانت منزله وكان الذي كان بين مضاض والسميدع أول بغي كان بمكة فيما يزعمون ثم نشر الله ولد اسمعيل بمكة وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة

فاستوطنوا فيما هنالك فصار موضع جهينة بالحجاز وقرب المدينة وأعلم من قضاعة وقضاعة من رهط العراق

(فصل) رجع الحديث وكان الحرث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هي بن نبت بن جرهم الجرهمي قد نزل قنونا من أرض الحجاز فضلت له ابل فبغاها حتى أتى الحرم فأراد دخوله ليأخذ ابله فنادى عمرو بن لحي من وجد جرهميا فلم يقتله فقطعت يده فسمع بذلك الحرث وأشرف على جبل من جبال مكة فرأى ابله تنحر ويتوزع لحمها فانصرف يائسا خائفا ذليلا وأبعد في الأرض وهي غربة الحرث بن مضاض التي يضرب بها المثل حتى قال الطائي

غربة تقتدي بغربة قيس * بن زهير والحارث بن مضاض

وحينئذ قال الحرث الشعر الذي رسمه ابن اسحق وهو قوله * كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * الشعر وفيه

ونبكي لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمنا وفيه العصافر

أراد العصافير وحذف الياء ضرورة ورفع العصافير على المعنى أي ويأمن فيه العصافير ويظل به أمنا أي ذات أمن ونحو أن يكون أمنا جمع آمن مثل ركب جمع راكب وصحب وصاحب ولم يسمر بمكة سامر السامر اسم الجماعة يتحدثون بالليل وفي التنزيل «سامرا تهجرون» والحجون بفتح الحاء على فرسخ وثلث من مكة قال الحميدي كان سفيان ربما أنشد هذا الشعر فزاد فيه بعد قوله فلسنا نغادر

ولم يتربع واسطا وجنوبه * الى السر من وادي الاراكة حاضر

وأبدلني ربي بها دار غربة * بها الجوع باد والعدو المخامر

قال الحميدي واسط الجبل الذي يجلس عنده المساكين اذا ذهبت الى منى وقوله فيه

* لا بعد سهيل وعامر * عامر جبل من جبال مكة يدل على ذلك قول بلال رضي الله عنه * وهل يبدون لي عامر وطفيل * على رواية من رواه هكذا وجرهم هذا هو الذي تحدث بها العرب في أكاذيبها وكان من خرافاتها في الجاهلية أن جرهما ابن ملك أهبط من السماء لذنب أصابه [ومن ... من أجله] كما أهبط هاروت وماروت ثم ألقيت فيه الشهوة فتزوج امرأة فولدت له جرهما وقال قائلهم

لاهم ان جرهما عبادك * الناس طرف وهم تلادك

من كتاب الأمثال للأصبهاني

(فصل) وذكر مكة وبكة وفضل شيئا مما ذكر من أسماء الجبابرة أي تكسر رؤسهم وتبدعهم ويقال من التباك وهو الازدحام وقيل من تمكك العظام اذا استخرجت ما فيها من المخ ومكك الفصيل ما في ضرع

لا ينازعهم ولد اسمعيل في ذلك لخؤولتهم وقرابتهم واعظاما للحرمة أن يكون بها بغي أو قتال فلما ضاقت مكة على ولد اسمعيل انتشروا في البلاد فلا يناوئون قوما الا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم ثم ان جرهما بغوا بمكة واستحلوا خلالا من الحرمة فظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى لها ففرق أمرهم فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك أجمعوا لحربهم واخراجهم من مكة فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة وكانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ولا يبغي فيها أحد الا أخرجته

فكانت تسمى الناسة ولا يريدها ملك يستحل حرمتها الا هلك مكانه فيقال انها ما سميت بكة الا أنها كانت تبك أعناق الجبابرة اذا أحدثوا فيها شيئاً «قال ابن هشام» أخبرني أبو عبيدة ان بكة اسم لبطن مكة لانهم يتباكون فيها أي يزدحمون وأنشدني اذا الشريب أخذته أكه * فخله حتى يبك بكه أي فدعه حتى يبك ابله أي يخليها الى الماء فتزدحم عليه وهو موضع البيت والمسجد وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم * قال ابن اسحق فخرج عمرو بن الحرث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنهما في زمزم وانطلق هو ومن معه

(٨٣)

من جرهم الى اليمن فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً فقال عمرو بن الحرث بن مضاض في ذلك وليس بمضاض الاكبر

وقائلة والدمع سكب مبادر
وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب مني كأنما
يلجلجه بين الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا
صروف الليالي والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت
نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت
بعز فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فأعظم بملكنا
فليس لحي غيرنا ثم فاخر
ألم تنكحوا من خير شخص علمته
فأبناؤه منا ونحن الاصاهر
والناس
فان تنثن الدنيا علينا بحالها
فان لها حالاً وفيها التشاجر
فأخرجنا منها المليك بقدرة
كذلك يا للناس تجري المقادر
أقول اذا نام الخلي ولم أنم
اذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلت منها أوجهاً لا أحبها
قبائل منها حمير ويحابر
وصرنا أحاديثاً وكنا بغبطة
بذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكي لبلدة
بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكي لبيت ليس يؤذى حمامه
يظل به أمناً وفيه العصافر
وفيه وحوش لا ترام أنيسة
اذا خرجت منه فليست تغادر

«قال ابن هشام» قوله فأبناؤه منا عن غير ابن اسحق قال ابن اسحق وقال عمرو بن الحرث أيضاً يذكر بكراً وغبشان وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم

يا أيها الناس سيروا أن قصركم
ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

الناقة وكأنها تجذب الى نفسها ما في البلاد من الناس والاقوات التي تؤتى بها في المواسم وقيل لما كانت في بطن واد فهي تمكك الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر وتجذب اليها السيول وأما قول الراجز الذي أنشده ابن هشام اذا الشريب أخذته أكه * فخله حتى يبك بكه فالاكه الشدة وأكاك الدهر شدائده * وذكر انه كان يقال لها الناسة وهو من نسست الشيء اذا أذهبته والرواية في الكتاب بالنون وذكر الخطابي انه يقال لها الباسة بالباء وهو من بسست الجبال بساً أي فتت وثربت كما تثرى السويق قال الراجز * لا تخبزا خبزاً وبسا بسا * يقول لا تشتغلا بالخبز وثريا الدقيق وأنما قال ابن هذا البيت للص أعجله الهرب وذكر أبو عبيد ان الخبز قد يبسه بالسويق والدقيق فيؤكل ويعده * مبارك البيت بس بساً * ومن أسماء مكة أم القرى وأم الرأس وصلاح وأم رحم وكوثى باسم البقعة التي كان فيها قبر ابراهيم عليه السلام وقد نقدم ابراهيم عليه السلام وقد قدمنا اسمها وأبوها هو الذي احتفر نهر كوثى قاله الطبري

(فصل) وذكر قول الحرث بن مضاض

يا أيها الناس سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

وذكر ابن هشام انها وجدت بحجر باليمن ولا تعرف قائلها وأثبت في كتاب [أبي] بحر سفيان بن العاصي خبر الهيفة الابيات وسنده أبو الحرث محمد بن أحمد الجعفي عن عبد الله بن عبد السلام المصري قال حدثنا اسحق بن ابراهيم بن سليمان الحمار قال أخبرني شيخ من أهل اليمامة قال وجدت ثلاثة أحجار وشيء خط بخط قديم قال فبينما هو ينظر الى الحجر اذ وجد ثلاثة الاحجار مكتوبا

يا أيها الملك الذي * بالملك ساعده زمانه
ما أنت أول من علا * وعلا على الناس شانه
أقصر عليك مراقبا * فالدهر مخذول أمانه
كم من أشم معصب * بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساس الزما * ن وكان ذا حصن حرزه
تجري الجداول حوله * لا تحتد مرجه دماء
بعد الهداية همته * لم تحد منها مكانه
وهمومه أسيابه * عنه وباح به فيانه
بالدهر من ذاق بها * الطعن ممر شاجرانه

والناس شتى في الهوى * كالمرء مختلف ساته
والصدق أفضل شمة * والمرء تقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى * ولقد تشرفه بيانه

ووجدوا في الحجر الثاني مكتوبا أبيات

كل عيش تعلله * ليس للدهر حيله
يوم بؤس ونعمى * واجتماع وقله
ضاع العيش والسكا * ر جهل وصله
بينما المرء ناعم * في قصور مظلله
في ظلال ونعمة * ساحبا ذيل حلله
لا يرى الشمس ملعصا * رة اذ زال رله
لم يلهها وذلك * عمره المرء ذله
آفة العيش والغنى * ثم كرور الأهله
وصل يوم بليله * واعتراض بعلله
والمنايا حوائم * كالصقور المدله
بالذي يكره الفتى * ليس عليها مطله

وفي الحجر الثالث مكتوبا

ياأيها الناس سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطى وارخوا من أزمتها * قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فأنتم كما كنا تكونونا

وذكر أبو الوليد الازرقي في كتابه فضائل مكة زيادة في هذه الابيات وهي

قد مال دهر علينا ثم أهلكنا * بالبغي وفاز بالناس ناسونا
ان التفكر لا يجدى بصاحبه * عند البديهة في علم له دونا
فضوا أموركم بالحزم ان لها * أمور رشد رشدتم ثم مسنونا
واستخبروا في صنيع الناس قبلكم * كما استبان طريق عنده الهونا
كنا ارباب ملوك الناس قبلكم * نحن في حرام الله مسكونا

ووجد على حائط قصر بدمشق أبيات مكتوبا

ياأيها القصر الذي كانت * تسير به المواكب
اين المواكب والمنا * برو الجنائب والحبائب
اين العساكر والدسا * كر والمنابر والمراتب
مالك لم تدمر قبرا * لما أتت بك النوائب
مالك قصرك واهيا * قد عاد بهد الحوادث

ووجد في الحائط الآخر من شطها بيتا

يا سائلي عما مضى * من دار والصحاب

حثوا المطى وأرخوا من أزمتها
قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا
دهر فأنتم كما كنا تكونونا
«قال ابن هشام» هذا ما صح لنا منها «قال ابن هشام» وحدثني بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الابيات أول شعر قيل في العرب وأنها وجدت في حجر باليمن ولم يسم لي قائلها
قال ابن اسحاق ثم ان غبشان من خزاعة وليت البيت دون بني بكر بن عبد مناة وكان الذي يليه منهم عمرو بن الحرث الغبشاني وقريش اذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كنانة فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم حليل ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعي

«قال ابن هشام» ويقال حبشية بن سلول * قال ابن إسحق ثم إن قصي بن كلاب خطب إلى حليل بن حبشية ابنته حبى فرغب فيه حليل فزوجه فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وبأمر مكة من خزاعة وبني بكر وأن قريشا قرعة إسمعيل بن إبراهيم وصريح ولده فكلم رجالا من قريش وبني كنانة ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة (٨٤) فأجابوه وكان ربيعة بن حرام من عذرة بن سعد بن زيد قد قدم مكة بعد ما هلك كلاب فتزوج فاطمة بنت سعد بن سيل وزهرة يومئذ رجل وقصي فطيم فاحتملها إلى بلاده فحملت قصيا معها وأقام زهرة فولدت لربيعة رزاحا فلما بلغ قصي وصار رجلا أتى مكة وأقام بها فلما أجابه قومه إلى ما دعاهم إليه كتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة يدعوه إلى نصرته والقيام معه فخرج رزاح بن ربيعة ومعه إخوته حن بن ربيعة ومحمود بن ربيعة وجلهمة بن ربيعة وهم لغير أمه فاطمة فيمن تبعهم من قضاعة في حاج العرب وهم مجمعون لنصرة قصي وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر وقال أنت أولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة فعند ذلك طلب قصي ما طلب ولم نسمع ذلك من غيرهم فالله أعلم أي ذلك كان

والمصر أودى فأضحى * بعد مهد الجوانب
ومن الجدود أولي العقو * د ومن بهم كنا نحارب
وبهم قهرنا عنوة * من بالمشارق والمغارب
وفصول لم لم يدفعوا * لما أتت عنك النوائب
هيهات لا يحيى من الموت * ب الكتائب والمقانب

فصل: في حديث قصي ذكر فيه أن قريشا قرعة ولد إسمعيل هكذا بالقاف هي الرواية الصحيحة وفي بعض النسخ فرعة بالفاء والقرعة بالقاف هي نخبة الشيء وخياره وقريع الإبل فحلها وقريع القبيلة سيدها ومنه اشتق الأقرع بن حابس وغيره ممن سمي من العرب بالأقرع * وذكر انتقال ولاية البيت من خزاعة إليه ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالأمر منهم وذكر غيره أن حليلا كان يعطي مفاتيح البيت ابنته حبى حين كبر وضعف فكانت بيدها وكان قصي ربما أخذها في بعض الأحيان ففتح البيت للناس وأغلقه ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت إلى قصي فأبت خزاعة أن تمضي ذلك لقصي فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة وأرسل إلى رزاح أخيه يستنجده عليهم وذكر أيضا أن أبا غبشان من خزاعة واسمه سليم وكانت له ولاية الكعبة باع مفاتيح الكعبة من قصي بزق خمر فضرب المثل بصفقته أن غبشان ذكره المسعودي والأصبهاني في الأمثال وكان الأصل في انتقال ولاية البيت من ولد مضر إلى خزاعة أن الحرم حين ضاق عن ولد نزار وبغت فيه إياد أخرجهم بنو مضر بن نزار وأجلوهم عن مكة فعمدوا في الليل إلى الحجر الأسود فاقتلعوه واحتملوه على بعير فرزح البعير به وسقط إلى الأرض وجعلوه على آخر فرزح أيضا وعلى الثالث ففعل مثل ذلك فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا فلما أصبح أهل مكة ولم يروه وقعوا في كرب عظيم وكانت امرأة من خزاعة قد بصرت به حين دفن فأعلمت قومها بذلك فشرطت خزاعة على ولاة البيت أن يخلوا لهم عن ولاية البيت ويدلوهم على الحجر ففعلوا ذلك فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة إلى أن صيرها أبو غبشان إلى عبد مناف هذا معنى قول الزبير

فصل: وذكر أن قصيا نشأ في حجر ربيعة بن حرام ثم ذكر رجوعه إلى مكة وذكر غيره في سبب الخبر فقال وكان قصي رضيعا حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة فنشأ رجلا لا يعلم لنفسه أبا إلا ربيعة ولا يدعى إلا له فلما كان غلاما يفعة أو حزورا سابه رجل من قضاعة فعيره بالدعوة وقال لست منا وإنما أنت فينا ملصق فدخل على أمه وقد وجم لذلك فقالت له يا بني صدق إنك لست منهم ولكن رهطك خير من رهطه وآباؤك أشرف من آبائه وإنما أنت قرشي وأخوك وبنو عمك بمكة وهم جيران بيت الله الحرام فدخل في سيارة حتى أتى مكة وقد ذكرنا اسمه قبل وإنما كان قصيا لأنه تقصى عن بلده فسمي قصيا

فصل: وذكر صوفة وهم بنو الغوث بن مر ودفعهم بالناس من عرفة وقال بعض أهل الأخبار إن رجلا من الغوث

ما كان لصوفة من الإجازة للناس بالحج

وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر يلي الإجازة للناس بالحج من عرفة وولده من بعده وكان يقال له ولولده صوفة وإنما ولي ذلك الغوث بن مر لأن أمه كانت امرأة من جرهم وكانت لا تلد فنذرت لله إن هي ولدت رجلا أن تصدق به على الكعبة عبدا لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة في الدهر الأول مع أخواله من جرهم فولي الإجازة بالناس من عرفة لمكانه الذي كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا فقال مر بن أد لوفاء نذر أمه

إني جعلت رب من بنيه * ربيطة بمكة العليه
فباركن لي بها أليه * واجعله لي من صالح البريه

وكان الغوث بن مر فيما زعموا إذا دفع بالناس قال لاهمّ إني تابع تباعه * إن كان إثم فعلى قضاعه * قال ابن إسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتجيز بهم إذا نفروا من منى فإذا كان يوم النفر أتوا لرمي الجمار ورجل من صوفة يرمي للناس لا يرمون حتى يرمي فكان ذوو الحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمي معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه * قال ابن إسحق فإذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة بجانبي العقبة فحبسوا الناس وقالوا أجيزي صوفة فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا فإذا نفرت صوفة ومضت خلي سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم وكانت من بني سعد في آل صفوان بن الحرث بن شجنة « قال ابن هشام » صفوان بن جناب بن شجنة بن عطارد بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم قال ابن إسحق وكان صفوان هو الذي يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذي قام عليه الإسلام كرب بن صفوان « وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدي »

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم * حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

«قال ابن هشام» هذا البيت في قصيدة لأوس بن مغراء وأما قول ذي الإصبع العدواني واسمه حرثان بن عمرو وإنما سمي ذا الإصبع لأنه كان له إصبع فقطعها

عذير الحي من عدوا * ن كانوا حية الأرض
بغى بعضهم ظلما * فلم يرع على بعض
ومنهم كانت السادا * ت والموفون بالقرض
ومنهم من يجيز النا * س بالسنة والفرض
ومنهم حكم يقضي ...

ابن مر كانت من قبل ملوك كندة * وقوله إن كان إثم فعلى قضاعة إنما خص قضاعة بهذا لأن منهم محلين يستحلون الأشهر الحرم كما كانت خثعم وطيء تفعل وكذلك كانت النسأة تقول إذا حرمت صفرا أو غيره من الأشهر بدلا من الشهر الحرام تقول فإنهم قد حرمت عليكم الدماء إلا دماء المحلين

﴿ فصل ﴾ وأما تسمية الغوث وولده صوفة فاختلف في سبب ذلك فذكر أبو عبيد الله الزبير بن أبي بكر القاضي في أنساب قريش له عند ذكر صوفة البيت الواقع في السيرة لأوس بن مغراء السعدي وهو

* لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم * البيت وبعده

مجدا بناه لنا قدما أوائلنا * وأورثوه طوال الدهر أخرانا

ومغراء تأنيث أمغر وهو الأحمر ومنه قول الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم أهو هذا الرجل الأمغر ثم قال قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولي من البيت شيئا من غير أهله أو قام بشيء من خدمة البيت أو بشيء من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان قال أبو عبيدة لأنه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل والأسود والأحمر ليسوا من قبيلة واحدة وذكر أبو عبد الله أنه حدثه أبو الحسن الأثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال إنما سمي الغوث بن مر صوفة لأنه كان لا يعيش لأمه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة ففعلت فقيل له صوفة ولولده من بعده وهو الربيط وحدث إبراهيم ابن المنذر عن [عمر بن] عبد العزيز بن عمران قال أخبرني عقال بن شبة قال قالت أم تميم بن مر وولدت نسوة فقالت لله علي لئن ولدت غلاما لأعبدنه للبيت فولدت الغوث وهو أكبر ولد مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط وذوي واسترخى فقالت ما صار ابني إلا صوفة فسمي صوفة

﴿ فصل ﴾ وذكر وراثة بني سعد إجازة الحاج بالقعدد من بني الغوث بن مر وذلك أن سعدا هو ابن زيد مناة بن تميم بن مر وكان سعد أقعد بالغوث بن مر من غيره من العرب وزيد مناة بن تميم يقال فيه مناة وماءة بالهمز وبتركه ويجوز أن يكون إذا همز مفعلة من النوء ويجوز أن يكون مفعلة من المنيئة وهي المدبغة كما قالت امرأة من العرب لأخرى أعطيني نفسا أو نفسين أمعس به منيئتي فإني أفدة * أي مستعجلة والنفس قطعة من الدباغ والمنيئة الجلد في الدباغ وأفدة معناه مستعجلة لا تستأني ما يدخرونه من ذلك الدباغ وأنشد أبو حنيفة

إذا أنت باكرت المنيئة باكرت * مصبا أراك بات في المسك منعما

وأنشد يعقوب

إذا أنت باكرت المنيئة باكرت * مداكا لها من زعفران وإثمد

﴿ فصل ﴾ وأما قوله فلأن الافاضة من المزدلفة كانت في عدوان فالمزدلفة مفتعلة من الازدلاف وهو الاجتماع وفي التنزيل « وأزلفنا ثم الآخرين » وقيل بل الازدلاف هو الاقتراب والزلفة القربة فسميت مزدلفة لأن الناس يزدلفون منها الى الحرم وفي الخبر أن آدم عليه السلام لما هبط الى الارض لم يزل يزدلف الى حواء وتزدلف اليه حتى تعارفا بعرفة واجتمعا بالمزدلفة فسميت جمعا وسميت المزدلفة * وأما ذو الاصبع الذي ذكره فهو حرثان بن عمرو ويقال فيه حرثان بن الحرث بن محرث بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب وأما عامر فهو عامر بن الظرب الذي كان حكم العرب وذكر ابن اسحاق قصته في الخنثى وفيه يقول الشاعر لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وكان قد كبر حتى هفت ذهنه وكانت العصا تقرع له اذا كلم بنادي قومه [illegible] في قول أرحكم وكذلك كان ذو الاصبع كان حكما في زمانه وعمر ثلاثمائة سنة وسمي ذا الاصبع لأن حية نهشته في أصبعه وجدهم ظرب هو عمرو بن عياذ بن يشكر بن بكر بن عدوان وعدوان هم [illegible] وأمه [illegible] وكانوا أهل الطائف وكثر عددهم [illegible] على [illegible] وكان [illegible] ابن الظرب [illegible] وهي أم [illegible] وقيل هي [illegible] الظرب هي أم دوس بن عدنان [illegible] الطائف [illegible] عدوان [illegible] الطائف [illegible] الارض [illegible] الوادي اذا كان [illegible]

[illegible] الوادي

[illegible] خالد بن الوليد رضي الله عنه

[illegible]

يسوّون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم الذي قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الاعزل ففيه قول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبي سياره
وعن مواليه بني فزاره
حتى أجاز سالما حماره
[illegible] جاره

قال وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له [illegible] قرني سالما حماره [illegible] قال ابن اسحق وقوله حكم [illegible] عامر بن الظرب ابن عمرو بن عياذ بن يشكر ابن عدوان [illegible]

[illegible]

لا أبالك ما عراك في ليلتك هذه فقال وما ذاك دعيني أمر لست من شأنك ثم عادت لمثل قولها فقال في نفسه عسى أن تأتي مما أنا فيه بفرج فقال ويحك اختصم الي في ميراث خنثى أأجعله رجلا أو امرأة والله ما أدري ما أصنع وما يتوجه لي فيه وجه فقالت سبحان الله لا أبالك أتبع القضاء المبال أقعده فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل وان بال من حيث تبول المرأة فهي امرأة فقال مسي سخيل بعدها أو صبحي فرجتها والله ثم خرج على الناس حين أصبح فقضى بالذي أشارت عليه به ﴿غلب قصي بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعة له﴾ * قال ابن اسحق فلما كان ذلك العام (٨٧) فعلت صوفة كما كانت تفعل وقد عرفت ذلك لها العرب وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم فأتاهم قصي بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة فقال لنحن أولى بهذا منكم فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم انهزمت صوفة وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعا ثم انهم تداعوا الى الصلح والى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب [illegible]

مكة من خزاعة وان كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وان ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة وان يخلى بين قصي وبين الكعبة ومكة فسمي يعمر بن عوف يومئذ الشداخ لما شدخ من الدماء ووضع منها «قال ابن هشام» ويقال الشداخ * قال ابن اسحق فولي قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة [illegible] وأهل مكة فملكوه الا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه وذلك أنه كان يراه دينا في نفسه لا ينبغي تغييره [illegible] عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله [illegible]

الدنيا وكذلك قوله «ان كان قميصه قد من قبل» الآية وقول النبي صلى الله عليه وسلم [في المولود] ان جاءت به أورق جعدا جماليا فهو للذي رميت به فالاستدلال بالامارات أصل بني عليه كثير من الاحكام في الحدود والميراث وغير ذلك والحكم في الخنثى أن يعتبر بالمبال ويعتبر بالحيض فان أشكل من كل وجه حكم بأن يكون له في الميراث سهم امرأة ونصف وفي الدية كذلك وأكثر أحكامه مبنية على الاحتياط

﴿فصل﴾ وذكر يعمر الشداخ بن عوف حين حكموه وانه سمي الشداخ لما شدخ من دماء خزاعة ويعمر الشداخ هو جد بني دأب الذين أحدهم كان من علم الاخبار والانساب وهو عيسى بن يزيد بن دأب وأبوه يزيد وجده بكر بن دأب ودأب هو ابن كرز بن أحمر بن يعمر بن عوف الذي شدخ دماء خزاعة أي أبطلها وأصل الشدخ الكسر والفضخ ومنه الغرة الشادخة شبهت بالغرة الواسعة والشداخ بفتح الشين كما قال ابن هشام والشداخ بضمها أيضا هو جد وجائز أن يسمى هو وبنوه الشداخ كما قال المدائني في المدثر وبنيه والاشعرون في بني الاشعر من سبا وهو باب كثير يطول وأم يعمر الشداخ اسمها [illegible] بنت عامر ابن حرب [illegible] وسيأتي ذكر جرهم بالكسر ذكره ابن ماكولا ومن بني الشداخ [illegible] ابن يعمر الشداخ الشاعر المذكور في شعر الحماسة اسمه [illegible] ولقب بالماء لقوله

أنا ابن [illegible] * أنا [illegible]

* كأنما كانوا [illegible] *

﴿ولاية قصي البيت﴾

ذكر أمر قصي وما جمع من أهل مكة وانشد * قصي لعمري كان يدعى مجمعا به جمع الله القبائل من فهر

هم ملؤا البطحاء مجدا وسؤددا وهم طردوا عنا غواة بني بكر

وقد ذكر ان هذا الشعر لحذافة بن غانم وذكر انه قطع شجر الحرم [illegible] وقال الواقدي الاصح في هذا الخبر ان قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصي كيف نصنع في شجر الحرم فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة في ذلك فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة حتى تكون في منزله قال فأول من ترخص في قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا [illegible] فجعل دية كل شجرة بقرة وكذلك روي عن عمر رضي الله عنه انه قطع دوحة كانت في دار أسد بن عبد العزى وكانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة وذلك قبل أن يوسع المسجد فقطعها عمر رضي الله عنه [illegible] رحمه الله في ذلك ان لا دية في شجر الحرم قال ولم يبلغني في ذلك شيء [illegible] والا فالمتعمد رحمه الله [illegible] وقال [illegible] ان كانت الشجرة [illegible]

فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها ويزعم الناس ان قريشا هابوا قطع شجر الحرم في منازلهم فقطعها قصي بيده وأعوانه فسمته قريش مجمعا لما جمع من أمرها وتيمنت بأمره فما تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش وما يتشاورون في أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم الا في داره يعقده لهم بعض ولده وما تدرع جارية اذا بلغت ان تدرع من قريش الا في داره يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ثم ينطلق بها الى أهلها فكان أمره في قومه من قريش في حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها الى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضي أمورها «قال ابن هشام» وقال الشاعر

قصي لعمري كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

قال ابن اسحق حدثني عبد الملك بن راشد عن أبيه قال سمعت السائب بن خباب صاحب المقصورة يحدث انه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب وهو خليفة حديث قصي بن كلاب وما جمع من قومه واخراجه خزاعة وبني بكر من مكة وولايته البيت وأمر مكة فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره قال ابن اسحق فلما فرغ قصي من حربه انصرف أخوه رزاح بن ربيعة الى بلاده بمن معه من قومه وقال رزاح في اجابته قصيا

لما أتى من قصي رسول * فقال الرسول أجيبوا الخليلا
نهضنا اليه نقود الجياد * ونطرح عنا الملول الثقيلا
نسير بها الليل حتى الصباح * ونكمي النهار لئلا نزولا
فهن سراع كورد القطا * يجبن بنا من قصي رسولا
جمعنا من السر من أشمذين * ومن كل حي جمعنا قبيلا
فيا لك حلبة ما ليلة * تزيد على الألف سيبا رسيلا
فلما مررن على عسجر * وأسهلن من مستناخ سبيلا
وجاوزن بالركن من ورقان * وجاوزن بالعرج حيا حلولا
مررن على الحل ما ذقنه * وعالجن من مر ليلا طويلا
ندني من العوذ أفلاءها * ارادة أن يسترقن الصهيلا [illegible]

الناس يستثنونها فلا فدية على من قطع شيئا منها وان كان من غيرها ففيه القيمة بالغا ما بلغت * وذكر أبو عبيد أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أفتى فيها بعتق رقبة وذكر ان قصيا اتخذ دار الندوة وهي الدار التي كانوا يجتمعون فيها للتشاور ولفظها مأخوذ من لفظ الندي والنادي والمنتدى وهو مجلس القوم الذي يندون حوله أي يذهبون قريبا منه ثم يرجعون اليه والتندية في الخيل ان تصرف عن الورد الى المرعى قريبا ثم تعاد الى الشرب وهو الندي وهذه الدار تصيرت بعد بني عبد الدار الى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي فباعها في الاسلام بمائة ألف درهم وذلك في زمن معاوية فلامه معاوية في ذلك وقال أبعت مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف درهم وأشهدكم ان ثمنها في سبيل الله فأينا المغبون ذكر خبر حكيم هذا الدارقطني في أسماء رجال الموطأ

(فصل) وذكر شعر رزاح وفيه ونكمي النهار أي نكمن ونستتر والكمي من الفرسان الذي تكمى بالحديد وقيل الذي يكمي شجاعته أي يسترها حتى يظهرها عند الوغى وفيه مررنا بعسجر وهو اسم موضع وكذلك ورقان اسم جبل ووقع في نسخة ابن ورقان بفتح الراء وقيده أبو عبيد البكري ورقان بكسر الراء وأنشد للأحوص

وكيف ترجى الوصل منها وأصبحت * ذرى ورقان دونها وحفير

ويخفف فيقال ورقان قال جميل

يا خليلي ان بثنة بانت * يوم ورقان بالفؤاد سبيا

وذكر انه من أعظم الجبال وذكر ان فيه أوشالا وعيونا عذابا وسكانه بنو أوس بن مزينة وذكر أصحاب الحديث وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر في النار مثل أحد وفخذه مثل ورقان وفي حديث آخر انه عليه السلام ذكر آخر من يموت من هذه الامة فقال رجلان من مزينة ينزلان جبلا من جبال العرب يقال له ورقان كل هذا من قول البكري في كتاب معجم ما استعجم

(فصل) وذكر أشمذين بكسر الذال وفي حاشية كتاب شيخنا [illegible] الأشمذان جبلان وقال اسم قبيلتين قال في الحاشية فعلى هذا بسكون الراء وانه بفتح الذال وكسر النون من أشمذين (قال المؤلف رحمه الله) فان صح انهما اسم قبيلتين فلابد من سكون الراء كما في الأصل أشمذين بكسر الذال لانه جمع في المعنى وانما الأشمذ من شمذت الناقة بذنبها أي رفعته ويقال للنحل شمذ لانها ترفع أعجازها وفيه فمررن على الحل وفسره الشيخ في حاشية الكتاب فقال هو والساعد المستمع في بطن واد ووجدت في غير أصل الشيخ

فساورهم ثم جد السيوف * وفي كل أوب خلسنا العقولا
نجزرهم بصلاب النسور * جزر القوي العزيز الذليلا

فلما حرابه في دارها * وبكرا قتلنا وجيلا فجيلا
نفيناهم من بلاد المليك * كما لا يحلون أرضا سهولا

فأصبح سبيهم في الحديد * ومن كل حي شفينا الغليلا

وقال ثعلبة بن عبد الله بن ذبيان بن الحرث بن سعد بن هذيم القضاعي في ذلك من أمر قصي حين دعاهم فأجابوه

جلبنا الخيل مضمرة تغالى * من الأعراف أعراف الجناب
إلى غوري تهامة فالتقينا * من الفيفاء في قاع يباب
فأما صوفة الخنثى فخلوا * منازلهم محاذرة الضراب
وقام بنو علي إذ رأونا * إلى الأسياف كالإبل الطراب

(وقال قصي بن كلاب)

أنا ابن العاصمين بني لؤي * بمكة مولدي وبها ربيت
إلى البطحاء قد علمت معد * ومروتها رضيت بها رضيت
فلست لغالب إن لم تأثل * بها أولاد قيذر والنبيت
رزاح ناصري وبه أسامي * فلست أخاف ضيما ما حييت

فلما استقر رزاح بن ربيعة في بلاده نشره الله ونشر حنا فهما قبيلا عذرة اليوم وقد كان بين رزاح بن ربيعة حين قدم بلاده وبين نهد بن زيد وحوتكة بن أسلم وهما بطنان من قضاعة شيء فأخافهم حتى لحقوا باليمن وأجلوا من بلاد قضاعة فهم اليوم باليمن فقال قصي بن كلاب وكان يحب قضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها لما بينه وبين رزاح من الرحم ولبلائهم عنده إذ أجابوه (٨٩) إذ دعاهم إلى نصرته وكره ما صنع بهم رزاح

ألا من مبلغ عني رزاحا * فإني قد لحيتك في اثنتين
لحيتك في بني نهد بن زيد * كما فرقت بينهم وبيني
وحوتكة بن أسلم إن قوما * عنوهم بالمساءة قد عنوني

«قال ابن هشام» وتروى هذه الأبيات لزهير بن جناب الكلبي * قال ابن اسحق فلما كبر قصي ورق عظمه وكان عبد الدار بكره وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه وذهب كل مذهب وعبد العزى وعبد قال قصي لعبد الدار أما والله يا بني لألحقنك

بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له ولا يعقد لقريش لواء لحربها إلا أنت بيدك ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما إلا من طعامك ولا تقطع قريش أمرا من أمورها إلا في دارك فأعطاه داره دار الندوة التي لا تقضي قريش أمرا من أمورها إلا فيها وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك أن قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه إليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره في الجاهلية على قومه حتى قام الإسلام ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضي الحج قال ابن اسحق حدثني بهذا من أمر قصي بن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه مما كان بيده أبي اسحق بن يسار عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال سمعته يقول لرجل من بني عبد الدار يقال له نبيه بن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي قال الحسن فجعل إليه قصي كل ما كان بيده من أمر قومه وكان قصي لا يخالف ولا يرد عليه شيء صنعه

روايتين أحدهما مررن على الحلل والأخرى مررن على الحلي فأما الحلل فجمع حلة وهي بيت شعر كذا ذكره ابن دريد في الجمهرة وأما الحلي فيقال إنه ... وهو نبت * وقوله فساورهم أي سقناهم سوقا شديدا وقد تقدم قول الراجز * لا تحزا حزا وسابسا * وذكر شعر رزاح الآخر وفيه من الأعراف أعراف الجناب بكسر الجيم وهو موضع من بلاد قضاعة وفيه وقام بنو علي وهم بنو كنانة وإنما سموا بني علي لأن عبد مناة بن كنانة كان ربيبا لعلي بن مسعود بن مازن من الأزد فحضنه علي الكاهن فقيل لبني كنانة بنو علي وأحسبه أراد في هذا البيت بني بكر بن عبد مناة لأنهم قاموا مع خزاعة * وذكر شعر قصي * أنا ابن العاصمين بني لؤي * الأبيات وليس فيها إشكال وذكر أن رزاحا حين استقر في بلاده نشره الله ونشر حنا ابني ربيعة فهما قبيلا عذرة (قال المؤلف) في قضاعة عذرتان عذرة بن رفيدة وهم من بني كلب بن وبرة وعذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وأسلم هذا هو بضم اللام من ولد حن بن ربيعة أخي رزاح بن ربيعة جميل بن عبد الله بن معمر صاحب بثينة ومن ولده الحرث بن حزيمي بن ظبيان وهو الصدف بن حن ... وأما من ولد حن ... بن الهودي بن عمرو بن الأحب بن حن * وذكر حوتكة بن أسلم وبني نهد بن زيد وإخوانهم رزاح وحوتكة هو عم نهد بن زيد بن أسلم وليس في العرب أسلم بضم اللام إلا ثلاثة ... في قضاعة وهما أسلم بن الحاف هذا وأسلم بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب والثالث في عك أسلم بن القيافة بن عك بن الساهد (?) بن عك وما عدا هؤلاء فأسلم بفتح اللام ذكره ابن حبيب في المؤتلف والمختلف

﴿ذكر ما جرى من اختلاف قريش بعد قصي وحلف المطيبين﴾ * قال ابن إسحاق: ثم إن قصي بن كلاب هلك فأقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده فاختطوا مكة رباعا بعد الذي كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها فأقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ثم إن بني عبد مناف بن قصي عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا أجمعوا على أن يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعل إلى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم فتفرقت عند ذلك قريش فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جعل إليهم فكان صاحب أمر بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف وذلك أنه كان أسن بني عبد مناف وكان صاحب أمر بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة بن كعب وبنو الحرث بن فهر بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب وبنو جمح بن عمرو بن

هصيص بن كعب وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبا فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الأحلاف ثم سوند بين القبائل ولز بعضها ببعض [illegible] بعضهم [illegible] لبني مخزوم [illegible] الحرث بن فهر لبني عدي بن كعب ثم غدوا على ذلك [illegible] الحرب تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله بالإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة ﴿حلف الفضول﴾ [illegible] قال تداعت قبائل [illegible] إلى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب [illegible] وكان [illegible] بني [illegible] الحلف [illegible]

﴿فصل﴾ وذكر تنازع بني عبد مناف وبني عبد الدار فيما كان قصي جعل إليهم وذكر في ذلك حلف المطيبين وسماهم وذكر أن امرأة من نساء عبد مناف هي التي أخرجت لهم جفنة من طيب فغمسوا أيديهم فيها ولم يسم المرأة وقد سماها الزبير في موضعين من كتابه فقال هي أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه قال وكان المطيبون يسمون الذائدين [illegible] الطيب [illegible] وذكر أن القبائل سوند بعضها إلى بعض [illegible] كل قبيلة [illegible] فسوند من السناد وهي [illegible] في الحرب [illegible] كل فريق وما يليه من عدوه ومنه أخذ سناد الشعر وهو أن يماثل المصراعان من البيت في كون قبل حرف الروي حرف مد ولين ويكون في آخر البيت الذي قبل حرف الروي حرف لين وهي ياء أو واو مفتوح ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم: ألا هبي بصحنك فاصبحينا ثم قال في بيت آخر [illegible] تصفقها الرياح إذا جرينا [illegible] وكان [illegible] المصراع الأول [illegible] آخر المصراع الأول حرف من الوتد كقوله

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجو النساء عواقب الأطهار

وكقول الآخر

لما رأيت [illegible] * والقرب [illegible]

وكان الأصمعي [illegible] وقال عدي بن الرقاع في [illegible]

[illegible] أحكم [illegible] أقيم مثلها [illegible]

﴿حلف الفضول﴾

[illegible] هذا الحلف الذي [illegible] على نصرة [illegible] قال وسمي حلف الفضول [illegible]

بذكر سبب هذه التسمية وذكرها ابن قتيبة فقال كان قد سبق قريشا إلى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول فتحالف منهم ثلاثة ومن تبعهم أحدهم الفضل بن فضالة والثاني الفضل بن وداعة والثالث فضيل ابن الحرث هذا قول القتبي وقال الزبير الفضيل بن شراعة والفضل بن وداعة والفضل بن قضاعة فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سمي حلف الفضول والفضول جمع فضل وهي أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن ولكن في الحديث ما هو أقوى منه وأولى روى الحميدي عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن ابني أبي بكر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به في الإسلام لأجبت تحالفوا أن يردوا الفضول على أهلها وألا يعز ظالم مظلوما ورواه في مسنده الحرث بن عبد الله بن أبي أسامة التميمي فقد بين هذا الحديث لم سمي حلف الفضول وكان حلف الفضول بعد الفجار وذلك أن حرب الفجار كانت في شعبان وكان حلف الفضول في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدي بن كعب فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل وزبروه أي انتهروه فلما رأى الزبيدي الشر أوفى على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار ابن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قياما فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى إليه حقه ما بل بحر صوفة وما رسى حراء وثبير مكانهما وعلى التأسي في المعاش فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر ثم مشوا إلى العاصي ابن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه وقال الزبير رضي الله عنه

حلفت لنعقدن حلفا عليهم * وإن كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول إذا عقدنا * يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالي البيت أنا * أباة الضيم نمنع كل عار

وقال الزبير بن عبد المطلب

إن الفضول تحالفوا وتعاقدوا * ألا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا * فالجار والمعتر فيهم سالم

وذكر قاسم بن ثابت في غريب الحديث أن رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه ابنة له يقال لها القتول من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمي من يعديني على هذا الرجل فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فإذا هم يعنقون إليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فما لك فقال إن نبيها ظلمني في ابنتي وانتزعها مني قسرا

فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج إليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فقال أفعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا له لا والله ولا شخب لقحة فأخرجها إليهم وهو يقول

راح صحبي ولم أحيي القتولا * لم أودعهم وداعا جميلا

إذ أجد الفضول أن يمنعوها * قد أراني ولا أخاف الفضولا

لا تخالي أني عشية راح الركب هنتم علي أن لا أقولا

في أبيات غير هذه ذكرها الزبير وذكر من قوله فيها أيضا

حلت تهامة حلة * من بينها ووطانها

ولها بمكة منزل * من سهلها وحزانها

أحذت تشاشه قلبه * وأنت وكيف بيانها

﴿فصل﴾ وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت وعبد الله بن جدعان هذا تيمي هو ابن جدعان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم يكنى أبا زهير ابن عم عائشة رضي الله عنها ولذلك قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين خرجه مسلم ومن غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمي يعني في الهاجرة وسميت الهاجرة صكة عمي لحديث ذكره أبو عبيد في الأمثال أن عميا رجل من عدوان وقيل من إياد وكان فقيه العرب في الجاهلية فقدم في قوم معتمرا أو حاجا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم في نحر الظهيرة من أتى مكة غدا في مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الإبل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغد في ذلك الوقت وأنشد

وصك بها نحر الظهيرة صكة * عمي وما يخفى على الأذلال ظلها

في أبيات يرثي بها عمرا أخي بلي الرحيم ويذكر صكة الظهيرة صكة عمي وقال البكري في شرح الأمثال عمي رجل من العماليق أوقع بالعدو في مثل ذلك الوقت فسمي ذلك الوقت صكة عمي والذي قاله أبو عبيد أولى وقائله أعلى وقال ابن دريد حين يقوم قائم الظهيرة يعني في الظهيرة في شدة الحر قال ابن قتيبة وكانت جفنة يأكل منها الراكب على البعير ووقع فيها صبي فغرق وكان أمية بن أبي الصلت قبل أن يمدحه قد أتى بني الديان من بني الحرث بن كعب فرأى طعامهم لباب البر والشهد والسمن وكان ابن جدعان يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بني الديان

البر يلبك بالشهاد طعامهم * لا ما يعللنا بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فأرسل ألفي بعير إلى الشام تحمل إليه البر والشهد والسمن وجعل مناديا ينادي على الكعبة ألا هلموا إلى جفنة عبد الله بن جدعان فقال أمية عند ذلك

له داع بمكة مشمعل * [illegible]

إلى ردح من الشيزى ملاء * لباب البر يلبك بالشهاد

وكان ابن جدعان [illegible]

[illegible]

* قال ابن إسحق فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت

خرج في شعاب مكة حائراً بائراً يتمنى الموت أن ينزل به فرأى شقاً في جبل فظن فيه حية فتعرّض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئاً فدخل فيه فإذا فيه ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانساب عنه مستديراً بدارة عندها بيت فخطا خطوة أخرى فصفر به الثعبان وأقبل عليه كالسهم فأفرج عنه فانساب عنه قدماً لا ينظر إليه فوقع في نفسه أنه مصنوع فأمسكه بيده فإذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فإذا جثث على سرر طوال لم ير مثلهم طولاً وعظماً وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم وإذا هم رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتاً الحرث بن مضاض صاحب الغربة الطويلة وإذا عليهم ثياب لا يمس منها شيء إلا انتثر كالهباء من طول الزمن وشعر مكتوب في اللوح فيه عظات آخر بيت منه

صاح هل رأيت أو سمعت براع ... ردّ في الضرع ما قرى في الحلاب

وقال ابن هشام كان اللوح من رخام وكان فيه أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود نبي الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الأرض باطنها وظاهرها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجي من الموت وتحته مكتوب

قد قطعت البلاد في طلب الثر ... وة والمجد قالص الأثواب
وسريت البلاد قفراً لقفر ... بقناتي وقوتي واكتسابي
فأصاب الردى بنات فؤادي ... بسهام من المنايا صياب
فانقضت شرتي وأقصر جهلي ... واستراحت عواذلي من عتابي
ودفعت السفاه بالحلم لما ... نزل الشيب في محل الشباب
صاح هل رأيت أو سمعت براع ... ردّ في الضرع ما قرى في الحلاب

وإذا في وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد فأخذ منه ما أخذ ثم علم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة وأرسل إلى أبيه بالمال الذي خرج به يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف. ذكر حديث كنز ابن جدعان موصولاً بحديث الحرث بن مضاض بن هشام في غير هذا الكتاب ووقع أيضاً في كتاب ري العاطش وأنس الواحش لأحمد بن عمار وابن جدعان ممن حرم الخمر في الجاهلية بعد أن كان مغرى بها وذلك أنه سكر فجعل يتناول القمر ليأخذه فأخبر بذلك حين صحا فحلف لا يشربها أبداً ولما كبر وهرم أراد بنو تيم أن يمنعوه تبديد ماله ولاموه في العطاء فكان يدعو الرجل فإذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم يقول له قم فانشد لطمتك واطلب بها فإذا فعل ذلك أعطاه بنو تيم من مال ابن جدعان حتى يرضى وهو جد عبد الله بن أبي مليكة [والذي رجح في هذا الحديث ... أنه ... كانوا ملوك الحيرة وهم من غسان لا من جرهم والله أعلم]

﴿فصل﴾ وذكر ... وقوله لأحدثن سيفي ثم لأدعون بحلف الفضول إلى آخر ... [illegible] ... الدعوى ... [illegible] ... وقد رفع ما كان في الجاهلية من قولهم يا لفلان عند الحرب ... مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع رجل ... فقال آخر يا للأنصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... وقال صلى الله عليه وسلم من اعتزى بعزاء الجاهلية ... [illegible]

* قال ابن إسحق وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي أن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي حدثه أنه كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والوليد يومئذ أمير على المدينة أمّره عليها عمه معاوية بن أبي سفيان منازعة في مال كان بينهما بذي المروة فكان الوليد تحامل على الحسين في حقه لسلطانه فقال له حسين أحلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لأدعون بحلف الفضول قال فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد حين قال حسين ما قال وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعاً قال وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه ...

* قال ابن إسحق وحدثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد الليثي عن محمد بن إبراهيم بن الحرث التيمي قال قدم محمد

ابن جبير بن مطعم بن عدي ابن نوفل بن عبد مناف وكان محمد بن جبير أعلم قريش فدخل على عبد الملك بن مروان بن الحكم حين قتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبد الملك فلما دخل عليه قال له يا أبا سعيد ألم نكن نحن وأنتم يعني بني عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل بن عبد مناف في حلف الفضول قال أنت أعلم قال عبد الملك لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك فقال لا والله لقد خرجنا نحن وأنتم منه قال صدقت * قال ابن إسحق فولي الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف وذلك أن عبد شمس كان رجلا سفارا قلما يقيم بمكة وكان مقلا ذا ولد وكان هاشم موسرا فكان فيما يزعمون إذا حضر الحج قام في قريش فقال يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج بيته وهم ضيف الله وأحق الضيف بالكرامة ضيفه فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التي لا بد لهم من الإقامة بها فإنه والله لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكموه فيخرجون لذلك خرجا من أموالهم كل امرئ بقدر ما عنده فـ [illegible]

بالبصرة يا آل تميم فجاءه النابغة الجعدي بعصبة له فضربه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه خمسين جلدة وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين إخوة ولا قال الا كما قال عمر رضي الله عنه يا لله ويا للمسلمين لأنهم كلهم حزب واحد وإخوة في الدين إلا ما خص الشرع به أهل حلف الفضول والأصل في تخصيصه قوله صلى الله عليه وسلم ولو دعيت به اليوم لأجبت يريد لو قال قائل من المظلومين يا لحلف الفضول لأجبت وذلك أن الإسلام إنما جاء بإقامة الحق ونصرة المظلومين فلم يزدد به هذا الحلف إلا قوة وقوله عليه السلام وما كان من حلف في الجاهلية فلن يزيده الإسلام إلا شدة ليس معناه أن يقول الحليف يا لفلان لحلفائه فيجيبونه بل الشدة التي عني رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هي راجعة إلى معنى التواصل والتعاطف والتآلف وأما دعوى الجاهلية فقد رفعها الإسلام إلا ما كان من حلف الفضول كما قدمنا فحكمه باق والدعوة به جائزة وقد ذهبت طائفة من الفقهاء إلى أن الحليف يعقل مع العاقلة إذا وجبت الدية لقوله صلى الله عليه وسلم وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزده الإسلام إلا شدة ولقوله أيضا للذي حبسه في المسجد إنما حبست لجريرة حلفائك

﴿فصل﴾ وذكر بني عبد مناف الأربعة وقد كان له ولد خامس وهو أبو عمرو واسمه عبد [illegible] ولا عقب له ذكره البرقي والزبير وكذلك ذكر البرقي أن قصيا كان يسمى أسد عبد قصي وقال [illegible] يسمى [illegible] الآخر [illegible] عبد الدار [illegible] الناس حولوا اسم عبد قصي [illegible] بن قصي وقال الزبير إنما كان اسم عبد الدار عبد الرحمن [illegible] ذكرها [illegible] في أمر الرفادة وإطعام الحجيج وإنما سمي هاشما لهشمه الثريد لقومه والمعروف في اللغة أن يقال ثريد [illegible] فلم يسم [illegible] بني هاشما وكان القياس كالا يسمى [illegible] هشاما [illegible] أن يقال في اسم الفاعل أيضا كذلك ولكن [illegible] الاسم [illegible] إلى زيادة بيان [illegible] أصحاب الأخبار أن هاشما كان [illegible] على إطعام الحاج [illegible] والهم [illegible] أرمد [illegible] الرفادة [illegible] حمل إلى الشام [illegible] واشترى [illegible] الكعك [illegible] ذلك الكعك كله [illegible] للحاج [illegible] الثريد [illegible] هاشما [illegible] الكعك [illegible] هشمه [illegible] مدح [illegible] وهو [illegible] الزبعرى

كانت قريش بيضة فتفلقت … فالمح خالصه لعبد مناف

[illegible] … والظاعنين لرحلة الإيلاف

والرائشين وليس يوجد رائش … والقائلين هلم للأضياف

عمرو العلا هشم الثريد لقومه … قوم بمكة مسنتين عجاف

وكان سبب مدح ابن الزبعرى [illegible] بني عبد مناف [illegible] ذكر ابن إسحق في رواية يونس [illegible]

ألهى قصيا عن المجد الأساطير … [illegible] الدار

[illegible] بني سهم [illegible] رأوا [illegible] السهمي [illegible] ذكرها ابن إسحق في رواية يونس

(فصل) [illegible]

[illegible]

عمرو الذي هشم الثريد لقومه * قوم بمكة مسنتين عجاف سنت إليه الرحلتان كلاهما * سفر الشتاء ورحلة الايلاف

«قال ابن هشام» أنشدني بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز: قوم بمكة مسنتين عجاف * قال ابن إسحق ثم هلك هاشم بن عبد مناف بغزة من أرض الشام تاجرا فولي السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبد مناف وكان أصغر من عبد شمس وهاشم وكان ذا شرف في قومه وفضل وكانت قريش إنما تسميه الفيض لسماحته وفضله وكان هاشم بن عبد مناف قدم المدينة فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بني عدي ابن النجار وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح بن الحريش (قال ابن هشام) ويقال الحريس بن جحجبى بن كلفة ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس فولدت له عمرو بن أحيحة وكانت لا تنكح الرجال لشرفها في قومها حتى يشترطوا لها أن أمرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته فولدت لهاشم عبد المطلب فسمته شيبة فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا أو فوق ذلك ثم خرج اليه عمه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى لست بمرسلته معك فقال لها المطلب اني غير منصرف حتى أخرج به معي ان ابن أخي قد بلغ وهو غريب في غير قومه ونحن أهل بيت شرف في قومنا (٩٥) نلي كثيرا من أمرهم وقومه وبلده وعشيرته خير له من الاقامة في غيرهم أو كما قال وقال شيبة لعمه المطلب فيما يزعمون لست بمفارقها الا أن تأذن لي فأذنت له ودفعته اليه فاحتمله فدخل به مكة مردفه على بعيره فقالت قريش عبد المطلب ابتاعه فبها سمي شيبة عبد المطلب فقال المطلب ويحكم انما هو ابن أخي هاشم قدمت به من المدينة ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن فقال رجل من العرب يبكيه

قد ظمي الحجيج بعد المطلب

بعد الجفان والشراب المنثعب

ليت قريشا بعده على نصب (وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي المطلب وبني عبد مناف جميعا حين أتاه نعي نوفل بن عبد مناف وكان نوفل آخرهم هلكا) يا ليلة هيجت ليلاتي * احدى ليالي القسيات وما أقاسي من هموم وما * عالجت من رزء المنيات

اذا تذكرت أخي نوفلا * ذكرني بالاوليات ذكرني بالازر الحمر والا * ردية الصفر القشيبات

أربعة كلهم سيد * أبناء سادات لسادات ميت بردمان وميت بسلـ * ـمان وميت عند غزات

وميت أسكن لحدا لدى الـ * ـمحجوب شرقي البنيات أخلصهم عبد مناف فهم * من لوم من لام بمنجات

ان المغيرات وأبناءها * من خير أحياء وأموات وكان اسم عبد مناف المغيرة وكان أول بني عبد مناف هلكا هاشم بغزة من أرض الشام ثم عبد شمس بمكة ثم المطلب بردمان من ناحية أرض اليمن ثم نوفل بسلمان من ناحية العراق فقيل لمطرود فيما يزعمون لقد قلت فأحسنت ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن فقال أنظروني ليالي فمكث أياما ثم قال يا عين جودي وأذري الدمع وانهمري * [illegible]

[illegible]

﴿فصل﴾ وذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وولادتها له عبد المطلب بن هاشم ومن أجل هذه الولادة قال سيف بن ذي يزن أو ابنه معدي كرب بن سيف ملك اليمن لعبد المطلب حين وفد عليه في ركب من قريش مرحبا بابن أختنا لان سلمى من الخزرج وهم من اليمن من سبا وسبا من حمير بن سبا ثم قال له مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومناخا سهلا وملكا ربحلا يعطي عطاء جزلا ثم بشره بالنبي صلى الله عليه وسلم وانه من ولده فقال له عبد المطلب أيها الملك سر [illegible] ثم أجزل الملك حباءه وفضله على أصحابه وانصرف مغبوطا على ما أعطاه الملك فقال والله لما بشرني به أحب الي من كل ما أعطاني في خبر فيه طول * وذكر نسب أحيحة ابن الجلاح بن الحريش بن جحجبى وقال ابن هشام هو الحريس يعني بالسين المهملة وقال الدارقطني عن الزبير بن أبي بكر كل ما في الانصار فهو حريس بالسين غير معجمة الا هذا ووجدت في حاشية كتاب أبي بحر رحمه الله صواب هذا الاسم يعني في نسب أحيحة بن الجلاح بن الحريش بالشين المعجمة على لفظ الحريش بن كعب البطن الذي في عامر بن صعصعة

﴿فصل﴾ وأنشد لمطرود بن كعب يا ليلة هيجت ليلاتي * احدى ليالي القسيات أي انها احدى ليالي القسيات فعلات من القسوة أي لا لين عندها ولا رأفة فيها ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القسي وهو الزائف وقد قيل في الدرهم القسي انه أعجمي معرب وقيل هو من القساوة لان الدرهم الطيب ألين من الزائف والزائف أصلب منه ونصب ليلة على التمييز كذلك قال سيبويه في قول الصلتان العبدي * يا شاعرا لا شاعر اليوم مثله * وذلك أن في الكلام معنى التعجب وقوله وميت بغزات هي غزة ولكنهم يجعلون لكل ناحية أو لكل ربض من البلدة اسم البلدة فيقولون غزات في غزة ويقولون في بغداد بغادين كما قال بعض المحدثين

شرح بيت السادس * على ذلك السادس

ولهذا نظائر ستمر في الكتاب ان شاء الله ومن هذا الباب حكمهم للبعض بحكم الكل كأسدوه وما بعده نحو قولهم شرقت صدر القناة من الدم . وذهبت بعض أصابعه . وتواضعت سور المدينة . وقد تركت على هذا الاصل مسئلة من الفقه قال الفقهاء أو أكثرهم من حلف ان لا يأكل هذا الرغيف فأكل بعضه فقد حنث فحكموا للبعض بحكم الكل وأطلقوا عليه اسمه * وفيه

ان المعراب وأسأوها * من خير أحياء وأموات

فالمعراب سوا المعيرة وهو عندهم لقب كما قالوا المنادرة في بني المدر والأشعرون في بني أشعر بن أدد كما قال علي بن عبد الله بن عباس في ابن الزبير آثر على الحميدات والتويتات والاسامات يعني بني حميد وبني تويت وبني اسامة وهم من بني أسد بن عبد العزى * وفيه سرق الديباج يعني الدنية وهي الكلمة وهو محوها قدم في عراب وأنشد له في القصيدة المذكورة محض الضريبة عالي الهم مختلق أي عالم الخلق حلا الحجرة باب المطيبات ليس قوله باء من الأي أي يكون الهمزة فيه عين الفعل وانما هو من باء سوء الحض فالهمزة فيه لام الفعل كما في جاء عند الخليل فانه عنده مقلوب وورده والواو والياء التي بعد الهمزة هي عين الفعل في جاء [illegible] الشعرات فشدد ياء الشجي وان كان أهل اللغة قد قالوا ياء الشجي [illegible] وياء الخلي مشدده وقد اعترض ابن [illegible] على أبي تمام الطائي في قوله

أيا ويح الشجي من الخلي * وويح الدمع من احدى بلي

واحتج بقول [illegible] في ذلك فقال لا الطائي ومن أفصح عند ان الحرمة [illegible] أم أبو الأسود الدؤلي حيث يقول

ويل الشجي من الخلي فانه * [illegible]

قال المولف [illegible] وأقوى في الحجاج من [illegible] ان الاسود الدؤلي [illegible] وأبو الاسود أول من [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قال الشاعر في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

صمم السبيعة وهاب الجزيلات

صعب البديهة لا نكس ولا وكل ماضي العزيمة متلاف الكريمات

صبر توسط من كعب اذا نسبوا بحبوحة المجد والشم الرفيعات

ثم اندى البعض والفياض مطلقا واسم جرطي بعد فيه ابت حمامات

أمسى يردمان عبد السوم معترا [illegible]

[illegible]

وأبكي لك [illegible]

[illegible]

[illegible]

أفناهم الدهر أم كلت سيوفهم * أم كل من عاش أرواد المنيات   أصبحت أرضى من الأقوام بعدهم * ...

والقاء التحيات   ناعيه تكى أنا الشعث الشحيات * سكيه حسرا ... الملمات   سكى أكرم من عشى على قدم ...

بدموع بعبرات   سكى شحصا طويل الباع داحر * آبى الهضيمة فراج الجليلات   سكين عمرو والعلاء ... مصرعه ...

سمح السجية بسام العشيات   سكيه مستكيات على حزن * يا طول ذلك من حزن وعولات   سكى الحلا ... الزمان له ...

حصر الجدود كأمثال الجياب   محرمات على أوساطهن لما * جر الزمان من احداث المصاب   أبيت ليلى أراعى النجم من ألم

أبكى وتبكى معشجوى نسائى   ما في القروم لهم عدل ولا خطر * (٩٧) ولا لمن تركوا شروى عباب

أبناؤهم خير أبناء وأنفسهم * خير النفوس لدى جهد الالباب

كم وهبوا من طمر سابح أرن

ومن طمرة نهب فى طمرات

ومن سيوف من الهندى خالصة

ومن رماح كأشطان الركيات

ومن توابع مما تعضلون بها

عند المسائل من بذل العطيات

فلو حسبت وأحصى الحاسبون معى

لم أقض أفعالهم تلك الهنات

هم المدلون اما معشر فخروا

عند الفخار بأنساب نقيات

الاظهر فيه أن تكون الميم أصلية و تكون مما صوعفت فاؤه وعينه وحمله على هذا الاصل أولى لكثرته في الكلام وان كان أصل الميم أن تكون زائدة اذا كانت أول الكلمة الرباعية أو الخماسية الا أن يمنع من ذلك اشتقاق ولا اشتقاق ههنا أو يمنع من ذلك دخوله فيما قل من الكلام نحو فلو وسلس قال أبو على فى المرمر حمله على باب قرقر و رر أولى من حمله على باب فلو وسلس و بذلك ان جعلت الميم زائدة كانت فاء الفعل وهى الراء مضاعفة دون عين الفعل وهى الميم واذا جعلت الميم الاولى فى مرمر أصلية وكان من باب ما صوعفت فيه الفاء والعين وهذا معنى قول سيبويه فى المرمر وهو الملساء المستوى الطري المهيج دون ما صوعفت فيه الفاء وحدها فاعلمه * وقوله * طويل الباع داحر * الفجر الجود سمي به انفجار الماء و يروى دافع والفعر كثرة المال وقد قال أبو محجن الثقفى

وقد أجود وما مالى بذى دع * وأكتم السر فيه ضربة العنق

وقوله بسام العشيات اى انه يضحك للاضياف و يسمع ندمائهم كما قال الآخر وهو حاتم الطائى

أضاحك ضيفى قبل انزال رحله * ويخصب عندى والمحل جديب

وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

حديث زمزم

وكانت زمزم كما قدمنا سقيا اسماعيل عليه السلام فجرها له روح القدس بعقبه وفى تفجيرها بالعقب دون أن يفجرها باليد أو غيره اشارة الى أنها لعقبه وورائه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال سبحانه « وجعلها كلمة باقية فى عقبه » أى فى أمة محمد عليه السلام ثم ان زمزم لما أحدثت جرهم فى الحرم واستخفوا بالمال والحرم و بغى بعضهم على بعض واحترموا مورها ... فلما أخرج الله جرهم من مكة بالاسباب التى قدمنا ذكرها عمد الحرث بن مضاض الاصغر الى ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان من ذهب وأسياف قلعية كان ساسان ملك الفرس قد أهداها الى الكعبة وقيل سابور وقد قدمنا ان الاوائل من ملوك الفرس كانت تحجها الى عهد ساسان أو سابور فلما علم الحارث بن مضاض أنه مخرج منها جاء بها ليلا حتى دفن ذلك فى زمزم وعفى عليها ولم تزل دارسة عافية آثارها حتى أن يراد البارك الذى كان يسقى بوجهه ... و مجرى سائر ... من الماء صاحب الكوثر والحوض الرواء فلما آن ظهورها أذن الله تعالى لسيد الأمة ...

(١٣ - روض ل) زمن الدوت التى حلواها ساكنا * فاصبحت فيهم ... حليات ... أول والعس لا ... ا ...

لانه ... أخو ... ابن الزبير « قال ابن هشام » الفجر العطاء قال أبو خراش الهذلى

عجف أضيافى جميل بن معمر * بذى فجر تأوى اليه الارامل * قال ابن اسحق أبو الشعث الشعثات ... اسم

ابن عبد ... قال ... ولى عبد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعد عبد المطلب ... بالسقاية وأقام ... ما كان آباؤه ...

... أبو ... أمرهم وشرف ... قومه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه ...

... عبد المطلب ... نائم فى الحجر ... أتى ... فأمر بحفر زمزم

* قال ابن إسحق وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الله بن زرير الغافقي أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها قال قال عبد المطلب إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال احفر طيبة قال قلت وما طيبة قال ثم ذهب عني فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة قال فقلت وما برة قال ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر المضنونة قال فقلت وما المضنونة قال ثم ذهب عني (٩٨) فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم قال قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الأعظم وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل قال ابن إسحق فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف أنه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها فلما بدا لعبد المطلب الطي كبر فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته فقاموا إليه فقالوا يا عبد المطلب إنها بئر أبينا إسماعيل وإن لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها قال ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم [illegible] قالوا [illegible] فاجعلوا بيني وبينكم [illegible] كاهنة بني سعد هذيم قال نعم قال وكانت بأشراف الشام [illegible]

أن يطهر ولما ابتدئ من ماتها أن يجهر وكان صلى الله عليه وسلم قد سقت الناس بركته قبل أن يولد وسقوا بدعوته وهو طفل حين أجدبت البلاد وذلك حين خرج به جده مستسقيا لقريش وسيأتي بيان ذلك في محله إن شاء الله وسقيت الحليمة كما أغيوث السماء في حياته [illegible] والمرة بعد المرة وتارة بدعائه وتارة من [illegible] وتارة بالله [illegible] بعده [illegible] عليه السلام استشفع عمر بعمه رضي الله عنهما عام الرمادة وأقسم عليه [illegible] فلم يبرح حتى قلصوا المآزر واعتلقوا الحذاء وخاضوا الغدران وسمعت الرفاق [illegible] إلى المدينة في ذلك اليوم [illegible] في السحاب أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص كل هذا ببركة [illegible] والداعي إلى الحياض الموعود بها على يديه في الدار [illegible] صلى الله عليه وسلم صلاة [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] كريم

﴿فصل﴾ وأري عبد المطلب في [illegible] احفر طيبة [illegible] ولد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وقيل له احفر برة [illegible] الأبرار [illegible] احفر [illegible] زمزم [illegible] على [illegible] المؤمن [illegible] وروى الدارقطني [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] أن [illegible] كما قال وفي [illegible] أن عبد المطلب [illegible] له احفر [illegible] على [illegible] عليك [illegible] بين الغراب الأعصم [illegible] الفرث والدم [illegible] قرية النمل [illegible] احفروا [illegible] بين الفرث والدم [illegible] حافرها [illegible] المسجد الحرام [illegible] في الموضع الذي رسم له عبد المطلب [illegible] الفرث [illegible] عبد المطلب [illegible] العلامات [illegible] الفرث والدم [illegible] وقرية [illegible] رضي الله عنه [illegible] رسول الله صلى الله [illegible] الناس [illegible] [illegible] بارك [illegible] وقد قال الله تعالى في [illegible] من [illegible] [illegible] وكان [illegible] [illegible] الأعصم [illegible] الغراب [illegible] [illegible] الأعصم [illegible] وقال [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فقام كل واحد منهم فحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم ان عبد المطلب قال لأصحابه والله ان القاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ارتحلوا فارتحلوا حتى اذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون تقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا

الله فاشربوا واستقوا فجاؤا فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبينها * قال ابن اسحق فهذا الذي بلغني من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في زمزم وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب انه قيل له حين أمر بحفر زمزم

ثم ادع بالماء الروى غير الكدر

يسقي حجيج الله في كل مبر

ليس يخاف منه شيء ما عمر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك الى قريش فقال تعلموا اني قد أمرت ان أحفر لكم زمزم فقالوا فهل بين لك أين هي قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت فان يك حقا من الله يبين لك وان يك من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأتى فقيل له احفر زمزم انك ان حفرتها لم تندم وهي تراث من أبيك الأعظم لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الأعظم مثل نعام جافل لم يقسم ينذر فيها ناذر لمنعم تكون ميراثا وعقدا محكما ليس كبعض ما قد تعلم وهي بين الفرث والدم (قال ابن هشام) هذا الكلام والكلام الذي قبله من حديث علي في حفر زمزم من قوله لا تنزف أبدا ولا تذم الى قوله عند قرية النمل عندنا سجع وليس شعرا

أراد أبو عبيد ان هذا الوصف لدواب الأرض ولذلك قال ان هذا الوصف في الغربان عزيز وكأنه ذهب الى الذي أراد ابن قتيبة من نقص الجناحين ولولا ذلك لقال انه في الغربان محال لا يتصور وفي مسند ابن أبي شيبة من طريق أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يقوي عن قولهما وفيه الشفاء انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة الصالحة في النساء كالغراب الأعصم قيل يا رسول الله وما الغراب الأعصم قال الذي احدى رجليه بيضاء فالغراب في التأويل فاسق وهو أسود فدلت نقرة عند الكعبة على نقرة الأسود الحبشي بمعوله في أساس الكعبة يهدمها في آخر الزمان فكان نقر الغراب في ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الأسود في آخر الزمان بقبلة الرحمن وسرة أهل الايمان وذلك عند ما يرفع القرآن وتحيا عبادة الأوثان وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخربن الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وفي الصحيح أيضا من صفته انه أفحج وهذا أيضا ينظر الى كون الغراب أعصم اذ الأفحج يتباعد في الرجلين كما أن العصم اختلاف فيهما والاختلاف تباعد وقد عرف بذي السويقتين كما نعت الغراب بصفة في ساقيه فتأمله وهذا من خفي علم التأويل لأنها كانت رؤيا وان شئت كان من باب الزجر والقيافة الصادق والاعتبار والفكر في معاني كلام الله تعالى فهذا من ذلك الباب وهو من علم الفراسة ومن حديث الترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد على قف وادلى رجليه فيها ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك ثم جاء عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك ثم جاء عثمان فلم يجد مكانا فقعد ناحية فقال سعيد ابن المسيب فأولت ذلك قبورهم اجتمعت وانفرد قبر عثمان رضي الله عنه والله سبحانه يقول «ان في ذلك لآيات للمتوسمين» فهذا من التوسم والفراسة الصادقة واعمال الفكر في دلائل الحكمة واستنباط الفوائد اللطيفة من اشارات الشريعة وأما قرية النمل ففيها من المشاكلة أيضا والمناسبة أن زمزم هي عين مكة التي يرد عليها الحجيج والعمار من كل جانب فيحملون اليها البر والشعير وغير ذلك وهي لا تحرث ولا تزرع كما قال سبحانه خبرا عن ابراهيم عليه السلام «ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الى قوله وارزقهم من الثمرات» وقرية النمل كذلك لا تحرث ولا تبذر وتجلب الحبوب الى قريتها من كل جانب وفي مكة قال الله سبحانه «قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان» مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قريت الماء في الحوض اذا جمعته والرؤيا تعبر على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى فقد اجتمع اللفظ والمعنى في هذا التأويل والله أعلم وقد قيل لعبد المطلب في صفة زمزم لا تنزف أبدا ولا تذم وهذا برهان عظيم لأنها لم تنزف من ذلك الحين الى اليوم قط وقد وقع فيها حبشي فنزحت من أجله فوجدوا ماءها يفور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها ماء من ناحية الحجر الأسود وذكر هذا الحديث الدارقطني وقوله ولا تذم فيه نظر وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه ولتضلع منه كل من يشربه وقد جاء في الحديث انه لا يتضلع منها منافق

فقام عبد المطلب ومعه ابنه الحرث وليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين إساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت إليه قريش حين رأوا جده فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحرث ذد عني حتى أحفر فوالله لأمضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر إلا يسيرا حتى بدا له الطي فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافا [illegible] وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلموا إلى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف نصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه [illegible]

فماؤها إذا أمد موم عندهم وقد كان خالد بن عبد الله القسري أمير العراق ذمها وسماها أم جعلان واحتفر بئرا خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم جرأة منه على الله عز وجل وقلة حياء منه وهو الذي كان يعلن ويفصح بلعن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على المنبر وإنما ذكرنا هذا لتعلم أنها قد ذمت فقوله إذا لا تذم من قول العرب أذممت البئر إذا وجدتها ذمة أي قليلة الماء فهو من أذممت البئر إذا وجدتها ذمة كما تقول أجبنت الرجل إذا وجدته جبانا وأكذبته إذا وجدته كاذبا وفي التنزيل فإنهم لا يكذبونك وقد فسر أبو عبيد في غريب الحديث قوله حتى مررنا ببئر ذمة وأنشد

مخيسة حوزا كأن عيونها ... ذمام الركايا أنكزتها المواتح

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله ولا تذم لأنه نفي مطلق وخبر صادق والله أعلم وحديث البئر الذمة التي ذكرها أبو عبيد حدثناه أبو بكر بن العربي الحافظ قال أخبرنا القاضي أبو المطهر سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أخبرنا أبو بكر [أحمد] بن يوسف بن خلاد قال حدثنا الحرث بن أبي أسامة قال حدثنا أبو النضر قال حدثنا سليمان عن حميد عن يونس عن البراء قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتينا على ركي ذمة يعني قليلة الماء قال فنزل فيها ستة أناس أنا سادسهم [illegible] فأدليت إلينا دلو قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم على الركي فجعلنا فيها نصفها أو قراب ثلثيها فرفعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجئت بإنائي هل أجد شيئا أجعله في حلقي فما وجدت فرفعت الدلو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمس يده فيها فقال ما شاء الله أن يقول قال فأعيدت إلينا الدلو بما فيها قال فلقد رأيت أحدنا أخرج بثوب خشية الغرق قال ثم ساحت يعني جرت نهرا وذكر حديث عبد المطلب [illegible] قريش إلى الكاهنة وذكر المفاوز التي عطشوا فيها المفاوز جمع مفازة وفي اشتقاقها ثلاثة أقوال روي عن الأصمعي أنها سميت بذلك على جهة التفاؤل لراكبها بالفوز والنجاة وذكر عن ابن الأعرابي أنه قال سألت أبا المكارم لم سميت المفازة مفازة فقال لأن راكبها إذا قطعها وجاوزها فاز وقال بعضهم هي مهلكة ولكنه من قولهم فوز الرجل وفاد وفطس إذا هلك وذكر في غير [illegible] علي بن أبي طالب [illegible] ادع بالماء الروي غير الكدر فقال ما روي بالكسر والقصر ورواء بالفتح والمد [illegible] يسقي حجيج الله في كل [illegible]

[illegible] والأصل [illegible] لو كان [illegible] واحد من لفظه لجرى على قياس واحد كأثر الجموع [illegible] واحدة [illegible] واحد [illegible] إلى [illegible] أن يقال إنه اسم للجمع [illegible] لا يقدر على لفظه كأنه من أسماء الجموع [illegible] في العدد [illegible] الجموع [illegible] الجنس قال الله سبحانه «يرتع ويلعب» وقال [illegible] وذكر [illegible] وكذلك قال [illegible] بين [illegible] في حكم [illegible] كلام [illegible] مذهب أهل اللغة [illegible] على هذا المرعى الذي [illegible] وقوله في كل [illegible]

* [illegible] *

* وقوله * [illegible] *

[illegible]

حين قال اعل هبل أي أظهر دينك وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل فضرب صاحب القداح فخرج الأصفران على الغزالين وخرج الأسودان على الأسياف والأدراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الأسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة فيما يزعمون (١٠١) ثم ان عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج

«قال ابن هشام» وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمكة فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق قال حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوى وهي البئر التي بأعلى مكة عند البيضاء دار محمد بن يوسف * وحفر هاشم بن عبد مناف بذر وهي البئر التي عند المستنذر خطم الخندمة على فم شعب أبي طالب وزعموا أنه قال حين حفرها لأجعلنها بلاغا للناس «قال ابن هشام» وقال الشاعر

سقى الله أمواها عرفت مكانها
جرابا وملكوما وبذر والغمرا

* قال ابن اسحق وحفر سجلة وهي بئر المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف التي يستقون عليها اليوم ويزعم بنو نوفل ان المطعم ابتاعها من أسد ابن هاشم ويزعم بنو هاشم انه وهبها له حين ظهرت

زمزم فاستغنوا بها عن تلك الآبار * وحفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه * وحفرت بنو أسد بن عبد العزى شفية بن أسد * وحفرت بنو عبد الدار أم أحراد * وحفرت بنو جمح السنبلة وهي بئر خلف بن وهب * وحفرت بنو سهم الغمر وهي [illegible]
[illegible] وكانت آبار حفائر خارجا [illegible]

من المياه اذا أفرط في شربه انما هو بركة على كل حال وعلى هذا يجوز ان يحمل قوله لا تنزف ولا تذم فاقبسه شربها وهذا تأويل سائغ أيضا الى ما قدمناه من التأويل وكلاهما صحيح في صفتها * وقوله وضرب الغزالين حلية الكعبة وهو أول ذهب حليت به الكعبة وقد قدمنا ذكر الغزالين ومن أهداهما الى الكعبة ومن دفنهما من جرهم وقدمنا أن أول من كسى الكعبة تبع وانه أول من اتخذ لها غلقا الى ان ضرب لها عبد المطلب بابا حديدا من تلك الأسياف واتخذ عبد المطلب حوض زمزم يسقى منه وكان يخرب بالليل حسدا له فلما غمه ذلك قيل له في النوم قل لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل وقد كفيتهم فلما أصبح قال ذلك فكان بعد من أرادها بمكروه رمي بداء في جسده حتى انتهوا عنه ذكره الزهري في سيره * وقوله وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمكة ذكروا أن قصيا كان يسقي الحجيج في حياض من أدم وكان ينقل الماء اليها من آبار خارجة من مكة منها بئر ميمون الحضرمي وكان ينبذ لهم الزبيب ثم احتفر قصي العجول في دار أم هانئ بنت أبي طالب وهي أول سقاية احتفرت بمكة وكانت العرب اذا استقوا منها ارتجزوا وقالوا

تروى على العجول ثم ننطلق * ان قصيا قد وفى وقد صدق

فلم تزل العجول قائمة حياة قصي وبعد موته حتى كبر عبد مناف بن قصي فسقط فيها رجل من بني جعيل فعطلوا العجول واندفنت واحتفرت كل قبيلة بئرا واحتفر قصي سجلة وقال حين حفرها

أنا قصي وحفرت سجله * تروي الحجيج زغلة فزغله

وقيل بل حفرها هاشم ووهبها أسد بن هاشم لعدي بن نوفل وفي ذلك تقول خالدة بنت هاشم

نحن وهبنا لعدي سجله * تروي الحجيج زغله فزغله

وأما أم أحراد التي ذكرنا فأحراد جمع حرد وهي قطعة من السنام وكأنها سميت بذلك لأنها تنبت الشحم أو تسمن الابل أو نحو هذا والحرد القطا الواردة للماء فكأنها ترد للقطا الطير فيكون أحراد جمع حرد بالضم على هذا وقالت أميمة بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد

نحن حفرنا البحر أم أحراد * ليست كبذر النزور الجماد

فأجابتها ضرتها صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنه

نحن حفرنا بذر * تسقي الحجيج الأكبر من مقبل ومدبر وأم أحراد شر

وأم أحراد يحتمل أن تكون من الحرد والحرد بحركة وكثير زلحرد الوادي ذا الحرد أيضا كان لحرد والحرد أيضا الرغبة من أملكوم فهو مدينة طوف والصل ذو كوكل مر مكان الحرادا استخرج ماءها والمكلة الركية وقد قالوا ملكمة وميمه فلا بد أن يكون هذا الاسم كذلك ما فيه وكل وملكوم والكوم في اللغة المثلم ما لم يكن مطويا وأما بذر فالبئر بذر فرق وانما كان جعل مفرقا من غير مكان واحد وهذا الى الاعتقال الدعاء الى شيء وجمعهم يذر وهي أسماء أعلام لا يشبه اسم ما تحت الأسماء غير الاعلام فلا يدرى الآن لم زيد أصله ان يكون أعجميا فعرب وأما خم وخم بئر بني

وهي رم وردم بئر مرة بن كعب بن لؤي * وخم وخم بئر بني كلاب بن مرة * والحفر قال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي « قال ابن هشام » وهو أبو أبي جهم بن حذيفة وقد ماء بنا قبل ذلك حقبة * ولا نستقي إلا بخم أو الحفر « قال ابن هشام » وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها إن شاء الله في موضعها * قال ابن اسحق فعفت زمزم على المياه التي كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس إليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ما سواها من المياه ولأنها بئر اسمعيل ابن ابراهيم عليهما السلام وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب * فقال مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو يفتخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة وما أقاموا للناس من ذلك وبزمزم حين ظهرت لهم وإنما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد شرف بعضهم لبعض شرف وفضل بعضهم لبعض فضل

ورثنا المجد من آبا ئنا فنمى بنا صعدا
ألم نسق الحجيج و نـ ـنحر الدلافة الرفدا
ونلقى عند تصريف الـ ـمنايا شدّدا رفدا
فإن نهلك فلم نملك ومن ذا خالد أبدا
وزمزم في أرومتنا ونفقأ عين من حسدا

« قال ابن هشام » وهذه الأبيات في قصيدة له * قال ابن اسحق وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي

بنوه المصطفى للحج هاشم ... وعبد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزم عند المقام فأصبحت ... سقايته فخرا على كل ذي فخر

« قال ابن هشام » يعني عبد المطلب بن هاشم وهذان البيتان في قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها إن شاء الله تعالى

من خممت البيت إذا كنسته ويقال فلان مخموم القلب أي نقيه فكأنها سميت بذلك لنقائها * وأما غدير خم الذي عند الجحفة فسميت بغيضة عنده يقال لها خم * فيما ذكروا * وأما رم بئر بني كلاب بن مرة فمن رممت الشيء إذا جمعته وأصلحته ومنه الحديث كنا أهل ثمه ورمه والرمان في قول سيبويه لا ينصرف فعلان وأما الأخفش فيقول فيه فعال فيجعل فيه النون أصلية و يقول إن سميت به رجلا صرفته ومن قول عبد شمس بن قصي

حفرت رما وحفرت خما ... حتى يرى المجد بها قد تما

وأما شفية بئر بني أسد فقال فيها الحويرث بن أسد

ماء شفية كماء المزن ... وليس ماؤها بطرق أجن

وأما سنبلة بئر بني جمح وهي بئر بني خلف بن وهب فقال قائلهم

نحن حفرنا للحجيج سنبله ... صوب سحاب ذو الجلال أنزله
ثم تركناها برأس القنبله ... تصب ماء مثل ماء المعبله

* نحن سقينا الناس قبل المسبله *

وأما الغمر بئر بني سهم فقال فيها بعضهم

نحن حفرنا الغمر للحجيج ... تثج ماء أيما ثجيج

ذكر أكثره أبو عبيد البكري وبعض هذه الآبار أو أكثرها في كتاب الزبير بن أبي بكر رحمه الله عليه

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر مسافر بن أبي عمرو بن أمية واسم أبي عمرو ذكوان وهو الذي يقول فيه أبو سفيان

ليت شعري مسافر بن أبي عمـ ... ـرو وليت يقولها المحزون
بورك الميت الغريب كما بو ... رك نضح الرمان والزيتون

في شعر يرثيه وكان مات من حب صعبة بنت الحضرمي وفي الشعر * ونحر الدلافة الرفدا * فالدلافة جمع دالف وهو الرفد ومشي الرفد ومنحى إلى ... عبد المطلب ... وقوله ونلقى عند تصريف المنايا شددا رفدا هو جمع رفود ... الرفد هو العون والأول من الرفد بفتح الراء وهو الإناء الكبير قال الشاعر

رب رفد هرقته ذلك اليو ... م وأسرى من معشر أقتال

وذكر أم عبد الله بن عبد المطلب وهي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران هكذا قال ابن هشام وقال ابن اسحق عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم والصحيح ما قاله ابن هشام لأن الزبير بن بكار ذكر أن عبدا هو أخو عائذ بن عمران وأن بنت عبد هي صخرة امرأة عمرو بن عائذ على قول ابن اسحق لأنها كانت لا تعد لا بنت عمر و أمها فقد تكرر هذا النسب في السيرة مرارا وفي كل ذلك يقول ابن اسحق عائذ بن عبد بن عمران وقال ابن هشام وصخرة بنت عبد أم فاطمة أمها ... بنت عبد بن قصي وأم ... بنت عمرو

* قال ابن إسحق وكان عبد المطلب بن هاشم فيما يزعمون والله أعلم قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة فلما توافى بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك فأطاعوه وقالوا كيف نصنع قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتوني ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة وكان هبل على بئر في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة وكان عند هبل قداح سبعة كل قدح منها فيه كتاب قدح فيه العقل إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله وقدح فيه نعم للأمر إذا أرادوه يضرب به في القداح فإن خرج قدح نعم عملوا به وقدح فيه لا إذا أرادوا أمرا ضربوا به في القداح فإن خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الأمر وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحا أو يدفنوا ميتا أو شكوا في نسب أحدهم ذهبوا به إلى هبل وبمائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا يا إلهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ثم يقولون لصاحب القداح اضرب فإن خرج عليه منكم كان منهم وسيطا وإن خرج عليه من غيركم كان (١٠٣) حليفا وإن خرج عليه ملصق كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف وإن خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به نعم عملوا به وإن خرج لا أخروه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة أخرى ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القداح فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذي نذر فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بني أبيه كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر «قال ابن هشام» عائذ بن عمران بن مخزوم . قال ابن إسحق وكان عبد الله فيما يزعمون أحب ولد عبد المطلب إليه فكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبد الله فأخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه فقامت إليه قريش من أنديتها فقالوا ماذا تريد يا عبد المطلب قال أذبحه فقالت له قريش وبنوه والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة وكان عبد الله ابن أخت القوم والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالت له قريش وبنوه لا تفعل وانطلق به إلى الحجاز فإن به عرافة لها تابع فسلها ثم أنت على رأس أمرك إن أمرتك بذبحه ذبحته وإن أمرتك بأمر لك وله فيه فرج قبلته فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها فيما يزعمون بخيبر فركبوا حتى جاءوها فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه وما أراد به ونذره فيه فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فأسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية فيكم قالوا عشر من الإبل وكانت كذلك قالت فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم

ابن وديعة بن الحرث بن فهر قاله الزبير .

﴿ فصل ﴾ وذكر نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه إلى آخر الحديث وفيه أن عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصغر بني أبيه وهذا غير معروف ولعل الرواية أصغر بني أمه وإلا فحمزة كان أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة وروي عن العباس رضي الله عنه أنه قال أذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها فجيء بي حتى نظرت إليه وجعل النسوة يقلن لي قبل أخاك [قبل أخاك] فمثله كيف يصح أن يكون عبد الله هو الأصغر مع هذا ولكن رواه البكائي كما تقدم وللرواية وجه وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس وسائر حديث عبد المطلب ليس فيه ما يشكل وفيه أن الدية كانت عشرا من الإبل فأول من سنها مائة إذا عبد الله وقد تقدم ما ذكره الأصبهاني عن أبي اليقظان أن أبا سيارة هو أول من جعل الدية مائة من الإبل وأما أول من ودي بالإبل من العرب فزيد بن بكر بن هوازن قتله أخوه معاوية جد بني عامر بن صعصعة وأما الكاهنة التي تحاكموا إليها بالمدينة فاسمها قطبة ذكرها عبد الغني في كتاب الغوامض والمبهمات وذكر ابن إسحق في رواية يونس أن اسمها سجاح

خرجت على الإبل فانحروها عنه فقد رضي ربكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الإبل وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل عشرين وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل ثلاثين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل أربعين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل خمسين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل ستين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل سبعين وقام عبد المطلب يدعو الله (١٠٤) ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل ثمانين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل تسعين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الإبل فبلغت الإبل مائة وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا أن عبد المطلب قال لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الإبل وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الإبل ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو الله [illegible] فخرج القدح على الإبل ثم عادوا الثالثة [illegible] يدعو الله فضربوا فخرج القدح على الإبل [illegible]

[illegible]

﴿فصل﴾ في ذكر تزويج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب وذكر الزرقاني في سبب تزويج عبد الله آمنة أن عبد المطلب كان يأتي اليمن وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم فنزل عنده مرة فإذا عنده رجل ممن قرأ الكتب فقال له ائذن لي أقيس منخرك فقال دونك فنظر فقال أرى نبوة وملكا وأراهما في المنافين عبد مناف بن قصي وعبد مناف بن زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فزوجه [illegible] وتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب وهي أم حمزة رضي الله عنه وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] ذكر أمها وأم أمها [illegible] في أول المولد ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة [illegible] وأما أم هالة فهي [illegible] بنت عبد المطلب [illegible]
أشكل على بعض الناس في هذا الخبر أن عبد المطلب [illegible] أحد [illegible] إذا بلغوا عشرة ثم ذكر ابن إسحاق [illegible] رضي الله عنهما [illegible] عشرة أولاده [illegible] من العلماء فقالوا كان [illegible] عشرة [illegible] كما في الخبر [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
[illegible]
فلما أتى [illegible]

[illegible]

غالب بن فهر وأم حبيب لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت فقال لها ما لك لا تعرضين علي اليوم ما كنت عرضت علي بالأمس قالت له فارقك النور الذي كان معك بالأمس فليس لي بك اليوم حاجة وقد كانت تسمع من أخيها ورقة ابن نوفل وكان قد تنصر واتبع الكتب أنه كائن في هذه الأمة نبي * قال ابن إسحاق وحدثني أبي إسحق بن يسار أنه حدث أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب وقد عمل في طين له وبه آثار من الطين فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ثم خرج عامدا إلى آمنة فمر بها فدعته إلى نفسها فأبى عليها وعمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم مر بامرأته تلك فقال لها هل لك قالت لا مررت بي وبين عينيك غرة بيضاء فدعوتك فأبيت علي ودخلت على آمنة فذهبت بها قال ابن إسحق فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث أنه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس قالت فدعوته رجاء أن تكون تلك بي فأبى علي ودخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط قومه نسبا وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم ويزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث أنها أتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها إنك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض فقولي أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هلك وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به

﴿ ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

إني رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحناتم القطر

فلمأتها نورا يضيء به * ما حوله كإضاءة الفجر

ورأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر

ورأيته شرفا أبوء به * ما كل قادح زنده يوري

لله ما زهرية سلبت * منك الذي استلبت وما تدري

وفي غير ابن قتيبة أن التي عرضت نفسها عليه هي ليلى العدوية

﴿ فصل في المولد ﴾

في مسند بقي بن مخلد أن إبليس لعنه الله رن أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين أهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب قال والرنين والنخار من عمل الشيطان قال ويكره أن يقال أم الكتاب ولكن فاتحة الكتاب وروي عن عثمان بن أبي العاص عن أمه أم عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت أنها ستقع علي ذكره أبو عمر في كتاب النساء وذكر الطبري أيضا في التاريخ وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا أي مجدودا وهو مقطوع السرة يقال عذر الصبي وأعذر إذا ختن وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك ولما وضعته صلى الله عليه وسلم وقع إلى الأرض مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وذكر ابن دريد أنه ألقيت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه ولما قيل له ما سميت ابنك فقال محمدا فقيل له كيف سميت باسم ليس لأحد من آبائك وقومك فقال إني لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب وقد ذكر حديثها علي القيرواني العابر في كتاب البستان قال كان عبد المطلب قد رأى في منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور وإذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض فلذلك سماه محمدا مع ما حدثته به أمه حين قيل لها إنك حملت بسيد هذه الأمة فإذا وضعتيه فسميه محمدا الحديث (قال المؤلف) لا يعرف في العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه

وسلم إلا لأنه طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم وقرب زمانه وأنه يبعث في الحجاز أن يكون ولداً لهم ذكرهم ابن فورك في كتاب الفصول وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس والآخر محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الأول فأخبرهم بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وباسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملاً فنذر كل واحد منهم إن ولد له ذكر أن يسميه محمداً ففعلوا ذلك (قال المؤلف) وهذا الاسم منقول من الصفة فالمحمد في اللغة هو الذي يحمد حمداً بعد حمد ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدح إلا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة ٭ وأما أحمد فهو اسمه صلى الله عليه وسلم الذي سمي به على لسان عيسى وموسى عليهما السلام فإنه منقول أيضاً من الصفة التي معناها التفضيل فمعنى أحمد أي أحمد الحامدين لربه وكذلك هو في المعنى لأنه يفتح عليه في المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد ٭ وأما محمد فمنقول من صفة أيضاً وهو في معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة كما أن المكرم من أكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه به قبل أن يسمي به نفسه فهذا علم من أعلام نبوته إذ كان اسمه صادقاً عليه فهو محمود عليه السلام في الدنيا بما هدى إليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود في الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم إنه لم يكن محمداً حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذي هو محمد فذكره عيسى صلى الله عليه وسلم فقال اسمه أحمد وذكره موسى صلى الله عليه وسلم حين قال له ربه تلك أمة أحمد فقال اللهم اجعلني من أمة أحمد فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد وبعث كان محمداً بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه فيكون أحمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر في الذكر والوجود وفي الدنيا والآخرة تلح لك الحكمة الإلهية في تخصيص هذين الاسمين وانظر كيف أنزلت عليه سورة الحمد وخص بلواء الحمد وخص بالمقام المحمود وانظر كيف شرع له الحمد بعد [illegible] وأن يقول عند اختتام الأفعال وانقضاء الأمور والحمد لله رب العالمين قال الله سبحانه وتعالى «وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين» وقال أيضاً «وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين» تنبيهاً على أن الحمد مشروع له عند انقضاء الأمور وسن صلى الله عليه وسلم الحمد بعد الأكل والشرب [illegible] [illegible] آخرون [illegible] الحامدين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الوحي [illegible] الساعة [illegible] [illegible] [illegible] الأمور [illegible] [illegible] الحمد والحامد [illegible] [illegible] وفي ذلك [illegible] [illegible] وعلم واضح على نبوته [illegible] صلى الله عليه [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وإنه [illegible] أن عبد المطلب [illegible] [illegible]

الحمد لله الذي أعطاني ٭ هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان ٭ أعيذه بالبيت ذي الأركان

حتى يكون بلغة الفتيان ٭ حتى أراه بالغ البنيان

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق المطلبي قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول عام الفيل * قال ابن اسحق وحدثني المطلب بن عبد الله بن قيس ابن مخرمة عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة قال ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل فنحن لدتان * قال ابن اسحق وحدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن يحيي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الانصاري قال حدثني من شئت من رجال قومي عن حسان بن ثابت قال والله اني لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت اذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب يامعشر يهود حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا له ويلك مالك قال طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به * قال محمد بن اسحق فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقلت ابن كم كان حسان ابن ثابت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال ابن ستين وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين * قال ابن اسحق فلما وضعته أمه صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده عبد المطلب أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه فأتاه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت به ان تسميه فيزعمون ان عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها والتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء (قال ابن هشام) المراضع وفي كتاب الله تبارك وتعالى في قصة موسى عليه السلام وحرمنا عليه المراضع * قال ابن اسحق فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر [illegible] حليمة ابنة ابي ذؤيب [illegible] بن الحرث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن [illegible]

أعيذه من كل ذي شنآن * من حاسد مضطرب العنان
ذي همة ليس له عينان * حتى أراه رافع البنان
أنت الذي سميت في القرآن * في كتب ثابتة المباني
* أحمد مكتوب على البنان *

(فصل) وذكر أن مولده عليه السلام كان في ربيع الاول وهو المعروف وقال الزبير كان مولده في رمضان وهذا القول موافق لقول من قال ان أمه حملت به في أيام التشريق والله أعلم * وذكروا أن الفيل جاء مكة في المحرم وانه صلى الله عليه وسلم ولد بعد مجيء الفيل بخمسين يوما وهو الاكثر والاشهر وأهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان فكانت لعشرين مضت منه وولد بالغفر من المنازل وهو مولد النبيين ولذلك قيل خير منزلتين في الابد بين الزبانا والاسد لان الغفر يليه من العقرب زباناها ولا ضرر في الزبانا عن ضرر العقرب بذنبها ويليه من الاسد أليته وهو السماك والاسد لا يضر الا بمقدمه ومخلبه ونابه وولد بالشرطين وقيل بالدار التي عند الصفا وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخي الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجدا حين حجت وذكر أنه مات أبوه وهو حمل وأكثر العلماء على انه كان في المهد ذكره الدولابي وغيره فقيل ابن شهرين ذكره ابن أبي خيثمة وقيل أكثر من ذلك ومات أبوه عند أخواله بني النجار ذهب ليمتار لاهله تمرا وقد قيل مات أبوه وهو ابن ثمان وعشرين شهرا وأنشدوا رجزا لعبد المطلب يقوله لابنه أبي طالب

أوصيك ياعبد مناف بعدي * بموتم بعد أبيه فرد
* فارقه وهو ضجيع المهد *

وكان يدعو بن أمه عليه السلام في السن خمسة عشر عاما ويذكر الحرث بن عبد العزى أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ولم يذكر له اسلاما ولا ذكره كثير ممن ألف في الصحابة وقد ذكره يونس بن بكير في روايته فقال حدثنا ابن اسحق قال حدثني والدي اسحق بن يسار عن رجال من بني سعد بن بكر قال قدم الحرث بن عبد العزى أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين انزل عليه القرآن فقالت له قريش الا تسمع يا حار ما يقول ابنك هذا فقال وما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث بعد الموت وان لله دارين يعذب فيها من عصاه ويكرم فيها من أطاعه فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فأتاه فقال أي بني مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا أزعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فأسلم الحرث بعد ذلك وحسن اسلامه وكان يقول حين أسلم لو قد أخذ ابني بيدي فعرفني ما قال لم يرسلني ان شاء الله حتى يدخلني الجنة * وذكر ناصرة بن فصية في نسب ساعدة

ابن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان واسم ابيه الذي أرضعه صلى الله عليه وسلم الحرث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن «قال ابن هشام» ويقال هلال بن ناصرة * قال ابن اسحق واخوته من الرضاعة عبد الله بن الحرث وأنيسة بنت الحرث وحذامة بنت الحرث وهي الشيماء غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها الا به وهم لحليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحرث أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها اذا كان عندهم * قال ابن (١٠٨) اسحق وحدثني جهم بن أبي جهم مولى الحرث بن حاطب الجمحي عن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب أو عمن حدثه عنه قال كانت حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر تلتمس الرضعاء قالت وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئا قالت فخرجت على أتان لي قمراء معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذي معنا من بكائه من الجوع ما في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذيه «قال ابن هشام» ويقال يغذيه ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتاني تلك فلقد أدمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها انه يتيم وذلك انا انما كنا نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي الا أخذت رضيعا غيري فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي والله اني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعا والله لأذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه قال لا عليك أن تفعلي عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبت اليه فأخذته وما حملني على أخذه الا اني لم أجد غيره قالت فلما أخذته رجعت به الى رحلي فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى

وهو عندهم فصية بالفاء تصغير فصاة وهي النواة ووقع في الاصل في جميع النسخ قصية بالقاف وقال أبو حنيفة أصل الفصاة حب الزبيب وهو من هذا المعنى * وذكر الشيماء أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وقال في اسمها حذامة بكسر الحاء المهملة وقال غيره جدامة بالجيم المضمومة وبالدال مكان الذال وكذلك ذكره يونس في روايته عن ابن اسحق وكذلك ذكره أبو عمر في كتاب النساء

﴿شرح ما في حديث الرضاع﴾

قال ابن اسحق فالتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء قال ابن هشام انما هو المراضع قال في كتاب الله سبحانه «وحرمنا عليه المراضع» والذي قال ابن هشام ظاهر لأن المراضع جمع مرضع والرضعاء جمع رضيع ولكن لرواية ابن اسحق مخرج من وجهين أحدهما حذف المضاف كأنه قال ذوات الرضعاء والثاني أن يكون أراد بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ لأنهم اذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعا يرضع معه فلا يبعد أن يقال التمسوا له رضيعا علما بأن الرضيع لا بد له من مرضع وأرضعته عليه السلام ثويبة قبل حليمة أرضعته وعمه حمزة وعبد الله بن جحش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك لثويبة ويصلها من المدينة فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فأخبر انهما ماتا وسأل عن قرابتها فلم يجد أحدا منهم حيا وثويبة كانت جارية لأبي لهب [illegible] ان شاء الله [illegible] وذكر قول حليمة وليس في ثديي ما يغنيه وقال ابن هشام ما يغذيه بالذال [illegible] وهو أتم في المعنى من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء [illegible] في اصل الشيخ رواية [illegible] وهي بعين مهملة [illegible] واحدة ومعناه [illegible] الرضاع [illegible] عن الشرب [illegible] بالضم ولا يعرف فعول جمع على فعول غيره قاله أبو عبيد والذي في الاصل أصح في المعنى [illegible] حتى أدمت بالركب [illegible] وهو الواقف [illegible] أي حبست [illegible] وقولهم بردة أي [illegible] الراء ولا في اصل الشيخ أبي بحر وقد ذكرها قاسم في الدلائل ولم يذكر رواية أخرى وذكر [illegible] أبي عبيد [illegible] اذا [illegible] من [illegible] وهي [illegible] وذكر قول حليمة [illegible] عليه [illegible] فشرب حتى روي [illegible] أخوه حتى روي وذكر غير ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقبل الا على ثديها الواحد وكانت تعرض عليه الثدي الآخر فيأباه كأنه قد أشعر عليه السلام ان

ريّ وشرب معه أخوه حتى روي ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا إنها لحافل فحلب منها ما شرب وشربت
معه حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة قالت يقول صاحبي حين أصبحنا تعلمي والله يا حليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت والله إني
لأرجو ذلك قالت ثم خرجنا وركبت أتاني وحملته عليها معي فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شيء من حمرهم حتى إن
صواحبي ليقلن لي يا ابنة أبي
ذؤيب ويحك اربعي علينا
أليست هذه أتانك التي
كنت خرجت عليها فأقول
لهن بلى والله إنها لهي هي فيقلن
والله إن لها لشأنا قالت ثم
قدمنا منازلنا من بلاد بني
سعد وما أعلم أرضا من
أرض الله أجدب منها
فكانت غنمي تروح علي
حين قدمنا به معنا شباعا
لبنا فنحلب ونشرب وما
يحلب إنسان قطرة لبن ولا
يجدها في ضرع حتى كان
الحاضرون من قومنا
يقولون لرعيانهم ويلكم
اسرحوا حيث يسرح راعي
بنت أبي ذؤيب فتروح
أغنامهم جياعا ما تبض
بقطرة لبن وتروح غنمي
شباعا لبنا فلم نزل نتعرف من
الله الزيادة والخير حتى
مضت سنتاه وفصلته
وكان يشب شبابا لا يشبه
الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى
كان غلاما جفرا قالت
فقدمنا به على أمه ونحن
أحرص شيء على مكثه
فينا لما كنا نرى من بركته
وكلمنا أمه وقلت لها لو تركت بني عندي حتى يغلظ فإني أخشى عليه وباء مكة قالت فلم نزل بها حتى ردته معنا قالت فرجعنا به فوالله إنه بعد
مقدمنا بأشهر مع أخيه لفي بهم لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد فقال لي ولأبيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض
فأضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له ما لك يا بني

معه شريكا في لبانها وكان مفطورا على العدل مجبولا على جميل المشاركة والفضل صلى الله عليه وسلم (قال المؤلف) والتماس الأجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر نساء العرب حتى جرى المثل تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها وكان عند بعضهم لا بأس به فقد كانت حليمة وسيطة في بني سعد كريمة من كرائم قومها بدليل اختيار الله تعالى إياها لرضاع نبيه صلى الله عليه وسلم كما اختار له أشرف البطون والأصلاب والرضاع كالنسب لأنه يغير الطباع وفي المسند عن عائشة رضي الله عنها يرفعه لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يورث ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضعاء اضطرارا للأزمة التي أصابتهم والسنة الشهباء التي اقتحمتهم. وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم إلى المراضع فقد يكون ذلك لوجوه أحدها تفريغ النساء إلى الأزواج كما قال عمار بن ياسر لأم سلمة رضي الله عنها وكان أخاها من الرضاعة حين انتزع من حجرها زينب بنت أبي سلمة فقال دعي هذه المقبوحة المشقوحة التي آذيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون ذلك منهم أيضا لينشأ الطفل في الأعراب فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه وأجدر أن لا يفارق الهيئة المعدية كما قال عمر رضي الله عنه تمعددوا وتمعززوا واخشوشنوا وقد قال عليه السلام لأبي بكر رضي الله عنه حين قال له ما رأيت أفصح منك يا رسول الله فقال وما يمنعني وأنا من قريش وأرضعت في بني سعد فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء إلى المراضع الأعرابيات وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول أضر بنا حب الوليد لأن الوليد كان لحانا وكان سليمان فصيحا لأن الوليد أقام مع أمه وسليمان وغيره من إخوته سكنوا البادية فتعربوا ثم أدبوا فتأدبوا وكان من قريش أعراب ومنهم حضر فالأعراب منهم بنو الأدرم وبنو محارب وأحسب بني عامر بن لؤي كذلك لأنهم من أهل الظواهر وليسوا من أهل البطاح وذكر قول أخيه من الرضاعة نزل عليه رجلان فشقا بطنه وهما يسوطانه يقال سطت اللبن أو الدم أو غيرهما أسوطه إذا ضربت بعضه ببعض والمسوط عود يضرب به وفي رواية أخرى عن ابن إسحاق أنه نزل عليه كركيان فشق أحدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجا أو بردا أو نحو هذا وهي رواية غريبة ذكرها يونس عنه واختصر ابن إسحاق حديث نزول الملكين عليه وهو أطول من هذا وروى ابن أبي الدنيا وغيره بإسناد يرفعه إلى أبي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله كيف علمت أنك نبي وبم علمت حتى استيقنت قال يا أبا ذر أتاني ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال هو هو قال زنه برجل فوزنني برجل فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزنني فرجحتهم ثم قال زنه بألف فوزنني فرجحتهم حتى جعلوا يتساقطون علي من كفة الميزان فقال أحدهما للصاحب شق بطنه فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الإناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن ووليا عني فكأني أعاين الأمر معاينة وفي هذا الحديث بيان لما أبهم في الأول لأنه قال فأخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فبين أن الذي التمس فيه هو الذي يغمزه الشيطان من كل مولود إلا عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام لقول أمها «إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» ولم يصل إليه لذلك ولأنه لم يخلق من مني الرجال

فائدة من غمز وإنما خلق من نفخة روح القدس ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم لأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد نزع منه ذلك الغمز وملئ قلبه حكمة وإيمانا بعد أن غسله روح القدس بالثلج والبرد وإنما كان ذلك الغمز فيه لموضع الشهوة المحركة للمني والشهوات تحضرها الشياطين لا سيما شهوة من ليس بمؤمن فكان ذلك الغمز راجعا إلى الأب لا إلى الابن المطهر صلى الله عليه وسلم وفي الحديث فائدة أخرى وهي من نفيس العلم وذلك أن خاتم النبوة لم يدر هل خلق به أم وضع فيه بعد ما ولد أو حين نبئ فبين في هذا الحديث متى وضع وكيف وضع ومن وضعه زادنا الله علما وأوزعنا شكر ما علم وفيه البيان لما سأل عنه أبو ذر رضي الله عنه حين قال كيف علمت أنك نبي فأعلمه بكيفية ذلك عيانا في هذا الحديث وهما في بعض الملة وهو قوله بينا أنا بطحاء مكة وهذه القصة لم يعرض له إلا وهو في بني سعد مع حاضنته كما ذكر ابن إسحاق وغيره وقد رواه البزار من طريق عروة عن أبي ذر رضي الله عنه ولم يذكر فيه بطحاء مكة [illegible] غير أنه قال وأوتيت بالسكينة كأنها رهرهة فوضعت في صدري قال ولا أعلم [illegible] شيئا من أبي ذر وذكر من طريق آخر عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا أبا ذر وزنت بعشرة [illegible] فرجحتهم والرد به [illegible] البشرى فهذا بيان وضع الخاتم متى وضع. وأما متى وجبت له النبوة فروي عن ميسرة أنه قال له متى وجبت لك النبوة يا رسول الله فقال وآدم بين الروح والجسد وروي وآدم منجدل في طينته وهذا الخبر روي عنه عليه السلام على وجهين أحدهما أنه شق عن قلبه وهو مع رأسه ومرضعته في بني سعد [illegible] والثاني فيه أنه [illegible] وأن ذلك كان ليلة الإسراء حين عرج به إلى السماء بعد ما بعث بأعوام وفيه أنه أتي بطست من ذهب ملئ حكمة وإيمانا فأفرغ في قلبه وذكر بعض [illegible] في شرح الحديث أنه تعارض في الروايتين وجعل يأخذ في ترجيح الروايات [illegible] وليس الأمر كذلك بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين الأولى في حال الطفولية [illegible] الشيطان [illegible] من كل خلق ذميم حتى [illegible] على الرحال [illegible] لا يكون في قلبه شيء إلا التوحيد ولذلك قال فولتا بي تعني الملكين [illegible] والثانية في حال الكمال وبعدما نبئ وبعدما أراد الله أن يرفعه إلى الحضرة المقدسة التي لا يصعد إليها إلا مقدس وعرج به هنالك ليفرض عليه الصلاة وليناجي ملائكة السموات ومن شأن الصلاة الطهور فقدس ظاهرا وباطنا وغسل بماء زمزم [illegible] بالإيمان والحكمة [illegible] على الفؤاد [illegible] الأمر التي يراد [illegible] وأما الثانية فقد كان [illegible] آخر [illegible] ولذا ذكر [illegible] الملك [illegible] روح القدس [illegible] الإيمان والحكمة [illegible] قال الله تعالى [illegible] إيمانا مع إيمانهم» وقال «ليزداد الذين آمنوا إيمانا» [illegible] يكون الإيمان والحكمة [illegible] عرض من الأعراض لا يوصف بها إلا [illegible] ولا [illegible] من [illegible] ([illegible]) [illegible] كان في الطست [illegible] الذي [illegible] وفضله عمر رضي الله عنه بالعلم [illegible] الذي كان في الطست كان [illegible] في المرة [illegible] في المرة [illegible] ولما كان طفلا [illegible] في [illegible] الذهب [illegible] في المرة [illegible] الخاتم [illegible]

وانه مدة في ذلك المقام حكمة واعتبارا وكان لفظه في الحديث مبنيا على حسب اعتماده في المعنيين وكان الذهب في الحالتين جميعا مناسبا للمعنى الذي قصد به فان نظرت الى لفظ الذهب فمطابق للاذهاب فان الله عز وجل أراد ان يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيرا وان نظرت الى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شيء وأصفاه يقال في المثل أنقى من الذهب وقالت بريرة في عائشة رضي الله عنها ما أعلم عليها الا ما يعلم الصائغ على الذهب الاحمر وقال حذيفة في صلة بن أشيم رضي الله عنهما انما قلبه من ذهب وقال جرير بن حازم في الخليل بن أحمد انه لرجل من ذهب يريدون النقاء من العيوب فقد طابق طست الذهب ما أريد بالنبي صلى الله عليه وسلم من نقاء قلبه ومن أوصاف الذهب أيضاً المطابقة لهذا العلم بالله ورسوله فانه يجعل في الزيبق الذي هو أثقل الأشياء فيرسب والله تعالى يقول «انا سنلقي عليك قولا ثقيلا» وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه انما ثقلت موازين المحقين يوم القيامة لاتباعهم الحق وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن يكون ثقيلا وقال في أهل الباطل بعكس هذا وقد روي انه أنزل عليه الوحي وهو على ناقته فثقل عليها حتى ساخت قوائمها في الارض فقد تطابقت الصفة المعقولة والصفة المحسوسة ومن أوصاف الذهب أيضا انه لا تأكله النار وكذلك القرآن لا تأكل النار يوم القيامة قلبا وعاه ولا بدنا عمل به قال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن في اهاب ثم طرح في النار ما احترق ومن أوصاف الذهب المناسبة لاوصاف القرآن والوحي أن الارض لا تبليه وأن الثرى لا يدنسه وكذلك القرآن لا يخلق على كثرة الرد ولا يستطاع تغييره ولا تبديله ومن أوصافه أيضا نفاسته وعزته عند الناس وكذلك الحق والقرآن عزيز قال سبحانه «وانه لكتاب عزيز» فهذا اذا نظرت الى أوصافه ولفظه واذا نظرت الى ذاته وظاهره فانه زخرف الدنيا وزينتها وقد فتح بالقرآن والوحي على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته خزائن الملوك وصار الى أيديهم ذهبها وفضتها وجميع زخرفها وزينتها ثم وعدوا باتباع القرآن والوحي قصور الذهب والفضة في الجنة قال صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما من ذهب وفي التنزيل «يطاف عليهم بصحاف من ذهب ويحلون فيها من أساور من ذهب» فكان ذلك الذهب يشعر بالذهب الذي يصير اليه من اتبع الحق والقرآن وأوصافه تشعر بأوصاف الحق والقرآن ولفظه يشعر باذهاب الرجس كما تقدم فهذه حكمة بالغة لمن تأمل واعتبار صحيح لمن تدبر والحمد لله وفي ذكر الطست وحروف اسمه حكمة تنظر الى قوله تعالى «طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين» ومما يسئل عنه هل خص به صلى الله عليه وسلم بغسل قلبه في الطست أم فعل ذلك بغيره من الانبياء قبله ففي خبر التابوت والسكينة انه كان فيه الطست التي غسلت فيها قلوب الانبياء عليهم السلام ذكره الطبري وقد انتزع بعض الفقهاء من حديث الطست حين جعل محلا للايمان والحكمة جواز تحلية المصحف بالذهب وهو فقه حسن وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه هذا الذي فيه ما دنى علم أنه نبي والحكمة في خاتم النبوة على جهة الاعتبار انه لما ملئ قلبه حكمة ويقينا ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكا أو درا وأما وضعه عند نغض كتفه فلانه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم روى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان منه فأري جسدا ممهى يرى داخله من خارجه والشيطان في صورة ضفدع عند نغض كتفه حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله الى قلبه يوسوس فاذا ذكر الله تعالى العبد خنس

﴿فصل﴾ وكان رد حليمة اياه الى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر فيما ذكر أبو عمر ولم يره بعد ذلك الا مرتين احداهما بعد تزويجه خديجة رضي الله عنها جاءته تشكو اليه السنة وأن قومها قد أسنتوا فكلم لها خديجة فأعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات والمرة الثانية يوم حنين وسيأتي ذكرها ان شاء الله

﴿فصل﴾ وذكر النور الذي رأته أمه حين ولدته حتى أضاءت لها قصور الشام وذلك بما

قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني فالتمسا شيئا لا أدري ما هو قالت فرجعنا الى خبائنا قالت وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما أقدمك به يا ظئر وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قالت فقلت نعم قد بلغ الله بابني وقضيت الذي علي وتخوفت الاحداث عليه فأديته اليك كما تحبين قالت ما هذا شأنك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى أخبرتها قالت أفتخوفت عليه الشيطان قالت قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وان لبني لشأنا أفلا أخبرك خبره قالت قلت بلى قالت رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي به قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض

رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلق راشدة * قال ابن اسحق وحدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم ولا أحسبه الا عن خالد ابن معدان الكلاعي أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يا رسول الله أخبرنا عن نفسك قال نعم أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي انه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه قال ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم فقال دعه عنك فوالله لو وزنته

بأمته لوزنها * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبي الا وقد رعى الغنم قيل وأنت يا رسول الله قال وأنا * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه أنا أعربكم أنا قرشي واسترضعت في بني سعد ابن بكر * قال ابن اسحق وزعم الناس فيما يتحدثون والله أعلم أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلها في الناس وهي مقبلة به نحو أهله فالتمسته فلم تجده فأتت عبد المطلب فقالت له اني قد قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت بأعلى مكة أضلني فوالله ما أدري أين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده

وفتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بني أمية واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره صلى الله عليه وسلم وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاصي قبل المبعث بيسير نورا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر في نخيل يثرب فقصها على أخيه عمرو فقال له انها حفيرة عبد المطلب وان هذا النور منهم فكان ذلك سبب مبادرته الى الاسلام

﴿فصل﴾ وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد رعى الغنم قيل وأنت يا رسول الله قال وأنا وانما أراد ابن اسحق بهذا الحديث رعايته الغنم في بني سعد مع أخيه من الرضاعة وقد ثبت في الصحيح انه رعاها بمكة أيضا على قراريط لأهل مكة ذكره البخاري وذكر البخاري عنه أيضا أنه قال ما هممت بشيء من أمر الجاهلية الا مرتين وروى أن احدى المرتين كان في غنم يرعاها هو وغلام من قريش فقال لصاحبه اكفني أمر الغنم حتى آتي مكة وكان بها عرس فيه لهو وزمر فلما دنا من الدار ليحضر ذلك ألقي عليه النوم فنام حتى ضربته الشمس عصمة من الله له وفي المرة الأخرى قال لصاحبه مثل ذلك وألقي عليه النوم فيها كما ألقي في المرة الأولى ذكر هذا الخبر ابن اسحق في غير رواية البكائي وفي غير هذا الحديث أن النبي بعث موسى صلى الله عليه وسلم وهو راعي غنم وبعث داود صلى الله عليه وسلم وهو راعي غنم وبعثت وأنا راعي غنم أهلي بأجياد وانما جعل الله هذا في الأنبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق ولتكون أممهم رعايا لهم وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ينزع على قليب وحوله غنم سود وغنم عفر قال ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم جاء عمر فاستحالت غربا فلم أر عبقريا يفري فريه فأولها الناس في الخلافة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية اذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم وأكثر المحدثين لم يذكروا الغنم في هذا الحديث وذكره البزار في مسنده وأخرجه حل أصلا وبه يصح المعنى والله أعلم

﴿فصل﴾ وذكر كون النبي صلى الله عليه وسلم في كفالة جده وعمه وما كان يحفظه الله به في ذلك انه كان يتيما ليس له أب ولا أم بل أمه لما ماتت وهو ابن ست وكان عيال أبي طالب ضففا وعيشهم شظفا فكان يوضع الطعام له وللصبية من أولاد أبي طالب فيتطاولون اليه ويتقاصر هو وتمتد أيديهم وتنقبض يده تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب فيصبحون غمصا رمصا مصفرة ألوانهم ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كأنه في أنعم عيش وأعز كفاية لطفا من الله عز وجل به كذلك ذكره القاسم بن ثابت في الدلائل

فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن أسد ورجل آخر من قريش فأتيا به عبد المطلب فقالا له هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة فأخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوذه ويدعو له ثم أرسل به الى أمه آمنة * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم أن مما هاج أمه السعدية على رده الى أمه مع ما ذكرت لأمه مما أخبرتها عنه أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه فنظروا اليه وسألوها عنه وقلبوه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فزعم الذي حدثني أنها لم تكد تنفلت به منهم * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامته فلما

(فصل)

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب * قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره اياهم فماتت وهي راجعة به الى مكة «قال ابن هشام» أم عبد المطلب بن هاشم سلمى بنت عمرو النجارية فهذه الخؤولة التي ذكر ابن اسحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه أحد من بنيه اجلالا له قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له لشأنا ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع

﴿ وفاة عبد المطلب وما رثي به من الشعر ﴾

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين هلك عبد المطلب بن هاشم وذلك بعد الفيل بثماني سنين قال ابن اسحق وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله ان عبد المطلب توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثماني سنين * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن سعيد بن المسيب أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف أنه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وبرة وعاتكة وأم حكيم البيضاء وأميمة وأروى فقال لهن ابكين علي حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت «قال ابن هشام» ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا أنه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه فقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي أباها

أرقت لصوت نائحة بليل ... على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلك دموعي ... على خدي كمنحدر الفريد

﴿ فصل ﴾ وذكر موت أمه آمنة بالأبواء وهو موضع معروف بين مكة والمدينة وهو الى المدينة أقرب كأنه سمي بجمع بو وهو جلد الحوار المحشو بالتبن وغيره وقيل سمي بالأبواء لتبوء السيول فيه وكذلك ذكر عن كثير ذكره قاسم بن ثابت وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه بالأبواء في ألف مقنع فبكى وأبكى وهذا حديث صحيح وفي الصحيح أيضا أنه قال استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي وفي مسند البزار من حديث بريدة أنه صلى الله عليه وسلم حين أراد أن يستغفر لأمه ضرب جبريل عليه السلام في صدره وقال له لا تستغفر لمن كان مشركا فرجع وهو حزين وفي الحديث زيادة في غير الصحيح انه سئل عن بكائه فقال ذكرت ضعفها وشدة عذاب الله ان كان صح هذا وفي حديث آخر ما يصححه وهو أن رجلا قال له يا رسول الله أين أبي فقال في النار فلما ولى الرجل قال عليه السلام ان أبي وأباك في النار وليس لنا أن نقول نحن هذا في أبويه صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات والله عز وجل يقول «ان الذين يؤذون الله ورسوله» الآية وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل هذه المقالة لأنه وجد في نفسه وقد قيل انه قال أين أبوك أنت فحينئذ قال ذلك وقد رواه معمر بن راشد بغير هذا اللفظ فلم يذكر أنه قال له ان أبي وأباك في النار ولكن ذكر أنه قال له اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وروي حديث غريب لعله أن يصح وجدته بخط جدي أبي عمران أحمد ابن أبي الحسن القاضي رحمه الله بسند فيه مجهولون ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه الى أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له وآمنا به ثم أماتهما والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه عليه السلام أهل أن يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته صلوات الله عليه وآله وسلم قال القرطبي في تذكرته خرج أبو بكر الخطيب في كتاب السابق واللاحق وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له في الحديث باسناديهما عن عائشة رضي الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على قبر أمه وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه صلى الله عليه وسلم ثم انه نزل فقال يا حميراء استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث عني طويلا مليا ثم انه عاد الي وهو فرح متبسم فقلت له بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم عدت الي وأنت فرح متبسم فعم ذا يا رسول الله فقال ذهبت لقبر آمنة أمي فسألت ربي أن يحييها فأحياها فآمنت بي أو قال فآمنت وردها الله عز وجل

﴿ وفاة عبد المطلب ﴾

قول صفية

ففاضت عند ذلك دموعي ... على خدي كمنحدر الفريد

على رجل كريم غير وغل * له الفضل المبين على العبيد، على الفياض شيبة ذي المعالي * أبيك الخير وارث كل جود
صدوق في المواطن غير نكس * ولا شخت المقام ولا سنيد، طويل الباع أروع شيظمي * مطاع في عشيرته حميد
رفيع البيت أبلج ذي فضول * وغيث الناس في الزمن الحرود، كريم الجد ليس بذي وصوم * يروق على المسود والمسود
عظيم الحلم من نفر كرام * خضارمة ملاوثة أسود، ولو خلد امرؤ لقديم مجد * ولكن لا سبيل الى الخلود
لكان مخلداً أخرى الليالي * لفضل المجد والحسب التليد

﴿ وقالت برة بنت عبد المطلب تبكي أباها ﴾

أعيني جودا بدمع درر * على طيب الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد
جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذي المكرمات
وذي المجد والعز والمفتخر
وذي الحلم والفضل في [illegible]
كثير المكارم جم الفخر
له فضل مجد على قومه * منير يلوح كضوء القمر
أتته المنايا فلم تشوه [illegible]
صروف الليالي وريب القدر
وقالت [illegible] بنت عبد المطلب تبكي أباها
أعيني جودا [illegible]
[illegible] يوم الهمام
[illegible] واسكبا
[illegible] كانا [illegible]
أعيني واسحنفرا [illegible]
على رجل غير نكس كهام
على الجحفل [illegible]
[illegible] كريم المساعي وفي الذمام
على شيبة الحمد وارى الزناد
وذي مصدق [illegible] المقام

روى كمنحدر بكسر الدال أي كالدر المنحدر ومنحدر بفتح الدال فيكون [illegible] على رواية الكسر [illegible] الدمع بالدر [illegible] وعلى رواية الفتح [illegible] وقولها أبيك الخير أرادت الخير فخففت كما قال [illegible] وفي التنزيل « [illegible] » [illegible]
وكذلك أم الحسن بن أبي الحسن [illegible] الشر [illegible] على المبالغة كما يقول [illegible] فعلى هذا الوجه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث [illegible] ولا شخت [illegible] الشخت [illegible]
الضخم [illegible] ليس كذلك [illegible] الصحيح [illegible]
[illegible] وقولها خضارمة ملاوثة [illegible] من اللوث [illegible] * [illegible]
الخطة [illegible] وقد قيل ان اسم [illegible]
[illegible] وقوله [illegible] أي [illegible]
[illegible] عبد المطلب [illegible] على عبد الله [illegible]
أحطأ [illegible] أي [illegible] وأحطأ
[illegible]
[illegible] وقوله [illegible]
أصل [illegible] كل [illegible]
العد على الشديد واللهام [illegible]

كالحوت لا [illegible]

[illegible] على الجحفل [illegible]
[illegible] من أسلم [illegible]
الذي [illegible]
امرأة [illegible] وهي [illegible] المرأة
والعدل الأول قول ابن [illegible] وقول آخر [illegible]
وقولها [illegible]

[illegible]

وقوله [illegible] في [illegible]

[illegible]
وسهل [illegible]
﴿ وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكي أباها ﴾ [illegible] الكرمات
[illegible] أسعفني [illegible]
[illegible]

وليثا حين تشجر العوالي * بروقه عيون الناظرات
عقيل بني كنانة والمرجى * إذا ما الدهر أقبل بالهنات

ومفزعها إذا ما هاج هيج * بداهية وخصم المعضلات
فبكيه ولا تسمي بحزن * وبكي ما بقيت الباكيات

وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكي أباها

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد * وساقي الحجيج والمحامي عن المجد

ومن يؤلف الضيف الغريب بيوته * إذا ما سماء الناس تبخل بالرعد
كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى * فلم تنفكك تزداد يا شيبة الحمد

أبو الحارث الفياض خلى مكانه * فلا تبعدن فكل حي إلى بعد
فإني لباك ما بقيت وموجع * وكان له أهلا لما كان من وجدي

سقاك ولي الناس في القبر ممطرا * فسوف أبكيه وإن كان في اللحد
فقد كان زينا للعشيرة كلها * وكان حميدا حيثما كان من حمد

وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكي أباها

بكت عيني وحق لها البكاء * على سمح سجيته الحياء

على سهل الخليقة أبطحي * كريم الخيم نيته العلاء
على الفياض شيبة ذي المعالي * أبيك الخير ليس له كفاء

طويل الباع أملس شيظمي * أغر كأن غرته ضياء
أقب الكشح أروع ذي فضول * له المجد المقدم والسناء

أبي الضيم أبلج هبرزي * قديم المجد ليس به خفاء
ومعقل مالك وربيع فهر * وفاصلها إذا التمس القضاء

وكان هو الفتى كرما وجودا * وبأسا حين تنسكب الدماء
إذا هاب الكماة الموت حتى * كأن قلوب أكثرهم هواء

مضى قدما بذي ربد خشيب * عليه حين تبصره البهاء

* قال ابن (115) إسحاق فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيب أنه أشار برأسه وقد أصمت أن هكذا فابكينني. قال ابن هشام: المسيب ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم. * قال ابن إسحاق: وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي يبكي عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ويذكر فضله وفضل قصي على قريش وفضل ولده من بعده عليهم وذلك أنه أخذ بغرم أربعة آلاف درهم بمكة فوقف بها فمر به أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب فافتكه

وهو الأصل والسك أيضا ضرب من الطيب [وهو أيضا عود السوس] * وقوله فأشار إليهن برأسه وقد أصمت صح الهمزة والميم هكذا قيده الشيخ عن أبي الوليد وقال صمت وأصمت وسكت وأسكت بمعنى واحد * وقد ذكر ثم مرحذيفة بن غانم العدوي وهو والد أبي جهم بن حذيفة واسم أبي جهم عبيد وهو الذي أهدى الخميصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى علمها الحديث وقد روي أيضا هذا الحديث على وجه آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بخميصتين فأعطى إحداهما أبا جهم وأمسك الأخرى وفيها علم فلما نظر إلى علمها في الصلاة أرسلها إلى أبي جهم وأخذ الأخرى بدلا منها هكذا رواه الزبير وأم أبي جهم يسيرة بنت عبد الله بن أداة بن رباح وابن أداة هو خال أبي قحافة وسيأتي نسب أمه وقد قيل إن الشعر لحذافة بن غانم وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة وله يقول فأخرج إن أهلك * وفي الشعر غير نكس ولا هذر النكس من السهام الذي ينكس في الكنانة لتميزه الرامي فلا يأخذه لرداءته وقيل الذي انكسر

أعيني جودا بالدموع على الصدر * ولا تسأما أسقيتما سبل القطر
وجودا بدمع واسفحا كل شارق * بكاء امرئ لم يشوه نائب الدهر

على رجل جلد القوى ذي حفيظة * جميل المحيا غير نكس ولا هذر
على الماجد البهلول ذي الباع والندى * ربيع لؤي بن غالب في الجدب والعسر

على خير حاف من معد وناعل * كريم المساعي طيب الخيم والنجر
وخيرهم أصلا وفرعا ومحتدا * وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر

وأولاهم بالمجد والحلم والنهى * وبالفضل عند المجحفات من الغبر
على شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء سواد الليل كالقمر البدر

وساقي الحجيج ثم للخير هاشم * وعبد مناف ذلك السيد الفهري
طوى زمزما عند المقام فأصبحت * سقايته فخرا على كل ذي فخر

ليبك عليه كل عان بكربة * وآل قصي من مقل وذي وفر
بنوه سراة كهلهم وشبابهم * تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر

قصي الذي عادى كنانة كلها * ورابط بيت الله في العسر واليسر

فإن تك غالته المنايا وصرفها * فقد عاش ميمون النقيبة والأمر

وأبقى رجالا سادة غير عزل * مصاليت أمثال الردينية السمر

أبو عتبة الملقي إلي حباءه * أغر هجان اللون من نفر غر

وحمزة مثل البدر يهتز للندى * نقي الثياب والذمام من الغدر

وعبد مناف ماجد ذو حفيظة * وصول لذي القربى رحيم بذي الصهر

كهولهم خير الكهول وسادهم * كنسل الملوك لا تبور ولا تحري   متى ما تلاق منهم الدهر ناشئا * تجده باحريا اوائله يجري

هم ملؤا البطحاء مجدا وعزة * اذا استبق الخيرات في سالف العصر   وفيهم بناة للعلا وعمارة * وعبد مناف حدهم جابر الكسر

بانكاح عوف بنته ليجيرنا * من اعدائنا اذ اسلمتنا بنو فهر   فسرنا بهامي البلاد ونجدها * بامنه حتى خاضت العير في البحر

وهم حضروا والناس باد فريقهم *   ولیس بها الا الاشـ وح بني عمرو   سوها ديارا جمة وطووابها *

أعلاه وتكسر ورد أعلاه أسفله وهو غير جيد للرمي * وقوله لا تبور ولا تحري أي لا تهلك ولا تنقص و قال الأصمعي حار نقرتها وفي الحديث ما زال جسم أبي بكر يحري حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ينقص لحمه حتى مات والاحريا السيرة وهي افعيلاء من الحري وليس لها نظير في الابنية الا الاهجيرا في معنى الهجرا * وفيها قوله * وليس بها الا الاشـوح بني عمرو * يريد بني هاشم لان اسمه عمرو وفيها غير عزل وهو جمع أعزل ولا يجمع أفعل على فعل ولكن جاء هكذا لان الاعزل في معناه الرامح وقد يحملون الصفة على ضدها كما قالوا عـدوة بناء التأنيث حملا على صديقة وقد يجوز أن يكون أحرا ه يجري حسر جمع حاسر لانه قريب منه في المعنى * وقوله فسرنا بهامي البلاد يجمعها مثل يمانيا والاصل في يمان يمني فحذفوا الياء وعوضوا منها ألفا والاصل في تهام تهامي بكسر التاء من تهام لانه منسوب الى تهامه ولكنهم حذفوا احدى الياءين كما فعلوا في يمان وفتحوا التاء من تهام لما حذفوا الياء من آخره لتكون الفتحة فيه كالعوض من الياء كما كانت الالف في يمان وكذلك الالف في شآم فيمن همز وألف بعدها عوضا من الياء المحذوفة فان شـددت الياء من شآم قلت شآمي بسكون الهمزة وتذهب الالف التي كانت عوضا من الياء لرجوع الياء المحذوفة ولا يقول في غير النسب شآم بالمد والهمز ولا في النسب اذا شددت الياء شآمي وسأل الاستاذ أبا القاسم بن الرماك وكان اماما في صنعة العربية عن البيت الذي أملاه ابو علي في النوادر وهو قوله

فيا لاءاص المفارق من حبيب * ولو يعطى الشآم مع العراق

فقال تحدث ولم يره فيما وكذلك وجدت في شعر حبيب الشآم بالمد كما في هذا البيت وليس تجيء أيضا وقوله * بامنه حتى خاضت العير في البحر * حذف الياء من هاء الكناية ضرورة كما أنشده سيبويه

سأجعل عينيه لنفسه مقنعا * في أبيات كثيرة أنشدها سيبويه وهذا مع حذف الياء والواو وتحريك الهاء فان سكنت الهاء بعد الحذف فهو أقل في الاستعمال من نحو هذا وأنشدوا * ونضواي مشتاقان له أرقان *

وهذا الذي ذكرناه هو في القياس أقوى لانه من باب حمل الوصل على الوقف وقول الراجز

* لما رأى ان لادعه ولا شبع * ومنه في التنزيل كثير نحو اثبات هاء السكت في الوصل واثبات الالف من أنا واثبات ألف الفواصل نحو «وتظنون بالله الظنونا» وهذا الذي ذكره سيبويه من الضرورة في هاء الاضمار انما هو اذا تحرك ما قبلها نحو به وله ولا يكون في هاء المؤنث البتة لخفة الالف فان سكن ما قبل الهاء نحو فيه وبنيه كان الحذف أحسن من الاثبات (فان قلت) وقد قرأ ابن كثير بن ماتصله وتؤته وأرجه ونحو ذلك في أبي عمرو موصولا بحذف الياء في الهاء متحرك فكيف حسن هذا (قلنا) ان ما قبل الهاء في هذه المواضع ساكن وهو الياء من اصله ونؤته و نؤته وقوله فحسب الجازم فيه نظرا الى اللفظ وأن ما قبل الهاء ساكن وأثبت الياء كما اثبتها في به وله ومن نظر الى الكلمة قبل دخول الجازم رأى ما قبل الهاء كما كان فحذف الياء فهما وجهان حسنان بخلاف ما تقدم * وذكر في هذا الشعر وأسهدنا الناس وهو أشهدنا

الناس لكنه سهل * نماء على الناس [illegible] فلا [illegible]

دثارا نسيج الماعون لانه [illegible] البحر

لكي تشرب الحجاج منها وغيرهم

اذا اصدروها صبح نابغة البحر

الاذا ابام نطل ركابهم

تحسبه من الاخاشب والحجر

وقدما عناياه [illegible] ل ذلك سمعه

ولا نسي في الانجم اوالخمر

وهم يغفرون الذنب [illegible]

ويعفون عن قول السفاهة والهجر

وهم جمعوا احلاف الاحابيش كلها

وهم نكلوا اعواه بني بكر

فخارج امالها ليس غلا برك

لهم [illegible] الغربي انه سبق المعز

ولا نبتغي ما لست تدري ابن ابي ناما

فدا نيه دي ندا احمر بيهما لك بالشكر

واتسابن لني من قصي اذا

انهموا * بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر   وأنت سراوات العلا تجمعها * الى مجد المجد دي [illegible] حسر   حوان

[illegible] وقت القوم بلاويا * وسدت وليدا كل ذي سودد غمر   وأمك سر من خزاعه جوهر * اذا حصل الانساب يوما ذو والحجر

الى سبأ الابطال ينمى وتنتمي * فاكرم بها منسوبة في ذرا الزهر   ابو شمر منهم وعمرو بن مالك * وذو جدن من قومها واو الحجر

واسعد باد الناس عشرين حجة * يؤيد في تلك المواطن بالنصر

«قال ابن هشام» قوله امك سرمن خزاعة يعني أبا لهب امه لبنى بنت هاجر الخزاعي وقوله باجريا أو ائله عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال مطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب و بني عبد مناف يا أيها الرجل المحول رحله * هلا سألت عن آل عبد مناف

هبلتك أمك لو حللت بدارهم * ضمنوك من جرم ومن اقراف

المنعمين اذا النجوم تغيرت * والظاعنين لرحلة الايلاف

والمطعمين اذا الرياح تناوحت * حتى تغيب الشمس في الرجاف

اما هلكت أبا الفعال فما جرى * من فوق مثلك عقد ذات نطاق

الا أبيك أخي المكارم وحده * والفيض مطلب أبي الاضياف

فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولي زمزم والسقاية عليهما بعده العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ من أحدث اخوته سنا فلم تزل اليه حتى قام الاسلام وهي بيده فأقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم له على ما مضى من ولايته فهي الى آل العباس بولاية العباس اياها الى اليوم * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب وكان عبد المطلب فيما يزعمون يوصي به عمه أبا طالب وذلك لان عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا طالب اخوان لاب وأم أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم «قال ابن هشام» عائذ بن عمران بن مخزوم * قال ابن اسحق وكان ابو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده فكان اليه ومعه

حسان بن أسعد وقد تقدم في التبابعة وكذلك أبو شمر وهو شمر الذي بني سمرقند وأبوه مالك يقال له الاملوك ويحتمل أن يكون أراد أبا شمر الغساني والد الحرث بن أبي شمر * وعمرو بن مالك الذي ذكر أخسبه عمرا ذا الاذعار وقد تقدم في التبابعة وهو من ملوك اليمن وانما جعلهم مفخرا لابي لهب لان أمه خزاعية من سبا والتبابعة كلهم من حمير بن سبا وقد تقدم الخلاف في خزاعة * وأبو جبر الذي ذكره في هذا الشعر ملك من ملوك اليمن ذكر القتبي أن سمية أم زياد كانت لابن جبر ملك من ملوك اليمن دفعها الى الحرث بن كلدة المتطبب في طب طبه وذكر ولاية العباس رضي الله عنه السقاية وقال كان من أحدث اخوته سنا وكذلك قال في صفة النبي صلى الله عليه وسلم كان من أفضل قومه مروءة وهذا مما منعه النحويون أن يقال زيد أفضل اخوته وليس بممتنع وهو موجود في مواضع كثيرة من هذا الكتاب وغيره وحسن لان المعنى زيد يفضل اخوته أو يفضل قومه ولذلك ساغ فيه التنكير وانما الذي يمتنع باجماع اضافة أفعل الى التثنية مثل أن تقول هو أكرم اخوته الا أن تقول الاخوين بغير اضافة

﴿ فصل ﴾ وذكر في شعر مطرود * ضمنوك من جور ومن اقراف * اي منعوك من أن تنكح بناتك اوأخواتك من لئيم فيكون الابن مقرفا للؤم ابيه وكرم امه فلحقك وصم من ذلك ونحوه قول مهلهل

أنكحها فقدها الاراقم في * جنب وكان الحباء من أدم

أي أنكحها لغير نهامن غير كفؤ [قال مبرمان أنشدنا أبو بكر بن دريد وكان الحباء من أدم بخاء معجمة الاعلى وهو خطأ وتصحيف وانما هو بالحاء المهملة وهو معدود في تصحيفات ابن دريد وفيه يقول المفجع رادا على ابن دريد

ألست قدما جعلت تعرق * الطرف تجهل مكان تعترق

وقلت كان الخباء من أدم * وهو حباء يهدى ويصطدق

وذلك أن مهلهلا نزل في جنب وهو حي وضيع من مذحج فخطبت ابنته فلم يستطع منعها فزوجها وكان مهرها من أدم فانشد

أنكحها فقدها الاراقم في * جنب وكان الحباء من أدم

لو بأبانين جاء خاطبها * ضرج ما أنف خاطب بدم]

وقوله * حتى تغيب الشمس بالرجاف * يعني البحر لانه يرجف ومن أسمائه أيضا خضارة والدأماء وأبو خالد * وقوله * عقد ذات نطاف * النطف اللؤلؤ الصافي وصيفة نطفة أي مقرطة بتوأمين والنطف في غير هذا التلطخ بالعيب وكلاهما من أصل واحد وان كان في الظاهر متضادين في المعنى لان النطفة هي الماء القليل وقد يكون الكثير وكان اللؤلؤ الصافي أخذ من صفاء النطفة والنطف الذي هو العيب أخذ من نطفة الانسان وهي ماؤه أي كانه لطخ بها * وقوله * والفيض مطلب أبي الاضياف * يريد أنه كان لاضيافه كالاب والعرب تقول لكل جواد ابو الاضياف كما قال مرة بن محكان

أدعي أباهم ولم أقرف بامهم * وقد عمرت ولم اعرف لهم نسبا

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه أن رجلاً من لهب « قال ابن هشام » ولهب من أزد شنوءة كان عائفاً، فكان إذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر إليهم ويعتاف لهم فيهم، قال: فأتى به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه، فنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شيء، فلما فرغ قال: الغلام، عليّ به، فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيّبه عنه، فجعل يقول: ويلكم ردوا عليّ الغلام الذي رأيت آنفاً، فوالله ليكونن له شأن. قال: فانطلق أبو طالب.

﴿ قصة بحيرا ﴾

* قال ابن إسحاق: ثم إن أبا طالب خرج في ركب تاجراً إلى الشام، فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صبّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون، فرقّ له وقال: والله لأخرجن به معي، ولا يفارقني ولا أفارقه أبداً، أو كما قال، فخرج به معه، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام، وبها راهب يقال له بحيرا في صومعة له، وكان إليه علم أهل النصرانية، ولم يزل في تلك الصومعة منذ قط راهب، إليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون، يتوارثونه كابراً عن كابر، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا، وكانوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتى كان ذلك العام، فلما نزلوا به قريباً من صومعته صنع لهم طعاماً كثيراً، وذلك فيما يزعمون عن شيء رآه وهو في صومعته، يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته في الركب حين أقبلوا، وغمامة تظلله من بين القوم، قال: ثم أقبلوا فنزلوا في ظل شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة، وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها، فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته، وقد أمر بذلك الطعام فصنع، ثم أرسل إليهم فقال: إني قد صنعت لكم طعاماً يا معشر قريش، فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم، فقال له رجل منهم: والله يا بحيرا إن لك لشأناً اليوم، ما كنت تصنع هذا بنا، وقد كنا نمر بك كثيراً، فما شأنك اليوم؟ قال له بحيرا: صدقت، قد كان ما تقول، ولكنكم ضيف، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم، فاجتمعوا إليه، وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة، فلما نظر بحيرا في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده، فقال: يا معشر قريش، لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي، قالوا له: يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام، وهو أحدث القوم سناً، فتخلف في رحالهم، فقال: لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، قال: فقال رجل من قريش مع القوم: واللات والعزى، إن كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا، ثم قام إليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم، فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً، وينظر إلى أشياء من جسده، قد كان يجدها عنده من صفته، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا، قام إليه بحيرا فقال: يا غلام، أسألك بحق اللات والعزى إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرا ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: لا تسألني باللات والعزى شيئاً، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما، فقال له بحيرا: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، فقال له: سلني عما بدا لك

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر اللهبي العائف « قال ابن هشام » ولهب حي من الأزد. وقال غيره: وهو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد، وهي القبيلة التي تعرف بالعيافة والزجر، ومنهم اللهبي الذي زجر حين وقعت الحصاة بصلعة عمر رضي الله عنه فأدمته، وذلك في الحج، فقال: أشعر أمير المؤمنين، والله لا يحج بعد هذا العام، فكان كذلك. واللهبيون في الحجاز، وبنو ثمالة رهط المبرد الثمالي منهم، وأسلم بن أحجن بن كعب، وثمالة أمهم، وكانت العيافة والزجر في لهب، قال الشاعر:

سألت أخا لهب ليزجر زجرة ٭ وقد رد زجر العالمين إلى لهب

وقوله يعتاف لهم: هو يفتعل من العيف، يقال: عفت الطير وأعتفتها عيافة واعتيافاً، وعفت الطعام أعافه عيافاً، وعافت الطير الماء عيافاً.

﴿ فصل ﴾ في قصة بحيرا وذكر أبي طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم. ووقع في سير الزهري أن بحيرا كان حبراً من يهود تيماء، وفي المسعودي أنه كان من عبد القيس واسمه سرجس، وفي المعارف لابن قتيبة: وسمع قبل الإسلام بقليل هاتف يهتف: ألا إن خير أهل الأرض ثلاثة: بحيرا ورباب بن البراء الشني والثالث المنتظر، فكان الثالث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال القتبي: وكان قبر رباب الشني وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عليهما طش، والطش المطر الضعيف. وقوله: فصبّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، تقول: صببت إليه صبابة، وهي رقة الشوق، الصبب بكسر الباء أصوب، وقد ذكر عن بعض السلف أنه قرأ « أصب إليهن وأكن من الجاهلين » وفي غير رواية ابن هشام: ضبث به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي لزمه، قال الشاعر:

كأن فؤادي في يد ضبثت به ٭ محاذرة أن يقضب الحبل قاضبه

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ابن [illegible] فيما ذكر بعض من ألف في السير، وقال الطبري ابن

عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده «قال ابن هشام» وكان مثل أثر المحجم * قال ابن اسحق فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال له بحيرا ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخي قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به الى بلاده فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس أن زريرا وتماما ودريسا وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رآه بحيرا في ذلك السفر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب فأرادوه فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم ان أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال تنزها وتكرما حتى ما اسمه في قومه الا الأمين

اثنتي عشرة سنة * وذكر فيه خاتم النبوة وقول ابن هشام كان كأثر المحجم يعني أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئا وفي الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود وفي صفته أيضا أنه كان كالتفاحة وكزر الحجلة وفسره الترمذي تفسيرا وهم فيه فقال زر الحجلة يقال له بيض له فتوهم الحجلة من القبج وانما هي حجلة السرير واحدة الحجال وزرها الذي يدخل في عروتها قال علي رضوان الله عليه لأهل العراق يا أشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الأحلام ويا عقول ربات الحجال وفي حديث آخر كان كبيضة الحمامة وفي حديث عباد بن عبد عمرو قال رأيت خاتم النبوة وكان كركبة العنز ذكره النمري مسندا في كتاب الاستيعاب فهذه خمس روايات في صفة الخاتم كالتفاحة وكبيضة الحمامة وكزر الحجلة وكأثر المحجم وكركبة العنز وروايه سادسة وهي رواية عبد الله بن سرجس قال رأيت خاتم النبوة كالجمع يعني كالمحجمة لا كجمع الكف ومعناه كمعنى الأول أي كأثر الجمع وقد قيل في الجمع انه جمع الكف فالله أعلم ورواية سابعة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وقد سئل عن خاتم النبوة فقال بضعة ناشزة هكذا ووضع طرف السبابة في مفصل الابهام أو دون المفصل ذكرها يونس عن ابن اسحاق وفي صفته أيضا رواية ثامنة وهي روايه من شبهه بالسلعة وذلك أنه وقد تقدم حديث فيه عن أبي ذر رضي الله عنه من قوله ثم وضع الخاتم بين كتفيه متى كان وروى الترمذي في مصنفه قال حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الأعرج البغدادي حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح أخبرنا يونس عن أبي اسحاق عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه النبي صلى الله عليه وسلم في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت فجعل يتخللهم الراهب وهم يحلون رحالهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال انكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبي واني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هو في رعية الابل قال أرسلوا اليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة مال عليه قال فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به الى الروم فان الروم ان رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فاذا بسبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال ما جاء بكم فقالوا جئنا ان هذا النبي خارج في هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه بأناس وانا قد أخبرنا خبره بعثنا الى طريقك هذا فقال هل خلفكم أحد هو خير منكم فقالوا انما اخترنا خيرة لطريقك هذا قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده فقالوا لا قال فبايعوه وأقاموا معه قال أنشدكم بالله أيكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا رضي الله عنهما وزوده الراهب من الكعك والزيت قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وفي ذكر أبي طالب في هذه القصة

* وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي يحدث عما كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ إزاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فإني لأقبل معهم كذلك وأدبر إذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة ثم قال شد عليك إزارك قال فأخذته وشددته علي ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وإزاري علي من بين أصحابي

«قال ابن هشام» فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة فيما حدثني أبو عبيدة النحوي عن أبي عمرو بن العلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكان الذي هاجها أن عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجار لطيمة للنعمان بن المنذر فقال له البراض بن قيس أحد بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة أتجيرها على كنانة قال نعم وعلى الخلق فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى إذا كان بتيمن ذي طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي الفجار وقال البراض في ذلك

وداهية تهم الناس قبلي * شددت لها بني بكر ضلوعي
هدمت بها بيوت بني كلاب * وأرضعت الموالي بالضروع
رفعت له بذي طلال كفي * فخر يميد كالجذع الصريع

(وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب)

أبلغ إن عرضت بني كلاب * وعامر والخطوب لها موالي
وبلغ إن عرضت بني نمير * وأخوال القتيل بني هلال
بأن الوافد الرحال أمسى * مقيما عند تيمن ذي طلال

وهذه الأبيات في أبيات له فيما ذكر ابن هشام فأتى آت قريشا فقال إن البراض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ فارتحلوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم فاقتتلوا

ألم تر أني بعد هم هممته * بفرقة حر الوالدين كرام
بأحمد لما أن شددت مطيتي * لترحل إذ ودعته بسلام
بكى حزنا والعيس قد فصلت بنا * وأمسكت بالكفين فضل زمامي
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة * تجود من العينين ذات سجام
فقلت تروح راشدا في عمومة * مواسين في البأساء غير لئام
فرحنا مع العير التي راح أهلها * شآمي الهوى والأصل غير شآمي
فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا * لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا * لنا بشراب طيب وطعام
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا * فقلنا جمعنا القوم غير غلام

ذكره ابن إسحاق في رواية يونس عنه وذكر باقي الشعر

﴿فصل﴾ وذكر ما كان الله سبحانه وتعالى يحفظه به أنه كان صغيرا يلعب مع الغلمان فعرى فلكمه لاكم الحديث وهذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح في حين بنيان الكعبة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة مع قومه إليها وكانوا يحملون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها على عاتقه وإزاره مشدود عليه فقال له العباس رضي الله عنه يا ابن أخي لو جعلت إزارك على عاتقك ففعل فسقط مغشيا عليه ثم قال إزاري إزاري فشد عليه إزاره وقام يحمل الحجارة وفي حديث آخر أنه لما سقط ضمه العباس إلى نفسه وسأله عن شأنه فأخبره أنه نودي من السماء أن اشدد عليك إزارك يا محمد قال وإنه لأول ما نودي وحديث ابن إسحاق إن صح أنه كان ذلك في صغره إذ كان يلعب مع الغلمان فمحمله على أن هذا الأمر كان مرتين مرة في حال صغره ومرة في أول اكتهاله عند بنيان الكعبة

﴿فصل الفجار﴾

والفجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة وذلك أنه كان قتالا في الشهر الحرام ففجروا فيه جميعا فسمي الفجار وكانت للعرب فجارات أربع ذكرها المسعودي آخرها فجار البراض المذكور في السيرة وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة يوم شمطة ويوم العبلاء وهما عند عكاظ ويوم الشرب وهو أعظمها يوما وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كي لا يفروا فسموا العنابس ويوم الحريرة عند نخلة ويوم الشرب انهزمت قيس إلا بني نصر فإنهم ثبتوا وإنما لم يقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أعمامه [وكان ينبل عليهم] وقد كان بلغ سن القتال لأنها كانت حرب فجار وكانوا أيضا كلهم كفارا ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا واللطيمة عير تحمل البز والعطر * وقوله بذي طلال بتشديد اللام وإنما خففه لبيد في الشعر الذي ذكره ابن إسحق فيها للضرورة

حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فأمسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أنبل على أعمامي أي أرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها * قال ابن إسحاق هاجت حرب الفجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وإنما سمي يوم الفجار بما استحل هذان الحيان كنانة

وقيس عيلان فيه من المحارم بينهم وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس وكان الظفر في أول النهار لقيس على كنانة حتى إذا كان في وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس « قال ابن هشام » وحديث الفجار أطول مما ذكرت وإنما منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها﴾

« قال ابن هشام » فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب فيما حدثني غير واحد من أهل العلم عن أبي عمرو المدني * قال ابن إسحاق وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم

للضرورة * وقول الرّاجز * رفعت له بذي طلال كفي * فلم يصرفه وجوز أن يكون جعله اسم بقعة فترك إجراء الاسم للتأنيث والتعريف (فإن قلت) كان يجب أن يقول بذات طلال أي ذات هذا الاسم للمؤنث كما قالوا ذو عمرو أي صاحب هذا الاسم ولو كانت أنثى لقالوا ذات هند (فالجواب) أن قوله بذي يجوز أن يكون وصفا للطريق أو لجانب مضاف إلى طلال اسم البقعة وأحسن من هذا كله أن يكون طلال اسما مذكرا علما والاسم العلم يجوز ترك صرفه في الشعر كثيرا وسيأتي في هذا الكتاب من الشواهد عليه ما يدل على كثرته في الكلام ونؤخر القول في كشف هذه المسألة وإيضاحها إلى أن تأتي تلك الشواهد إن شاء الله ووقع في شعر البراض مشددا وفي شعر لبيد الذي بعد هذا مخففا وقال إن لبيدا خففه للضرورة ونقل أنه شدد للضرورة وإن الأصل فيه التخفيف لأنه فعال من الطل كأنه موضع يكثر فيه الطل وطلال بالتخفيف لا معنى له وأيضا فإنا وجدناه في الكلام المنثور مشددا وكذلك نقد في كلام ابن إسحاق هذا في أصل الشيخ أبي بحر * وقوله في البيت الثاني * وألحقت الموالي بالضروع * جمع ضرع وهو في معنى قولهم لئيم راضع أي ألحقت الموالي بعز آبائهم من اللؤم ورضاع الضروع وأظهرت مساويهم وهتكت بيوت أشراف بني كلاب وصرحائهم * وقول لبيد * وبين من ذي طلال * بكسر الميم وفتحها ولم يصرفه لوزن الفعل والتعريف لأنه تفعل أو يفعل من اليمن أو اليمين وكان آخر أمر الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاءوا للوعد وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة وكان عتبة بن ربيعة يتيما في حجره فضن به حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير إذنه فلم يشعروا إلا وهو على بعيره بين الصفين ينادي يا معشر مضر علام تقاتلون فقالت له هوازن ما تدعو إليه فقال الصلح على أن ندفع إليكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا قالوا وكيف قال ندفع إليكم رهائنا قالوا ومن لنا بهذا قال أنا قالوا ومن أنت قال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضوا ورضيت كنانة ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلا منهم حكيم بن حزام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وكان يقال لم يسد من قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب فإنهما سادا بغير مال

﴿فصل في تزويجه عليه السلام خديجة رضي الله عنها﴾

ذكر فيه قول الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي ولم يرد ما نزل تحتها قط إلا نبي لبعد العهد بالأنبياء قبل ذلك وإن كان في لفظ الخبر قط فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفي والشجرة لا تعمر في العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى أنه لم ينزل تحتها إلا عيسى أو غيره من الأنبياء عليهم السلام ويبعد في العادة أيضا أن تكون شجرة تخلو من أن ينزل تحتها أحد حتى يجيء نبي إلا أن تصح رواية من قال في هذا الحديث لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم عليه السلام وهي رواية عن غير ابن إسحاق فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم وهذا الراهب ذكروا أن اسمه نسطورا وليس

إياه بشيء تجعله لهم وكانت قريش قوما تجارا فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان فاطلع الراهب إلى ميسرة فقال له من هذا الرجل الذي نزل تحت

هو خيرا المتقدم ذكره * وقول خديجة رضي الله عنها لبسطتك في عشيرتك وقوله في وصفها هي أوسط
قريش نسبا فالبسطة من الوسط مصدر كالعدة والزنة والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ولكن في
مقامين في ذكر النسب وفي ذكر الشهادة أما النسب فلأن أوسط القبيلة أعرفها وأولاها بالصميم وأبعدها
عن الأطراف والوسيط وأجدر أن لا تضاف إليه الدعوة لأن الآباء والأمهات قد أحاطوا به من كل جانب
فكان الوسط من أجل هذا مدحا في النسب بهذا السبب وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه «قال أوسطهم»
وقوله «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس» فكان هذا مدحا في الشهادة لأنها غاية
العدالة في الشاهد أن يكون وسطا كالميزان لا يميل مع أحد بل يصمم على الحق تصميما لا يجذبه هوى ولا
يميل به رغبة ولا رهبة من ههنا ولا من ههنا فكان وصفه بالوسط غاية في التزكية والتعديل وظن كثير من
الناس أن معنى الأوسط الأفضل على الإطلاق وقالوا معنى الصلاة الوسطى الفضلى وليس كذلك بل هو
في جميع الأوصاف لا مدح ولا ذم كما تقتضيه لفظة الوسط فإذا كان وسطا في السمن فهي بين الممخة
والعجفاء والوسط في الجمال بين الحسناء والشوهاء إلى غير ذلك من الأوصاف لا يعطي مدحا ولا ذما غير أنهم
قد قالوا في المثل أثقل من مغن وسط على الذم لأن المغني إن كان مجيدا جدا أمتع وأطرب وإن كان باردا جدا
أضحك وألهى وذلك أيضا مما يمتع قال الجاحظ وإنما الكرب الذي يجثم على القلوب ويأخذ بالأنفاس
الغناء الفاتر الوسط الذي لا يمتع ولا يضحك فهو [illegible] فلا تحور [illegible] في رسول الله صلى
الله عليه وسلم هو أوسط الناس أي أوسطهم ولا توصف بالوسط [illegible] في العلم ولا في الجود ولا في غير ذلك
إلا في النسب والشهادة كما تقدم والحمد لله وبالله التوفيق

﴿فصل﴾ وذكر تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] خديجة [illegible] عمها عمرو رضي الله عنه
وذكر غير ابن إسحاق أن خويلدا كان إذ ذاك قد هلك وأن الذي أنكح خديجة رضي الله عنها هو عمها عمرو
ابن أسد قاله المبرد وطائفة معه وقال أيضا إن أبا طالب هو الذي نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
الذي خطب خطبة النكاح وكان مما قاله في تلك الخطبة «أما بعد فإن محمدا ممن لا يوازن به فتى من
قريش إلا رجح به برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وإن كان في المال قلا فإن المال ظل زائل [illegible]
[illegible] وله في خديجة [illegible] رغبة ولها فيه مثل ذلك» فقال عمرو [illegible] هو الفحل الذي لا يقدع أنفه [illegible]
قاله ورقة بن نوفل والذي قاله المبرد هو الصحيح [illegible] الطبري [illegible] عن ابن عباس عن
عائشة رضي الله عنها [illegible] قال إن عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن
خويلدا كان قد هلك قبل الفجار [illegible] وخويلد بن أسد هو الذي نازع تبعا [illegible] حين حج وأراد أن يحتمل
الركن الأسود معه إلى اليمن فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة [illegible]
حتى [illegible] ذلك [illegible]

فصل [illegible] أول سيرة ابن إسحاق [illegible] أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الذي كان [illegible]

هذه الشجرة قال له ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم قال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي * ثم باع رسول الله صلى
الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلا إلى مكة ومعه ميسرة فكان ميسرة فيما يزعمون إذا كانت الهاجرة
واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف
أو قريبا وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر وأم هالة [illegible] بنت [illegible] بن سعد بن سهم بن
عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه فخرج معه عمه [illegible]
ابن عبد المطلب حتى دخل على خويلد [illegible] فخطبها إليه [illegible]

وكانت تكرمهما وتحبهما فلما أقاما من عندها جاءت امرأة من نسيه وهي الكاهنة كذا قال الخطابي في
شرح هذا الحديث فقالت له جئت خاطبا يا محمد فقال كلا فقالت ولم فوالله ما في قريش امرأة وإن كانت
خديجة إلا تراك كفؤا لها فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبا لخديجة مستحييا منها وكان خويلد
أبوها سكران من الخمر فلما كلم في ذلك أنكحها فألقت عليه خديجة حلة وضمخته بخلوق فلما صحا من سكره
قال ما هذه الحلة والطيب فقيل إنك أنكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فأنكر ذلك ثم رضيه وأمضاه ففي
هذا الحديث أن أباها كان حيا وأنه الذي أنكحها كما قال ابن اسحق وقال راجز من أهل مكة في ذلك

لا تزهدي خديج في محمد * نجم يضيء كاضاء الفرقد

وقيل إن عمرو بن خويلد أخاها هو الذي أنكحها فيما ذكره ابن اسحق في آخر الكتاب

﴿فصل﴾ وذكر ولده منها صلى الله عليه وسلم فذكر البنات وذكر القاسم والطاهر والطيب وذكر
أن البنين هلكوا في الجاهلية وقال الزبير وهو أعلم بهذا الشأن ولدت له القاسم وعبد الله وهو الطاهر وهو
الطيب سمي بالطاهر والطيب لأنه ولد بعد النبوة واسمه الذي سمي به أول هو عبد الله وبلغ القاسم المشي غير أن
رضاعته لم تكن كملت ووقع في مسند الفريابي أن خديجة دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت
القاسم وهي تبكي فقالت يا رسول الله درت لبينة القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعه لهون علي فقال إن
له مرضعا في الجنة تستكمل رضاعته فقالت لو أعلم ذلك لهون علي فقال إن شئت أسمعتك صوته في الجنة
فقالت بل أصدق الله ورسوله وقولها لبينة هي تصغير لبنة وهي قطعة من اللبن كالعسيلة تصغير عسلة ذكر
شبيهة باللبنة والعسلة والشاهدة على هذا المعنى (قال المؤلف) فهذا من فقهها رضي الله عنها كرهت أن تؤمن
بهذا الأمر معاينة فلا يكون لها أجر التصديق والإيمان بالغيب وإنما أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب
وهذا الحديث يدل أيضا على أن القاسم لم يهلك في الجاهلية وإنما هلكوا في الصغر والكبرى من البنات زينب غير
أن أم كلثوم لم تكن الكبرى من البنات ولا فاطمة والأصح في فاطمة أنها أصغر من أم كلثوم وخديجة بنت
خويلد تسمى الطاهرة في الجاهلية والإسلام وفي سير التيمي أنها كانت تسمى سيدة نساء قريش وأن النبي
صلى الله عليه وسلم حين أخبرها بما جاءه جبريل ولم تكن سمعت باسمه قط ركبت إلى بحيرا الراهب واسمه
سرجس فيما ذكر المسعودي فسألته عن جبريل فقال قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم
فقالت بعلي وابن عمي محمد أخبرني أنه يأتيه فقال قدوس قدوس ما علم به إلا نبي فإنه السفير بين الله وبين
أنبيائه وإن الشيطان لا يجترئ أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه وكان ثم غلام لعتبة بن ربيعة نصراني يذكره
اسمه عداس عنده علم من الكتاب فأرسلت إليه تسأله عن جبريل فقال قدوس قدوس أنى لهذه البلاد
أن يذكر بها جبريل فأخبرته بما ذكر بحيرا من أنه يأتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال عداس مثل ما قاله
الراهب فكان ذلك مما أرادها الله تعالى به إيمانا وقد ذكر ابن اسحق نسب أمها فاطمة بنت زائدة بن
الأصم ولم يذكر اسم الأصم وذكره الزبير وغيره فقال جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بفتح الحاء والجيم
من حجر كذا قال الدارقطني وأخوه حجير بن عبد بن معيص بن عامر وأما حجر فكثير في الأسماء وحجر
ذي رعين والد ... الحجريين وأما أحجر فكثير الأصل في الديانات والحجر بن عبد المدان وهو من بني
الحرث بن كعب من مذحج وذكر الزبير عن أبيه حديث نسب أم خديجة كما ذكره ابن هشام وزاد
فقال كانت أم فاطمة بنت زائدة هالة بنت عبد مناف بن الحرث بن منقذ بن عمرو بن معيص بن
عامر بن لؤي وأمها قلابة بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي

وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضي الله عنها * قال ابن اسحق فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم * القاسم وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم والطاهر والطيب وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهم السلام «قال ابن هشام» أكبر بنيه القاسم ثم الطيب ثم الطاهر وأكبر بناته رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة * قال ابن اسحق فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا في الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم

وأمها أميمة بنت عامر بن الحرث بن فهر وكانت خديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبي هالة وهو هند بن زرارة وقد قيل في اسمه زرارة وهند ابنه ابن النباش من بني عدي بن جروة بن أسيد بن عمرو ابن تميم فهو أسيدي بالتخفيف منسوب الى أسيد بالتشديد كذا قال سيبويه في النسب الى أسيد وعدي بن جروة يقال ان الزبير صحفه وانما هو عدي بن جروة وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم وولدت له عبد مناف بن عتيق كذا قال ابن أبي خيثمة وقال الزبير ولدت لعتيق جارية اسمها هند وولدت لهند أبي هالة ابنا اسمه هند أصابه الطاعون طاعون البصرة وكان قد مات في ذلك اليوم نحو من سبعين ألفا فشغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهند بن هنداه وا ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تبق جنازة الا تركت واحتملت جنازته على أطراف الأصابع اعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الدولابي ولخديجة من أبي هالة ابنان غير هذا اسم أحدهما الطاهر واسم الآخر هالة واختلف في سنه صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة فقيل ما قاله ابن اسحق وقيل كان ابن ثلاثين سنة وقيل ابن احدى وعشرين سنة

﴿فصل﴾ وذكر أن خديجة رضي الله عنها ولدت للنبي صلى الله عليه وسلم ولده كلهم الا ابراهيم فانه من مارية التي أهداها اليه المقوقس وقد تقدم اسم المقوقس وأنه جريج بن مينا وذكرنا معنى المقوقس في أول الكتاب وذكرنا أنه أهدى مارية مع حاطب بن أبي بلتعة ومع جبر مولى أبي رهم الغفاري واسم أبي رهم كلثوم ابن الحصين وذلك حين أرسلهما اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وأهدى معها أختها سيرين وهي التي وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه فولدت له عبد الرحمن ابن حسان وأهدى معها المقوقس أيضا غلاما خصيا اسمه مابور وبغلة تسمى دلدل وقدح قوارير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه وتوفيت مارية رضي الله عنها سنة ست عشرة في خلافة عمر رضي الله عنه وكان عمر هو الذي يحشر الناس الى جنازتها بنفسه وهي مارية بنت شمعون القبطية من كورة حفن . وأما ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات وهو ابن ثمانية عشر شهرا في سنة عشر من الهجرة في اليوم الذي كسفت فيه الشمس وكانت قابلته سلمى امرأة أبي رافع وأرضعته أم بردة بنت المنذر بن النجار امرأة البراء بن أوس وسلمى هي مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقابلة بني فاطمة كلهم رضي الله عنهم مع أسماء بنت عميس الخثعمية وغسلها مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفي الحديث من طريق أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولدت له مارية ابنه ابراهيم وقع في نفسه منه شيء حتى نزل جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا أبا ابراهيم

﴿فصل﴾ وذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وأم ورقة هند بنت أبي كثير بن عبد بن قصي ولا عقب له وهو أحد من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعث وروى الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيته في المنام وعليه ثياب بيض ولو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض وهو حديث في اسناده ضعف لأنه يدور على عثمان بن عبد الرحمن ولكن يقويه ما يأتي بعده من قوله عليه السلام رأيت القس يعني ورقة وعليه ثياب حرير لأنه أول من آمن بي وصدقني وسيأتي بعض خبره ان شاء الله وقد ثبت الحديث الذي خرجه الترمذي في ورقة باسناد غير الذي ذكره الترمذي وهو ما رواه الزبير بن أبي بكر عن عبد الله بن معاذ الصنعاني عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال رأيته في المنام عليه ثياب بيض فقد

«قال ابن هشام» وأما ابراهيم فأمه مارية «قال ابن هشام» حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة قال أم ابراهيم مارية سرية النبي صلى الله عليه وسلم التي أهداها اليه المقوقس من حفن من كورة انصنا

«قال ابن اسحق» وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان يرى منه اذ كان الملكان يظلانه فقال ورقة لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبي هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه أو كما قال فجعل ورقة يستبطئ الأمر ويقول حتى متى فقال ورقة في ذلك

لججت وكنت في الذكرى لجوجا
لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف
فقد طال انتظاري يا خديجا

أظن

أظن أن لو كان من أهل الشام لم أرعاه الناس وكان يذكر الله في شعره في الجاهلية ويسبحه وهو الذي يقول

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم * أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدن إلهاً غير خالقكم * فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد
سبحان ذي العرش سبحاناً يدوم له * وقبلنا سبح الجودي والجمد
مسخر كل ما تحت السماء له * لا ينبغي أن يناوي ملكه أحد
لا شيء مما نرى تبقى بشاشته * يبقى الإله ويودي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجري الرياح به * والإنس والجن فيما بينها برد
أين الملوك التي كانت لعزتها * من كل أوب إليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب * لا بد من ورده يوماً كما وردوا

نسبه أبو الفرج إلى ورقة وفيه أبيات تنسب إلى أمية بن أبي الصلت ومن قوله في إخباره خديجة رضي الله عنها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا للرجال لصرف الدهر والقدر * وما لشيء قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعوني لأخبرها * أمراً أراه سيأتي الناس من أخر
فخبرتني بأمر قد سمعت به * فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بأن أحمد يأتيه فيخبره * جبريل أنك مبعوث إلى البشر
فقلت علّ الذي ترجين ينجزه * لك الإله فرجي الخير وانتظري
وأرسليه إلينا كي نسائله * عن أمره ما يرى في النوم والسهر
فقال حين أتانا منطقاً عجباً * يقف منه أعالي الجلد والشعر
إني رأيت أمين الله واجهني * في صورة أكملت في أهيب الصور
ثم استمر فكاد الخوف يذعرني * مما يسلم من حولي من الشجر
فقلت ظني وما أدري أيصدقني * أن سوف يبعث يتلو منزل السور
وسوف أبليك إن أعلنت دعوتهم * من الجهاد بلا من ولا كدر

ببطن المكتين على رجائي
حديثك أن أرى منه خروجا
بما خبرتنا من قول قس
من الرهبان أكره أن يعوجا
بأن محمداً سيسود فينا *
ويخصم من يكون له حجيجا

﴿فصل﴾ في شعر ورقة

ببطن المكتين على رجائي * حديثك أن أرى منه خروجا

يعني مكة وهي واحدة لأن لها بطاحاً وظواهر وقد ذكرنا أهل البطاح ومن أهل الظواهر فما قيل على أن العرب قد تثني في أشعارها البقعة الواحدة وتجمعها نحو قوله وميت بغرات * يريد بغرة وما دون في بغدان وأمثال هذه كثيرة نحو قوله

بالرقمتين له أجر وأعراس * والجن يبني بها الله بن دار

وقول زهير ودار لها بالرقمتين * وقول ورقة بن نوفل بطن المكتين لمعنى لانحال الظواهر تحت هذا الأباطح وقد أصاب الباطن بما أصابه البرق حين قال * بطن مكة مقهور ومقهور * وإنما قصد العرب في هذه الإشارة إلى حادي كل دار أو الإشارة إلى أعلى البلدة وأسفلها فجعلوها اثنين على هذا المجرى وقد قال الراجز ... وهو الشيخ ... وقال ... وهو من هذا الباب في أصح

العوليين وقال عنترة أيضا * بصرين وأهلها بالغيلم * وغيره اسم موضع وقال الفرزدق
* عشية سال المربدان كلاهما * وأعاهو مربد البصرة وقولهم * سأل البراه ين سلحما * وأعاهو
رامه وهذا كثير وأحسن ما يكون هذه التثنية إذا كانت في ذكر جنة وبستان فسمهاهن في فصيح
الكلام استعارا بأن لها وجهين وإنك إذا دخلتها وتطرب إليها يمينا وشمالا رأيت من كلتي الناحيتين ما يملأ
عينيك فرحة وصدرك مسرة وفي التنزيل «عن يمين وشمال» إلى قوله سبحانه «وبدلناهم بجنتيهم جنتين» ومنه
«جعلنا لأحدهما جنتين» الآية وفي آخرها «ودخل جنته» فأفرد بعدما ثنى وهي هي وقد حمل بعض العلماء
على هذا المعنى قوله سبحانه «ولمن خاف مقام ربه جنتان» والقول في هذه الآية متسع والله المستعان

﴿ فصل ﴾ وقال في هذا الشعر * وتظهر في البلاد ضياء نور * هذا البيت يوضح لك معنى النور
ومعنى الضياء وأن الضياء هو المنتشر عن النور وأن النور هو الأصل للضوء ومنه مبدؤه وعنه يصدر وفي
التنزيل «فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم» ومنه «جعل الشمس ضياء والقمر نورا» لأن نور القمر
لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس لا سيما في طرفي الشهر وفي الصحيح الصلاة نور والصبر ضياء
وذلك أن الصلاة هي عمود الإسلام وهي ذكر وقرآن وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر فالصبر عن المنكرات
والصبر على الطاعات هو الضياء الصادر عن هذا النور الذي هو القرآن والذكر وفي أسماء الباري سبحانه
«الله نور السموات والأرض» ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه سبحانه وقد أملت في غير هذا الكتاب
من معنى نور السموات والأرض ما فيه شفاء والحمد لله

﴿ فصل ﴾ وفي شعر ورقة فقال إذا ما كان ذا كم يحذف نون الوقاية وتوهم أنه زائدة وهو
في لعل أحسن منه لقرب مخرج اللام من النون حتى إنهم قالوا لعل ولعن ولأن معنى واحدا ولأنها
لعوب إن من النون من بعض لعل وهذا كثير حذف النون من لعلى وأحسن ما يكون حذفها مع النون
في إن وأن ولكن وكأن لاجتماع النونات وحسن في لعل أيضا كثرة حروف الكلمة وفي التنزيل «لعلي
أرجع إلى الناس» ... وهذه النون التي تسرون مع أن ... على أن الاسم المضمر
... هو النون دون الياء ... حرف واحد وهو الكاف ولو كان ... الياء
مع النون ... في ... وعن ... أخرى مع النون ... الياء وحدها ...
حال ... حال ...

﴿ فصل ﴾ ... أن أرى ... خروجا ... الهاء راجعة إلى ... بمعنى
بالخروج وإن كره ... ذلك ... ما كان من ... المصدر ... على أن ...
... أن ... إطلاق ... مصدرا ...
... في التنزيل «أكان للناس عجبا أن أوحينا» ... كان ... الناس أن
أوحينا ولا بد للاسم ... أن ... مصدرا ... حال ... أيضا
أيضا «لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما» ومنه أيضا «لا ... دراكا» ...
عليه ... في ... وإذا جاز ... السراج ... والمبرد ...
أن ... الأمر أن ... والمصدر ... لأن ... إنما ...
من المصادر ... وإنما ... كان المصدر ... المفعول ... على ...
المجرور والظرف بالواحد ... إذا ... كل ... إلى ...

و تظهر في البلاد ضياء نور
... أن ...
فيلقى من يحارب ... *
... من يسالمه فلوجا
فقال إذا ما كان ذا كم *
شهدت وكان أكثرهم
... ولوجا
ولو حاق الذي كرهت
...
ولو عجت بمكة ...
أرجي بالذي كرهوا
لذي العرش ان سفلوا
عروجا
وهل أمر السفالة غير كفر *
بمن يختار من سمك البروجا
فإن يبقوا وأبق تكن أمور *
يضج الكافرون لها ضجيجا
وإن أهلك وكل فتى سيلقى
من الأقدار ... خروجا

تقدم معموله عليه الا المعمول لان المصدر الذكره لا يتقدر بان والفعل لانك ان قدرته بان والفعل نوى الفعل
بلا فاعل وما كان مضافا الى ما بعده فالمضاف اليه فاعل في المعنى أو مفعول فلذلك تصير المصدر مقدراً بأن
والفعل فعلى هذا الاصل فيه حسن قول ورقة ان أرى فيه حرجا وحتى أرى حرجا وخامسه وكذلك لو
ذكر الدخول وقال أرى فيه دخولا لم يرد دخولا فيه لكان حسنا وقول اللهم اجعل من أمرنا فرجا ومخرجا
في أمر بالمتعلق بما بعده وهو مصدر ولا خفاء في حسن هذا التقدم لما ذكرناه ومن قول ورقة بن نوفل في
معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن اسحق

أبكر أم أنت العشيه رائح * وفي الصدر من اضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فتاك التي وجهت يا خير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى في الركاب التي غدت * وهن من الاحمال قعص دوالح
يخبرنا عن كل حبر بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله أحمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظني به أن سوف يبعث صادقا * كما أرسل العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حيا لؤي جماعة * شبابهم والأشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس دهره * فاني به مستبشر الود فارح
والا فاني يا خديجة فاعلمي * عن أرضك في الارض العريضة سائح

﴿ بنيان الكعبة ﴾

في خبرها انها كانت رضما فوق القامة * الرضم أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط كما قال

ونهم في ساعة حرعهم كؤوس المنايا تحت صخر مرضم

وقوله فوق القامة كلام غير بين لمدار ارتفاعها بذلك * وذكر غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد اسمعيل
ولم يكن لها سقف فلما بناها قريش قبل الاسلام زادوا فيها تسع اذرع فكانت ثمان عشرة ذراعا ورفعوا
بابها عن الارض وكان لا يصعد اليها الا في درج أو سلم وقد ذكرنا أول من عمل لها غلقا وهو تبع ثم لما
بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا وعلى ذلك هي الآن وكان بناؤها في الدهر
خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانية حين بناها ابراهيم على القواعد الاولى والثالثة حين
بناها قريش قبل الاسلام بخمسة أعوام والرابعة حين احترقت في عهد ابن الزبير بشرارة طارت من ابي
قبيس فوقعت في أستارها فاحترقت وقيل ان امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شرارة من المجمرة في
أستارها فاحترقت فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره فهابوا هدمها وقالوا نرى أن تصلح ما وهى ولا تهدم
فقال لو ان بيت أحدكم احترق لم يرض له الا بأكمل صلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها فهدمها حتى أفضى
الى قواعد ابراهيم فامرهم أن يزيدوا في الحجر فحفروا فوجدوا فيها أمثال الخلف من الحجارة فأمرهم ان يضربوا
الهواء بعد وانهم حسبا ادخلوا في الحجر وفي الحجارة من الارض كسروا حتى وصل الى القواعد فطاف الناس بذلك
الاساس الى ان ظهر حتى لقد ذكروا انه لما ظهر ابن الزبير انه لما شد اليه الجرف واشتعل الناس ثم ...

﴿ حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش في وضع الحجر ﴾
* قال ابن اسحق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها وانما كانت رضما فوق القامة فأرادوا رفعها وتسقيفها

طائف يطوف بالكعبة الا حمل يطوف بها فلما استتم بناءها ألصق بابها بالأرض وعمل لها خلفا أي بابا
آخر من ورائها وأدخل الحجر فيها وذلك لحديث حدثته به خالته عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال ألم تري قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم حين عجزت بهم النفقة ثم قال عليه
السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفا وألصقت بابها بالأرض وأدخلت فيها
الحجر أو كما قال عليه السلام قال ابن الزبير فليس بنا اليوم عجز عن النفقة فبناها على مقتضى حديث
عائشة فلما قام عبد الملك بن مروان قال لسنا من تخليط أبي خبيب بشيء فهدمها وبناها على ما كانت عليه
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقباع
وهو أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر فحدثاه عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالحديث المتقدم فندم وجعل ينكت في الأرض بمخصرة في يده ويقول وددت أني تركت أبا خبيب
وما تحمل من ذلك فهذه المرة الخامسة فلما قام أبو جعفر المنصور وأراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير
وشاور في ذلك فقال مالك بن أنس أنشدك الله يا أمير المؤمنين وأن تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك
لا يشاء أحدهم أن يغيره إلا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه فيه وقد قيل إنه بني
في أيام جرهم مرة أو مرتين لأن السيل كان قد صدع حائطه ولم يكن ذلك بناء على نحو ما قدمنا إنما كان
إصلاحا لما وهي منه وجدارا بني بينه وبين السيل بناه عامر الجارود وقد تقدم هذا الخبر وكانت الكعبة
قبل أن يبنيها شيث عليه السلام خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم ويأنس بها لأنها أنزلت إليه من الجنة
وكان قد حج إلى موضعها من الهند وقد قيل إن آدم هو أول من بناها ذكره ابن إسحق في غير رواية البكائي
وفي الخبر أن موضعها كان غثاءة على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض فلما بدأ الله بخلق الأشياء
خلق التربة قبل السماء فلما خلق السماء وقضاهن سبع سموات دحا الأرض أي بسطها وذلك قوله
سبحانه «والأرض بعد ذلك دحاها» وإنما دحاها من تحت مكة ولذلك سميت أم القرى وفي التفسير أن
الله سبحانه حين قال للسموات والأرض «ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين» لم يجبه بهذه المقالة من الأرض
إلا أرض الحرم فلذلك حرمها وفي الحديث إن الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والأرض فصارت
حرمتها كحرمة المؤمن لأن المؤمن إنما حرم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه وأرض الحرم لما قالت أتينا
طائعين حرم صيدها وشجرها وخلاها إلا الإذخر فلا حرمة إلا لذي طاعة عصمنا الله ممن أطاعه وروي
في سبب بنائها خبر آخر وليس بمعارض لما تقدم روي أن الله سبحانه لما قال للملائكة «إني جاعل
في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها» الآية خافوا أن يكون الله عاتبهم لاعتراضهم في علمه
فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون إليه فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور في السماء
السابعة وأن يجعلوا طوافهم به فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ثم أمرهم أن يبنوا في كل سماء بيتا
وفي كل أرض بيتا قال مجاهد هي أربعة عشر بيتا كل بيت منها حذاء أخيه أي مقابله لو سقط لسقط
بعضها على بعض وروي أن الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الأرض إلى منتهاها وقذفت فيها
حجارة أمثال الإبل فتلك القواعد من البيت التي وضع إبراهيم وإسمعيل عليها البناء فلما جاء الطوفان رفعت وأودع الحجر
الأسود أبا قبيس وذكر ابن هشام أن البناء لم يبلغه الطوفان ولكنه قام متوطدا وبقيت في هوائه إلى
الأوان يوحنا لأهل البيت وهو يطوف الناس بكم في حرم الله عز وجل فاحترموا الله ولا يجد أحد
امرأة وجد سبل بابهم وبالبيت عامر أو يدعي حاجا فقد باعها ... أن يسودلون ... عاد ويذكر بن حام

وساله

ونسله الى يوم القيامة وقد قيل في سبب دعوة نوح على حام غير هذا والله أعلم * وذكر الخبر عن ابن
عباس قال اول من عاذ بالكعبة حوت صغير خاف من حوت كبير فعاذ بها بالبيت وذلك أيام الطوفان
ذكره يحيى بن سلام فاما نضب ماء الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة وحج اليه هود وصالح ومن آمن
معهما وهو كذلك وذكر أن يعرب قال لهود عليه السلام ألا نبنيه قال انما يبنيه نبي كريم يأتي من بعدي
يتخذه الرحمن خليلا فلما بعث الله ابراهيم وشب اسمعيل عند أمر ابراهيم ببناء الكعبة ودله عليه السكينة
وظللت له على موضع البيت وكانت عليه كالحجفة وذلك أن الكعبة من شأن الصلاة فجعلت علما على
قبلتها حكمة من الله سبحانه وبناه عليه السلام من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها وهي
طور سينا وطور زيتا اللذين بالشام والجودي وهو بالجزيرة ولبنان وحرا وهما بالحرم كل هذا جمعناه من
آثار مروية واسمع لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أجبل فشاكل ذلك معناها اذ هي قبلة للصلاة
الخمس وعمود الاسلام وقد بني على خمس وكيف دلت على البيت السكينة اذ هو قبلة للصلاة والسكينة من شأن
الصلاة قال عليه السلام وأتوها وعليكم السكينة فلما بلغ ابراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الاسود من
جوف أبي قبيس وروى الترمذي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نزل الحجر
الاسود من الجنة أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني آدم وروى الترمذي أيضا من طريق عبد الله بن
عمرو مرفوعا ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا ما طمس من نورهما لاضاءا ما بين
المشرق والمغرب وفي رواية غيره لابرأتا من استلمهما من الخرس والجذام والبرص وروى غير الترمذي من
طريق علي رحمه الله أن العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره ألا يشركوا به شيئا كتبه في
صك والقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم له ايمانا بك ووفاء بعهدك وذكر هذا الخبر [illegible] وزاد
فيه ان الله سبحانه أخرجه من الجنة [illegible] من الثلج والذي من الرند فاخرجه [illegible] العهد قال وكان
ابو قبيس يسمى الامين لان الركن كان مودعا فيه ونادى ابراهيم حين بلغ البناء الى موضع الركن فاخبره
ان الركن فيه ودله عليه [illegible] الى الحكمة في ان سود بخطايا بني آدم دون غيره من حجارة
الكعبة وأستارها [illegible] ان العهد الذي فيه هو الفطرة التي فطر الناس عليها من توحيد الله فكل مولود يولد
على تلك الفطرة وعلى ذلك الميثاق فلولا ان أبويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه حتى يسود قلبه بالشرك لما حال
عن العهد فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد
والميثاق فتناسبا فاسود من الخطايا قلب ابن آدم بعدما كان ولد عليه من ذلك العهد واسود الحجر بعد
ابيضاضه وكانت الخطايا سببا في ذلك حكمة من الله سبحانه فهذا ما في بناء الكعبة [illegible]
[illegible] ذكر الماوردي وذكره الطبري [illegible] عمرو [illegible]
وفضائل مكة [illegible] كتاب أبي الوليد الازرقي أخبار مكة وفي أحاديث في المدينة [illegible]
المروية [illegible] الحديث [illegible] ذلك [illegible] الركن اليماني [illegible]
ذكرناه [illegible] اسماء أبي بن سالم والله [illegible]

[illegible] الركن [illegible] أو أبي [illegible]

واما المسجد الحرام [illegible] ذلك [illegible]
[illegible]
[illegible]

وذلك أن نفرا سرقوا كنزا للكعبة وإنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة وكان الذي وجد عنده الكنز دويكا مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة (قال ابن هشام) فقطعت قريش يده وتزعم قريش أن الذين سرقوه وضعوه عند دويك وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فأخذوا خشبها فأعدوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي كانت تطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتتشرق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزألت وكشت وفتحت فاها وكانوا يهابونها فبينا هي ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله إليها طائرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش إنا لنرجو أن يكون الله قد رضي ما أردنا عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عبد بن عمران بن مخزوم «قال ابن هشام» عائذ ابن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا لا يدخل فيه مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم * قال ابن إسحق وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن اسحق

حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي أنه رأى ابنا لجعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو يطوف بالبيت فسأل عنه فقيل هذا ابن لجعدة بن هبيرة فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك جد هذا يعني أبا وهب الذي أخذ حجرا من الكعبة حين اجتمعت قريش لهدمها فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيبا

فلما كان ابن الزبير زاد في ارتفاعه لا في سعته وجعل فيه عمدا من الرخام وزاد في أبوابه وحسنها فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد وحمل إليه السواري في البحر إلى جدة واحتملت من جدة على العجل إلى مكة وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباج وقد كنا قدمنا أن ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج ذكره الزبير بن بكار وذكرنا أيضا أن خالد بن جعفر بن كلاب ممن كساها الديباج قبل الإسلام ثم كان الوليد بن عبد الملك فزاد في حليها وصرف في ميزابها وسقفها ما كان في مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة وكانت قد احتملت إليه من طليطلة من جزيرة الأندلس وكانت لها أطواق من ياقوت وزبرجد وكانت قد احتملت على بغل قوي فتفسخ تحتها فضرب منها الوليد حلية للكعبة فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد المهدي زاد أيضا في إتقان المسجد وتحسين هيئته ولم يحدث فيه بعد ذلك عمل إلى الآن وفي اشتراء عمر وعثمان الدور التي زادا فيها دليل على أن رباع أهل مكة ملك لأهلها يتصرفون فيها بالبيع والشراء إذا شاءوا وفي ذلك اختلاف

﴿فصل﴾ وذكر ابن إسحق دويكا الذي سرق كنز الكعبة وقد قدمنا أن سارقا سرق من مالها في زمن جرهم وأنه دخل البئر التي فيها كنزها فسقط عليه حجر فحبسه فيها حتى أخرج منها وانتزع المال منه ثم بعث الله حية لها رأس كرأس الجدي بيضاء البطن سوداء المتن وكانت في بئر الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين وهي التي ذكرها ابن إسحق وكان لا يدنو أحد من بئر الكعبة إلا احزألت أي رفعت ذنبها وكشت أي صوتت * وذكر ابن إسحق أن سفينة رماها البحر إلى جدة فتحطمت، وذكر غيره عن ابن منبه أن سفينة خرجها الريح إلى الشعيبة وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة والشعيبة بضم الشين ذكره البكري وفسر الخطابي خرجها أي دفعها بقوة من الريح الخجوج أي الدفوع قال ابن إسحق وكان بمكة نجار قبطي وذكر غيره أنه كان علجا في السفينة التي خرجتها الريح إلى الشعيبة وأن اسم ذلك النجار باقوم وكذلك روي أيضا في اسم النجار الذي عمل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرفاء الغابة ولعله أن يكون هو والله أعلم

﴿فصل﴾ وذكر حجر العقاب أو الطائر الذي اختطف الحية من بئر الكعبة وقال غيره طرحها الطائر بالحجون فالتقمتها الأرض وقال محمد بن الحسن المقري هذا القول ثم قال وهي الدابة التي تكلم الناس قبل يوم القيامة واسمها أقصى فيما ذكر ومحمد بن الحسن المقري هو النقاش وهو من أهل العلم والله أعلم بصحة ما قال غير أنه قد روي في حديث أخبار موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه الدابة التي تكلم الناس فأخرجها له من الأرض فرأى منظرا هاله وأفزعه فقال أي رب ردها فردها * وذكر ابن إسحق حديث الحجر الذي أخذ من الكعبة فوثب من يد آخذه حتى عاد إلى موضعه وقال غيره صرنا نقول في تحريك أحجارها فلمعت برقة كادت تخطف أبصارهم وأخذ رجل منهم حجرا فطار من يده وعاد إلى موضعه * وذكر ابن

لا تدخلوا فيه مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس * قال ابن إسحاق وأبو وهب خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شريفا وله يقول شاعر من العرب

ولو بأبي وهب أنخت مطيتي * غدت من نداه رحلها غير خائب
بأبيض من فرعي لؤي بن غالب * إذا حصلت أنسابها في الذوائب
أبي لأخذ الضيم يرتاح للندى * توسط جداه فروع الأطايب
عظيم رماد القدر يملأ جفانه * من الخبز يعلوهن مثل السبائب

ثم إن قريشا تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبني عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وقبائل من قريش انضموا إليهم وكان ظهر الكعبة لبني جمح وسهم ابني عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي وكان شق الحجر لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن العزى بن قصي ولبني عدي بن كعب بن لؤي وهو الحطيم ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا

منه فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدؤكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع «قال ابن هشام» ويقال لم نزغ اللهم إنا لا نريد إلا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فإن أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله صنعنا فهدمنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى إذا انتهى الهدم بهم إلى الأساس أساس إبراهيم أفضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة آخذ بعضها بعضا

قال ابن إسحاق فحدثني بعض من يروي الحديث أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر انتفضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الأساس * قال ابن إسحاق وحدثت أن قريشا وجدوا في الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ما هو حتى قرأه لهم رجل من يهود فإذا هو أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء لا تزول حتى تزول أخشباها مبارك لأهلها في الماء واللبن «قال ابن هشام» أخشباها جبلاها * قال ابن إسحاق وحدثت أنهم وجدوا في المقام كتابا فيه مكة بيت الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل لا يحلها أول من أهلها * قال ابن إسحاق وزعم ليث بن أبي سليم أنهم وجدوا حجرا في الكعبة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة إن كان ما ذكر حقا مكتوبا فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيئات وتجزون الحسنات أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب * قال ابن إسحاق ثم إن القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى حتى تحاوزوا وتحالفوا وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لؤي على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في

اسحق قولهم اللهم لم ترع وهي كلمة تقال عند تسكين الروع والتأنيس وإظهار اللين والبر في القول ولا روع في هذا الموطن فينفى ولكن الكلمة تقتضي إظهار قصد البر فلذلك تكلموا بها وعلى هذا الحد جاء الكلم بها في الإسلام وإن كان فيها ذكر الروع الذي هو محال في حق الباري تعالى ولكن لما كان المقصود بها ذكر إظهار اللطف جاز النطق بها وسيأتي في هذا الكتاب إن شاء الله زيادة بيان عند قوله فاغفر فداء لك ما اقتفينا * ويروى أيضا اللهم لم نزغ وهو جلي لا يشكل * وذكر قولهم لا تدخلوا في هذا البيت مهر بغي وهي الزانية وهي فعول من البغاء فاندغمت الواو في الياء ولا يجوز عندهم أن تكون على وزن فعيل لأن فعيلا بمعنى فاعل تكون بالهاء في المؤنث كرحيمة وكريمة وإنما تكون بغير هاء إذا كان في معنى مفعول نحو امرأة جريح وقتيل * وقوله ولا بيع ربا يدل على أن الربا كان محرما عليهم في الجاهلية كما كان الظلم والبغاء وهو الزنا محرما عليهم يعلمون ذلك بقية من شرع إبراهيم عليه السلام كما كان بقي فيهم الحج والعمرة وشيء من أحكام الطلاق والعتق وغير ذلك وفي قوله سبحانه «وأحل الله البيع وحرم الربا» دليل على تقدم التحريم

«فصل» وذكر الحجر الذي وجد مكتوبا في الكعبة وفيه أنا الله ذو بكة الحديث روى معمر بن راشد في الجامع عن الزهري أنه قال بلغني أن قريشا حين بنوا الكعبة وجدوا فيها حجرا وفيه ثلاثة صفوح في الصفح الأول أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر إلى آخر كلام ابن إسحق وفي الصفح الثاني أنا الله ذو بكة خلقت الرحم واشتققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وفي الصفح الثالث أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وفي حديث ابن إسحق لا يحلها أول من أهلها يريد والله أعلم ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير وحصين بن نمير ثم الحجاج بعده ولذلك قال ابن أبي ربيعة

ألا من لقلب معنى غزل * بحب المحلة أخت المحل

يعني بالمحل عبد الله بن الزبير لإلحاده في الحرم

«فصل» وذكر اختلافهم في وضع الركن وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي وضعه بيده

فلما الحية قد ذهبت [illegible] فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم إنهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلها قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا محمد فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم إلي ثوبا فأتي به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

عجبت لما تصوبت العقاب * إلى الثعبان وهي لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش * وأحيانا يكون لها وثاب
إذا قمنا إلى التأسيس شدت * تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت * عقاب تتلئب لها انصباب
فضمتها إليها ثم خلت * لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين إلى بناء * لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه * وليس على مسوينا ثياب
أعز به المليك بني لؤي * فليس لأصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدي * ومرة قد تقدمها كلاب
فبوأنا المليك بذاك عزا * وعند الله يلتمس الثواب

قال ابن هشام ويروى [illegible] وكانت

وذكر غيره أن إبليس كان معهم في صورة شيخ نجدي وأنه صاح بأعلى صوته يا معشر قريش أرضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوي أسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكن ذلك. وأما وضع الركن حين بناء الكعبة في أيام ابن الزبير فوضعه في الموضع الذي هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير وأبوه يصلي بالناس في المسجد اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس في ذلك وخاف الخلاف فأقره أبوه. ذكر ذلك الزبير بن بكار. وذكر ابن إسحاق أنهم لما انتهوا إلى قواعد البيت [illegible] والله أعلم [illegible] وليس على مسوينا ثياب أي مسوي البنيان [illegible]

الكعبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية عشر ذراعا [illegible]
القباطي ثم كسيت البرود وأول من كساها الديباج [illegible]
لا أدري أقبل الفيل أم بعده ابتدعت رأي الحمس رأيا رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو إبراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وساكنها
فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فإنكم إن
فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والإفاضة منها وهم يعرفون
ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين إبراهيم صلى الله عليه وسلم ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها إلا أنهم قالوا نحن أهل
الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس والحمس أهل الحرم ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكني
الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم إياهم [illegible]

«قال ابن هشام» وحدثني أبو عبيدة النحوي ان بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك وأنشدني لعمرو بن معديكرب

أعباس لو كانت شيارا جيادنا * بتثليث ما ناصبت بعدي الاحامسا

(قال ابن هشام) تثليث موضع من بلادهم والشيار الحسان يعني بالاحامس بني عامر بن صعصعة وعباس عباس بن مرداس السلمي وكان أغار على بني زبيد بتثليث وهذا البيت في قصيدة لعمرو وأنشدني للقيط بن زرارة الدارمي في يوم جبلة

أجذم اليك انها بنو عبس * المعشر الجلة في القوم الحمس

لان بني عبس كانوا يوم جبلة حلفاء في بني عامر بن صعصعة ويوم جبلة يوم كان بين بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبين بني عامر بن صعصعة فكان الظفر فيه لبني عامر بن صعصعة على بني حنظلة وقتل يومئذ لقيط بن زرارة بن عدس وأسر حاجب بن زرارة بن عدس وانهزم عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة ففيه يقول جرير للفرزدق

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذ دعوا يال دارم

وهذا البيت في قصيدة له ثم التقوا يوم ذي نجب فكان الظفر لحنظلة على بني عامر وقتل يومئذ حسان بن معاوية الكندي وهو أبو كبشة وأسر (١٣٣) يزيد بن الصعق الكلابي وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب أبو عامر بن الطفيل ففيه يقول الفرزدق

ومنهن اذ نجى طفيل بن مالك
على قرزل رجلا ركوض الهزائم
ونحن ضربنا هامة ابن خويلد
يزيد على أم الفراخ الجوائم

وهذان البيتان في قصيدة له فقال جرير

ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه
ولاقى امرأ في ضمة الخيل مصقعا

وهذان البيتان في قصيدة له وحديث يوم جبلة ويوم ذي نجب أطول مما ذكرنا

راغبا بهم ... قال ابن اسحق ... في حديث يوم ... أو ... حتى قالوا لا ينبغي للحمس أن ... طوا ... لا ... طلوا ان ... سوى الا ... ما كانوا حرما فرضوا ذلك ... لاهل الحل أن ياكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاؤا حجاجا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم الا في ثياب الحمس فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة فان تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا أحد غيره ابدا فكانت العرب تسمى تلك الثياب اللقى فحملوا على ذلك العرب فدانت به ووقفوا على عرفات وأفاضوا منها وطافوا بالبيت عراة أما الرجال فيطوفون عراة وأما النساء فتضع احداهن ثيابها كلها الا درعا مفرجا عليها ثم تطوف فيه فقالت امرأة من العرب وهي كذلك تطوف بالبيت

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحل ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه

كفى حزنا كرى عليه كأنها * لقى بين أيدي الطائفين حريم

يقول لا يمس فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم

يزيد حتى تصيبه افال ابرهه

ان لنا صرمة مخيسة * نشرب ألبانها ونسلؤها

وذكر قول ابن معديكرب * أعباس لو كانت شيارا جيادنا * البيت شيارا من الشارة الحسنة يعني سمانا حسانا وبعد البيت

ولكنها قيدت بصعدة مرة * فاصبحن ما يمشين الا تكارسا

وأنشد أيضا * أجذم اليك انها بنو عبس * أجذم زجر معروف للخيل وكذلك ارحب وهب وهقط وهقب * وذكر يوم جبلة وجبلة هضبة عالية كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم وكان معهم في ذلك اليوم رئيس نجران وهو ابن الجون الكندي وأخ للنعمان بن المنذر لأمه اسمه حسان بن وبرة وهو أخو النعمان لامه وكان ذلك اليوم قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بتسع وخمسين سنة من ملك أنوشروان ... وكان مولد أبيه عبد الله لاربع وعشرين مضت من ملك أنوشروان الذي كرومه عليه السلام ومن أمه عبد الله ومن عاش ... وذكر زرارة بن عدس بن زيد وهو عدس بن نعيم الا ال عدس فيهم الا أبا سدة فانه كان بفتح الدال فيه وكل عدس في العرب سواه فانه بفتح الدال فيه ... وذكر الحلة وهم اعداء الحمس وانهم كانوا يطوفون عراة ان لم يجدوا ثياب أحمس وكانوا يقصدون في ذلك طرح الثياب التي اقترفوا فيها الذنوب عنهم ولم يذكر الطلس من العرب وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس كانوا يأتون من أقصا اليمن طلسا من الغبار يطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلس فسموا بذلك ذكره محمد بن حبيب (فصل) وذكر اللقى وهو الثوب الذي كان يطرح بعد الطواف فلا يأخذه أحد وأنشد

كفى حزنا كرى عليه كأنه * لقى بين أيدي الطائفين حريم

حرم أي محرم لا يؤخذ ولا ينتفع به وكل شيء مطرح فهو لقى قال الشاعر يصف فرخ قطا

تروي لقًى أُلقي في صفصف * تصهره الشمس فما ينصهر

تروي بفتح التاء أي تستقي له وهذا البيت في حديث فاختة أم حكيم بن حزام وكانت دخلت الكعبة وهي حامل
بحكيم بن حزام فأجاءها المخاض فلم تستطع الخروج من الكعبة فوضعته فيها فلفت في الأنطاع هي
وجنينها وطرح مثبرها وثيابها التي كانت عليها فجعلت لقى لا تقرب

﴿فصل﴾ وذكر قول المرأة * اليوم يبدو بعضه أو كله * البيتين وذكر أن هذه المرأة هي ضباعة بنت
عامر بن صعصعة ثم من بني سلمة بن قشير وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها
وذكرت له عنها كبرة فتركها فقيل إنها ماتت كمدًا وحزنًا على ذلك (قال المؤلف) إن كان صح هذا فما أخرها
عن أن تكون أمًّا للمؤمنين وزوجًا لرسول رب العالمين إلا قولها * اليوم يبدو بعضه أو كله * تكرمة من الله
لنبيه وعلمًا منه بغيرته والله أغير منه * ومما ذكر من تعريهم في الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك فانضم
الرجل إلى المرأة تلذذًا واستمتاعًا فألصق عضده بعضدها فقرعت بذلك وخرجا من المسجد وهما ملتصقان
ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها حتى قال لهما قائل توبا مما كان في ضميركما وأخلصا لله التوبة ففعلا
فانحل أحدهما من الآخر * وأنشد للفرزدق

ومنهن إذ نجى طفيل بن مالك * على قرزل رجلا ركوض الهزائم

قرزل اسم فرسه وكان طفيل يسمى فارس قرزل وقرزل الذي سمي الفرس به كأنه يقيد ما يشد به كما قال
امرؤ القيس * بمنجرد قيد الأوابد هيكل * وطفيل هذا هو والد عامر بن الطفيل عدو الله وعدو رسوله
وأخو طفيل هذا عامر ملاعب الأسنة وسنذكر نسبه في ملاعب الأسنة ونذكر أخويه وألقابهم في هذا
الكتاب إن شاء الله وقوله * على إثر الهراء الحوائم * يعني الهامة وكانوا يقولون إن الرجل
إذا قتل خرجت من رأسه هامة تصيح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره قال ذو الإصبع العدواني

* أضربك حيث تقول الهامة اسقوني *

﴿فصل﴾ وأنشد لجرير

وبين حصين الأسين كيسه بأخذ * ولا في أمر أبي صحبة الحمل مضيعا

ووجدت في حاشية الشيخ أبي بحر هذا البيت المعروف في اللغة أن المصقع الخطيب البليغ وليس هذا موضعه
لكن قال في اللغة صقعه إذا ضربه على شيء مصمت يابس فالأشبه في هذا أن يكون مصقعًا في هذا البيت
من هذا المعنى وإلا فما رجل مصقع كما قال حرب وفي الحديث أن سعدًا أخرب يعني ابن وقاص

﴿فصل﴾ وذكر ما أنزل الله تعالى في أمر الحمس وهو قوله تعالى «يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد
وكلوا واشربوا» الآية قوله وكلوا واشربوا إشارة إلى ما كانت الحمس حرمته من طعام الحج إلا طعام أحمسي
وخذوا زينتكم يعني اللباس ولا تتعروا ولذلك افتتح بقوله يا بني آدم بعد أن قص خبر آدم وزوجه إذ يخصفان
عليهما من ورق الجنة أي أنكم بنوه فاقتدوا بأبيكم آدم فاتخذوا ستر العورة كما قال ملة أبيكم
إبراهيم أي إن كانت عادة الأصنام اقتداء بآبائكم فإبراهيم أبوكم ولم يكن من المشركين ونزل في ذلك
«وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية» وفي التفسير أنهم كانوا يطوفون عراة ويصفقون بأيديهم
ويصفرون فالمكاء الصفير والتصدية التصفيق قال الراجز * وأنا من غرو الهوى أصدي * ونزل
من أمر الحمس «وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها» لأن الحمس لا يدخلون تحت سقف ولا يحول

فأنزل عليه حين أحكم له
دينه وشرع له سنن حجه ثم
أفيضوا من حيث أفاض
الناس واستغفروا الله إن
الله غفور رحيم يعني قريشا
والناس العرب فرفعهم في
سنة الحج إلى عرفات
والوقوف عليها والإفاضة
منها وأنزل الله عليه فيما
كانوا حرموا على الناس من
طعامهم ولبوسهم عند
البيت حين طافوا عراة
وحرموا ما جاؤوا به من الحل
من الطعام يا بني آدم خذوا
زينتكم عند كل مسجد
وكلوا واشربوا ولا تسرفوا
إنه لا يحب المسرفين قل
من حرم زينة الله التي أخرج
لعباده والطيبات من الرزق
قل هي للذين آمنوا في الحياة
الدنيا خالصة يوم القيامة
كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون فوضع الله
تعالى أمر الحمس وما كانت
قريش ابتدعت منه عن
الناس بالإسلام حين بعث
الله به رسوله صلى الله عليه
وسلم * قال ابن إسحق
حدثني عبد الله بن أبي بكر بن
محمد بن عمرو بن حزم عن
عثمان بن أبي سليمان بن
جبير بن مطعم عن عمه نافع
ابن جبير عن أبيه جبير
ابن مطعم

قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي وإنه لواقف على بعير له بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها توفيقا من الله له صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا

﴿ أخبار الكهان من العرب والأحبار من يهود والرهبان من النصارى ﴾

* قال ابن إسحق وكانت الأحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه أما الأحبار من يهود والرهبان من النصارى فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه وأما الكهان من العرب فأتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع إذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف من النجوم وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره لا تلقي العرب لذلك فيه بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الأمور التي كانوا يذكرون فعرفوها فلما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرموا بالنجوم فعرفت الجن أن ذلك لأمر حدث من أمر الله في العباد يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه وهو يقص عليه خبر الجن إذ حجبوا عن السمع فعرفوا ما عرفوا وما أنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا

بينهم وبين السماء عتبة باب ولا غيرها فإن احتاج أحدهم إلى حاجة في داره تسنم البيت من ظهره ولم يدخل من الباب فقال الله سبحانه «وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون» وذكر وقوف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة مع الناس قبل الهجرة وقبل النبوة توفيقا من الله حتى لا تفوته ثواب الحج والوقوف بعرفة قال جبير بن مطعم حين رآه واقفا بعرفة مع الناس هذا رجل أحمسي فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون

﴿ فصل في الكهانة ﴾

روي في مأثور الأخبار أن إبليس كان يخترق السموات قبل عيسى فلما بعث عيسى أو ولد حجب عن ثلاث سماوات فلما ولد محمد حجب عنها كلها وقذفت الشياطين بالنجوم وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم قامت الساعة فقال عتبة بن ربيعة انظروا إلى العيوق فإن كان رمي به فقد آن قيام الساعة وإلا فلا وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر وذكر ابن إسحق في هذا الباب ما رميت به الشياطين حين ظهر القذف بالنجوم لئلا يلتبس بالوحي وليكون ذلك أظهر للحجة وأقطع للشبهة والذي قاله صحيح ولكن القذف بالنجوم قد كان قديما وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية منهم عوف بن الخرع وأوس بن حجر وبشر بن أبي خازم وكلهم جاهلي وقد وصفوا الرمي بالنجوم وأبياتهم في ذلك مذكورة في مشكل ابن قتيبة في تفسير سورة الجن وذكر عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم أكان في الجاهلية قال نعم ولكنه إذ جاء الإسلام غلظ وشدد وفي قول الله سبحانه «وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا» الآية ولم يقل حرست دليل على أنه قد كان منه شيء فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ملئت حرسا شديدا وشهبا وذلك لينحسم أمر الشياطين وتخليطهم ولتكون الآية أبين والحجة أقطع وإن وجد اليوم كاهن فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع فإن ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة ثم بقيت منه أعني من استراق السمع بقايا يسيرة بدليل وجودهم على الندور في بعض الأزمنة وفي بعض البلاد وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال ليسوا بشيء فقيل إنهم يتكلمون بالكلمة فتكون كما قالوا فقال تلك الكلمة من الجن يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قر الزجاجة فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة ويروى قر الدجاجة بالدال وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت في الدلائل والزجاجة بالزاي أولى لما ثبت في الصحيح فيقرها في أذن وليه كما تقر القارورة ومعنى يقرها يصبها ويفرغها قال الراجز

لا تفرغن في أذني قرها * ما يستفز فارك مستقرها

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس قال إذا رمي الشهاب الجني لم يخطئه ويحرق ما أصاب ولا يقتله وعن الحسن قال يقتله في أسرع من طرفة العين وفي تفسير ابن سلام أيضا عن أبي قتادة أنه كان مع قوم فرمي بنجم فقال لا تتبعوه أبصاركم وفيه أيضا عن حفص أنه سأل الحسن أيتبع بصره الكوكب قال قال سبحانه «وجعلناها رجوما للشياطين» وقال «أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض» قال كيف يعلم إذا لم ينظر إليه لأتبعنه بصري وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن «وإذ ولوا إلى قومهم منذرين» قالوا

وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا الى قوله وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا فلما سمعت الجن القرآن عرفت أنها إنما منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحي بشيء من خبر السماء فيلتبس على أهل الأرض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة فآمنوا وصدقوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم الآية وكان قول الجن وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم اذا سافر فنزل بطن واد من الأرض ليبيت فيه قال إني أعوذ بعزيز هذا الوادي من الجن الليلة من شر ما فيه « قال ابن هشام » الرهق الطغيان والسفه قال رؤبة بن العجاج وبلدة يسمى الهامة المرهقا * وهذا البيت في أرجوزة له والرهق أيضا طلبك الشيء حتى تدنو منه فتأخذه أولا تأخذه قال رؤبة بن العجاج يصف [illegible] [illegible] واقتسموا من خوف الرهق * وهذا البيت في أرجوزة له والرهق أيضا مصدر لقول الرجل للرجل رهقت الإثم والعسر الذي أرهقتني رهقا شديدا أي حملت الإثم والعسر الذي حملتني حملا شديدا وفي كتاب الله تعالى فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا وقوله ولا ترهقني من أمري عسرا « قال ابن اسحق » وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن أول العرب فزع للرمي بالنجوم حين رمي بها [illegible] [illegible] فقالوا له [illegible] [illegible] ألا ترى الى [illegible] العرب [illegible] هذا [illegible] بن أبي طالب [illegible]

ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى » وفي الحديث أنهم كانوا من جن نصيبين وفي التفسير أنهم كانوا يهودا ولذلك قالوا من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى ذكره ابن سلام وكانوا تسعة وقد ذكروا أسماءهم في التفاسير والمسندات وهم شاصر وماصر [illegible] [illegible] [illegible] وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد ووجدت في خبر حدثني به أبو بكر بن طاهر الإشبيلي [illegible] عن أبي علي الغساني في فضائل عمر بن عبد العزيز قال [illegible] عمر بن عبد العزيز [illegible] في أرض فلاة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قائل يقول [illegible] أشهد [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وذلك رجل صالح فقال من أنت يرحمك الله قال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible] الا أنا وسرق وهذا سرق قد مات وذكر ابن سلام من طريق أبي إسحق السبيعي عن أشياخه عن ابن مسعود أنه كان في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون [illegible] [illegible] ثم جاء إعصار أعظم منه ثم انقشع فإذا حية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] حتى الليل إذا امرأتان [illegible] أيكم دفن عمرو بن جابر [illegible] ما ندري من عمرو بن جابر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأجر فقد وجدتموه [illegible] [illegible] [illegible] المؤمنين [illegible] [illegible] عمرو وهو الحية التي رأيتم وهو من النفر الذين استمعوا القرآن [illegible] صلى الله عليه وسلم ثم ولوا الى قومهم منذرين

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] قوله وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن الآية [illegible] ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

أ [illegible] [illegible] واعد [illegible] [illegible] [illegible] كل [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الإنس [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأرض » الآية [illegible] [illegible] [illegible] قريش [illegible] وذكر ابن إسحق [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

هبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض مم سبحتم فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم فيقولون ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا الى حملة العرش فيقال لهم مم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا للأمر الذي كان فيهبط به الخبر من سماء الى سماء حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيتحدثون به فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ثم يأتون به الكهان من أهل الأرض فيحدثونهم به فيخطئون ويصيبون فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضا ويخطئون بعضا ثم ان الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة * قال ابن اسحق وحدثني عمرو بن أبي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم بمثل حديث ابن شهاب عنه * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بني سهم يقال لها الغيطلة كانت كاهنة في الجاهلية فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي فانقض تحتها ثم قال أدر ما أدر يوم عقر ونحر فقالت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ثم جاءها ليلة أخرى فانقض تحتها ثم قال شعوب ما شعوب تصرع فيه كعب لجنوب فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ماذا يريد ان هذا الأمر هو كائن فانظروا ما هو فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب فعرفوا أنه الذي كان جاء به الى صاحبته » قال ابن هشام ، الغيطلة من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة أخوة مدلج بن مرة وهي أم الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا ... بني خلف قيضا بنا والغياطل

فقيل لولدها الغياطل وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها ان شاء الله تعالى

هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم كان قديما ولكنه اذ بعث الرسول عليه السلام غلظ وشدد كما قال الزهري وملئت السماء حرسا * وقوله في آخر الحديث وقد انقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة يدل قوله اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه والذي انقطع اليوم والى يوم القيامة أن تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجهلاء وعند تمكنها من سماع أخبار السماء وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين انما هو خبر منهم عما يرونه في الأرض مما لا نراه نحن كسرقة سارق أو خبيئة في مكان خفي أو نحو ذلك وان أخبروا بما سيكون كان تخرصا وتظنيا فيصيبون قليلا ويخطئون كثيرا وذلك القليل الذي يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة في العنان كما في حديث البخاري فيطردون بالنجوم فيضيفون الى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة كما قال عليه السلام في الحديث الذي قدمناه ﴿فان قلت﴾ فقد كان صاف بن صياد وكان يتكهن ويدعي النبوة وخبأ له النبي صلى الله عليه وسلم خبيئا فعلمه وهو الدخ فأين انقطاع الكهانة في ذلك الزمان ﴿قلنا﴾ عن هذا جوابان (أحدهما) ذكره الخطابي في أعلام الحديث قال الدخ نبات يكون بين النخيل وخبأ له عليه السلام «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين» فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبأه له النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) أن شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الأرض ولا يأتيه بخبر السماء اذ كان القذف والرجم فان كان أراد بالدخ الدخان فموه جعلت لهم في أسماعهم لبست لنا فألقى الكلمة على لسان صاف ووجدها ناقصة لم يكن سماع سائر الآية ولذلك قال له النبي عليه السلام اخسأ فلن تعدو قدرك أي فلن تعدو منزلتك من العجز عن علم الغيب وانما الذي يمكن في حقه هذا القدر دون مزيد عليه على هذا النحو فسره الخطابي

﴿فصل﴾ وذكر حديث الغيطلة الكاهنة قال وهي من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة أخي مدلج وهي أم الغياطل الذي ذكر أبو طالب وسنذكر معنى الغيطلة عند شعر أبي طالب ان شاء الله وقد ذكرناها مما ألفيته في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر في هذا الموضع قال الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق ابن شنوق بن مرة وشنوق أخو مدلج وهكذا ذكر نسبها الزبير وذكر قولها شعوب وما شعوب تصرع فيها كعب لجنوب كعب هاهنا هو كعب بن لؤي والذي صرع فيها يومئذ واحد من أشراف قريش معظمهم من كعب بن لؤي وشعوب هاهنا أحسبه بضم الشين ولم أجده مقيدا وكأنه جمع شعب وقول ابن اسحق يدل على هذا حين قال فلم يدر ما قالت حتى قتل من قتل ببدر وأحد بالشعب * وذكر قول التابع أدر ما أدر وقيده عن أبي علي في رواية أخرى وما بدر وهي أبين من هذه وفي غير رواية البكائي عن ابن اسحق أن فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جاءها اقتحم عليها في بيتها فلما كان في أول البعث أتاها فقعد على حائط الدار ولم يدخل فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبي بتحريم الزنا فذلك أول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة

﴿فصل﴾ وذكر انكار ثقيف للرمي بالنجوم وما قاله عمرو بن أمية أحد بني علاج الى آخر الحديث وهو كلام صحيح المعنى لكن وجهه الذي قاله وان كانت هذه النجوم فهو لأمر حدث فما هو وقد فعل ما فعلت

ثقيف فوهب عند فزعهم للرمي بالنجوم فاجتمعوا الى كاهن لهم يقال له خطر فبين لهم الخبر وما احدث من أمر النبوة وروى أبو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة عن رجل من بني لهب يقال له لهيب أو لهيب . وقد تكلمنا على نسب لهب في هذا الكتاب قال لهيب حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبي وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء وزجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم وذلك أنا اجتمعنا الى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحر أخبركم الخبر أبخير أم ضرر أو لأمن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وجه السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه . شاخص في السماء بعينيه فناديناه يا خطر يا خطر فأومأ الينا أن أمسكوا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته . أصابه أصابه خامره عقابه . عاجله عذابه . أحرقه شهابه . زايله جوابه . يا ويله ما حاله . بلبله بلباله . عاوده خباله . تقطعت حباله وغيرت أحواله . ثم أمسك طويلا وهو يقول

يا معشر بني قحطان ... أخبركم بالحق والبيان
أقسمت بالكعبة والاركان ... والبلد المؤتمن السدان
لقد منع السمع عتاة الجان ... بثاقب بكف ذي سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشان ... يبعث بالتنزيل والفرقان
وبالهدى وفاصل القرآن ... تبطل به عبادة الأوثان

قال فقلنا ويحك يا خطر انك لتذكر أمرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال

أرى لقومي ما أرى لنفسي ... أن يتبعوا خير نبي الانس
برهانه مثل شعاع الشمس ... يبعث في مكة دار الحمس
بمحكم التنزيل غير اللبس

فقلنا له يا خطر وممن هو فقال والحياة والعيش انه لمن قريش ما في حلمه طيش ولا في خلقه هيش يكون في جيش وأي جيش من آل قحطان وآل أيش فقلنا له بين لنا من أي قريش هو فقال والبيت ذي الدعائم والركن والاحائم انه لمن نجل هاشم من معشر كرام يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم ثم قال هذا هو البيان أخبرني به رئيس الجان ثم قال الله أكبر جاء الحق وظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت وأغمي عليه فما أفاق الا بعد ثالثة فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نطق عن مثل نبوة وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده . فصل وفي هذا الخبر قوله أصابه أصابه [illegible]
وفيه ذكر الهمزة من أصابه [illegible] أبي بكر [illegible] أن يكون [illegible]
الهيش [illegible]
وقوله من آل قحطان وآل أيش [illegible] أن
يكون [illegible] دار الاحابيش في مكة [illegible]
[illegible]
منهم مثل هذا كما يقول [illegible]
وقوله أمة على الحدة [illegible] والله أعلم [illegible] أراد

* قال ابن اسحق وحدثني علي بن نافع الجرشي أن جنبا بطنا من اليمن كان لهم كاهن في الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر في العرب قالت له جنب انظر لنا في أمر هذا الرجل واجتمعوا له في أسفل جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس له فرفع رأسه الى السماء طويلا ثم جعل ينزو ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ثم اشتد في جبله راجعا من حيث جاء * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان انه حدث أن عمر بن الخطاب بينا هو جالس في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل من العرب داخلا المسجد يريد عمر بن الخطاب فلما نظر اليه عمر رضي الله عنه قال ان هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد أو لقد كان كاهنا في الجاهلية فسلم عليه الرجل ثم جلس فقال له عمر رضي الله عنه هل أسلمت قال نعم يا أمير المؤمنين قال له فهل كنت كاهنا في الجاهلية فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ وليت فقال عمر اللهم غفرا قد كنا في الجاهلية على شر من هذا نعبد الأصنام ونعتنق الأوثان حتى أكرمنا الله برسوله وبالاسلام قال نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا في الجاهلية قال فأخبرني ما جاءك به صاحبك قال جاءني قبل الاسلام بشهر أو شيعه فقال

بآل الأشيب بن أقيش وهم حلفاء الأنصار من الجن فحذف من الاسم حرفا وقد تفعل العرب مثل هذا وقد وقع ذكر بني أقيش في السيرة في حديث البيعة وذكر الركن والأجاثم يجوز أن يكون أراد الأجاوم بالواو فهمز الواو لانكسارها والأجاوم جمع أجوام والأجوام جمع جوم وهو الماء في البئر فكأنه أراد ماء زمزم والجوم أيضا الإبل الكثيرة ترد الماء فعبر بالأجاثم عن وراد زمزم ويجوز أن يريد بها الطير وحمام مكة التي تحوم على الماء فتكون بمعنى الحوائم وقلب اللفظ فصار بمعنى فواعل أفاعل والله أعلم

﴿فصل﴾ وذكر أن جنبا وهم حي من اليمن اجتمعوا الى كاهن لهم فسألوه عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم حين رمي بالنجوم الى آخر الحديث جنب هم من مذحج وهم عيد الله وأنس الله وزيد الله وأوس الله وجعفي والحكم وجروة بنو سعد العشيرة بن مذحج ومذحج هو مالك بن أدد وإنما قيل لهم جنب لأنهم جانبوا بني عمهم صداء ويزيد ابني سعد العشيرة بن مذحج قاله الدارقطني وذكره في موضع آخر خلافا في أسمائهم * وذكر فيهم بني علي بالعين وليس في العرب علي غيره قال مهلهل

أنكحها فقدها الأراقم في * جنب وكان الحباء من أدم

﴿فصل﴾ وذكر حديث عمر وقوله للرجل أكنت كاهنا في الجاهلية فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين لقد خلت في واستقبلتني بأمر ما أراك استقبلت به أحدا منذ وليت وذكر الحديث * وقوله خلت في هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلت وظننت كقولهم في المثل من يسمع يخل ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر فاذا حذفت الجملة كلها جاز لأن حكمهما حكم المفعول والمفعول قد يجوز حذفه ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ففي قولهم من يسمع يخل دليل يدل على المفعول وهو يسمع وفي قوله خلت في دليل أيضا وهو قوله في كأنه قال خلت الشر في أو نحو هذا * وقوله قبل الاسلام بشهر أو شيعه أي دونه بقليل وشيع كل شيء ما هو تبع له وهو من الشياع وهي حطب صغار يحمل مع الكبار تبعا لها وبه سميت الشيعة لأنها تبع للقوم لا يفارقونها في القوة والصوت الذي سمعه عمر من العجل يا جليح سمعت بعض أشياخنا يقول هو اسم شيطان والجليح في اللغة ما تطاير من رؤس النبات وسفي نحو القطن وشبهه والواحدة جليحة والذي وقع في السيرة يا ذريح وكأنه نداء للعجل الذبيح لقولهم أحمر ذريحي أي شديد الحمرة فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم ومن رواه يا جليح فما له الى هذا المعنى لأن العجل قد جلح أي كشف عنه الجلد فالله أعلم وهذا الرجل الذي كان كاهنا هو سواد بن قارب الدوسي في قول ابن الكلبي وقال غيره سوس وفيه يقول القائل

ألا لله علم لا يجارى * الى الغايات في جنبي سواد

أتيناه نسائله امتحانا * فلم يبعل وأخبر بالسداد

وهذان البيتان في شعر جرير ذكره على القالي في أماليه وروي عن ابن اسحق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه وأن عمر مازحه فقال ما فعلت كهانتك يا سواد فغضب وقال قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الأصنام وأكل الميتات أفتعيرني بأمر قد تبت منه فقال عمر حينئذ اللهم غفرا وذكر غير ابن اسحق في هذا الحديث أنه حدث عمر أن رئيه جاءه ثلاث ليال وهو في ذلك كله يقول أنشد أبياتا منها يقول فيها كاهنا من الآتي والمعطان فقال قم يا سواد واسمع مقالي واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته وأنشده في كل ليلة من الثلاث أبياتا

معناها واحد وقافيتها مختلفة

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذنابها

وقال له في الثانية

عجبت للجن وإبلاسها * وشدها العيس بأحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما طاهر الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس ذناباها الطير من رأسها

وقال له في الثالثة

عجبت للجن وتنفارها * وشدها العيس بأكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الأتقين من هاشم * ليس قداماها كأدبارها

* وذكر تمام الخبر وفي آخر شعر سواد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده ما كان من الجني رئيه ثلاث ليال وإتيانه وذلك قوله

أتاني نجيّ بعد هدء ورقدة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك نبي من لؤي بن غالب
فرفعت أذيال الإزار وشمرت * بي العرمس الوجناء حول السباسب
فأشهد أن الله لا شيء غيره * وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الأكرمين الأطايب
فمرنا بما يأتيك من وحي ربنا * وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد في دوس حين بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين بلغه ذلك سواد فقال يا معشر الأزد إن من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم ألا يتعظوا إلا بأنفسهم وإن من لم تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وإنما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس وقد علمتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد نال قوما أبعده لكم فظفر بهم وأوعدكم ما لم تكرهوا فأطيعوا أمره فإن كم من مؤلف عدد وكل بلاء مسئ الأمانى الى الناس ولا تنسوا أهل البلاء إلا أن تكونوا أذكر من أهل العافية للعافية وإنما كف نبي الله عنكم ما كفكم عنه فلم يزل الواحد من قبيلة أهل البلاء داخلين فيما فيه أهل العافية حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحط كريه كم معبر الخطيب عن الشاهد وهم الا ما بين العائب والغائب ولم أر يسرى له يكون له أبين حوله فإن يكن فالسلامة بها الا ما والله شيئا فاحموها فأجابه القوم وسمعوا قوله فقال في ذلك سواد بن قارب

لبيت مصدقك العداة سواد * وأرى الصبيحة بعدها برداد
أبهى الصيد الذي يجدد * صلى الاله عليه ماما اد
حرب العمرك في الفؤاد بحاجرا * وهل لمن ممدا الذي فؤاد
كأنما نحل به حادثا سريعا * حمل الحادث فاسد الرواد

ألم تر الى الجن وإبلاسها
وإياسها من دينها ولحوقها
بالقلاص وأحلاسها «قال
ابن هشام» هذا الكلام
سجع وليس بشعر قال
عبد الله بن كعب فقال عمر
بن الخطاب عند ذلك يحدث
الناس والله اني لعند وثن من
أوثان الجاهلية في نفر من
قريش قد ذبح له رجل من
العرب عجلا نحن ننتظر
قسمه ليقسم لنا منه اذ سمعت
من جوف العجل صوتا
ما سمعت صوتا قط أنفذ منه
وذلك قبيل الاسلام بشهر
أو شيعه يقول يا ذريح أمر
نجيح رجل يصيح يقول
لا اله الا الله «قال ابن
هشام» ويقال رجل
يصيح بلسان فصيح
يقول لا اله الا الله وأنشدني
بعض أهل العلم بالشعر
عجبت للجن وإبلاسها
وشدها العيس بأحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى
ما مؤمنو الجن كأنجاسها
باب ابتداء وقوع النبأ اليها
عن الكهان من العرب

﴿ إنذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ * قال ابن إسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا لما كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين «قال ابن هشام» يستفتحون يستنصرون ويستفتحون أيضا يتحاكمون وفي كتاب الله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين * قال ابن إسحق وحدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان سلمة من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الأشهل قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا علي بردة لي مضطجع فيها بفناء أهلي فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار قال فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان أو ترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه إياه فيطبقونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده إلى مكة واليمن فقالوا ومتى نراه قال فنظر إلي وأنا من أحدثهم سنا فقال إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت قال بلى وليس به * قال ابن إسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال قال لي هل تدري عمّ كان إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد نفر من بني هدل إخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا سادتهم في الإسلام قال قلت لا قال فإن رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبيل الإسلام بسنين فحل بين أظهرنا

وبكت عليه أرضنا وسماؤنا * وتصدعت وجدا أنه الأكباد

قل للمتابع به وكان عيانه * حلما أصمّ سكرته الرقاد

كان العيان هو الطريق وحربه * باق لعمرك في النفوس بلاد

إن النبي وفاته كحياته * الحق حق والجهاد جهاد

لو قيل تفدون النبي محمدا * بذلت له الأموال والأولاد

وتسارعت فيه النفوس ببذلها * هذا له الأعيان والأشهاد

هذا وهذا لا يرد نبينا * لو كان يفديه فداه سواد

إني أحاذر والحوادث جمة * أمرا لعاصفه ريحه إرعاد

إن حل منه ما نخاف فإنهم * للأرض إن رجفت بنا أوتاد

لو زاد قوم فوقهم في صاحب * زدتم وليس لمنه مزداد

فأعجب القوم شعره وقوله فجاءوا إلى ما أحب ومن هذا الباب خبر سوداء بنت زهرة بن كلاب وذلك أنها حين ولدت ورآها أبوها زرقاء شيماء أمر بوأدها وكانوا يئدون من البنات ما كان على هذه الصفة فأرسلها إلى الحجون لتدفن هنالك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها في البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر في المعنى فرجع إلى أبيها فأخبره بما سمع فقال إن لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبني زهرة إن فيكم نذيرة أو تلد نذيرا فاعرضوا علي بناتكم فعرضن عليها فقالت في كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو تلد نذيرا وهو خبر طويل ذكر الزبير منه يسيرا وأورده بطوله أبو بكر النقاش وفيه ذكر جهنم أعاذنا الله منها ولم يكن اسم جهنم معروفا عندهم فقالوا لها وما جهنم فقالت سيخبركم النذير بها

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن إسحق حديث سلمة بن سلامة بن وقش وما سمع من اليهودي حين ذكر الجنة والنار وقال آية ذلك نبي مبعوث قد أظل زمانه إلى آخر الحديث وليس فيه مشكل وابن وقش يقال فيه وقش بتحريك القاف وتسكينها والوقش الحركة

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ابن الهيبان وما بشر به من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأن ذلك كان سبب

لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس أفضل منه فأقام عندنا فكنا إذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعاً من تمر أو مدين من شعير قال فنخرجها ثم يخرج بنا إلى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح من مجلسه حتى يمر السحاب ويسقى قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث قال ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف أنه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع قال قلنا إنك أعلم قال فإني إنما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن إليه يا معشر يهود فإنه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية وكانوا شباباً أحداثاً يا بني قريظة والله إنه للنبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيبان قالوا ليس به قالوا بلى والله إنه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم قال ابن إسحاق فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود

حديث إسلام سلمان رضي الله عنه

قال ابن إسحاق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال حدثني سلمان الفارسي من فيه قال كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية [illegible] وكنت أحب خلق الله إليه [illegible]

[illegible]

إسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد وهم من بني هدل والهيبان من أسماء الصفات دال على أنه [illegible] وأنشد أبو حنيفة

طير اللعام الهيبان كأنا [illegible] حتى عشر سمه أنمداق الهدل

والهيبان أيضاً الجبان وقد قدمنا الاختلاف في هدل وأما أسيد بن سعية فقال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف المدني عن ابن إسحاق وهو أحد رواة المغازي عنه أسيد بن سعية بضم الألف وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق وهو قول الواقدي وغيره أسيد بفتحها قال الدارقطني وهذا هو الصواب ولا يصح ما قاله إبراهيم عن ابن إسحاق [illegible] هؤلاء [illegible] أهل الكتاب [illegible] الآية [illegible] بن العريض وهو بالسين المهملة والياء المنقوطة باثنتين [illegible] يهودياً كان وقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] الأنصاري [illegible] عبد المطلب [illegible] أردت الآن أعلم علمكم [illegible] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] أحوج [illegible] من الأذى [illegible] أهل [illegible] صاحب الحق [illegible] النبي عليه السلام [illegible] أسلم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الأول لم يذكره الدارقطني [illegible]

[illegible] سلمان [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]

من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم وقلت هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أي بني أين كنت أولم أكن عهدت إليك ما عهدت قال قلت يا أبت مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أي بني ليس في ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه قال قلت له كلا والله إنه لخير من ديننا قال فخافني فجعل في رجلي قيدا ثم حبسني في بيته قال وبعثت إلى النصارى فقلت لهم إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم قال فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم فقلت لهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم قال فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علما قالوا الأسقف في الكنيسة قال فجئته فقلت له إني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك فأتعلم منك وأصلي معك قال ادخل فدخلت معه قال وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فإذا جمعوا إليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق قال فأبغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه فقلت لهم إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا قال فقالوا لي وما علمك بذلك قال فقلت لهم أنا أدلكم على كنزه قالوا فدلنا عليه قال فأريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا قال فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا قال فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه قال يقول سلمان فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى أنه كان أفضل منه وأزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه قال فأحببته حبا لم أحبه شيئا قبله فأقمت معه زمانا ثم

حضرته الوفاة فقلت له يا فلان إني قد كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك ما ترى من أمر الله فإلى من توصي بي وبم تأمرني قال أي بني والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له يا فلان إن فلانا أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره قال فقال لي أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان إن فلانا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فإلى من توصي بي وبم تأمرني قال يا بني والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه إلا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحباي فقال أقم عندي فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فأقمت مع خير رجل فوالله ما لبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يا فلان إن فلانا كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني قال يا بني والله ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلا بعمورية من أرض الروم فإنه على مثل ما نحن عليه فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال أقم عندي فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم قال واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمة قال ثم نزل به أمر الله فلما حضر قلت له يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك فإلى من توصي بي وبم تأمرني قال أي بني والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل زمان نبي هو مبعوث بدين إبراهيم يخرج بأرض العرب مهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل قال ثم مات وغيب ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ثم مر بي نفر من كلب تجارا فقلت لهم احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه قالوا نعم فأعطيتهموها وحملوني حتى إذا قدموا بي وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدا فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي [illegible]

كانوا على الحق على دين عيسى بن مريم وكانوا قليلا يتداولونه سندا بعد سند وذكر في آخر الحديث أنه جمع شيئا فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليختبره أيأكل الصدقة أم لا فلم يسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقة هو أم هدية ولا من أين لك هذا ففي هذا من الفقه قبول الهدية وترك سؤال المهدي وكذلك الصدقة وفي الحديث من قدم إليه طعام فليأكل ولا يسأل وقد ذكر أبو عبيد في كتاب الأموال حديث سلمان حجة على من قال إن العبد لا يملك وقال لو كان لا يملك ما قبل النبي صلى الله عليه وسلم صدقته ولا هديته

قريظة من المدينة فابتاعني منه فاحتملني إلى المدينة فوالله ما هو إلا أن رأيتها عرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر إلى المدينة فوالله إني لفي رأس عذق لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بني قيلة والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي «قال ابن هشام» قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة أم الأوس والخزرج قال النعمان بن بشير الأنصاري يمدح الأوس والخزرج

بهاليل من أولاد قيلة لم يجد * عليهم خليط في مخالطة عتبا
مساميح أبطال يراحون للندى * يرون عليهم فعل آبائهم نحبا

وهذان البيتان في قصيدة له «قال ابن إسحاق» وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال قال سلمان فلما سمعتها أخذتني العرواء «قال ابن هشام» العرواء الرعدة من البرد والانتفاض فإن كان مع ذلك عرق فهي الرحضاء وكلاهما ممدود حتى ظننت أني سأسقط على سيدي فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ماذا تقول فغضب سيدي فلكمني لكمة شديدة ثم قال ما لك ولهذا أقبل على عملك قال قلت لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال وقد كان عندي شيء قد (١٤٤) جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شيء قد كان عندي للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم قال فقربته إليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه كلوا وأمسك يده فلم يأكل قال فقلت في نفسي هذه واحدة قال ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ثم جئته به فقلت إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة فهذه هدية أكرمتك بها قال فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه قال فقلت في نفسي هاتان اثنتان قال ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه علي شملتان لي وهو جالس في أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت إلى الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكي فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر وأحد قال سلمان ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها له بالفقير وأربعين أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه أعينوا أخاكم فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين ودية والرجل بخمس عشرة ودية والرجل بعشر يعين الرجل بقدر ما عنده حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا سلمان ففقر لها فإذا فرغت فأتني أكن أنا أضعها بيدي قال ففقرت وأعانني أصحابي حتى إذا فرغت جئته فأخبرته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي إليها فجعلنا نقرب إليه الودي ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغنا فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة فأديت النخل وبقي علي المال فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال ما فعل الفارسي

لأصحابه كلوا ولم يأكل الصدقة ذكر غير ابن إسحاق في حديث سلمان الوجه الذي جمع منه سلمان ما أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قال سلمان كنت عبدا لامرأة فسألت سيدتي أن تهب لي يوما فعملت في ذلك اليوم على صاع أو صاعين من تمر وجئت به النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته لا يأكل الصدقة سألت سيدتي أن تهب لي يوما آخر فعملت فيه على ذلك ثم جئت به هدية للنبي صلى الله عليه وسلم فقبله وأكل منه فبين في هذه الرواية الوجه الذي جمع به سلمان ما ذكر في حديث ابن إسحاق والصدقة التي قال النبي عليه السلام لا تحل لمحمد ولا لآل محمد هي الفرض دون التطوع قال الشافعي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن تحل له صدقة الفرض ولا التطوع وهو معنى قول مالك وقال الزهري لا تحل الصدقة لآل محمد فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم لأن مولى القوم من أنفسهم بذلك جاء الحديث وقال مالك تحل لمواليهم وقالت جماعة منهم أبو يوسف لا تحل لآل محمد صدقة غيرهم وتحل لهم صدقة بعضهم على بعض وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وقول سلمان فأتيت رسول الله وهو في جنازة بعض أصحابه صاحب الجنازة الذي مات في تلك الأيام كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال الطبري أول من مات من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة بأيام قلائل كلثوم بن الهدم ثم مات بعده أسعد بن زرارة

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن إسحاق في مكاتبة سلمان الفقير لكل ودية أي حفر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعها كلها بيده فلم تمت منها ودية واحدة وذكر البخاري حديث سلمان كما ذكره ابن

المكاتب قال فدعيت له فقال خذ هذه فأدها مما عليك يا سلمان قال قلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي فقال خذها فإن الله سيؤدي بها عنك قال فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم منها وعتق سلمان فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الخندق حرا ثم لم يفتني معه مشهد * قال ابن إسحق وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان أنه قال لما قلت وأين تقع هذه من الذي علي يا رسول الله أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ثم قال خذها فأوفهم منها فأخذتها فأوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية * قال ابن إسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال حدثت عن سلمان أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره خبره إن صاحب عمورية قال له ائت كذا وكذا من أرض الشام فإن بها رجلا بين غيضتين يخرج في كل سنة من هذه الغيضة إلى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الأسقام فلا يدعو لأحد منهم إلا شفي فاسأله عن هذا الدين الذي تبتغي فهو يخبرك عنه قال سلمان فخرجت حتى أتيت حيث وصف لي فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هناك حتى خرج لهم تلك الليلة مستجيزا من إحدى الغيضتين إلى الأخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض إلا شفي وغلبوني عليه فلم أخلص إليه حتى دخل الغيضة التي يريد أن يدخل إلا منكبه قال فتناولته فقال من هذا والتفت إلي فقلت يرحمك الله أخبرني عن الحنيفية دين إبراهيم قال إنك لتسأل عن شيء ما يسأل عنه الناس اليوم قد أظلك زمان نبي يبعث بهذا الدين من أهل الحرم فأته فهو يحملك عليه قال ثم دخل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتني يا سلمان لقد لقيت عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام * ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبد الله بن جحش وعثمان ابن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل * قال ابن إسحق واجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكان ذلك عيدا لهم في كل سنة يوما فخلص منهم أربعة نفر نجيا ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض قالوا أجل وهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي وعبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصي وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي فقال بعضهم لبعض تعلموا والله ما قومكم على شيء لقد أخطؤوا دين أبيهم إبراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع يا قوم التمسوا لأنفسكم فإنكم والله ما أنتم على شيء فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين إبراهيم فأما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة فلما قدمها تنصر وفارق الإسلام حتى هلك هنالك نصرانيا

إسحق غير أنه ذكر أن سلمان غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها فعاشت كلها إلا التي غرس سلمان هذا معنى حديث البخاري

﴿فصل﴾ وذكر عن داود بن الحصين قال حدثني من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال قال سلمان للنبي صلى الله عليه وسلم وذكر خبر الرجل الذي كان يخرج مستجيزا من غيضة إلى غيضة ويلقاه الناس بمرضاهم فلا يدعو لمريض إلا شفي وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن كنت صدقتني يا سلمان فقد رأيت عيسى ابن مريم. انتهى هذا الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال إن ذلك الرجل هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف بإجماع منهم فإن صح الحديث فلا نكارة في متنه فقد ذكر الطبري أن المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذي فيه الصليب يبكيان فكلمهما وأخبرهما أنه لم يقتل وأن الله رفعه وأرسل إلى الحواريين ووجههم إلى البلاد وإذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا ولكن لا يعلم أنه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء في الصحيح والله أعلم ويروى أنه إذا نزل تزوج امرأة من جذام ويدفن إذا مات في الروضة التي بها النبي عليه السلام

﴿فصل﴾ وذكر حديث ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل وما ساق من أخبارهم وقال زيد بن عمرو بن نفيل إلى آخر نسبه والمعروف في نسبه واسب ابن عمه عمر بن الخطاب نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح فقدم رياحا على عبد الله ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر وزعم الدارقطني أنه رزاح بالفتح وأما رياح فالكسر ورياح بن ربيعة أخو قصي لأمه الذي قدم ذكره وأم زيد بن عمرو الجيداء بنت خالد الفهمية وهي امرأة جده نفيل ولدت له الخطاب فالخطاب أخو زيد لأمه وابن أخيه وكان ذلك مباحا في الجاهلية بشرع متقدم ولم يكن من الحرمات التي انتهكوها ولا من العظائم

عليه وسلم وهم هنالك من أرض الحبشة فيقولون فقحنا وصأصأتم أي أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه لينظر صأصأ لينظر وقوله فقح فتح عينيه * قال ابن اسحق وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن علي بن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري فخطبها عليه النجاشي فزوجه إياها وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار فقال محمد بن علي ما نرى عبد الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار إلا عن ذلك وكان الذي أملكها للنبي صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص * قال ابن اسحق وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده «قال ابن هشام» ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث

إلى ابنه عوهلا لأنه أمر كان في عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنانة تزوج امرأة أبيه خزيمة وهي برة بنت مر فولدت له النضر بن كنانة وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه واقدة فولدت له ضعيفة ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يلد جد أبيه أعني واقدة وقد قال عليه السلام أنا من نكاح لا من سفاح ولذلك قال سبحانه «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف» أي إلا ما سلف من تحليل ذلك قبل الإسلام وفائدة هذا الاستثناء ألا يعاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم أنه لم يكن في أجداده من كان لغية ولا من سفاح ألا ترى أنه لم يقل في شيء نهى عنه في القرآن إلا ما قد سلف نحو قوله «ولا تقربوا الزنا» ولم يقل إلا ما قد سلف «ولا تقتلوا النفس التي حرم الله» ولم يقل إلا ما قد سلف ولا في شيء من المعاصي التي نهى عنها إلا في هذه وفي الجمع بين الأختين لأن الجمع بين الأختين قد كان مباحا أيضا في شرع من قبلنا وقد جمع يعقوب بين راحيل وأختها ليا فقوله إلا ما قد سلف التفات إلى هذا المعنى وتنبيه على هذا المغزى وهذه النكتة أسهب في شرحها الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن العربي رحمه الله وزيد بن عمرو هذا هو والد سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم بالجنة وأم سعيد فاطمة بنت بعجة بن خلف الخزاعي * وذكر قول عبيد الله بن جحش حين تنصر بالحبشة فقحنا وصأصأتم وشرح فقحنا بقوله فقح الجرو إذا فتح عينيه وهكذا ذكره أبو عبيد وزاد فقصص أيضا وذكر أبو عبيد فقصص بالصاد حكاها عن أبي زيد وقال القالي إنما رواه البصريون عن أبي زيد بالسين وغلطوا فيه لأن الباء تبدل من الميم كثيرا كما تقول ... والرواية أي عبيد وجه وهو أن يكون فقص من التفقيص وهو الترقي

﴿فصل﴾ وذكر عثمان بن الحويرث مع زيد وورقة وعبيد الله بن جحش ثم قال وأما عثمان بن الحويرث فإنه ذهب إلى الشام وله فيها مع قيصر خبر ولم يذكر ذلك الخبر وذكر البرقي عن ابن اسحق أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر فقال له إني أجعل لك خراجا على قريش إن جاؤوا الشام لتجارتهم وإلا منعتهم فأراد قيصر أن يفعل فخرج سعيد بن العاصي بن أمية وأبو ذئب وهو هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر إلى الشام فأخذ ابن الحويرث أبا ذئب في الحبس وأما سعيد بن العاصي فإنه خرج إلى الوليد بن المغيرة وهو أمية فاحتالوا في حديث طويل رواه ابن اسحق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس وأبو ذئب الذي ذكر هو جد الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب ويكنى أبا الحارث وهو من أهل المدينة وأمه بريهة بنت عبد الرحمن بن أبي ... وابن الزبير قد ذكر أن عثمان كان قد توج عمارة ... فلما أعياهم ذلك أعوام أن ... الأسود بن أسد بن عبد العزى إلا أن ... لا ... ذلك فلم ... وكان ... طريق ... سم وماتت ... عمرو بن جفنة الغساني الملك

﴿فصل﴾ وذكر اعتزال زيد الأوثان وتركه أكل ما ذبح على النصب روى البخاري عن محمد بن أبي بكر قال حدثنا فضيل بن سليمان قال أخبرنا موسى قال حدثني سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي عليه السلام الوحي فقدمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم سفرة فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه وأن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الأرض

منعني من ذكره ما ذكرت في حديث الفجار * قال ابن اسحق وأما زيد
ابن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الأوثان والميتة والدم والذبائح التي تذبح على الأوثان

الكلا

الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله، إنكاراً لذلك وإعظاماً له. قال موسى بن عقبة حدثني سالم بن عبد الله ولا أعلم إلا
ما تحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقي عالماً من اليهود
فسأله عن دينهم وقال إني لعلي أن أدين بدينكم فأخبروني فقال لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من
غضب الله قال زيد ما أفر إلا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنى أستطيعه فهل تدلني على
غيره قال ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً قال وما الحنيف قال دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا
الله فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى فذكر له فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال
ما أفر إلا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنى أستطيع فهل تدلني على غيره
قال ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً قال وما الحنيف قال دين إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا يعبد إلا الله
فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم وقال
الليث كتب إلي هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالت رأيت زيد بن
عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين إبراهيم غيري وكان
يحيي الموؤدة يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فإذا ترعرعت قال لأبيها
إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤنتها إلى هاهنا انتهى حديث البخاري وذكر قوله ﴿فصل﴾ كيف
وفق الله زيداً إلى ترك أكل ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان
أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية لما ثبت الله له ﴿فالجواب﴾ من وجهين (أحدهما) أنه ليس في الحديث حين
لقيه ببلدح فقدمت إليه السفرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منها وإنما في الحديث أن زيداً قال حين
قدمت السفرة لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه (الجواب الثاني) أن زيداً إنما فعل ذلك برأي رآه لا بشرع
متقدم وإنما تقدم شرع إبراهيم بتحريم الميتة لا بتحريم ما ذبح لغير الله وإنما نزل تحريم ذلك في الإسلام
وبعض الأصوليين يقولون الأشياء قبل ورود الشرع على الإباحة فإن قلنا بهذا وقلنا إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يأكل مما ذبح على النصب فإنما فعل أمراً مباحاً وإن كان لا يأكل منها فلا إشكال وإن قلنا
أيضاً إنها ليست على الإباحة ولا على التحريم وهو الصحيح فالذبائح خاصة لها أصل في تحليل الشرع المتقدم
كالشاة والبعير ونحو ذلك مما أحله الله تعالى في دين من كان قبلنا ولم يقدح في ذلك التحليل المتقدم ما ابتدعوه
حتى جاء الإسلام وأنزل الله سبحانه «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه» ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل
الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ولم يقدح في التحليل ما أحدثوه من الكفر وعبادة
الصلبان فكذلك كان ما ذبحه أهل الأوثان محلاً بالشرع المتقدم حتى خصه القرآن بالتحريم

﴿فصل﴾ وذكر خبر الموؤدة وما كان زيد يفعل في ذلك وقد كان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق رحمه الله
يفعل مثل ذلك فلما أسلم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لي في ذلك من أجر فقال في أصح الروايتين
لك أجره إذ من الله عليك بالإسلام وقال المبرد في الكامل عن النبي صلى الله عليه وسلم كلاماً لم يصح له طريقه
ولا أشبه له أصلاً والأصول تشهد لهذه الرواية التي ذكرناها المبارك أن الكافر إذا أسلم وحسن
إسلامه كتب له كل حسنة كان زلفها وهذا الحديث أخرجه البخاري ولم يذكر كل حسنة كان زلفها
وذكره الدارقطني من غير طريق وتكون الحسنة بعد ذلك الحسنة بعشر أمثالها والموؤدة مقولة من آد إذا
أثقل قال الفرزدق

ومنا الذي منع الوائدات … وأحيا الوئيد فلم يوأد

عزلت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الجلد الصبور فلا عزى أدين ولا ابنتيها * ولا صنمي بني عمرو أزور

ولا غنما أدين وكان ربا * لنا في الدهر اذ حلمي يسير
عجبت وفي الليالي معجبات * وفي الايام يعرفها البصير
بأن الله قد أفنى رجالا * كثيرا كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم * فيربل منهم الطفل الصغير
وبينا المرء يعثر ثاب يوما * كما يتروح الغصن المطير
ولكن أعبد الرحمن ربي * ليغفر ذنبي الرب الغفور
وتقوى الله ربكم احفظوها * متى ما تحفظوها لا تبور
ترى الابرار دارهم جنان * وللكفار حامية سعير
وخزي في الحياة وان يموتوا * يلاقوا ما تضيق به الصدور
... ابن ... عمرو بن نفيل أيضا ... قال ابن هشام ... أبي الصلت في قصيدة له الا الدين الاولى والاست ... الاثن واخر ... الى الله ... الاله الدسر ... الى الملك الاعلى الذي ليس فوقه ولا رب يكون مدانيا
واياك لا تجعل مع الله غيره * فان سبيل الرشد أصبح باديا حنانيك ان الجن كانت رجاءهم * وانت الهي ربنا ورجائيا

تعني بذلك صعصعة بن معاوية بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع وقد قيل كانوا يفعلون ذلك غيرة على البنات وما قاله الله في القرآن هو الذي من قوله «خشية املاق» وذكر النقاش في التفسير انهم كانوا يئدون من البنات ما كان منهن زرقاء أو برشاء أو شيماء أو كشحاء تشاؤما منهم بهذه الصفات قال الله تعالى «واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت»

﴿فصل﴾ وذكر شعر زيد بن عمرو وفيه * عزلت اللات والعزى جميعا * فأما اللات فقد تقدم ذكرها وأما العزى فكانت نخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحي قد أخبرهم فيما ذكر أن الرب يشتي بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتا وكانوا يهدون اليها كما يهدون الى الكعبة وهي التي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليكسرها وقال له ائتها يا خالد فاقطعها فاحدع وسكم فهدمها خالد وترك مجاهد منها واساسها فقال فهما والله لتعودن ولتسمعن من فعل بها فذكر والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخالد هل رأيت فيها شيئا فقال لا فأمره ان يرجع ويستأصل فهما بالهدم فرجع خالد فاخرج أساسها فوجد فيها امرأة سوداء ناشرة الشعر ... ووجهها ... وهو يقول لا تعبد العزى بعد اليوم هذا معنى ما ذكره ... وذكر الاربعة في ... وقوله فيربل منهم الطفل الصغير ... في حاشية الشيخ أبي بحر ... الطفل ... وعظم ... أي يكبر ... أحد ... الارض * وقوله كما يتروح الغصن أي ينبت ورقه بعد سقوطه * وقوله وللكفار حامية سعير نصب حامية على الحال من سعير لان نعت النكرة اذا قدم عليها نصب على الحال وانشد سيبويه ... لمية موحشا طلل * وانشد ايضا

وتحت العوالي والقنا مستظلة * ظباء أعارتها العيون الجآذر

والعامل في هذا الحال الاستقرار الذي في الظرف ... وهذا الحال على مذهب أبي الحسن الاخفش لا اعتراض فيه لانه يعمل النكرة التي بعدها ... بالظرف ارتفاع الفاعل وأما على مذهب سيبويه فالنكرة ... لا ... أن يعملها حالا من المضمر في الاستقرار لانه معرفة وذلك أولى من ان يكون حالا من النكرة فان قدر الاستقرار ... الكلام ... المرفوع ان ذلك فاسد ... الحال على العامل المعنوي والاسم ... وصفحة هذا

فصل ﴿﴾ وانشد لزيد * الى الله اهدي مدحتي وثنائيا ... الا ايها الانسان اياك والردى * ... والردى هو الرب فظاهر اللفظ ... وانما هو ... الموت ... من جراء الاعمال ولذلك قال * فانك لا تخفى من الله خافيا *

واني وان سبحت ... لاكثر الا ما غفرت خطائيا

معنى البيت اني لا اكثر من هذا الدعاء الذي ... الا ما غفرت ... وان ... من ... كما قال ... اي لا اكثر من هذا الدعاء الذي ... الا ... لا أعبد وان ... الاعلى دعائك ... من خطاياي * وقوله ... قال ... ان كانوا يذهبوا الى النفي ... والانكار لا الى الحصر على ... (قال المؤلف رحمه الله) ويجوز أن يريد ... الدنيا ... الآخرة ... يقول طرفة ... أبو ... * ...

رضيت بك اللهم ربا فلن أرى * أدين إلها غيرك الله ثانيا وأنت الذي من فضل من ورحمة * بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت له اذهب وهرون فادعوا * الى الله فرعون الذي كان طاغيا وقولا له أأنت سويت هذه * بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له أأنت رفعت هذه * بلا عمد أرفق اذا بك بانيا وقولا له أأنت سويت وسطها * منيرا اذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة * فيصبح ما مست من الارض ضاحيا وقولا له من ينبت الحب في الثرى

يرتحان دمع وحنان مع لان كل من أمل ما كان فانما يؤمله ليدفع عنه ضرا او ليجلب اليه خيرا * وقوله فلن ارى ادين إلها اى أدين لاله وحذف اللام وعدى الفعل لانه في معنى اعبد الها * وقوله غيرك الله رفع الهاء اراد يا الله وهذا لا يجوز رفيما فيه الالف واللام الا ان حكم الالف واللام في هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها في سائر الاسماء الا ترى انك تقول يا ايها الرجل ولا تنادى اسم الله بيا ايها وتقطع همزته في النداء وتقول يا الله ولا يكون ذلك في اسم غيره الى احكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم غيره من الاسماء المعرفة ولعل بعض ذلك ان يذكر فيما بعد ان شاء الله وقد استوفيناه في غير هذا الكتاب وفيه بيت حسن لم يذكره ابن اسحق وذكره ابو الفرج في اخبار زيد وهو

أدين إلها يستجار ولا ارى * أدين لمن لم يسمع الدهر داعيا

وفيه فقلت الا يا اذهب على حذف المنادى كانه قال الا يا هذا اذهب كما قرئ الا يا اسجدوا يريد يا قوم اسجدوا وكما قال غيلان * ألا يا اسلمي يا دارمي على البلى * وفيه اذهب وهارون عطفا على الضمير في اذهب وهو قبيح اذ لم يؤكد ولو نصبه على المفعول معه لكان جيدا * وقوله اطمأنت كما هيا زائدة ابو علي لان الميم أصلها أن تكون بعد الالف لانه من تطامن أى تطأطأ وانما قدموها بعد الهمزة الى تى غير الهمزة من همزة الوصل ويكون أخف عليهم في اللفظ كما فعلوا في أشياء حين قلبوها في قول الخليل وسيبويه قراءة من قرأ الهمزتين كما هيا ما زائدة ليكف الكاف عن العمل ويهيئها للدخول على الجمل وهى اسم مبتدأ والخبر محذوف المقدر كما هى عليه والكاف في موضع نصب على الحال من المصدر الذي دل عليه اطمأن كما تقول سرت مثل سير زيد فمثل حال من مصدر لك الذي سرته وهو فارق اذا لم يأت الرفق بعجب وانك في موضع رفع لان المعنى رفعت وبنيانا بر لانه يصلح أن يحرن كما قيل أحسن بزيد من رجل وحرف الجر ملغى في المعنى اذ قد علم انك تعجب منه ولابسط هذا المعنى واكثر موضع غير هذا ان شاء الله وبعد قوله * وقد بات في أضعاف حوت لياليا * بيت لم يذكره ابن اسحق ووقع في جامع ابن وهب وهو

وانبت يقطينا عليه برحمة * من الله لولا ذاك أصبح ضاحيا

* وذكره من اسم الحضرمي واسم الحضرمي عبد الله بن عماد وسيأتي ذكر اسمه عند ذكر اخيه العلاء * وقوله يغموض أبواب الملك يريد لا ساق أبواب الملوك واصل الغموض في غموض الماء فاستعاره او كذلك جاء في حديث أبي ذر ومن رواه صغار كم دعاميص الجنة وكانت عائشة ألا يصفور حين نظرت الى طفل صغير فقالت طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا خرجه مسلم وفي هذه الاحاديث حرم في موضعين أحدهما قوله ولو شاء لملت ابعد عدى معاشه وبانا والآخر قوله وانما هذا الهوان الذي هو عيرا بو هى انا فقد تقدم في هذا شعر ابن الزبعرى وبكلمة اعانه الله عليه كاملة

لطلب الحنيفية دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم وكتاب من بنات الحضرمي كذا ابيه ثم الخروج اراد آد دين الخطاب بن نفيل عمه وأخاه لامه وكان يعاتبه على فراق دين قومه وكان الخطاب قد وكل به ... وقال انا رأيته يد ... لاسمى في الهوان ... في اذا خفت الهوان ... يغموض ابواب الملوك ...
مطالع أسباب ...

وقولي إني لا أذل * بصك خده صلابته وأخي ابن أمي ثم عمي * لا يواتيني خطابه

وإذا يعاتبني بسوء * قلت أعياني جوابه ولو أشاء لقلت ما * عندي مفاتحه وبابه

* قال ابن إسحق وحدثت عن بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيدا كان إذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال لبيك حقا حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به إبراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم إذ قال أنفي لك اللهم عان راغم * مهما تجشمني فإني جاشم البر أبغي لا الخال ليس مهجر كمن قال «قال ابن هشام» ويقال البر أبقى لا الخال ليس مهجر كمن قال قال وقوله مستقبل الكعبة عن بعض أهل العلم * قال ابن إسحق وقال زيد بن عمرو بن نفيل

وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له الأرض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت * على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا
إذا هي سيقت إلى بلدة * أطاعت فصبت عليها سجالا

(١٥٠)

وكان الخطاب قد آذى زيدا حتى أخرجه إلى أعلى مكة فنزل حراء مقابل مكة ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة فكان لا يدخلها إلا سرا منهم فإذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فأخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم على فراق ما هم عليه وقال وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه

اللهم إني محرم لا حله
وإن بيتي أوسط المحله
عند الصفا ليس بذي مضله

ثم خرج يطلب دين إبراهيم عليه السلام ويسأل الرهبان والأحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجال الشام كله حتى انتهى إلى راهب بميفعة من أرض البلقاء كان ينتهي إليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين إبراهيم فقال إنك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين إبراهيم الحنيفية فالحق بها فإنه مبعوث الآن هذا زمانه وقد كان شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئا منهما فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى إذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما * تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله * وتركك أوثان الطواغي كما هيا
وإدراكك الدين الذي قد طلبته * ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت في دار كريم مقامها * تعلل فيها بالكرامة لاهيا
تلاقي خليل الله فيها ولم تكن * من الناس جبارا إلى النار هاويا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه * ولو كان تحت الأرض سبعين واديا

«قال ابن هشام» يروى لأمية بن أبي الصلت البيتان الأولان منها وآخرها بيتا في قصيدة له وقوله أوثان الطواغي عن غير ابن إسحق

---

* وقوله وقولي إني لا أذل أي قول العبد لك بصك [illegible] صلابته أي صلابة ما يوضع عليه وأضافها إلى العبد لأنها عنقه وحمله * وقد ذكر قوله البر أبغي لا الخال قال ابن هشام البر أبقى بالقاف والخال الخيلاء والكبر * وقوله ليس مهجر كمن قال أي ليس من هجر وسكن كمن آثر القائلة والنوم [illegible] ولكن لا [illegible] قال أهل اللغة [illegible] من هذا الفعل موضع غيره [illegible] وقول زيد إني محرم لا حله محرم أي ساكن بالحرم والحل أهل الحل [illegible] للواحد والجمع [illegible] والناس فيها [illegible] وقوله شام اليهود والنصرانية [illegible] كما قال زيد بن [illegible] من [illegible] اليهود [illegible] والنصرانية [illegible] كما تقدم وقوله ورقة رشدت وأنعمت ابن عمرو أي رشدت وبالغت في الرشد كما يقال [illegible] وقوله ولو كان تحت الأرض سبعين واديا [illegible] على الحال لأنه قد تكون [illegible] كما قال * [illegible] وما [illegible] تكون حالا من النكرة [illegible] حالا من [illegible] تحت الأرض [illegible] كما يقول [illegible] بعينه [illegible] فارسا [illegible] هو ما ذكر [illegible] كذلك قول الشاعر

لا نعد وافلوا أن طول قرابه * مثل اذا نطم الفوارس ميلا

أي نطمهم نطما مستطيلا ووضع ميلا موضع مستطيلا فاعرابه كاعرابه فهو وصف للمصدر واذا أقيم الوصف مقام الموصوف في هذا الباب لم يكن حالا من الفاعل لكن من المصدر الذي يدل الفعل عليه بلفظه نحو سار واطو يلا وسقيتها أحسن من سوى الك ونحو ذلك

﴿ فصل ﴾ وذكر يحنس الحواري وسيأتي في آخر الكتاب ذكر الحواريين كلهم باسمائهم وذكر قوله أبغضني وبي مجانا أي باطلا وكذلك جاء في الحكمة يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا أي بلا عوض وفي وصاياه الحكماء شاو رذوي الاسنان والعقول تعطوك من رأيهم مجانا ما أحدوه بالثمن أي بطول التجارب ومن صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو قال وجدت في التوراة صفة النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء فيفتح به عيونا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بان يقولوا لا اله الا الله ومما وجد من صفته صلى الله عليه وسلم عند الاحبار ما ذكره الواقدي من حديث النعمان السبئي قال وكان من أحبار يهود باليمن فلما سمع بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدم عليه فسأله عن أشياء ثم قال ان ابي كان يختم على سفر يقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال نعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه انك خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك أحمد وامتك الحامدون قربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم وهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدق به فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع أصحابه حديثه فاتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرؤي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يتبسم ثم قال اشهد اني رسول الله وهو الذي قتله الاسود العنسي وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه بالنار

﴿ كتاب المبعث ﴾

ذكر ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام وهذا مروي عن ابن عباس وجبير بن مطعم وقباث بن أشيم وعطاء وسعيد بن المسيب وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالاثر وقد روي أنه نبئ لأربعين وشهرين من مولده وقيل لقباث بن أشيم من أكبر أنت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله أكبر مني وأنا أسن منه وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بي أمي على روث الفيل ويروى خزق الطير فرأيته أخضر محيلا أي قد أتى عليه حول وفي غير رواية البكائي من هذا الكتاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال لا يفتك صيام يوم الاثنين فاني قد ولدت فيه وبعثت فيه وأموت فيه ويوم ذكر ابن اسحق نزول القرآن

عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها انها حدثته ان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به رؤيا في نومه الا جاءت كفلق الصبح قالت وحبب الله تعالى اليه الخلوة فلم يكن شيء أحب اليه من أن يخلو وحده * وقال ابن اسحق وحدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء ابن جارية الثقفي وكان واعية عن بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضي الى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله قال فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله فلا يرى الا الشجر والحجارة فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث ثم جاءه

للذي آتيتكم من كتاب وحكمة ولا يصح أن تكون في موضع نصب على اضمار فعل كما ينصب ما يشتغل عنه الفعل بضميره لأن ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها وما لا يجوز أن يعمل فيما قبله فلا يجوز أن يكون تفسيرا لما يعمل فيه وقد قيل ان ما ههنا شرط والتقدير لمهما آتيتكم من كتاب وحكمة لتؤمنن به وهو ظاهر قول سيبويه لأنه جعلها بمنزلة ان وقول الخليل انها بمنزلة الذي أي انها اسم لا حرف ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا فتكون اسما وتكون شرطا وتحتمل أيضا أن تكون على قول الخليل خبرية في موضع رفع بالابتداء وتكون الخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وان كان الضميران عائدين على الرسول لا على الذي ولكن لما قال رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغني بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدأ وله نظير في القرآن منه قوله تعالى «والذين يتوفون منكم» ثم قال يتربصن بأنفسهن ولم يعد على المبتدأ شيء لما اشتبك الكلام بعضه ببعض وقد لاح لي بعد نظري الكتاب ان الذي قاله الخليل وقول سيبويه قول واحد غير أنه قال ودخول اللام على ما كدخولها على ان يعني في الجزاء ولم يرد ان تعمل ما جزاء وانما تكلم على اللام خاصة والله أعلم * وذكر قول ابن اسحق والنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيعها الا أهل القوة والعزم من الرسل * ووقع في رواية يونس عن ابن اسحق في هذا الموضع عن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن قال سمعت وهب بن منبه وهو في مسجد منى وذكر له يونس النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حملت عليه أثقال النبوة وله أثقال تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فألقاها عنه وخرج هاربا [illegible] عن ابن اسحق ان أولي العزم من الرسل منهم نوح وهود وابراهيم أما نوح فقوله «يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله» وأما هود فقوله «اني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون» وأما ابراهيم فقوله هو والذين معه «انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله» وأمر الله نبيه أن يصبر كما صبر هؤلاء

(فصل) وذكر ابن اسحق ما بدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من النبوة اذ كان لا يمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وفي مصنف الترمذي وقد أخرجه مسلم أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن ينزل علي وفي بعض المسندات زيادة ان هذا الحجر الذي كان يسلم عليه هو الحجر الاسود وهذا التسليم الاظهر فيه أن يكون حقيقة وأن يكون الله أنطقه انطاقا كما خلق الحنين في الجذع ولكن ليس من شرط الكلام الذي هو صوت وحرف الحياة والعلم والارادة لأنه صوت كسائر الاصوات والصوت عرض في قول الاكثرين ولم يخالف فيه الا النظام فانه زعم أنه جسم وجعله الاشعري اصطكاكا في الجواهر بعضها لبعض وقال أبو بكر بن الطيب ليس الصوت نفس الاصطكاك ولكنه معنى زائد عليه والاشبه عندي [illegible] على الجواهر [illegible] الكلام [illegible] فالحجر والشجر والصوت عبارة [illegible] بدون اشتراط الحياة والعلم مع الكلام والله أعلم أي ذلك كان أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم فيكون الحجر به مؤمنا أو كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة وفي كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة [illegible] الجذع [illegible] وقد يحتمل [illegible] الحجارة أن يكون [illegible] قوله تعالى «واسأل القرية» والأول أظهر وان كان [illegible] على [illegible] عليه السلام [illegible] معارضة

[illegible]

* قال ابن اسحق وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام قال فقال عبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله ابن الزبير ومن عنده من الناس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والتحنث التبرر * قال ابن اسحق وقال أبو طالب

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه ... وراق ليرقى في حراء ونازل

«قال ابن هشام» تقول العرب التحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء كما قالوا جدف وجدث يريدون القبر قال رؤبة بن العجاج لو كان أحجاري مع الاجداف يريد الاجداث وهذا البيت في أرجوزة له وبيت أبي طالب في قصيدة له سأذكرها ان شاء الله في موضعها «قال ابن هشام» وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول فم في موضع ثم يبدلون الفاء من الثاء * قال ابن اسحق حدثني وهب بن كيسان قال قال عبيد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدأ به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه الله تعالى فيها وذلك الشهر رمضان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى اذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني جبريل وأنا نائم

* وذكر حديث عبيد بن عمير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجاور بغار حراء ويتحنث فيه قال والتحنث التبرر تفعل من البر وتفعل يقتضي الدخول في الفعل وهو الاكثر فيها مثل تفقه وتعبد وتنسك وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطي الخروج عن الشيء واطراحه كالتأثم والتحرج والتحنث بالثاء المثلثة لانه من الحنث وهو الحمل الثقيل وكذلك التقذر انما هو تباعد عن القذر وأما التحنف بالفاء فهو من باب التبرر لانه من الحنيفية دين ابراهيم وان كان الفاء مبدلة من الثاء فهو من باب التقذر والتأثم وهو قول ابن هشام واحتج بجدف وجدث وأنشد قول رؤبة * لو كان أحجاري مع الاجداف * وفي بيت رؤبة هذا شاهد ورد على ابن جني حيث زعم في سر الصناعة أن جدف بالفاء لا يجمع على أجداف واحتج بهذا المذهب في أن الثاء هي الاصل وقول رؤبة يرد عليه والذي يذهب اليه ان الفاء هي الاصل في هذا الحرف لانه من الجدف وهو القطع ومنه مجداف السفينة وفي حديث عمر في وصف الجن شرابهم الجدف وهي الرغوة لانها تجدف عن الماء وقيل هي نبات يقطع ويؤكل وقيل كل اناء كشف عنه غطاؤه جدف والجدف القبر من هذا فله مادة وأصل في الاشتقاق فأجدر بأن تكون الفاء هي الاصل والثاء داخلة عليها * وقوله يجاور في حراء الى آخر الكلام الجوار بالكسر في معنى المجاورة وهي الاعتكاف ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد كذلك قال ابن عبد البر ولذلك لم يسم جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد ولكنه من جبال الحرم وهو الجبل الذي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عني فاني أخاف أن تقتل على ظهري فأعذب فناداه حراء الي الي يا رسول الله

﴿فصل﴾ وذكر نزول جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث فأتاني وأنا نائم وقال في آخره فهببت من نومي وكأنما كتبت في قلبي كتابا وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على ان نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ كان في اليقظة لانها قالت في أول الحديث أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب الله اليه الخلاء الى قولها حتى جاءه الحق وهو بغار حراء فجاءه جبريل فذكرت في هذا الحديث ان الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي عليه السلام بالقرآن وقد يمكن الجمع بين الحديثين بان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به لان أمر النبوة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف وسيأتي في حديث الاسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه وقد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي فعلى هذا كان نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم في أحوال مختلفة فمنها النوم كما في حديث ابن اسحق وكما قالت عائشة أيضا أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة وقد قال ابراهيم عليه السلام «اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى» فقال له ابنه «افعل ما تؤمر» فدل على أن الوحي كان يأتيهم

سمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال قلت ما أقرأ قال فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أقرأ قال فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ماذا اقرأ قال فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني وقال اقرأ قال فقلت ماذا اقرأ ما أقول ذلك إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع بي فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم قال فقرأتها ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي وكأنما كتبت في قلبي كتابا قال فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل

في المنام كما أنه في اليقظة ومنها أن ينفث في روعه الكلام نفثا كما قال عليه السلام إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال مجاهد وأكثر المفسرين في قوله سبحانه «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا» قال هو أن ينفث في روعه بالوحي ومنها أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وقيل إن ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع وألقن لما يلقى ومنها أن يتمثل له الملك رجلا فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة وروي أن دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه لفرط جماله وقال ابن سلام في قوله تعالى «وإذا رأوا تجارة أو لهوا» قال كان اللهو نظرهم إلى وجه دحية لجماله ومنها أن يتراءى له جبريل في صورته التي خلقه الله فيها له ستمائة جناح ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت ومنها أن يكلمه الله من وراء حجاب إما في اليقظة كما كلمه في ليلة الإسراء وإما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي قال أتاني ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا أدري فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثندوتي وتجلى لي علم كل شيء وقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت في الكفارات فقال وما هن فقلت الوضوء عند الكريهات ونقل الأقدام إلى الحسنات وانتظار الصلوات بعد الصلوات فمن فعل ذلك عاش حميدا ومات حميدا وكان من ذنبه كيوم ولدته أمه وذكر الحديث فهذه ستة أحوال وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها وهي نزول إسرافيل عليه بكلمات من الوحي قبل جبريل فهذه سبع صور في كيفية نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم لم أر أحدا جمعها كهذا الجمع وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غنية وقد أملينا في حديث رؤيته عليه السلام ربه في المنام على أحسن صورة وروي على صورة شاب مسألة بديعة كاشفة لقناع اللبس فلا نطول بها الكتاب

﴿فصل﴾ وذكر في الحديث أن جبريل أتاه بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال بعض المفسرين في قوله «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه» إنها إشارة إلى الكتاب الذي جاءه به جبريل حين قال له اقرأ وفي الآية أقوال غير هذه منها الإشارة إلى ما تضمنه قوله سبحانه الم لأن هذه الحروف المقطعة تضمنت معاني الكتاب كله فهي كالترجمة له وقوله ما أنا بقارئ أي إني أمي فلا أقرأ الكتب قالها ثلاثا فقيل له اقرأ باسم ربك أي إنك لا تقرؤه بحولك ولا بصفة نفسك ولا بمعرفتك ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا به فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك علق الدم ومغمز الشيطان بعد ما خلقه فيك كما خلقه في كل إنسان والآيتان المتقدمتان لمحمد والآخرتان لأمته وهما قوله تعالى «الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم» لأنها كانت أمة أمية لا تكتب فصاروا أهل كتاب وأصحاب قلم فتعلموا القرآن بالقلم وتعلمه نبيهم تلقيا من جبريل نزله على قلبه بإذن الله ليكون من المرسلين

﴿فصل﴾ وفي قوله اقرأ باسم ربك من الفقه وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم غير أنه أمر مبهم لم يبين له بأي اسم من أسمائه يفتتح حتى جاء البيان بعد في قوله «بسم الله مجراها» ثم قوله تعالى «وإنه بسم الله الرحمن الرحيم» ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة وقد ثبتت في سواد المصحف بإجماع من الصحابة على ذلك وما ذكره البخاري من مصحف الحسن البصري فشذوذ مبني على هذا من القرآن إذ لا يكتب في المصحف ما ليس بقرآن ولا يلزم قول الشافعي إنها آية من كل سورة ولا أنها آية من الفاتحة بل نقول إنها آية من كتاب الله تعالى مقترنة مع السورة وهو قول داود وأبي حنيفة وهو قول بين القوة لمن أنصف وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبحت الجبال فقالت قريش سحر محمد الجبال

ذكره النقاش وإن صح ما ذكره فالمعنى متناسب جداً نزولها خاصة وذلك أنها آية نزلت على آل داود وقد
كانت الجبال تسبح مع داود كما قال الله تعالى «إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق» وقال «إنه
من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم» وفي الحديث ذكر نمط الديباج من الكتاب وفيه دليل وإشارة إلى
أن هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الأعاجم ويسلبونهم الديباج والحرير الذي كان زيهم وزينتهم
وبه أيضاً ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج وفي سير موسى بن عقبة وسير سليمان بن المعتمر
زيادة وهو أن جبريل أتاه بدرنوك من ديباج منسوج بالدر والياقوت فأجلسه عليه غير أن موسى بن عقبة
قال ببساط ولم يقل درنوك وقال في سير ابن المعتمر إن الله تعالى أنزل عليه «ألم نشرح لك صدرك» الآيات
كأنه يشير به فشق جبريل صدره وقال اللهم اشرح صدره وارفع ذكره وضع عنه وزره وتصحيح ما رواه
ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه ألم نشرح لك صدرك الآيات كأنه يشير إلى ذلك الدعاء الذي كان من
جبريل والله أعلم * وقوله في الحديث فغطني ويروى فسأبني وأحسبه أيضاً يروى فذعتني
وكلها بمعنى واحد وهو الخنق والغم ومن الذعت حديثه الآخر أن الشيطان عرض له وهو يصلي قال فذعته
حتى وجدت برد لسانه على يدي ثم ذكرت قول أخي سليمان رب هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي
الحديث وكان في ذلك إظهار للشدة والجد في الأمر وأن يأخذ الكتاب بقوة ويترك الأناة فإنه أمر ليس
بالهوينا وقد انتزع بعض التابعين وهو شريح القاضي من هذا ألا يضرب الصبي على القرآن إلا ثلاثاً كما غط
جبريل عليه السلام محمداً صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وعلى رواية ابن إسحاق أن ذلك في نومه كان يكون في تلك
الغطات الثلاث من التأويل ثلاث شدائد يبتلى بها أولاً ثم يأتي الفرج والروح وكذلك كان لقي هو وأصحابه
شدة من الجوع في شعب الخيف حين تعاقدت قريش ألا يبيعوا منهم ولا يتركوا ميرة تصل إليهم وشدة
أخرى من الخوف والإيعاد بالقتل وشدة أخرى من الإجلاء عن أحب الأوطان إليه ثم كانت العاقبة
للمتقين والحمد لله رب العالمين * وقوله في حديث ابن إسحاق اقرأ قال ما أقرأ يحتمل أن يكون ما استفهاماً
يريد أي شيء أقرأ ويحتمل أن يكون نفياً ورواية البخاري ومسلم تدل على أنه أراد النفي أي ما أحسن أن
أقرأ كما تقدم من قوله ما أنا بقارئ * وذكر رؤيته لجبريل وهو صاف قدميه وفي حديث جابر أنه رآه على
رفرف بين السماء والأرض ويروى على عرش بين السماء والأرض وفي حديث البخاري الذي ذكره في
آخر الجامع أنه حين فتر عنه الوحي كان يأتي شواهق الجبال يهم بأن يلقي نفسه منها فكان جبريل يتراءى له بين
السماء والأرض يقول له أنت رسول الله وأنا جبريل واسم جبريل سرياني ومعناه عبد الرحمن أو عبد العزيز
هكذا جاء عن ابن عباس موقوفاً ومرفوعاً أيضاً والوقف أصح وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم
الله وهو إيل وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة
وكذلك الإضافة في كلام العجم يقولون في غلام زيد زيد غلام فعلى هذا يكون إيل عبارة عن العبد
ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ألا ترى كيف قال في حديث ابن عباس جبريل
وميكائيل كما تقول عبد الله وعبد الرحمن ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد والأسماء ألفاظها مختلفة
وأما الإل بالتشديد فمن قوله تعالى «إلاً ولا ذمة» فحذار حذار من أن يقول فيه هو اسم الله فيسمى الله باسم لم يسم به
نفسه ألا ترى أن جميع أسماء الله تعالى معرفة والإل نكرة وحاشى لله أن يكون اسمه نكرة وإنما الإل كل ما له
حرمة وحق كالحلف وحق القرابة والرحم والجوار والعهد وهو من أللت إذا اجتهدت في الشيء
وحافظت عليه ولم تضيعه ومنه الأل في السير وهو الجد ومنه قول الكميت

سمعت صوتاً من السماء
يقول يا محمد أنت رسول الله
وأنا جبريل قال فرفعت
رأسي إلى السماء أنظر فإذا
جبريل في صورة رجل
صاف قدميه في أفق السماء
يقول يا محمد أنت رسول
الله وأنا جبريل قال فوقفت
أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر
وجعلت أصرف وجهي عنه
في آفاق السماء قال فلا أنظر
في ناحية منها إلا رأيته
كذلك فما زلت واقفاً ما
أتقدم أمامي وما أرجع
ورائي حتى بعثت خديجة
رسلها في طلبي فبلغوا أعلى
مكة ورجعوا إليها وأنا
واقف في مكاني ذلك ثم
انصرف عني وانصرفت
راجعاً إلى أهلي حتى أتيت
خديجة فجلست إلى فخذها
مضيفاً إليها فقالت يا أبا القاسم
أين كنت فوالله لقد بعثت
رسلي في طلبك حتى بلغوا
مكة ورجعوا إلي ثم حدثتها
بالذي رأيت فقالت أبشر
يا ابن عم واثبت فوالذي نفس
خديجة بيده إني لأرجو
أن تكون نبي هذه الأمة
ثم قامت فجمعت عليها ثيابها

ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عمها وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والإنجيل فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع فقال ورقة بن نوفل قدوس قدوس والذي نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وإنه لنبي هذه الأمة فقولي له فليثبت فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله

وأبتُ ما أبت في غبراء مجدبة * إذا دعت أمها الكاعب الفضل

يريد اجتهدت في الدعاء وإذا كان الأل بالفتح المصدر فالإل بالكسر الاسم كالذبح من الذبح فهو إذا الشيء المحافظ عليه وقول الصديق في هذا كلام لم يخرج من إل ولا بر أي لم يصدر عن ربوبية لأن الربوبية حقها واجب معظم وكذلك فسره أبو عبيد واتفق في اسم جبريل عليه السلام أنه موافق من جهة العربية لمعناه وإن كان أعجميا فإن الجبر هو إصلاح ما وهى وجبريل موكل بالوحي وفي الوحي إصلاح ما فسد وجبر ما وهى من الدين ولم يكن معروفا بمكة ولا بأرض العرب فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة به انطلقت تسأل من عنده علم من الكتاب كعداس ونسطور الراهب فقالا لها قدوس قدوس أنى لهذا الاسم أن يذكر في هذه البلاد وقد ذكرنا هذا الخبر عنهما وغيره في سير النبي لما ذكرناه قبل وفي كتاب المعيطي عن أشهب قال سئل مالك عن التسمي بجبريل أو من يسمي به ولده فكره ذلك ولم يعجبه * وقول ورقة لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى الناموس صاحب سر الملك وقال بعضهم هو صاحب سر الخير والجاسوس هو صاحب سر الشر وقد فسره أبو عبيد وأنشد

فأبلغ يزيد إن عرضت ومنذرا * وعمهما والمستسر المنامسا

وإنما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى وهو أقرب لأن ورقة كان قد تنصر والنصارى لا يقولون في عيسى إنه نبي يأتيه جبريل إنما يقولون فيه إن أقنوما من الأقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح واتحد به على اختلاف بينهم في ذلك الحلول وهو أقنوم الكلمة والكلمة عندهم عبارة عن العلم فلذلك كان المسيح عندهم يعلم الغيب ويخبر بما في غد فلما كان هذا من مذهب النصارى الكذبة على الله المدعين المحال عدل عن ذكر عيسى إلى ذكر موسى لعلمه أو لاعتقاده أن جبريل كان ينزل على موسى لكن ورقة قد ثبت إيمانه بمحمد عليه السلام وقد قدمنا حديث الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه في المنام وعليه ثياب بيض إلى آخر الحديث * وقول ورقة لتكذبنه ولتؤذينه ولا ينطق بهذه الهاء إلا ساكنة لأنها هاء السكت وليست بهاء إضمار * وقوله إن أدرك ذلك اليوم أنصرك نصرا مؤزرا وقال في الحديث إن يدركني يومك وهو القياس لأن ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذي يدركه من يأتي بعده كما جاء في الحديث أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حي ورواية ابن إسحاق أيضا لها وجه لأن المعنى أرى ذلك اليوم فسمى رؤيته إدراكا وفي التنزيل لا تدركه الأبصار أي لا تراه على أحد القولين * وقوله مؤزرا من الأزر وهو القوة والعون

﴿فصل﴾ وفي حديث البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أو مخرجي هم لا بد من تشديد الياء في مخرجي لأنه جمع والأصل مخرجوي فأدغمت الواو في الياء وهو خبر ابتداء مقدم ولو كان المبتدأ اسما ظاهرا لجاز تخفيف الياء ويكون الاسم الظاهر فاعلا لا مبتدأ كما تقول أضارب قومك أخارج أخوك ويجوز أن يكون مبتدأ وما بعده فاعلا وهو حسن في مذهب سيبويه والأخفش ولولا الاستفهام ما جاز الإفراد إلا على مذهب الأخفش فإنه يقول قائم الزيدون دون استفهام فإن كان الاسم المبتدأ من المضمرات نحو أخارج أنت وأقائم هو لم يصح فيه إلا الابتداء لأن الفاعل إذا كان مضمرا لم يكن منفصلا لا تقول قام أنا ولا ذهب أنت وكذلك لا تقول أذاهب أنت على حد الفاعل ولكن على المبتدأ وإذا كان على حد المبتدأ فلا بد من جمع الخبر فتقول أمخرجي هم تريد أمخرجون ثم أضيف إلى الياء وحذفت النون وأدغمت الواو كما مضى القياس

﴿فصل﴾ وذكر أن ورقة بن نوفل لقي النبي عليه السلام فقبل يافوخه وقد قدمنا ذكر اليافوخ وأنا نقول يهمز وأنه لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يشتد وإنما يقال له الغاذية وذكرنا قول العجاج

* ضرب اذا أصاب اليافوخ جعر * ولو كان يافوخ فاعولا كخاطب بعضهم لم يجز همزه في الواحد ولا في الجمع وفي رواية يونس عن ابن اسحق بسنده الى أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرت خديجة له ذلك فقالت يا عتيق اذهب مع محمد الى ورقة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة بن نوفل فقال ومن أخبرك قال خديجة فانطلقا اليه فقصا عليه فقال اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي يا محمد يا محمد فانطلق هاربا في الارض فقال له لا تفعل اذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول لك ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين قل لا اله الا الله فأتى ورقة فذكر ذلك له فقال له ورقة أبشر ثم أبشر فانا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا وان أدركني ذلك لاجاهدن معك فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس في الجنة وعليه ثياب الحرير لانه آمن بي وصدقني يعني ورقة وفي رواية يونس أيضا انه عليه السلام قال لرجل سب ورقة اما علمت أني رأيت لورقة جنة أو جنتين وهذا الحديث الاخير قد اسنده البزار

﴿ فصل ﴾ وفي الصحيح انه قال لخديجة لقد خشيت على نفسي وتكلم العلماء في معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة فذهب أبو بكر الاسماعيلي الى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذي جاءه ملك من عند الله وكان أشق شيء عليه أن يقال عنه مجنون ولم ير الاسماعيلي أن هذا محال في مبدإ الامر لان العلم الضروري قد لا يحصل دفعة واحدة وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله فلا تدري أنظم هو أم نثر فاذا استمر الانشاد علمت قطعا انه قصد به قصد الشعر كذلك لما استمر الوحي واقترنت به القرائن المقتضية للعلم القطعي حصل العلم القطعي وقد أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الى قوله وملائكته وكتبه ورسله » فايمانه بالله وبملائكته ايمان كسبي موعود عليه بالثواب الجزيل كما وعد على سائر افعاله المكتسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح وقد قيل في قوله لقد خشيت على نفسي أي خشيت الا ينهض بأعباء النبوة وان اضعف عنها ثم ازال الله خشيته ورزقه الايد والقوة والثبات والعصمة وقد قيل ان خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ولا غرو فانه بشر يخشى من القتل والاذاية الشديدة ما يخشاه البشر ثم يهون عليه الصبر في ذات الله كل خشية ويجلب الى قلبه كل شجاعة وقوة وقد قيل في معنى الخشية أقوال غير هذه مستبعدة تركنا التطويل بذكرها

﴿ فصل ﴾ وذكر قول الله تعالى « شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن » الى آخر الآية مستشهدا بذلك على أن القرآن أنزل في شهر رمضان وقيل في ليلة القدر من رمضان وهذا يحتمل أوجها أحدها ان يكون أراد بدء النزول وأوله لان القرآن نزل في أكثر من عشرين سنة في رمضان وغيره والثاني ما قاله ابن عباس

قال ابن اسحق وحدثني اسمعيل بن ابي حكيم مولى آل الزبير أنه حدث عن خديجة رضي الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك فأخبرني به فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءني قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس على فخذي اليمنى قال فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري قالت فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم قال فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت له هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه لملك وما هذا بشيطان * قال ابن اسحق وقد حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال سمعت امي فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة الا اني سمعتها تقول أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا لملك وما هو بشيطان * قال ابن اسحق فابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل في شهر رمضان يقول الله عز وجل شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وقال الله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر وقال الله تعالى حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم

أمراؤنا عند بأنا كنا مرسلين وقال تعالى إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وذلك ملتقى رسول

الله صلى الله عليه وسلم والمشركين ببدر * قال ابن إسحق وحدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان * قال ابن إسحق ثم تتام الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم وللنبوة أثقال ومؤونة لا يحملها ولا يستطيع بها إلا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى * وآمنت به خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء به فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيئا مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك إلا فرج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رحمها الله تعالى * قال ابن إسحق وحدثني هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب

أنه نزل جملة واحدة إلى سماء الدنيا فجعل في بيت العزة مكنونا في الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة ثم نزلت منه الآية بعد الآية والسورة بعد السورة في أجوبة السائلين والنوازل الحادثة إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم وهذا التأويل أشبه بالظاهر وأصح في النقل والله أعلم

﴿فصل﴾ وفي قوله تعالى «شهر رمضان» فذكر الشهر مضافا الى رمضان واختار الكتاب والموثقون النطق بهذا اللفظ دون أن يقولوا كتب في رمضان وترجم البخاري والنسوي على جواز اللفظين جميعا وأوردا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان وإذا جاء رمضان ولم يقل شهر رمضان وقد بينت أن لكل مقام مقالا ولا بد من ذكر شهر في مقام ومن حذفه في مقام آخر والحكمة في ذكره إذا ذكر في القرآن والحكمة أيضا في حذفه إذا حذف من اللفظ وأين يصلح الحذف ويكون أبلغ من الذكر كل هذا مبين في كتاب نتائج الفكر فهنالك أوردناه فوائد تفجر عنها فهم أهل هذا العصر أدناها يساوي رحلة عند من عرف قدرها غير أنا نشير الى بعضها فنقول قال سيبويه ومما لا يكون العمل إلا فيه كله المحرم وصفر يريد أن الاسم العلم يتناول اللفظ كله وذلك إذا قلت الأحد أو الاثنين فإن قلت يوم الأحد أو شهر المحرم كان ظرفا ولم يجر مجرى المفعولات وزال العموم من اللفظ لأنك تريد في الشهر وفي اليوم ولذلك قال عليه السلام من صام رمضان ولم يقل شهر رمضان ليكون العمل فيه كله وهذه إشارة الى بعض تلك الفوائد التي أحكمناها في غير هذا الكتاب * ومن حديث ورقة وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتكذبنه فلم يقل له النبي صلى الله عليه وسلم شيئا ثم قال ولتؤذينه فلم يقل له شيئا ثم قال ولتخرجنه فقال أومخرجي هم ففي هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس وأيضا فإنه حرم الله وجوار بيته وبلدة أبيه إسمعيل فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك فقال أومخرجي هم والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها إدخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الإخراج بالسؤال عنه وذلك أن الواو ترد الى الكلام المتقدم وتشعر المخاطب بأن الاستفهام على جهة الإنكار أو التفجع لكلامه أو التألم منه

﴿فصل﴾ وذكر عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وقوله حدثتني أمي فاطمة بنت الحسين أن خديجة أدخلته بين ثوبها الحديث عبد الله هذا هو عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت الحسين أخت سكينة وأمهما آمنة وسكينة لقب لها التي كانت ذات دعابة ومزح وفي سكينة وأم الرباب نزل الحسين بن علي رضي الله عنهم

كأن الليل موصول بليل * إذا زارت سكينة والرباب

أي زارت قومها وهم بنو عليم بن جناب من كلب ثم من بني كنانة بن عليم وبنو عوف بن كنانة بن عليم بنو زيد غير مصروف لأنه اسم امرأة وعبد الله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بني العباس وهم محمد ويحيى وإدريس مات إدريس بإفريقية فارا من الرشيد ومات مسموما في دلاعة أكلها ووقع في كتاب الزبير ابن أبي بكر قال قال عبد الرحمن بن زيد قال آدم عليه السلام مما فضل به علي ابني صاحب البعير أن زوجه كانت عونا له على تبليغ أمر الله وأن زوجي كانت عونا لي على المعصية

﴿فصل﴾ وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب الحديث بإسناد مرسل وقد رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ما غرت على أحد ما غرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول

الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة * وفي حديث آخر أن
عائشة قالت ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها فغضب وقال والله
ما أبدلني الله خيرا منها آمنت بي حين كذبني الناس وواستني بمالها حين حرمني الناس ورزقت الولد منها
وحرمته من غيرها وروى يونس عن عبد الواحد بن أيمن المخزومي قال حدثنا أبو نجيح قال أهدي لرسول
الله صلى الله عليه وسلم جزور أو لحم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عظما منها فناوله الرسول بيده فقال
اذهب بهذا الى فلانة فقالت عائشة لم غمرت يدك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا ان خديجة
أوصتني بها فغارت عائشة وقالت لكأنه ليس في الارض امرأة الا خديجة فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم مغضبا فلبث ما شاء الله ثم رجع فاذا أم رومان قالت يا رسول الله ما لك ولعائشة انها حدثة وانك
أحق من تجاوز عنها فأخذ بشدق عائشة وقال ألست القائلة كأنما ليس على الارض امرأة الا خديجة والله
لقد آمنت بي اذ كفر قومك ورزقت مني الولد وحرمتموه وفي صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة والهاء في نسائها حين ذكر مريم عائدة على السماء والهاء
في نسائها حين ذكر خديجة عائدة على الارض وذلك أن هذا الحديث رواه وكيع وأبو أسامة وابن نمير
في آخرين وأشار وكيع من بينهم حين حدث بالحديث بأصبعه الى السماء عند ذكر مريم والى الارض عند
ذكر خديجة وهذه اشارة ليست من رأيه وانما هي زيادة في حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم وزيادة العدل
مقبولة ويحتمل أن يكون معنى اشارته الى السماء والارض عند ذكرهما أي هما خير نساء بين السماء والارض
وهذا أثبت عندي لظاهر الحديث وانما أثبت ذكر اختلاف العلماء في التفضيل بين مريم وخديجة وعائشة
رضي الله عنهن وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وما نزع به كل فريق منهم * وأما قوله ببيت من قصب فقد رواه
الخطابي مفسرا وقال فيه قالت خديجة يا رسول الله ما بيت في الجنة من قصب فقال انه قصب من لؤلؤ مجبى قال
الخطابي يجوز أن يكون معناه منقوبا من قولك جبت الثوب اذا خرقته فيكون من المقلوب ويجوز أن يكون
الاصل مجببا من الجب وهو القطع أي قطع داخله وقلبت الباء ياء كما قالوا تظنيت من الظن وتقضيت
أظفاري وتكلم أصحاب المعاني في هذا الحديث وقالوا كيف لم يبشرها الا ببيت وأدنى أهل الجنة منزلة من
يعطى مسيرة ألف عام في الجنة كما في حديث ابن عمر خرجه الترمذي وكيف لم ينعت هذا البيت بشيء من
أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفي الصخب وهو رفع الصوت فأما أبو بكر الاسكاف فقال في كتاب
فوائد الاخبار له معنى الحديث انه بشرت ببيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لايمانها وعملها ولذلك
قال لا صخب فيه ولا نصب أي لم تنصب فيه ولم تصخب أي انما أعطيته زيادة على جميع العمل الذي
نصبت فيه (قال المؤلف رحمه الله) لا أدري ما هذا التأويل ولا يقتضيه ظاهر الحديث ولا يوجد شاهد
يعضده وأما الخطابي فقال البيت ههنا عبارة عن قصر وقد يقال لمنزل الرجل بيته والذي قاله صحيح يقال
في القوم هم أهل بيت شرف وبيت عز وفي التنزيل «غير بيت من المسلمين» ولكن لذكر البيت ههنا بهذا
اللفظ ولقوله ببيت ولم يقل بقصر معنى لائق بصورة الحال وذلك أنها كانت ربة بيت اسلام لم يكن على
الارض بيت اسلام الا بيتها حين آمنت وأيضا فانها أول من بنى بيتا في الاسلام بتزويجها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ورغبتها فيه وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل وان كان أشرف منه لما جاء من كسا مسلما على
عري كساه الله من حلل الجنة ومن سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق ومن هذا الباب قوله عليه السلام
من بنى لله مسجدا بنى الله له مثله في الجنة لم يرد مثله في كونه مسجدا ولا في صفته ولكن قابل البنيان بالبنيان

«قال ابن هشام» القصب ههنا اللؤلؤ المجوف «قال ابن هشام» وحدثني من أثق به أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئ خديجة السلام من ربها

أي كان بيتاً لها كما قال الكسوة بالكسوة والسقيا بالسقيا فإنما وقعت المماثلة لا في ذات المبني أو المكسو وإذا ثبت هذا فمن ههنا اقتضت الفصاحة أن يعبر لها عما بشرت به بلفظ البيت وإن كان فيه ما لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر ومن تسمية الجزاء على الفعل بالفعل في عكس ما ذكرناه قوله تعالى «نسوا الله فنسيهم • ومكروا ومكر الله» * وأما قوله لا صخب فيه ولا نصب فإنه أنصاني باب ما كما نبيله لأنه عليه السلام دعاها إلى الإيمان فأجابته عفواً لم تحوجه إلى أن يصخب كما يصخب البعل إذا تعصت عليه حليلته ولا أن ينصب بل أزالت عنه كل نصب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل مكروه وأراحته بمالها من كل كد ونصب فوصف منزلها الذي بشرت به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته * وأما قوله من قصب ولم يقل من لؤلؤ وإن كان المعنى واحداً ولكن في اختصاصه هذا اللفظ من المشاكلة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل أنها رضي الله عنها كانت قد أحرزت قصب السبق إلى الإيمان دون غيرها من الرجال والنسوان والعرب تسمي السابق محرزاً للقصب قال الشاعر

مشى ابن الزبير القهقرى وتقدمت * أمية حتى أحرزوا القصبات

فاقتضت البلاغة أن يعبر بالعبارة المشاكلة لعملها في جميع ألفاظ الحديث فتأمله

﴿فصل﴾ وقد ذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك الحديث ذكر عن أبي بكر بن داود أنه سئل أعائشة أفضل أم خديجة فقال عائشة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فهي أفضل قيل له فمن أفضل أخديجة أم فاطمة فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن فاطمة بضعة مني فلا أعدل ببضعة من رسول الله أحداً وهذا استقراء حسن ويشهد لصحة هذا الاستقراء أن أبا لبابة حين ارتبط نفسه وحلف ألا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة لتحله فأبى من أجل قسمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما فاطمة مضغة مني فحلته وسنذكر الحديث بإسناده في موضعه إن شاء الله تعالى ويدل أيضاً على تفضيل فاطمة قوله عليه السلام لها أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم فدخل في هذا الحديث أمها وأخواتها وقد تكلم الناس في المعنى الذي سادت به فاطمة غيرها دون أخواتها فقيل إنها ولدت سيد هذه الأمة وهو الحسن الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم إن ابني هذا سيد وهو خلف وابناه خلف أو أحسن من هذا القول قول من قال سادت أخواتها وأمها لأنهن متن في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فكن في صحيفته ومات أبوها وهو سيد العالمين فكان رزؤه في صحيفتها وميزانها وقد روى البزار من طريق عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة هي خير بناتي إنها أصيبت بي فحق لمن كانت هذه حاله أن تسود نساء أهل الجنة وهذا قول حسن والله أعلم ومن سؤددها أيضاً أن المهدي المبشر به في آخر الزمان من ذريتها مخصوصة بهذا كله والأحاديث الواردة في أمر المهدي كثيرة وقد جمعها أبو بكر بن أبي خيثمة فأكثر ومن أغربها إسناداً ما ذكره أبو بكر الإسكاف في فوائد الأخبار مسنداً إلى مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر وقال في طلوع الشمس من مغربها ثلاثة أشياء أحسب ... وقول خديجة إن الله هو السلام وعلى جبريل السلام علمت بفقهها أن الله سبحانه لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوق لأن السلام دعاء بالسلامة فكان من فقهها أنه السلام فكيف أقول عليه السلام والسلام منه يسئل وفيه ما ... ولكن على جبريل السلام فالذي يحصل من هذا الكلام من الفقه أنه لا يليق بالله سبحانه

وبه السلام وعلى جبريل السلام * قال ابن إسحاق ثم فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذي أكرمه بما أكرمه به ما ودعه ربه وما قلاه فقال تعالى والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى يقول ما صرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك وللآخرة خير لك من الأولى أي لما عندي في مرجعك إلي خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى من الفلج في الدنيا والثواب في الآخرة ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ومنه عليه في يتمه وعيلته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته «قال ابن هشام» سجى سكن قال أمية بن أبي الصلت الثقفي

إذ أتى موهنا وقد نام صحبي * وسجا الليل بالظلام البهيم

وهذا البيت في قصيدة له ويقال للعين إذا سكن طرفها ساجية وسجا طرفها قال جرير

ولقد رمينك حين رحن بأعين * ينظرن من خلل الستور سواجي

وهذا البيت في قصيدة له والعائل الفقير قال أبو خراش الهذلي

إلى بيته يأوي الضريك إذا شتا * ومستنبح بالي الدريسين عائل

وجمعه عالة وعيل وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها إن شاء الله في موضعها والعائل أيضا الذي يعول العيال والعائل أيضا الخائف وفي كتاب الله ذلك أدنى ألا تعولوا وقال أبو طالب

بميزان قسط لا يخس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها إن شاء الله في موضعها والعائل أيضا الشيء المثقل المعيي يقول الرجل قد عالني هذا الأمر أي أثقلني وأعياني قال الفرزدق

ترى الغر الجحاجح من قريش * إذا ما الأمر في الحدثان عالا

إلا الثناء عليه فجعلت مكان رد التحية على الله ثناء عليه كما علموا في التشهد حين قالوا السلام على الله من عباده السلام على فلان فقيل لهم لا تقولوا هذا ولكن قولوا التحيات لله وقد ذكرنا في غير هذا الكتاب فوائد جمة في معنى التحيات إلى آخر التشهد * وقولها ومنه السلام إن كانت أرادت السلام التحية فهو خبر يراد به الشكر كما تقول هذه النعمة من الله وإن كانت أرادت بالسلام السلامة من سوء فهو خبر يراد به المسئلة كما تقول منه نسئل الخير وذهب أكثر أهل اللغة إلى أن السلام والسلامة بمعنى واحد كالرضاع والرضاعة ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاء التأنيث من التحديد لرأوا أن بينهما فرقا وأن الجلال أعم من الجلالة بكثير وأن اللذاذ أعم من اللذاذة وأن الرضاعة تقع على الرضعة الواحدة والرضاع أكثر من ذلك فكذلك السلام والسلامة وقس على هذا تمرة وتمر ولقاة ولقى وضربة وضرب إلى غير ذلك وتسمى سبحانه بالسلام لما يشمل جميع الخليقة ويعمهم من السلامة من الاختلال والتفاوت إذ الكل جار على نظام الحكمة وكذلك سلم الثقلان من جوره وظلمه إن لم يهتدوا له سبحانه فإن الكل مدبر بفضل أو عدل أما الكافر فلا يجري عليه إلا عدله وأما المؤمن فيغمره فضله فهو سبحانه في جميع أفعاله سلام لا حيف ولا ظلم ولا تفاوت ولا اختلال ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه سمي به لسلامته من الآفات والعيوب فقد أتى بشنيع من القول لأن السلام من سلم منه والسالم من سلم من غيره وانظر إلى قوله سبحانه «كوني بردا وسلاما» وإلى قوله «سلام هي» ولا يقال في الحائط سالم من العمى ولا في الحجر إنه سالم من الزكام أو من السعال إنما يقال سالم فيمن يجوز عليه الآفة ويتوقع ويتقى وهو سبحانه متعال عن توقع الآفات منزه عن جواز النقائص ومن هذه صفته لا يقال سلم ولا يسمى سالما وهم قد جعلوا سلاما بمعنى سالم والذي ذكرناه أولا هو معنى قول أكثر السلف والسلامة خصلة واحدة من خصال السلام

﴿فصل﴾ وذكر فترة الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر مقدار مدة الفترة وقد جاء في بعض الأحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة فمن هاهنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مكثه بمكة كان عشر سنين وقول ابن عباس ثلاث عشرة سنة وكان قد ابتدئ بالرؤيا الصادقة ستة أشهر فمن عد مدة الفترة وأضاف إليها الأشهر الستة كانت كما قال ابن عباس ومن عدها من حين حمي الوحي وتتابع كما في حديث جابر كانت عشر سنين ووجه آخر في الجمع بين القولين أيضا وهو أن الشعبي قال وكل إسرافيل بمحمد صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ثم جاءه بالقرآن جبريل وقد وهن بعضهم هذا الحديث ورواه أبو عمر في كتاب الاستيعاب وإذا صح فهو أيضا وجه من الجمع بين الحديثين والله أعلم

﴿فصل﴾ وذكر ابن إسحاق قول أبي خراش خويلد بن مرة الهذلي

إلى بيته يأوي الضريك إذا شتا * ومستنبح بالي الدريسين عائل

الضريك الفقير المضطر والمستنبح الذي يضل عن الطريق في ظلمة الليل فينبح لتسمع نباح كلب والدريس الثوب الخلق وقول الفرزدق

ترى الغر الجحاجح من قريش * إذا ما الأمر في الحدثان عالا

قيما ماسطرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

يعني سعيد بن العاصي بن أمية وقال ابن مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت حسده فقال له قل قعودا اسطرون الى سعيد يا أبا فراس فقال له الفرزدق والله يا أبا عبد الملك الا قياما على الاقدام * وقد ذكر سبب نزول سورة والضحى وان ذلك لفترة الوحي عنه وخرج البخاري من طريق جندب بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فقالت له امرأة اني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك فأنزل الله تعالى سورة والضحى

﴿ فرض الصلاة ﴾

وذكر حديث عروة عن عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فزيد في صلاة الحضر واقرت صلاة السفر وذكر المزني أن الصلاة قبل الاسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها ويشهد لهذا القول قوله سبحانه «وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار» وقال يحيى بن سلام مثله وقال كان الاسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام فعلى هذا يحمل قول عائشة فزيد في صلاة الحضر أي زيد فيها حين أكملت خمسا فيكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات ويكون قولها فرضت الصلاة ركعتين أي قبل الاسراء وقد قال بهذا طائفة من السلف منهم ابن عباس ويجوز أن يكون معنى قولها فرضت الصلاة أي ليلة الاسراء حين فرضت الخمس فرضت ركعتين ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك وهذا هو المروي عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة وممن رواه هكذا الحسن والشعبي ان الزيادة في صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام أو نحوه وقد ذكره أبو عمر وقد ذكر البخاري من رواية معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ففرضت أربعا وتركت للسفر على الأول * وههنا سؤال يقال هل هذه الزيادة في الصلاة نسخ أم لا فيقال أما زيادة ركعتين أو ركعة الى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة فنسخ لان النسخ رفع الحكم وقد ارتفع حكم الاجزاء في الركعتين وصار من سلم منهما عامدا أفسدهما وان أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم وتحدث عامدا لم يجزه الا أن يستأنف الصلاة من أولها فقد ارتفع حكم الاجزاء بالنسخ وأما الزيادة في عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين فيسمى نسخا على مذهب أبي حنيفة فان الزيادة عنده على النص نسخ وجمهور المتكلمين على انها ليس بنسخ ولاحتجاج الفريقين موضع غير هذا

﴿ فصل ﴾ وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلى مكة حين همز له بعقبه فانبع الماء وعلمه الوضوء وهذا الحديث مقطوع في السيرة ومثله لا يكون أصلا في الاحكام الشرعية ولكنه قد روي مسندا الى زيد بن حارثة يرفعه غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن لهيعة وقد ضعف ولم يخرج عنه مسلم ولا البخاري لانه يقال ان كتبه احترقت فكان يحدث من حفظه وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول ويقال انه الذي روى عنه حديث بيع العربان في الموطا قال مالك عن الثقة عنده عن عمرو بن شعيب فقال ان الثقة هنا ابن لهيعة ويقال ان ابن وهب حدثه به عن ابن لهيعة وحديث ابن لهيعة هذا أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد ابن العربي قال نا أبو المطهر سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء عن أبي نعيم الحافظ قال نا أبو بكر أحمد بن يوسف العطار قال نا الحارث بن أبي أسامة قال نا الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الزهري عن عروة عن أسامة بن زيد قال حدثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحي اليه أتاه جبريل عليه السلام فعلمه الوضوء فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه وحدثنا

وهذا البيت في قصيدة له فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر أي لا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا فظا على الضعفاء من عباد الله وأما بنعمة ربك فحدث أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث اذكرها وادع اليها * فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا الى من يطمئن اليه من أهله وافترضت عليه الصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته

﴿ ابتداء ما فرض الله سبحانه على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها ﴾

* قال ابن اسحق وحدثني صالح بن كيسان عن عروة ابن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين كل صلاة ثم ان الله تعالى أتمها في الحضر أربعا وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم ان الصلاة حين

ا ... رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين

فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه السلام ثم صلى بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته * قال ابن اسحق وحدثني عتبة بن مسلم مولى بني تيم عن نافع بن جبير بن مطعم وكان نافع كثير الرواية عن ابن عباس قال لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فصلى به الظهر حين مالت الشمس ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالأمس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الأول ثم صلى به الصبح مسفرا غير مشرق ثم قال يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالأمس * قال ابن اسحق ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى وصدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن عشر سنين يومئذ وكان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجاج

قال كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ومما صنع الله له وأراده به من الخير أن قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه وكان من أيسر بني هاشم يا عباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلا واحدا وتأخذ أنت رجلا فنكفهما عنه فقال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما اذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما «قال ابن هشام» ويقال عقيلا وطالبا فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه إليه وأخذ العباس جعفرا فضمه إليه فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا فاتبعه علي رضي الله عنه وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه * قال ابن اسحق وذكر بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ثم ان أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به قال أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا ابراهيم أو كما قال صلى الله عليه وسلم بعثني الله به رسولا الى العباد وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابني اليه وأعانني عليه أو كما قال فقال أبو طالب أي ابن أخي اني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك بشيء تكرهه ما بقيت وذكروا أنه قال لعلي أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه فقال يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته فزعموا أنه قال له أما انه لم يدعك الا الى خير فالزمه

به أنبأنا أبو بكر محمد بن طاهر عن أبي علي الغساني عن أبي عمر النمري عن أحمد بن قاسم عن قاسم بن أصبغ عن الحارث بن أبي أسامة بالإسناد المتقدم فالوضوء على هذا الحديث مكي بالفرض مدني بالتلاوة لأن آية الوضوء مدنية وإنما قالت عائشة فأنزل الله تعالى آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهي هي لأن الوضوء قد كان مفروضا قبل غير أنه لم يكن قرآنا يتلى حتى نزلت آية المائدة * وذكر حديث عبد الله بن عباس في إمامة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وتعليمه إياه أوقات الصلوات الخمس في اليومين وهذا الحديث لم يكن ينبغي له أن يذكره في هذا الموضع لأن أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة كانت في الغد من ليلة الإسراء وذلك بعد ما نبئ بخمسة أعوام وقد قيل إن الإسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف وقيل بعام فذكره ابن إسحق في بدء نزول الوحي وأول أحوال الصلاة * وذكر أن أول ذكر آمن بالله علي رضي الله عنه وسيأتي قول من قال أول من أسلم أبو بكر ولكن ذلك والله أعلم من الرجال لأن عليا كان حين أسلم صغيرا لم يدرك ولا يختلف أن خديجة هي أول من آمن بالله وصدق رسوله وكان علي أصغر من جعفر بعشر سنين وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين وكلهم أسلم إلا طالبا اختطفته الجن فذهب ولم يعلم بإسلامه وأم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم وقد أسلمت وهي إحدى الفواطم التي قال فيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اقسمه بين الفواطم الثلاث يعني ثوب حرير قال القتبي

* قال ابن إسحق ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب « قال ابن هشام » زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة وصيف فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد وهي يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك فاختارت زيدا فأخذته فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه وذلك قبل أن يوحى إليه وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده فقال

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * أحي فيرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدري وإني لسائل * أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل
ويا ليت شعري هل لك الدهر أوبة * فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها * وتعرض ذكراه إذا غربها أفل
وإن هبت الأرواح هيجن ذكره * فيا طول ما حزني عليه ويا وجل
سأعمل نص العيس في الأرض جاهدا * ولا أسأم التطواف أو تسأم الإبل
حياتي أو تأتي علي منيتي * فكل امرئ فان وإن غره الأمل

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئت فأقم عندي وإن شئت فانطلق مع أبيك قال بل أقيم عندك فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم وصلى معه فلما أنزل الله عز وجل ادعوهم لآبائهم قال أنا زيد بن حارثة

يعني فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت أسد ولا أدري من الثالثة ورواه عبد الغني ابن سعيد فقسمه بين الفواطم الأربع * وذكر فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدمتا وقال لا أدري من الرابعة قاله في كتاب الغوامض والمبهمات

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث زيد بن حارثة وقال فيه حارثة بن شرحبيل وقال ابن هشام شراحيل وقال أصحاب النسب كما قال ابن هشام ورفع نسبه إلى كلب بن وبرة ووبرة هو ابن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة وأم زيد سعدى بنت ثعلبة من بني معن من طيئ وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها فأصابته خيل من بني القين بن جسر فباعوه بسوق حباشة وهو من أسواق العرب وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام ثم كان من حديثه ما ذكر ابن إسحق ولما بلغ زيدا قول أبيه * بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * الأبيات قال يجيبه فيما يعني الركبان

أحن إلى أهلي وإن كنت نائيا * بأني قطين البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذي قد شجاكم * ولا تعملوا في الأرض نص الأباعر
فإني بحمد الله في خير أسرة * كرام معد كابرا بعد كابر

وبلغ أباه قوله فجاء هو وعمه كعب حتى وقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وذلك قبل الإسلام فقالا له يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم جيران الله وتفكون العاني وتطعمون الجائع وقد جئناك في ابننا عبدك فأحسن إلينا في فدائه فقال أو غير ذلك فقالا وما هو فقال ادعوه وخيروه فإن اختاركما فذاك وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا فقالا له قد زدت على النصف فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال من هذان فقال هذا أبي حارثة بن شراحيل وهذا عمي كعب بن شراحيل فقال قد خيرتك إن شئت ذهبت معهما وإن شئت أقمت معي فقال بل أقيم معك فقال له أبوه يا زيد أتختار العبودية على أبيك وأمك وبلدك وقومك فقال إني قد رأيت من هذا الرجل شيئا وما أنا بالذي أفارقه أبدا فعند ذلك أخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقام به إلى الملأ من قريش فقال اشهدوا أن هذا ابني وارثا وموروثا وطابت نفس أبيه عند ذلك وكان يدعى زيد بن محمد حتى أنزل الله تعالى «ادعوهم لآبائهم» * وفي الشعر الذي ذكره ابن إسحق لحارثة بعد قوله

حياتي وإن تأتي علي منيتي * فكل امرئ فان وإن غره الأمل
سأوصي به قيسا وعمرا كليهما * وأوصي يزيد ثم أوصي به جبل

يعني يزيد بن كعب وهو ابن عم زيد وأخوه لأمه ويعني بجبل جبلة بن حارثة أخا زيد وكان أسن منه سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد فقال زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله ولكنه أفضل مني سبقني للإسلام

* قال ابن إسحق ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة واسمه عتيق واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر «قال ابن هشام» واسم أبي بكر عبد الله وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه *قال ابن إسحق فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه ودعا إلى الله وإلى رسوله وكان أبو بكر رجلا مألفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه فأسلم بدعائه فيما بلغني عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب *والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي *وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي * وسعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي *وطلحة ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فأسلموا وصلوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغني ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه «قال ابن هشام» قوله عكم تلبث قال رؤبة بن العجاج * وانصاع وثاب بها وما عكم * «قال ابن هشام» قوله بدعائه عن غير ابن إسحق * قال ابن إسحق فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالإسلام فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله * ثم أسلم أبو عبيدة واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحرث بن فهر *وأبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي *والأرقم بن أبي الأرقم واسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد وكان أسد يكنى أبا جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤي *وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب *وعبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي * وسعيد بن زيد بن عمرو

(فصل) وذكر إسلام أبي بكر وبينه قال واسمه عبد الله وسمي عتيقا لعتاقة وجهه والعتيق الحسن كأنه أعتق من الذم والعيب وقيل سمي عتيقا لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد فنذرت إن ولد لها ولد أن تسميه عبد الكعبة وتتصدق به عليها فلما عاش وشب سمي عتيقا كأنه أعتق من الموت وكان يسمى أيضا عبد الكعبة إلى أن أسلم فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وقيل سمي عتيقا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أسلم أنت عتيق من النار وقيل كان لأبيه ثلاثة من الولد معتق ومعيتق وعتيق وهو أبو بكر وسئل ابن معين عن أم أبي بكر فقال أم الخير عند اسمها وهي أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبي قحافة واسمها سلمى وتكنى أم الخير وهي من المبايعات وأما أبوه عثمان أبو قحافة فأمه قيلة بياء باثنتين منقوطة من أسفل بنت أذاة بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب وامرأة أبي بكر أم ابنه عبد الله وأسماء قتلة بنت عبد العزى بتاء منقوطة باثنتين من فوق وقيل فيها بنت عبد أسعد بن نصر بن حسل بن عامر وهو قول الزبير * وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليه الإسلام فما عكم عنده ذلك أي ما تردد وكان من أسباب توفيق الله إياه فيما ذكر رؤيا رآها قبل ذلك وذلك أنه رأى القمر ينزل إلى مكة ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كأنه جمع في حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبرها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه تتبعه وتكون أسعد الناس به فلما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام لم يتوقف وفي مدح حسان الذي قاله فيه وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينكره دليل على أنه أول من أسلم من الرجال وهو

خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده * والثاني التالي صدق الرسلا

وذكر إسلام أبي عبيدة بن الجراح واسمه وقد اختلف فيه فقيل عبد الله بن عامر وقيل عامر بن عبد الله وأمه أميمة بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن وديعة بن الحارث بن فهر قاله الزبير *وذكر إسلام سعيد بن زيد وقد ذكرناه فيما مضى وذكرنا أمه فاطمة بنت بعجة بن حليف الخزاعية وما وقع في نسبه من التقديم والتأخير ومن الهجو في رزاح بن عدي والكسر وأن رزاح بن ربيعة هو الذي لم يختلف في كسر الراء منه وتكنى سعيد أبا الأعور توفي بأرضه بالعقيق ودفن بالمدينة في أيام معاوية سنة خمسين أو إحدى

بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي * وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أخت عمر بن الخطاب وأسماء بنت أبي بكر وعائشة بنت أبي بكر وهي يومئذ صغيرة * وخباب بن الأرت حليف بني زهرة «قال ابن هشام» خباب بن الارت من بني تميم ويقال هو من خزاعة . قال ابن اسحق وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص * وعبد الله بن مسعود بن الحرث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بني زهرة * ومسعود بن القاري وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذ بن يثيع بن الهون بن خزيمة من القارة (قال ابن هشام) والقارة لقب ولهم يقال قد أنصف القارة من راماها وكانوا رماة

وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة روى عنه ابن عمر وعمرو بن حريث وأبو الطفيل عامر بن واثلة وجماعة من التابعين ولم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حديثين . أحدهما من غصب شبرا من ارض طوقه يوم القيامة من سبع ارضين وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأحد الذين رجف بهم الجبل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اثبت حراء فانما عليك نبي أو صديق أو شهيد ويروى اثبت أحد وان القصة كانت في جبل أحد ويروى انها كانت في جبل ثبير ذكره الترمذي وانهم كانوا أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الخلفاء الاربعة ولعل هذا أن يكون مرارا فصح الاحاديث كلها والله أعلم * وذكر ممن أسلم بعد أبي بكر سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب وأهيب هو عم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم والوقاص في اللغة هو واحد الوقاقيص وهي شباك يصطاد بها الطير وهو أيضا فعال من وقص اذا انكسر عنقه وأم سعد حمنة بنت سفيان بن أمية ابن عبد شمس يكنى أبا اسحق وهو أحد العشرة دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أن يسدد الله سهمه وأن يجيب دعوته فكان دعاؤه أسرع الدعاء اجابة وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احذروا دعوة سعد مات في خلافة معاوية * وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة وهو أيضا أحد العشرة يكنى أبا محمد أمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحرث وهي بنت عم عوف والد عبد الرحمن بن عوف فأبوها عوف عم عوف وأخو عبد عوف * وذكر نعيم بن عبد الله النحام وقول النبي صلى الله عليه وسلم سمعت نحمه في الجنة ولم يفسر النحم ما هو وهي سعلة مستطيلة ويقال للبخيل نحام لانه يسعل اذا سئل متشاغلا بذلك وأنشد الرياشي

مالك لا تنحم ياروا حه * ان النحيم للسعاة راحه

قال ويقال للنحمة نحطة وقال غيره النحطة في الصدر والنحمة في الحلق والنحام أيضا طائر أحمر في عظم الاوز * وذكر عبد الله بن مسعود بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بني زهرة وقال في نسبه كاهل وقيده الوقشي بفتح الهاء من كاهل كانه سمي بالفعل من كاهل يكاهل كما قال عليه السلام لرجل استأذنه في الجهاد واسمه جاهمة فقال هل في أهلك من كاهل أي من قوي على الصرف والاكتهال القوة وقال أبو عبيد كاهل أي أسن وقال ابن الاعرابي انما لفظ الحديث هل في أهلك من كاهن وغيره الراوي له فقال من كاهل قال وكاهن الرجال هو الذي يخلف الرجل في أهله يقوم بأمرهم بعده يقال منه كهن يكهن كهانة * وذكر في نسبه أيضا شمخا وهو من سمخ أنفه اذا رفعه تيها وأم عبد الله هي أم عبد بنت سود بن قديم بن صاهلة بن هذيل * وذكر مسعودا القاري وهو مسعود بن ربيعة وربيع نسبه الى الهون بن خزيمة وهم القارة وفيهم جرى المثل * قد أنصف القارة من راماها * قال الراجز

قد علمت سلمى ومن والاها * انا نرد الخيل عن هواها

نردها داميــة كلاها * قد أنصف القارة من راماها

انا اذا ما فئــة نلقاها * نرد أولاها على أخراها

وسمي بنو الهون بن خزيمة قارة لقول الشاعر منهم في بعض الحروب

دعونا قارة لا تذعرونا * فنجفل مثل اجفال الظليم

هكذا أنشده ابو عبيد في كتاب الانساب وأنشده قاسم في الدلائل

دعونا قارة لا تذعرونا * ويأتك البراية والذمام

قال ابن إسحاق وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر * وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية * وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي * وعامر بن ربيعة من عنز بن وائل حليف آل الخطاب بن نفيل بن عبد العزى «قال ابن هشام» عنز بن وائل أخو بكر بن وائل من ربيعة بن نزار * قال ابن إسحاق وعبد الله بن جحش ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة * وأخوه أبو أحمد بن جحش حليفا بني أمية بن عبد شمس وجعفر بن أبي طالب * وامرأته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة من خثعم * وحاطب بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي * وامرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر * وأخوه حطاب بن الحرث وامرأته فكيهة بنت يسار * ومعمر بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي * والسائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب * والمطلب بن أزهر ابن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي * وامرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي * والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد أخو بني عدي بن كعب بن لؤي «قال ابن هشام» هو نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي وإنما سمي النحام لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد سمعت نحمه في الجنة «قال ابن هشام» نحمه صوته وحسه

وكانوا رماة الحدق فمن راماهم فقد أنصفهم والقارة أرض كثيرة الحجارة وجمعها قور وكان معنى المثل عندهم أن القارة لا تنفد حجارتها إذا رمي بها فمن راماها فقد أنصف * وذكر أبا حذيفة بن عتبة «قال ابن هشام» واسمه مهشم وهو وهم عند أهل النسب فإن مهشما إنما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم وهشام ابني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه قيس فيما ذكروا * وذكر أسماء بنت عميس امرأة جعفر ابن أبي طالب وعميس أبوها هو ابن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة ابن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل وهو جماع خثعم بن أنمار على الاختلاف في أنمار هذا وقد تقدم وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث من كنانة وهي أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبي صلى الله عليه وسلم أمهما واحدة وأخت لبابة أم الفضل امرأة العباس وكن تسع أخوات فيهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوات مؤمنات وكانت قبل جعفر عند حمزة بن عبد المطلب فولدت له أمة الله ثم كانت عند شداد بن الهاد فولدت له عبد الله وعبد الرحمن وقد قيل إن التي كانت عند حمزة ثم عند شداد هي أختها سلمى لا أسماء وتزوجها بعد جعفر أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبي بكر وتزوجها بعده علي بن أبي طالب فولدت له يحيى قال الكلبي ولدت له مع يحيى عون بن علي ولم يختلف أنها ولدت لجعفر ابنا اسمه عون وولدت له أيضا عبد الله بن جعفر وكان جواد العرب في الإسلام وبنات عميس أسماء وسلامة وسلمى وهن أخوات ميمونة وسائر أخواتها للأم * وذكر ابن إسحاق في السابقين إلى الإسلام من بني سهم عبد الله بن قيس بن الحارث بن عدي بن سعيد بن سهم وحيثما تكرر نسب بني عدي بن سعد ابن سهم يقول فيه ابن إسحاق سعيد والناس على خلافه إنما هو سعد وسيأتي في شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك وإنما سعيد بن سهم أخو سعد وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم وفي سهم سعيد آخر وهو ابن سعد المذكور وهو جد المطلب بن أبي وداعة واسم أبي وداعة عوف بن صبيرة ابن سعيد بن سعد وقد قيل في صبيرة ضبيرة بالضاد المعجمة وهو الذي كان شابا جميلا لا يلبس حلة ويقول للناس هل ترون بي بأسا إعجابا بنفسه فأصابته المنية بغتة فقال الشاعر فيه

من يأمن الحدثان بعد صبيرة * القرشي ماتا
سبقت منيته المشيب * وكان منيته افتلاتا

* وذكر عامر بن ربيعة وقال هو من عنز بن وائل عنز بسكون النون ويذكر عن علي بن المديني أنه قال فيه عنز بفتح النون والسكون أعرف ذكر أهل النسب أن وائلا كان إذا ولد له ولد خرج من خبائه فأول ما وقعت عينه عليه سماه به فلما ولد له بكر وقعت عينه على بكر من الإبل فسماه به فلما ولد له تغلب رأى ثعلبين يتغالبان فسماه تغلب فلما ولد له عنز رأى عنزا وهي الأنثى من المعز فسماه عنزا فلما ولد له الشخص خرج فرأى شخصا على بعد صغيرا فسماه الشخص هؤلاء الأربع هم قبائل وائل وهم معظم ربيعة وهو عامر بن ربيعة العنزي

* قال ابن إسحاق: وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه. «قال ابن هشام»: عامر بن فهيرة مولَّد من مولَّدي الأسد، أسود، اشتراه أبو بكر رضي الله عنه منهم. * قال ابن إسحاق: وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة. «قال ابن هشام»: ويقال همينة بنت خلف. * قال ابن إسحاق: وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. * وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، واسمه مهشم فيما قال ابن هشام، بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. * وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، حليف بني عدي بن كعب. «قال ابن هشام»: جاءت به باهلة فباعوه من الخطاب بن نفيل فتبناه، فلما أنزل الله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ قال: أنا واقد بن عبد الله، فيما قال أبو عمرو المدني. * قال ابن إسحاق: وخالد وعامر وعاقل وإياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، حلفاء بني عدي بن كعب. * وعمار بن ياسر حليف بني مخزوم بن يقظة. «قال ابن هشام»: عمار بن ياسر عنسي من مذحج. * قال ابن إسحاق: وصهيب بن سنان، أحد النمر بن قاسط، حليف بني تيم بن مرة. «قال ابن هشام»: النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، ويقال أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد. ويقال: صهيب مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، ويقال إنه رومي، فقال بعض من ذكر أنه من النمر بن قاسط: إنما كان أسيرا في أرض الروم فاشتري منهم. وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: صهيب سابق الروم. * قال ابن عمارة

إسحاق: ثم دخل الناس في الإسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به، ثم إن الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه، وأن ينادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغني من مبعثه، ثم قال الله تعالى له: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ وقال تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقل إني أنا النذير المبين﴾ «قال ابن هشام»: فاصدع: افرق بين الحق والباطل. * قال أبو ذؤيب الهذلي، واسمه خويلد بن خالد، يصف أتن وحش وفحلها:

وكأنهن ربابة وكأنه * يسر يفيض على القداح ويصدع

أي يفرق على القداح ويبين أنصباءها، وهذا البيت في قصيدة له. وقال رؤبة بن العجاج:

أنت الحليم والأمير المنتقم * تصدع بالحق وتنفي من ظلم

وهذان البيتان في أرجوزة له. * قال ابن إسحاق: وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا في الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب رسول

العدوي حليف لهم، ويقال هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط، وقيل عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حجير بن سلامان بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. وذكر عامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وفهيرة أمه، وهي تصغير فهر؛ لأن الفهر مؤنثة، وكان عبدا أسود للطفيل بن الحارث بن سخبرة، اشتراه أبو بكر فأعتقه، وأسلم قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم، وسيأتي في الكتاب ما تقدم من أخباره مما أنه قتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة، فلما طعنه خرج من الطعنة نور، وكان عامر يقول: من رجل لما طعنته رفع حتى حالت السماء بيني وبينه؟ هذه رواية البكائي عن ابن إسحاق. وفي رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن عامرا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه، وقال: يا محمد، من رجل من أصحابك لما طعنته رفع إلى السماء؟ فقال: هو عامر بن فهيرة. وروى هشام بن عروة عن أبيه أن عامرا التمس في القتلى يومئذ فلم يوجد، فكانوا يرون أن الملائكة رفعته أو دفنته. ذكره ابن المبارك.

«فصل» وذكر قول الله سبحانه: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ والمعنى: اصدع بالذي تؤمر به، ولكنه لما عدى الفعل إلى الهاء حسن حذفها، وكان الحذف ههنا أحسن من ذكرها؛ لأن ما فيها من الإبهام أكثر مما تقتضيه الذي، وقولهم: ما مع الفعل بتأويل المصدر راجع إلى معنى الذي إذا تأملته، وذلك أن الذي تصلح في كل موضع تصلح فيه ما التي يسمونها المصدرية، نحو قول الشاعر:

عسى الأيام أن يرجعـ * ـن قوما كالذي كانوا

أي كما كانوا. فقول الله عز وجل إذًا: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ إما أن يكون معناه بالذي تؤمر به من التبليغ ونحوه، وإما أن يكون معناه اصدع بالأمر الذي تؤمره، كما تقول: عجبت من الضرب الذي تضربه، فيكون ما حينئذ عبارة عن الأمر الذي هو أمر الله تعالى، ولا يكون للباء فيه دخول ولا تقدير، وعلى الوجه الأول يكون ما مع صلتها

الله صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه فكان أول دم اهريق في الاسلام* قال ابن اسحق فلما نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه فيما بلغني حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه واجمعوا خلافه وعداوته الا من عصم الله تعالى منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر الله مظهرا لامره لا يرده عنه شيء فلما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا ان عمه أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم مشى رجال من أشراف قريش الى أبي طالب عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وأبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر

عبارة عما هو فعل للنبي صلى الله عليه وسلم والاظهر انها مع صلتها عبارة عن الامر الذي هو قول الله ووحيه بدليل حذف الهاء الراجعة الى ما وان كانت بمعنى الذي في الوجهين جميعا الا انك اذا أردت معنى الامر لم تحذف الا الهاء وحدها واذا أردت معنى المأمور به حذفت باء وهاء فحذف واحد أيسر من حذفين مع ان صدعة وبيانه اذا علقته بامر الله ووحيه كان حقيقة واذا علقته بالفعل الذي أمر به كان مجازا واذا صرحت بلفظ الذي لم يكن حذفها بذلك الحسن وتأمله في القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى «واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون . ويعلم ما تسرون وما تعلنون . ولما خلقت بيدي . ولا أعبد ما تعبدون» ولم يقل خلقته وحذف الهاء في ذلك كله وقال في الذي «الذين آتيناهم الكتاب والذي جعلناه للناس سواء» وما أشبه ذلك وانما كان الحذف مع ما أحسن لما قدمناه من ابهامها فالذي فيها من الابهام قريب مما في من التي هي شرط لفظا ومعنى ألا ترى ان ما اذا كانت شرطا تقول فيها ما تصنع اصنع مثله ولا تقول ما تصنعه لان الفعل قد عمل فيها فلما ضارعتها هذه التي هي موصولة وهي بمعنى الذي أجريت في حذف الهاء مجراها في أكثر الكلام وهذه تفرقة في عود الضمير على ما وعلى الذي تشهد لها التنزيل والقياس الذي ذكرناه من الابهام ومع هذا لم أر أحدا نبه على هذه التفرقة ولا أشار اليها وقارئ القرآن محتاج الى هذه التفرقة وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذي لانه أوجز ولكنه ليس كحسنه مع من وما ففي التنزيل «وانا وبالذي أنزلنا» فان كان الفعل متعديا الى اثنين كان ابراز الضمير أحسن من حذفه لئلا يتوهم ان الفعل واقع على المفعول الواحد وانه مقتصر عليه كقوله تعالى «جعلناه للناس سواء . والذين آتيناهم الكتاب» وشرح ابن هشام معنى قوله اصدع شرحا صحيحا وتتمته انه صدع على جهة البيان وتشبيه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل والقرآن نور فصدع به تلك الظلمة ومنه سمي الفجر صديعا لانه يصدع ظلمة الليل وقال الشماخ

ترى السرحان مفترشا يديه * كأن بياض لبته صديع

على هذا تأوله أكثر اهل المعاني وقال قاسم بن ثابت الصديع في هذا البيت ثوب اسود تلبسه الا واجة تحته ثوب أبيض ويصدع الاسود عند صدرها فيبدو الابيض وأنشد

كأنهن اذ وردن لينا * نوائح مخبآة صدعا

لينع — اسم جبل

﴿ مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ﴾

ذكر في الحديث ان أبا طالب حدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام دونه أصل الحدب انحناء في الظهر ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له كما قال النابغة

حدبت علي بطون ضبة كلها * ان ظالما فيهم وان مظلوما

ومثل ذلك الصلاة أصلها انحناء وانعطاف من الصلوين وهما عرقان في الظهر الى الفخذين ثم قالوا صلى عليه أي انحنى عليه ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة اذا أرادوا المبالغة فيها فقولك صلى الله على محمد هو أرق وأبلغ من قولك رحم الله محمدا في الحنو والعطف والصلاة أصلها في المحسوسات عبر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيدا كما قال الشاعر

فمازلت في ليني وعطفي * عليه كما يحنو على الولد الام

ومنه قيل صليت على الميت اى دعوت له دعاء من يحنو عليه ويعطف عليه ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الاطلاق لا تقول صليت على العدو أي دعوت عليه انما يقال صليت عليه في معنى الحنو والرحمة

«قال ابن هشام» واسم أبي سفيان صخر * قال ابن اسحق وأبو البختري واسمه العاص بن هشام بن الحرث بن اسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي «قال ابن هشام» أبو البختري العاص بن هاشم * قال ابن اسحق والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي * وأبو جهل بن هشام واسمه عمرو وكان يكنى أبا الحكم بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي * والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤي * ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي * والعاص بن وائل «قال ابن هشام» العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي * قال ابن اسحق أو من مشى منهم فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا

وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه ثم شرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا له يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك

والعطف لا يأتي الأصل انعطاف ومن أجل ذلك عدي في اللفظ بعلى فتقول صليت عليه أي حنوت عليه ولا تقول في الدعاء إلا دعوت له فتعدي الفعل باللام إلا أن تريد الشر والدعاء على العدو فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء وأهل اللغة لم يفرقوا ولكن قالوا الصلاة بمعنى الدعاء إطلاقا ولم يفرقوا بين حال وحال ولا ذكروا التعدي باللام ولا بعلى ولا بد من تقييد العبارة لما ذكرناه وقد يكون الحدب أيضا مستعملا في معنى المخالفة إذا قرن بالقعس كقول الشاعر

وإن حدبوا فاقعس وإن هم تقاعسوا * لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحدب

وكقول الآخر

ولي فيهم قوما أنت خائفهم * كمثل وقمك جهالا بجهال
فاقعس إذا حدبوا واحدب إذا قعسوا * ووازن الشر مثقالا بمثقال

أنشده الجاحظ في كتاب الحيوان له

«فصل» وذكر مجيء قريش إلى أبي طالب في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر أسماءهم وذكر فيهم أبا البختري بن هشام قال واسمه العاص بن هشام وقال ابن هشام هو العاص بن هاشم والذي قاله ابن اسحق هو قول ابن الكلبي والذي قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبي بكر وقول مصعب وهكذا وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر سفيان بن العاصي

«فصل» وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الذي جئت به ما تركته أو كما قال خص الشمس باليمين لأنها الآية المبصرة وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم فقال عمر مع أيهما كنت فقال مع القمر قال كنت مع الآية الممحوة اذهب فلا تعمل لي عملا وكان عاملا له فعزله فقتل الرجل في صفين مع معاوية واسمه حابس بن سعد وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم النيرين حين ضرب المثل لأن نورهما محسوس والنور الذي جاء به من عند الله وهو الذي أرادوه على تركه هو لا محالة أشرف من النور المخلوق قال الله سبحانه «يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم

في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا له ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا وبإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه * قال ابن اسحق وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدث أن قريشا حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخي إن قومك قد جاؤني فقالوا لي كذا وكذا للذي كانوا قالوا له فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق قال فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدا لعمه فيه بداء وأنه خاذله ومسلمه وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته قال ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي قال فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا

و يأبى الله الا أن يتم نوره» فاقتضت بلاغة السوق لما أرادوه على ترك النور الأعلى أن يقابله بالنور الأدنى وان يخص أعلا النيرين وهي الآية المبصرة باشرف الجنسين وهي اليمنى بلاغة لا مثلها وحكمة لا يجهل اللبيب فضلها * وقول ابن اسحق ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قد بدا لعمه بداء أى ظهر له رأى فسمى الرأى بداء لانه شيء بدا بعدما خفي والمصدر البدء والبدو والاسم البداء ولا يقال في المصدر بدا له بدو كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع لان الذى يظهر و يبدو ههنا هو الاسم نحو البداء وأنشد أبو على

لعلك والموعود حق وفاؤه * بدا لك في تلك القلوص بداء

ومن أجل أن البدو هو الظهور كان البداء في وصف البارى سبحانه محالا لانه لا يبدو له شيء كان غائبا عنه والنسخ للحكم ليس ببداء كما توهمت الجهلة من الرافضة واليهود انما هو تبديل حكم بحكم بقدر قدره وعلم علمه وقد يجوز أن يقال بدا له أن يفعل كذا ويكون معناه أراد وهذا من المجاز الذى لا سبيل الى اطلاقه الا باذن من صاحب الشرع وقد صح في ذلك ما خرجه البخارى في حديث الثلاثة الاعمى والاقرع والابرص وانه عليه السلام قال بدا لله أن يبتليهم فبدا ها هنا بمعنى أراد وذكر الرافضة لان ابن أعين ومن اتبعه منهم يجيزون البداء على الله تعالى و يجعلونه والنسخ شيئا واحدا واليهود لا تجيز النسخ يحسبونه بداء ومنهم من أجاز البداء كالرافضة وروى ان عليا رحمه الله ضحك يوما فسئل عن ضحكه فقال تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ورآنى أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة فقال ما هذا الفعل الذى أرى فلما أخبرناه قال هذا حسن ولكن لا أفعله أبدا لانى لا أحب أن تعلونى استى فذكرت الآن قوله فضحكت

﴿فصل﴾ وذكر قول الملا من قريش لابى طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله فخذه مكان ابن اخيك أنهد أى أقوى وأجلد وقال فرس نهد للذى يتقدم الخيل وأصل هذه الكلمة التقدم ومنه يقال نهد ثدى الجارية أى برز قدما وعمارة بن الوليد هذا المذكور هو الذى ارسلته قريش مع عمرو بن العاصى الى أرض الحبشة فسحر هناك وجن وسيأتى ذكر خبره شيئا بعد هذا ان شاء الله * وذكروا ان أبا طالب قال لهم حين سألوه ان يأخذ عمارة بدلا من محمد صلى الله عليه وسلم أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها وترأمه لا أعطيكم ابنى تقتلونه أبدا وآخذ ابنكم أكفله وأغذوه وهو معنى ما ذكر ابن اسحق قال ابن اسحق فحقب الامر عند ذلك يريد اشتد وهو من قولك حقب البعير اذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب واذا عسر عليه البول أيضا لشد الحقب على ذلك الموضع وقال فيه حقب البعير ثم يستعمل في الامر اذا عسر وكذلك قوله وتشرى الامر عند ذلك أى انتشر الشر فيه بالشرى وهي قروح تنتشر على البدن يقال منه شرى جلد الرجل يشرى شرى

﴿فصل﴾ وذكر شعر أبى طالب الا قل لعمرو والوليد الى آخر الشعر

* وفيه الا ليت حظى من حياطة نصركم * أى ان نصركم الا بل أنفع لى منكم فليت لى بدلا من حياطتكم كما قال طرفة في عمرو بن هند

ليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور

وقوله من الخور حبحاب الخور الضعاف والحبحاب بالحاء الصغير وفي حاشية كتاب الشيخ أبى بحر جبجاب بالجيم وفسره فقال هو الكثير الهدر وفي الشعر * اذا ما علا الفيفاء قيل له وبر * أى يشبه بالوبر لصغره و يحتمل أن يكون أراد تصغره في العين لعلوه المكان وبعده والفاء فيه لا عوتلو لولا قولهم الفيف الا مكان حمله على

لفراقهم في ذلك وعداوتهم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغنى يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فانما هو رجل برجل قال والله لبئس ما تسوموننى أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبدا قال فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا فقال أبو طالب للمطعم والله ما أنصفونى ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم علىّ فاصنع ما بدا لك أو كما قال قال فحقب الامر وحميت الحرب وتنابذ القوم ونادى بعضهم بعضا فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدى و يعم من خذله من عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم

الا قل لعمرو والوليد ومطعم * ألا ليت حظى من حياطتكم بكر
من الخور حبحاب كثير رغاؤه * يرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق * اذا ما علا الفيفاء قيل له وبر
أرى أخوينا من أبينا وأمنا * اذا سئلا قالا الى غيرنا الامر

بلى لهما أمر ولكن تجرجما * كما جرجمت من رأس ذي علق صخر أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا *
هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر هما أغمزا للقوم في أخويهما * فقد أصبحا منهم أكفهما صفر
هما أشركا في المجد من لا أبا له * من الناس الا ان يرس له ذكر وتيم ومخزوم وزهرة منهم *
وكانوا لنا مولى اذا بغي النصر فوالله لا تنفك منا عداوة * ولا منهم ما كان من نسلنا شفر
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم * وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر «قال ابن هشام» تركنا منها بيتين

أقذع فيهما * قال ابن اسحق ثم ان قريشا تذامروا بينهم على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه أبي طالب وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون في بني هاشم وبني المطلب فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوه الى ما دعاهم اليه الا ما كان من أبي لهب عدو الله الملعون فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره في جهدهم معه وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره فقال

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
فان حصلت أشراف عبد منافها * ففي هاشم أشرافها وقديمها
فان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة * اذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمي حماها كل يوم كريهة * ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وانما * بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحدا

باب القصقاص والجرجار أولى ولكن سمع الفيف فعلم ان الالفين زائدتان وانه من باب فلق وسلسل الذي ضوعفت فيه فاء الفعل دون عينه وهي ألفاظ يسيرة نحو قلق وسلس وثلث وسندس وقد ذكرت ذلك في أكثرها في الكلام ولعل لها موضعا نذكرها فيه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ولا يكون ألف فيفاء للالحاق فتصرف لانه ليس في الكلام فعلال . فان قيل تكون ملحقا بقصقاص وبابه . قلنا قصقاص أي مضاعف فلا يلحق به الثلاثي كما لا يلحق الرباعي بالثلاثي ولا الاكثر بالاقل وقد حكي فيفاة بالقصر وليست الفها للتأنيث اذ لا يجمع بين علامتي تأنيث فهي اذا من باب ارطاة ونحوها كانها ملحقة بسلهبة * وفي الشعر * كما جرجمت من رأس ذي علق صخر * وترك صرف علق اما لانه جعله اسم بقعة واما لانه اسم علم وترك صرف الاسم العلم سائغ في الشعر وان لم يكن مؤنثا ولا أعجميا نحو قول عباس بن مرداس

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس في المجمع

ونحو قول الآخر

فامن حفاني وملا * سمت أهلا وسهلا
ومات مرحبا لما * رأت مالي قلا

فلم يصرف مرحبا وسيأتي في هذا الكتاب شواهد كثيرة على هذا وشرح العلة فيه ان شاء الله تعالى ولو روي من رأس ذي علق الصخر بحذف التنوين لالتقاء الساكنين لكان حسنا كما قرئ قل هو الله احد الله الصمد بحذف التنوين من أحد وهي رواية عن أبي عمرو بن العلاء وقال الشاعر

* حميد الذي أمج داره * وقال آخر * ولا ذاكر الله الا قليلا * وانشد قول ابي طالب

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها

* قوله سرها أي وسطها وسر الوادي وسرارته وسطه وقد تقدم متى يكون الوسط مدحا وأن ذلك في موضعين في وصف الشهود وفي النسب وبينا السر في ذلك * وقال في القصيدة ونضرب عن أحجارها من يرومها * أي ندفع عن حصونها ومعاقلها وان كانت الرواية احجارها فقد تقدم الحجر جمع حجر والحجرة اسم سار وأعاد الذي عن ... ومساكنها * وقد ذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله فيما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي والقرآن فقسمه الشعر فما هو بهزجه ولا رجزه والهزج من أعاريض الشعر معروف عند العرب ... ولا أعرف له اشتقاقا الا أن يكون من قولهم في وصف الذباب هزج أي مترنم وأما الرجز فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل اذا عدلته بالرجازة وهو شيء يعدل به الحمل وكذلك الرجز في الشعر أشطار معدلة ويجوز أن يكون من رجزت الناقة اذا اصابها ارتعاد عند قيامها كما قال الشاعر * حتى يقوم تكلف الرجزا *

ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا قالوا فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقل به قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس قال والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق وإن فرعه لجناة «قال ابن هشام» ويقال لغدق وما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد إلا حذروه إياه وذكروا لهم أمره فأنزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله

فالمر بحركاته مر بعد عبد الشادة لفصر الأسباب * وقوله قد سمع الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه الزمزمة صوت ضعيف كنحو ما كانت الفرس تفعله عند شربها الماء ويقال أيضا زمزم الرعد وهو صوت له قبل الهدر وكذلك الكهان كانت لهم زمزمة الله أعلم بكيفيتها وأما زمزمة الفرس وكانت من أدوبهم * وقول الوليد إن أصله لعذق وإن فرعه لجناة استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وقوي وطاب فرعها إذا جني والنخلة هي العذق بفتح العين ورواية ابن إسحق أفصح من رواية ابن هشام لأنها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ورواية ابن هشام إن أصله لغدق وهو الماء الكثير ومنه قيل غدق الرجل إذا كثر بصاقه وأحد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمى الغيداق لكثرة عطائه والعيدق أيضا ولد الضب وهو أكبر من الحسل قاله قطرب في كتاب الأفعال والأسماء له

﴿فصل﴾ وذكر ابن إسحق قول الله تعالى «ذرني ومن خلقت وحيدا» الآيات التي نزلت في الوليد وفيها له تهديد ووعيد شديد لأن معنى ذرني ومن خلقت أي دعني وإياه فستري ما أصنع به كما قال فذرني ومن يكذب بهذا الحديث وهي كلمة يقولها المغتاظ إذا اشتد غيظه وغضبه وكره أن يشفع لمن اغتاظ عليه فمعنى الكلام أي لا تشفع فيه لهذا الكافر ولا تستعطف بمحمدك ولا من غيرك وقوله «وبنين شهودا» أي مقيمين معه غير محتاجين إلى الأسفار والغيبة عنه لأن ماله كان ممدودا أو المال الممدود عندهم عشرة آلاف دينار فصاعدا «ومهدت له تمهيدا» أي هيأت له وقدمت له مقدمات استدراجه وقوله تعالى «سأرهقه صعودا» هي عقبة في جهنم يقال لها الصعود فمسيرها سبعين سنة يكلف الكافر أن يصعدها فإذا أصعدها لعذاب طويل صب من أعلاها ولا يزال كذلك أبدا كذلك جاء في التفسير وقوله سبحانه «فقتل كيف قدر» أي لعن كيفما كان تقديره وكيف هاهنا من حروف الشرط وقيل معنى قتل أي هو أهل أن يدعى عليه بالقتل وقد فسر ابن هشام بسر والبسر أيضا القهر والبسر حمل الفحل على الناقة قبل وقت الضراب وفسر عضين وجعله من عضت أي فرقت وفي الحديث لا تعضية في ميراث إلا ما حمله القسم ومعنى هذا الحديث موافق لمذهب ابن القاسم ورأيه في كل ما لا ينقسم إذا قسم أو كان في قسمه ضرر على

ذرني ومن خلقت وحيدا
وجعلت له مالا ممدودا
وبنين شهودا ومهدت
له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد
كلا إنه كان لآياتنا عنيدا
أي خصيما «قال ابن
هشام» عنيد معاند مخالف
قال رؤبة بن العجاج
* ونحن ضرابون رأس العند *
وهذا البيت في أرجوزة له
سأرهقه صعودا إنه فكر
وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل
كيف قدر ثم نظر ثم عبس
وبسر «قال ابن هشام»
بسر كره وجهه قال العجاج
* مضبر اللحيين بسرا منهسا *
يصف كراهية وجهه وهذا
البيت في أرجوزة له ثم أدبر
واستكبر فقال إن هذا إلا
سحر يؤثر إن هذا إلا قول

البشر * قال ابن إسحق وأنزل الله تعالى في رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى وفي النفر الذين كانوا معه يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين أي أصنافا فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون * قال ابن هشام واحدة العضين عضة يقول عضوه فرقوه قال رؤبة بن العجاج * وليس دين الله بالمعضى * وهذا البيت في أرجوزة * قال ابن إسحق فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها فلما خشي أبو طالب دهماء العرب أن يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك دونه فقال أبو طالب

ولما رأيت القوم لا ود فيهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل وقد صارحونا بالعداوة والأذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

الشركين ألا اسم وهو خلاف رأى مالك وحجة مالك قول الله تعالى «مما قل منه او كثر نصيباً مفروضاً»
وقد قيل فى عضين انه جمع عضة وهى السحر وانشدوا

اعوذ بربى من النافثا * ت فى عقد العاضه المعضه

ومنه قولهم باللعضيهة و بالافيكة

﴿فصل﴾ وذكر قصيدة ابى طالب الى آخرها وفيها * وابيض عضب من تراث المقاول * قد شرحنا الاقيال والمقاول بما تقدم وتراث اصله وراث من ورثت ولكن لا تبدل هذه الواو تاء الا فى مواضع محفوظة وعلتها كثرة وجود التاء فى تصاريف الكلمة فالتراث مال مدنوو رث ويوارثه قوم عن قوم فالتاء مستعملة فى التوريث والتوارث وكذلك تجاه الميت التاء مستعملة فى التوحد والتوحيد ونحوه فلما الفوها فى تصاريف الكلمة لم ينكروا اقلب الواو اليها كما فعلوا فى ريحان وهو من الروح لكثرة الياء فى تصاريف الكلمة كما قدمنا فصل وهى تراث وبابه ابعد لان الياء المألوفة فى مادة الكلمة زائدة وياء ريحان ليست كذلك وكذلك التكأة من توكات وتترى من الوتر والولج من التولج والمتلج لانهم يقولون اتلج بالتشديد فتصير الواو تاء للادغام حتى قولوا متلج فيجعلونها تاء دون الادغام وهذا الشبه قياس ريحان وبابه فان التاء الاولى من متلج اصلية وهى فى متلج اذا صغت اصلية ايضاً فهى فقف على هذا الاصل فانه سر الباب واراد بالمقاول اباءه شبههم بالملوك ولم يكونوا ملوكا ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث ابى سفيان حين قال له هرقل هل كان فى آبائه من ملك فقال لا ويحتمل ان يكون هذا السيف الذى ذكر انوطا من هبات الملوك لابيه فقد وهب ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات جزيلة حين وفد عليه مع قريش يهنئونه بظفره بالحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين *وقوله موسمة الاعضاد اوقصراتها يعنى سمة فى اعضادها و يقال لذلك الوسم السطاع والحاط فى الفخذ والرقمة ايضا فى العضد ويقال للوسم فى الكشح الكشاح وللنافى مصدره العلى فى العلاط والملطان والشعب ايضاً فى العنق وهو كالمحجن وفى العنق وسم آخر ايضاً يقال لها قيد الفرس قال الراجز

كوم على أعناقها قيد الفرس * تنجو اذا الليل تدانى والتبس

ولوسوم الابل أسماء كثيرة وباب طويل قد ذكر أنواعاً كثيرة فى كتاب الابل فيها المشطبة والمفقاة والفرمة وهى فى الانف وكذلك الخرف والخطاف وهى فى الحلق والدلو والمشط والفرتاج والثؤثور والدماع فى موضع الدمع والصداع فى موضع الصدغ واللجام من الحد الى العين قاله ابو عمرو الجرمى والهلال والحراش وهو من الصدغ الى الذقن وقوله وقصراتها جمع قصرة وهى أصل الاذن وخفض قصراتها بالعطف على الاعضاد ولا يجوز ان يكون فى موضع نصب كما تقول هو ضارب الرجل وزيداً لان باب اسم الفاعل لان قوله موسمة الاعضاد من باب الصفة المشبهة وهى لا تعمل الا مضمرة واسم الفاعل يضمر اذا عطف على المخفوض وذلك ان الصفة لا تعمل المعنى وانما تعمل بسبه لفظى بينها وبين اسم الفاعل فاذا زال اللفظ ورجع الى الاضمار لم تعمل وتخالف اسم الفاعل أيضاً لان معمولها لا يتقدم عليها كما يتقدم المفعول على اسم الفاعل وذلك ان معمولها فاعل فى المعنى والفاعل لا يتقدم والصفة لا تفصل بينها وبينه بالظرف ونحو ذلك فى اسم الفاعل والصفة لا تعمل الا بمعنى الحال واسم الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال نعم وتعمل بمعنى الماضى اذا دخلت عليه الالف واللام ولو روى موسمة الاعضاد بنصب الدال على معنى موسمة الاعضاد لجاز ومن وجده فلا بالنساك من لا ركار وى فى شعر جدح * كاكرمه أوا الناس *

وقد حالفوا قوما علينا اظنة * يعضون غيظاً خلفنا بالانامل
ضروب لهم يعسى اسمراء سمحة *
وابيض عضب من تراث المقاول *
واحضرت عند البيت رهطى واخوتى *
وأمسكت من أثوابه بالوصائل *
فيا لمعاصم مستقبلين رتاجه *
لدى حيث يقضى حلفه كل نافل *
وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم *
بمفضى السيول من اساف ونائل *
موسمة الاعضاد أو قصراتها *
مخيسة بين السديس وبازل *

بالنصب والرفع أيضا أي البياض منهما على نية التنوين في مقابلة وحذفه لالتقاء الساكنين وأما الخفض فلا حاجة به وإذا كانت المضرات مخصوصة بالعطف على الأعضاد فيه شاهد لمن قال هو حسن وجهه كما روي بسنده حين أنشد * كميتا الأعالي جونتا مصطلاهما * وفي حديث أم زرع صفر ردائها وملء كسائها مثل حسنة وجهها وفي الأمالي من صفة النبي صلى الله عليه وسلم شثن الكفين طويل أصابعه أعني مثل صفر ردائها * وقوله ترى الودع به الودع والودع بالسكون والفتح خرزات تنظم ويتحلى بها النساء والصبيان كما قال * والحلم حلم صبي يمرس الودعا * وقال الشاعر

ان الرواة بلا فهم لما حفظوا * مثل الجمال عليها يحمل الودع

لا الودع ينفعه حمل الجمال له * ولا الجمال بحمل الودع تنتفع

وقال ان هذه الخرزات يقذفها البحر وانها حيوان في جوف البحر فاذا قذفها ماتت ولها بريق ولون حسن وتصلب صلابة الحجر فتثقب وتتخذ منها القلائد واسمها مشتق من ودعه أي تركه لان البحر يقذف بها ويدعها فهي ودع مثل قبض ونقض واذا قلت الودع بالسكون فهي من باب التسمية بالمصدر * وقوله والرحام أي ما قطع من الرخام فنظم وهو حجر ابيض ناصع والمثاكل اراد المثاكيل فحذف الياء ضرورة كما قال ابن مقاص وفيها العصافر أراد العصافير وفي أول القصيدة وقد حالفوا علينا أطه أي متهم ولو كان بالضاد مع قوله علينا لأعادها مد حالفهم كأنه قال اشجعه علينا كما أنشد عمرو بن بحر

لو كنت في قوم عليك أشحة * علـيك الا ان من طاح طائح

يودون لو خاطوا عليك جلودهم * وهل يدفع الموت النفوس الشحائح

وفيها * ونور ومن أرسى ثبيرا مكانه وراق لبرق في حراء ونازل

ثور جبل بمكة وثبير جبل من جبالها ذكروا ان ثبيرا كان رجلا من هذيل مات في ذلك الجبل فعرف الجبل به كما عرف أبو قبيس بقبيس بن شالخ رجل من جرهم كان قد وشى بين عمرو بن مضاض وبين ابنة عمه ميه فنذرت الا تكلمه وكان شديدا لكلف بها فحلف ليقتلن قبيسا فهرب منه في الجبل المعروف به وانقطع خبره فاما مات واما تردى منه فسمي الجبل أبا قبيس وهو خبر طويل ذكره ابن هشام في غير هذا الكتاب * وقوله وراق ليرقى قد تقدم القول فيه واصح الروايتين فيه وراق لبرقى حراء ونازل فالبرقى هكذا رواه ابن اسحق وغيره وهو الصواب (قال المؤلف) فالوهم فيه اذا من ابن هشام أو من البكائي والله أعلم * وقوله وبالحجر الاسود فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الأسود ونحوه قول جندح * ألا رب يوم لك منهن صالح * وموضع الزحاف بعد اللام من ذلك * وقوله اذ اكتنفوه بالضحى والاصائل الاصائل جمع اصلة والاصل جمع أصيل وذلك ان فعائل جمع فعيلة والاصلة لغة معروفة في الاصيل وظن بعضهم ان أصائل جمع أصال على وزن أفعال وأصال جمع أصل نحو أطناب وطنب وأصل جمع أصيل مثل رغف جمع رغيف فاصائل على قولهم جمع جمع الجمع وهذا خطأ بين من وجوه منها ان جمع جمع الجمع لم يوجد قط في الكلام فيكون هذا نظيره ومن جهة القياس اذ كانوا لا يجمعون الجمع الذي ليس لادنى العدد فاحرى الا يجمعوا جمع الجمع وأبين خطأ في هذا القول غفلتهم عن الهمزة التي هي فاء الفعل التي في أصل وأصيل وكذلك هي فاء الفعل في أصائل لانها فعائل ونونها زائدة كالتي في أفاويل ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعل وانما هي عينه كما هي في أصيل وأصل فلو كانت أصائل جمع أصال مثل اقوال وأقاويل لاجتمعت همزة الجمع مع همزة الاصل

ترى الودع فيها والرخام وزينة *
باعناقها معقودة كالعثاكل *
أعوذ برب الناس من كل طاعن *
علينا بسوء أو ملح بباطل *
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة *
ومن ملحق في الدين ما لم نحاول *
وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه *
وراق ليرقى في حراء ونازل *
وبالبيت حق البيت من بطن مكة *
وبالله ان الله ليس بغافل
وبالحجر المسود اذ يمسحونه *
اذ اكتنفوه بالضحى والاصائل

وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل   واشواط بين المروتين الى الصفا * وما فيهما من صورة وتماثل
ومن حج بيت الله من كل راكب * ومن كل ذي نذر ومن كل راحل   وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له * الال الى مفضى الشراج القوابل
وتوقافهم فوق الجبال عشية * يقيمون (١٧٦) بالايدي صدور الرواحل   وليلة جمع والمنازل من منى * وهل فوقها من حرمة ومنازل

ولما الوافيه أواصيل بتسهيل الهمزة الثانية ووجه آخر من الخطأ بين أصبا وهو أن أفاعل جمع أفعال لا بدمن ياء قبل آخره كما قالوا في أقاويل ه فكان تكون اواصيل وليس في أصائل حرف مد ولين قبل آخره ا عما هي همزة فعائل ومن الخطا في قولهم أصائل حملوا أصلا جمعا كبيرا مثل رعف ثم زعموا ان آصالا جمع له فهم عبرله من قال في رعف جمع ارعاف . فان قيل لجمع أي شيء هي آصال فالجمع اصل الذي هو اسم مفرد في معنى الاصائل لا جمع اصيل الذي هو جمع . فان قيل فهل يقال أصل واحد كما يقال أصيل واحد . فلما قد قال بعض أرباب اللغة ذلك واستشهدوا بقول الاعشى

يوما باطيب منها نشر رائحة * ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

أي دنا الاصيل فان صح ان الاصل بمعنى الاصيل والآصال جمع أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طوى وأطواء ولا اعرف أحدا قال هذا القول أعني جمع جمع الجمع غير الزجاجي وابن عزيز * وقوله وموطئ ابراهيم في الصخر رطبة يعني موضع قدميه حين غسلت كنة رأسه وهو راكب فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل وكانت سارة قد اخذت عليه عهدا حين استأذنها في ان يطالع تركته بمكة فحلف لها انه لا ينزل عن دابته ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها اثر قدمه آية قال الله سبحانه «فيه آيات بينات مقام ابراهيم» أي منها مقام ابراهيم ومن جعل مقاما بدلا من آيات قال المقام جمع مقامة وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه * وقوله بين المروتين هو كقولهم ما هدم في بطن المكتين والجمتين وعرنتين ثم اورده في من أسماء المواضع وهو واحد في الحقيقة وذكرنا العلة في مجيئه مثنى ومجموعا في الشعر وفيها قوله
* وبالمشعر الاقصى اذا قصدوا له * الالا البيت فالمشعر الاقصى عرفة والالا جبل عرفة قال النابغة
* بزرن الالا يسيرهن التدافع * وسمى الالا لأن الحجيج اذا رأوه والوا في السير أي اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف قال الراجز

مهرأبي الحبحاب لا تشل * بارك فيك الله من ذي أل

والشراج جمع شرج وهو مسيل الماء والقوابل المقابلة * وفيها قوله وحطمهم سمر الصفاح جمع صفح وهو سطح الجبل والسمر يجوز أن تكون أراد به السمر قال فيه سمر وسمر بسكون الميم ويجوز نقل ضمة الميم الى ما قبلها الى السين كما قالوا في حسن حسن وكذا وقع في الاصل بضم السين غير أن هذا النقل انما يقع غالبا فيما يراد به المدح أو الذم نحو حسن وقبح كما قال وحسن ذا أدبا أي حسن ذا أدبا وجائز أن يراد بالسمر هنا جمع أسمر وسمراء وتكون وصفا للانبات والشجر كما يوصف بالدهمة اذا كان مخضرا وفي التنزيل «مدهامتان» أي خضراوان الى السواد * وقوله وشرفه وهو نبات يقال لبابسه الحلي والرطبة الشرق * وقوله سدى محمدا أي نسلمه ونغلب عليه * وقوله نهوض الروايا هي الابل تحمل الماء واحدها راوية والاسمية أيضا مال لها راوية وأصل هذا الجمع رواوي ثم تصير في القياس روائي مثل حوائل جمع حول ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعد ما قدموا الياء فقلبوها وصار وزنه فواعل وابما قلبوه كراهية اجتماع واوين واو فواعل والواو

وجمع اذا ما المقربات أجزنه * سراعا كما يخرجن من وقع وابل
وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها * يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وكندة اذ هم بالحصاب عشية * تجيز بهم حجاج بكر بن وائل
حليفان شدا عقد ما احتلفاله * وردا عليه عاطفات الوسائل
وحطمهم سمر الرماح وسرحه * وشبرقه وخد النعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذ لعائذ * وهل من معيذ يتقي الله عادل
يطاع بنا أمر العدا ود أننا * يسد بنا أبواب ترك وكابل
كذبتم وبيت الله نترك مكة *
ونظعن الا أمركم في بلابل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا *
ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل   التي
وينهض قوم بالحديد اليكم * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل   وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه * من الطعن فعل الانكب المتحامل
وانا لعمر الله ان جد ما أرى * لتلتبسا اسيافنا بالاماثل   بكفي فتى مثل الشهاب سميدع * أخي ثقة حامي الحقيقة باسل

شهورا وأياما وحولا محرما * عليها وأنى حجة بعد قابل   ومابرك قوم لا أبالك سيدا * يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل   يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في رحمة وفواضل
لعمري لقد أجرى أسيد وبكره * الى بغضنا وجزآنا لآكل   وعثمان لم يربع علينا وقنفذ * ولكن أطاعا أمر تلك القبائل
أطاعا أبيا وابن عبد يغوثهم * ولم يرقبا فينا مقالة قائل   كما قد لقينا من سبيع ونوفل * وكل تولى معرضا لم يجامل

فإن يلقيا أو يمكن الله منهما * نكل لهما صاعا بصاع المكايل
وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا * ليظعننا في أهل شاء وجامل
يناجي بنا في كل ممسى ومصبح * فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
ويؤلي لنا بالله ما إن يغشنا * بلى قد نراه جهرة غير حائل
أضاق عليه بغضنا كل تلعة * من الأرض بين أخشب فمجادل
وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا * بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
وكنت امرأ ممن يعاش برأيه * ورحمته فينا ولست بجاهل
فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح * حسود كذوب مبغض ذي دغاول
ومر أبو سفيان عني معرضا * كما مر قيل من عظام المقاول
يفر الى نجد وبرد مياهه * ويزعم أني لست عنكم بغافل
ويخبرنا فعل المناصح أنه * شفيق ويخفي عارمات الدواخل
أمطعم لم أخذلك في يوم نجدة * ولا معظم عند الأمور الجلائل

التي هي عين الفعل ووجه آخر وهو أن الواو الثانية قياسها أن تقلب همزة في الجمع لوقوع الألف بين واوين فلما قلبت همزة قلبوها ياء كما فعلوا في خطايا وبابه مما الهمزة فيه معترضة في الجمع والصلاة أصل المرادات فهاهنا أصله بالماء وفيها * قوله غير ذرب مواكل وهو مخفف من ذرب والذرب اللسان الفاحش الناطق والمؤاكل الذي لا جد عنده فهو يتكل أموره الى غيره وفيها * قوله ثمال اليتامى أي ثملهم وتقوم بهم يقال هو ثمال مال أي يقوم به * وفيها قوله ليظعننا في أهل شاء وجامل الشاء والشوي اسم للجمع مثل الباقر والبعير ولا واحد لشاة والشوي من لفظه وإذا قالوا في الواحد شاة فليس من هذا لأن لام الفعل في شاة هاء بدليل قولهم في التصغير شويهة وفي الجمع شياه والجامل اسم جمع بمنزلة الباقر * وقوله وكسير رماحا حطب قد حطب اسم للجمع مثل ركب وليس بجمع لأنك تقول في تصغيره حطب وركيب * وقوله حطاب أقدرهو جمع حاطب فلا يصغر إلا أن ترده الى الواحد فتقول حو يطبون ومعنى البيت أي كسر متقصين لا يحطبون الا قدرا واحدة فإنهم الآن بخلاف ذلك * وفيها قوله من الأرض بين أخشب فمجادل أراد الأخاشب وهي جبال مكة وجاء به على أخشب لأنه في معنى أجبل مع أن الاسم قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك والمجادل جمع مجدل وهو القصر كأنه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام أو العراق والفاء من قوله فمجادل تعطي الاتصال بخلاف الواو * كقوله بين الدخول فحومل وتقول مطرنا بين مكة فالمدينة إذا اتصل المطر من هذه الى هذه ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى * وقوله أولى جدل من الخصوم المساحل روي بالجيم وبالحاء فمن رواه بالجيم فهو من المساجلة في القول وأصله في استقاء الماء بالسجل وصبه فكأنه جمع مساجل على تقدير حذف الألف الزائدة من مفاعل أو جمع مسجل بكسر الميم وهو من نعت الخصوم ومن رواه المساحل بالحاء فهو جمع مسحل وهو اللسان وليس بصفة للخصوم إنما هو مخفوض بالاضافة أي خصماء الألسنة وقال ابن أحمر * من خطباء إذا ما أجل مسحله * أي لسانه وهو أيضا من السحل وهو الصب ومنه حديث أيوب حين فرج عنه فجاءت سحابة فسحلت في بيدره ذهبا وجاءت أخرى فسحلت في البيدر الآخر فضة

﴿ فصل ﴾ وفيها

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا * بني خلف قيضا بنا والغياطل

قيضا أي معاوضة ومنه قول النبي عليه السلام لذي الجوشن إن شئت قايضتك به المختار من دروع بدر فقال ما كنت لأقيضه اليوم بشيء * يعني فرسا له يقال له ابن القرحاء وقال أبو الشيص

لا تنكري صدي ولا إعراضي * ليس المقل عن الزمان براض
بدلت من برد الشباب ملاءة * خلقا وبئس مثوبة المقتاض

والغياطل بنو سهم لأن أمهم الغيطلة وقد تقدم نسبها وقيل ان بني سهم سموا بالغياطل لأن رجلا منهم قتل

(٢٣ – روض ل) ولا يوم خصم إذ أتوك ألدة * أولي جدل من الخصوم المساحل   أمطعم إن القوم ساموك خطة
وإني متى أوكل فلست بوائل   جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل
بميزان قسط لا يخس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل   لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا
بني خلف قيضا بنا والغياطل   ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الأوائل

وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا * علينا العدا من كل طمل وخامل * فعبد مناف أنتم خير قومكم
فلا تشركوا فى أمركم كل واغل * لعمرى لقد وهنتم وعجزتم * وجئتم بأمر مخطىء للمفاصل
وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم * الآن حطاب أقدر ومراجل * ليهن بنى عبد مناف عقوقنا
وخذلاننا وتركنا فى المعاقل * فان نك قوما نتئر ما صنعتم * وتحتلبوها لقحة غير باهل
وسائط كانت فى لؤى بن غالب * نفاهم الينا كل صقر حلاحل * ورهط نفيل شر من وطئ الحصى
وألأم حاف من معد وناعل * فابلغ قصيا أن سينشر أمرنا * وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة * اذا ما لجأنا دونهم فى المداخل * ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم
لكنا أسى عند النساء المطافل * وكل صديق وابن أخت نعده * لعمرى وجدنا غبه غير طائل
سوى ان رهطا من كلاب بن مرة * براء الينا من معقة خاذل * ونعم ابن أخت القوم غير مكذب
وكان لنا حوض السقاية فيهم * ونحن الكدى من غالب والكواهل * (١٧٨) * ونحسر عنا كل باغ وجاهل
شباب من المطيبين وهاشم * كبيض السيوف بين أيدى الصياقل * فما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دما * ولا حالفوا إلا شرار القبائل
بضرب ترى الفتيان فيه كأنهم * ضوارى أسود فوق لحم خرادل * بنى أمة محبوبة هندكية * بنى جمح عبيد قيس بن عاقل
ولكنا نسل كرام لسادة * بهم نعى الأقوام عند البواطل

حاطاف بالبيت سبعا ثم خرج من المسجد فمله فاطامت مكة حتى فرعوا من شدة الظلمة الى أصنامهم والعيطلة الظلمة الشديدة والعيطلة أيضا الشجر الملتف والعيطلة اختلاط الاصوات والعيطلة المرة الوحشية والعيطلة علة الناس * وقوله بخس سعيره أى بنقص والخس النقص من كل شئ ورووى فى غير السيرة بخص بالصاد والخاء مهملة من حص الشعر اذا أذهبه * وقوله من كل طمل وخامل الطمل اللص كذا وجدته فى كتاب أبى بحر وفى العين الطمل الرجل الفاحش والطمل والطملال الفقير والطمل الذئب * وقوله لقحة غير باهل الباهل الناقة التى لا صرار على أخلافها فهى مباحة الحلب فاذا كان على حلفها صرار منع الفصيل من أن يرضع وليست المصراة من هذا المعنى انما هى التى جمع لبنها فى ضرعها فهو من الماء الصرى وقد غلط أبو على فى البارع فجعل المصراة بمعنى المصرورة وله وجه بعيد وذلك أن يحتج له بقول احدى الراعين يامعمل قصت أظفارى غيرانه يدقى المعنى وقالت امرأة المعيرة تعاتب زوجها وقد كرأمها جاهية كانا قد اهله الى لا صرار على أخلافها أطعمك مأدومى وأبثك مكتومى وحيئك باهلا غير ذات صرار وفى الحديث لا يوردن ذو عاهة على مصح فان الشياطين يرضعهم أى لا أصرة عليها * ومنها قوله * براء الينا من معقة خاذل * قال قوم براء وبراء بالفتح وبراء بالكسر فاما براء بالكسر فجمع برئ مثل كريم وكرام واما براء فمصدر مثل سلام والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل وقال رجل براء ورجلان براء واذا كسرتها أو ضممتها لم تجر الا فى الجمع وأما براء بضم الباء فالاصل فيه برآء مثل كرماء فاستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الاولى وكان وزنه فعلاء فلما حذفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فعاء وانصرف لانه

أشم من الشم البهاليل ينتمى * الى حسب فى حومة المجد فاضل * لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد
واخوته دأب المحب المواصل * فلا زال فى الدنيا جمالا لاهلها * وزينا لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله فى الناس أى مؤمل * اذا قاسه الحكام عند التفاضل * حليم رشيد عادل غير طائش
يوالى إلها ليس عنه بغافل * فوالله لولا أن أجئ بسبة * تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التهازل * لقد علموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعنى بقول الاباطل * فأصبح فينا أحمد فى أرومة * تقصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرا والكلاكل * فأيده رب العباد بنصره
وأظهر دينا حقه غير باطل * رجال كرام غير ميل نماهم * الى الخير آباء كرام المحاصل
فان تك كعب من لؤى صقيبة * فلا بد يوما مرة من تزايل * «قال ابن هشام» هذا ما صح لى من هذه القصيدة

لأنه أشبه فعالا والنسب اليه اذا سميت به براوي والنسب الى الآخر بن برائي وبرائي وزعم بعضهم الى ان براء بضم أوله من الجمع الذي جاء على فعال وهي ثمانية ألفاظ فرير وفرار وعرن وعران ولم يصنع شيئاً وقال النحاس براء بضم الباء

﴿فصل﴾ وذكر حديث استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو حديث مروي من طرق كثيرة وبألفاظ مختلفة * وقوله حتى أتاه أهل الضواحي يشكون الغرق الضواحي جمع ضاحية وهي الارض البارزة التي ليس فيها ما يكن من المطر ولا منجاة من السيول وقيل ضاحية كل بلد خارجه * وقوله عليه السلام اللهم حوالينا ولا علينا كقوله في حديث آخر اللهم منابت الشجر وبطون الاودية وظهور الآكام فلم يقل اللهم ارفعه عنا وهو من حسن الادب في الدعاء لانها رحمة الله ونعمته المطلوبة منه فكيف يطلب منه رفع نعمته وكشف رحمته وانما يسئل سبحانه كشف البلاء والمزيد من النعماء ففيه تعليم كيفية الاستصحاء وقال اللهم منابت الشجر ولم يقل اصرفها الى منابت الشجر لان الرب تعالى اعلم بوجه اللطف وطريق المصلحة كان ذلك بقطر أو بندى أو وطل أو كيف شاء وكذلك بطون الاودية والقدر الذي يحتاج اليه من مائها

﴿فصل فان قيل﴾ * كيف قال أبو طالب * وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ولم يره قط استسقى وانما كانت استسقاآته عليه السلام بالمدينة في سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة اجابة الله له

﴿فالجواب﴾ ان أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضا في حياة عبد المطلب ما دله على ما قال روى أبو سليمان حمد ابن محمد بن ابراهيم البستي النيسابوري أن رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم قالت تتابعت على قريش سنون جدب قد أقحلت الظلف وأرقت العظم فبينا أنا راقدة اللهم أو مهومة ومعي صنوي اذ أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم هذا ابان نجومه فحي هلا بالحيا والخصب الا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاما أبيض بضا أشم العرنين له فخر يكظم عليه ألا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن رجل الا فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته الا فليدع الرجل وليؤمن القوم الا فغثتم أبدا ما عشتم قالت فاصبحت مذعورة قد قف جلدي ووله عقلي فاقتصصت رؤياي فوالحرمة والحرم ان بقي أبطحي الا قال هذا شيبة الحمد وتتامت عنده قريش وانقض اليه الناس من كل بطن رجل فشنوا ومسوا واستلموا واطوفوا ثم ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يدفون حوله ما ان يدرك سعيهم مهلة حتى قروا بذروة الجبل واستكفوا جنابيه فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قد كرب ثم قال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسؤل غير مبخل وهذه عبداؤك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم فاسمعن اللهم وامطرن علينا غيثا مغدقا مريعا فما راموا والبيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادي بثجيجه رواه أبو سليمان عن ابن الاعرابي قال حدثنا محمد بن علي بن البختري نا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف نا عبد العزيز بن عمران عن ابن حويصة قال يحدث مخرمة بن نوفل عن أبيه رقيقة بنت أبي صيفي * وذكر الحديث ورواه باسناد آخر الى رقيقة وفيه الا فانظروا منكم رجلا وسيطا عظاما جساما أوطف الاهداب وان عبد المطلب قام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أيفع أو كرب وذكر القصة

وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها « قال ابن هشام » وحدثني من أثق به قال أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك اليه فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحي يشكون منه الغرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالاكليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه كأنك يا رسول الله أردت قوله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

قال أخطل «قال ابن هشام» وقوله وشرقه عن غير ابن إسحاق * قال ابن إسحاق والغياطل من بني سهم بن عمرو بن هصيص * وأبو سفيان بن حرب بن أمية * ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف * وزهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب * قال ابن إسحاق وأسيد وبكره عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي * وعثمان بن عبيد الله أخو طلحة بن عبيد الله التيمي * وقنفذ بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة * وأبو الوليد عتبة بن ربيعة * وأبيّ الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة بن كلاب «قال ابن هشام» وإنما سمي الأخنس لأنه خنس بالقوم يوم بدر وإنما اسمه أبيّ وهو من بني علاج وهو علاج بن أبي سلمة بن عوف بن عقدة * والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب * وسبيع بن خالد أخو بلحارث بن فهر * ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن العدوية وكان من شياطين قريش وهو الذي قرن بين أبي بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما في حبل حين أسلما فبذلك كانا يسميان القرينين قتله علي بن أبي طالب عليه السلام يوم بدر * وأبو عمرو وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف وقوم علينا أظنة بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة فهؤلاء الذين عدد أبو طالب في شعره من العرب فلما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في العرب وبلغ

البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حي من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر وقبل أن يذكر من هذا الحي من الأوس والخزرج وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود وكانوا لهم حلفاء ومعهم في بلادهم فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال أبو قيس بن الأسلت أخو بني واقف «قال ابن هشام» نسب ابن إسحاق أبا قيس هذا إلى بني واقف ونسبه في حديث الفيل إلى خطمة لأن العرب

﴿فصل﴾ وذكر ابن هشام كل من سماه أبو طالب في قصيدته أو أشار إليه وعرف بهم بعد ما نسبنا عن المبرد * وذكر قصيدة أبي قيس صيفي بن الأسلت واسم الأسلت عامر والأسلت هو الشديد القطش يقال سلت الله أنفه ومن السلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله فلما كتب له عهده أبى أن يقبله وقال لا حاجة لي به إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الولاة يجاء بهم يوم القيامة فيقفون على جسر جهنم فمن كان مطواعا لله تناوله بيمينه حتى ينجيه ومن كان عاصيا لله انخرق به الجسر إلى واد من نار يلتهب التهابا قال فأرسل عمر إلى أبي ذر وإلى سلمان فقال لأبي ذر أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم والله وبعد الوادي واد آخر من نار قال وسأل سلمان فكره أن يخبره بشيء فقال عمر من يأخذها بما فيها فقال أبو ذر من سلت الله أنفه وعينه وأضرع خده إلى الأرض ذكره ابن أبي شيبة وأول القصيدة * يا راكبا إما عرضت فبلغن * البيت المغلغلة الداخلة إلى أقصى ما يراد بلوغه منها ومنه تغلغل في البلاد إذا بالغ في الدخول فيها وأصله تغلل ومغللة ولكن قلبوا إحدى اللامين غينا كما فعلوا في كثير من المضاعف وأصله من الغلل والغلالة فأما الغلل فماء يستره النبات والشجر وأما الغلالة فساترة لما تحتها وفيها نبيتكم شرجين أي فرقتين مختلفين ويشكل لفظ مشكل وفي حاشية الشيخ نبيتكم شرجين وهو بين في المعنى وفيه زحاف خرم ولكن لا يعاب المعنى بذلك وأما لفظ البيت في هذه الرواية فبعيد من معناه والأزمل الصوت والمذكي الذي يوقد النار والحاطب الذي يحطب لها ضربهما مثلا لإرث الحرب كما قال الآخر

قد تنسب الرجل إلى أخي جده الذي هو أشهر منه «قال ابن هشام» حدثني أبو عبيدة أن الحكم بن عمرو الغفاري من ولد نعيلة أخي غفار وهو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة وقد قالوا عتبة بن غزوان السلمي وهو من ولد مازن بن منصور وسليم بن منصور «قال ابن هشام» فأبو قيس بن الأسلت من بني وائل ووائل وواقف وخطمة إخوة من الأوس * قال ابن إسحاق فقال أبو قيس بن الأسلت وكان يحب قريشا وكان لهم صهرا كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي وكان يقيم عندهم السنين بامرأته قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشا فيها عن الحرب ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ويذكر فضلهم وأحلامهم ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيده عنهم فقال

أيا راكبا إما عرضت فبلغن * مغلغلة عني لؤي بن غالب * رسول امرئ قد راعه ذات بينكم
على النأي محزون بذلك ناصب * وقد كان عندي للهموم معرس * فلم أقض منها حاجتي ومآربي
نبيتكم شرجين كل قبيلة * لها أزمل من بين مذك وحاطب * أعيذكم بالله من شر صنعكم *
وشر تباغيكم ودس العقارب * وإظهار أخلاق ونجوى سقيمة * كوخز الأشافي وقعها حق صائب

فذ كرهم بالله أول وهلة * واحلال احرام الظباء الشوارب * وقل لهم والله يحكم حكمه *
دروا الحرب تذهب عنكم في المراحب * متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * هي الغول للاقصين أو للاقارب
تقطع أرحاما وتهلك امة * وتبري السديف من سنام وغارب * وتستبدلوا بالاتحمية بعدها *
شليلا واصداء ثياب المحارب * وبالمسك والكافور غبرا سوابغا * كأن قتيرها عيون الجنادب
فاياكم والحرب لا تعلقنكم * وحوضا وخيم الماء مر المشارب * تزين للاقوام ثم يرونها *
بعاقبة اذ بينت أم صاحب * تحرق لا تشوي ضعيفا وتنتحي * ذوي العز منكم بالحتوف الصوائب
ألم تعلموا ما كان في حرب داحس * فتعتبروا أو كان في حرب حاطب * وكم قد

أصابت من شريف مسوّد * طويل العماد ضيفه غير خائب * عظيم رماد النار يحمد أمره * وذي شيمة محض كريم المضارب * وماء هريق في الضلال كأنما * أذاعت به ريح الصبا والجنائب * يخبركم عنها امرؤ حق عالم * بأيامها والعلم علم التجارب * فبيعوا الحراب لمحارب واذكروا * حسابكم والله خير محاسب * ولي امرئ فاختار دينا فلا يكن * عليكم رقيبا غير رب الثواقب * أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم *

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام

وقوله هي الغول للادنين اي هي الهلاك يقال الغضب غول الحلم أي مهلكه والغول بفتح الغين وجمع البطن قاله البخاري في تفسير قوله «لا فيها غول» * وقوله * واحلال احرام الظباء الشوارب * أي ان الله كم بلد حرام تأمن فيه الظباء الشوارب التي تأتيه من بعد لتأمن فيه فهي شاربة اي ضامرة من بعد المسافة واذا لم تحلوا بالظباء فيه فأحرى الا تحلوا بدمائكم واحرام الظباء كونها في الحرم يقال لمن دخل في الشهر الحرام أو في البلد الحرام محرم والاتحمية ثياب رقاق تصنع باليمن والشليل درع قصيرة والاصداء جمع صداء الحديد والقتير حلق الدرع شبهها بعيون الجراد وأخذ هذا المعنى التنوخي فقال

كأنواب الاراقم مزقتها * فخاطتها بأعينها الجراد

وقوله في وصف الحرب

تزين للاقوام ثم يرونها * بعاقبة اذ بينت أم صاحب

هو كقول عمرو بن معدي كرب

الحرب أول ما تكون فتية * تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا اشتعلت وشب ضرامها * ولت عجوزا غير ذات حليل
شمطاء جزت رأسها فتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

وقوله أم صاحب أي عجوزا كأم صاحبك اذ لا يصحب الرجل الا رجل في سنه وفي جامع البخاري كانوا اذا وقعت الحرب يأمرون بحفظ هذه الابيات يعني أبيات عمرو المتقدمة * وقوله * لم تعلموا ما كان في حرب داحس * نذكر معنى داحس اذا ذكرنا ابن اسحق بعد هذه القصيدة ان شاء الله تعالى * وقوله فيها * ولي أمرئ فاختار دينا فأفعا * أي هو ولي أمرئ اختار دينا والفاء زائدة على أصل أبي الحسن قال في قولهم زيد فاضرب الفاء معلمة أي زائدة ومن لا يقول بهذا القول يحمل الفاء عاطفة على فعل مضمر كأنه قال

لنا غاية قد يهتدى بالذوائب * وانتم لهذا الناس نور وعصمة * تؤمون والاحلام غير عوازب
وأنتم اذا ما حصّل الناس جوهر * لكم سرة البطحاء شم الارانب * تصونون أحسابا كراما عتيقة *
مهذبة الانساب غير أشائب * يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم * عصائب هلكى تهتدي بعصائب
لقد علم الاقوام ان سراتكم * على كل حال خير أهل الجباجب * وأفضله رأيا واعلاه سنة *
وأقوله للحق وسط المواكب * فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا * باركان هذا البيت بين الاخاشب
فعند كم منه بلاء ومصدق * غداة أبي يكسوم هادي الكتائب * كتيبته بالسهل تمشي ورجله
على القاذفات في رؤس المناقب * فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم * جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب * الى أهله ملحبش غير عصائب * فان تهلكوا نهلك وتهلك مواسم * يعاش بها قول امرئ غير كاذب

ولي أمرئ نذس فاحبار ديباً أو نحو هذا وقد تقدم شرح باقي القصيدة في آخر قصة الحبشة * وقال فيها كريم المضارب وفي حاشية كتاب الشيخ لعله الضرائب يريد جمع ضريبة ولا يبعد أيضا أن يكون قال المضارب يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ولا راجعة عليه الا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم * وفيها قوله * وماء هرنق في الضلال * ويروى في الصلال جمع صلة وهي الارض التي لا تمسك الماء أي رب ماء هرنق في الصلال من أجل السراب لانه لا يهريق ماءه من أجل السراب الا ضال غير مهتد لمواضع الماء وأذاعت به أي بددته فلم تجمع به وهذا مثل ضربه للناظر في عواقب الامور ويروى وما أهرنق في أمر ومعناه والذي أهرنق في أمر الضلال فوصل ألف القطع ضرورة وقال أرنق الماء وأهرنق بالجمع بين الهمزة والهاء وهي أقلها وأقلها موضع غير هذا * وقوله فيها بين ساق وحاصب الساقي الذي يرمى بالتراب والحاصب الذي يقذف بالحصباء * وفيها ذكر الحاجب وهي منازل مني كذا قال ابن اسحق وقال البرقي هي حجر غير محمع ومهادم السدن والهدايا والعرب تعظمها وتنحر بها وقيل الحاجب الكروش قال لا كرش جمجمة بفتح الجيم والذي تقدم واحده جمجمة بالضم

(فصل) وذكر حديث حرب داحس مختصرا أو داحس اسم فرس كان لقيس بن زهير ومعنى داحس مدحوس كما قيل ماء دافق أي مدفوق والدحس ادخال اليد بقوة في ضيق كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بغلام يسلخ شاة فأمره أن يتنحى ليريه ثم دحس عليه السلام بيده بين الجلد واللحم حتى بلغ الارابط ثم صلى ولم يتوضأ فداحس بمعنى بهذا الاسم لان أمه كانت لرجل من بني عم ثم من بني يربوع اسمه قرواش بن عوف وكان اسم الفرس جلوى وكان ذو العقال فرسا عتيقا لحوط بن جابر فخرجت به فتاتان له تسقيانه [وهو] يعلو فأدلى حين رآها فضحكت غلمة كانوا هنالك فاستحيت الفتاتان وتكشتا رأسيهما فأفلت ذو العقال حتى نزى على جلوى فوقل لذلك حوط فاقبل مغضبا وهو يسعى حتى ضرب بيده في التراب ثم دحسها في رحم الفرس فسطا عليها فأخرج ماء الفحل منها واشتملت الرحم على بقية الماء وحملت فنتجت مهرا فسموه داحسا وأظهر ما فيه أن يكون مثل لابن وتامر وأن لا يكون فاعلا بمعنى مفعول فهو داحس بن ذي العقال بن أعوج الذي تنسب اليه الخيل الاعوجية في قول بعضهم وقد تقدم غير هذا القول ابن سلل وكان لغني بن أعصر وفيه قال

ان الجواد ابن الجواد ابن سبل * ان ديموا جاد وان جادوا بل

وفي ذي العقال يقول جرير

تمشي جياد الخيل حول بيوتنا * من آل أعوج أو لذي العقّال

وأنشد

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجو النساء عواقب الاطهار

وفيه اقواء وهو حذف نصف سبب من القسم الاول وقد تكلمنا على معنى الاقواء قبل وأما اختلاف القوافي فيسمى اكفاء واقواء أيضا لانه من الكفء وكأنه حمل الرفع كفئا للخفض فسوى بينهما وفيها قوله * ترجو النساء عواقب الاطهار * كقول الاخطل

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال ان حرب داحس دامت أربعين سنة لم تحمل فيها أنثى لانهم كانوا لا يقربون النساء ما داموا محاربين وذكر الاصبهاني ان حرب داحس كانت بعد يوم جبلة بأربعين سنة وقد تقدم يوم جبلة وأن رسول الله صلى

الماقب أبو زيد الانصاري وغيره «قال ابن هشام» وأما قوله أم تعلموا ما كان في حرب داحس فحدثني أبو عبيدة النحوي أن داحسا فرس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحرث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث ابن غطفان اجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان يقال لها الغبراء فدس حذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وجه داحس ان رأوه قد جاء سابقا فجاء داحس سابقا فضربوا وجهه وجاءت الغبراء فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبر فوثب أخوه مالك ابن زهير فلطم وجه الغبراء فقام حمل بن بدر فلطم مالكا ثم ان أبا الجنيدب العبسي لقي عوف بن حذيفة فقتله ثم لقي رجل من بني فزارة مالكا فقتله فقال حمل ابن بدر أخو حذيفة بن بدر فقتلنا بعوف مالكا وهو ثأرنا * فان تطلبوا منا سوى الحق تندموا وهذا البيت في أبيات له * وقال الربيع بن زياد العبسي *

وهذا البيت في قصيدة له فوقعت الحرب بين عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر فقال قيس بن زهير بن حذيفة يرثي حذيفة وجزع عليه

كم فارس يدعى وليس بفارس * وعلى الهباءة فارس ذو مصدق

فابكوا حذيفة لن ترثوا مثله * حتى تبيد قبائل لم تخلق

وهذان البيتان في أبيات له وقال قيس بن زهير على ان الفتى حمل بن بدر * بغى والظلم مرتعه وخيم

وهذا البيت في أبيات له وقال الحرث بن زهير أخو قيس بن زهير

تركت على الهباءة غير فخر * حذيفة عنده قصد العوالي

وهذا البيت في أبيات له « قال ابن هشام » و يقال ارسل قيس داحسا والغبراء وارسل حذيفة الخطار والحنفاء والاول أصح الحديثين وهو حديث طويل منعني من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال ابن هشام » واما قوله حرب حاطب فيعني حاطب ابن الحرث بن قيس بن هيشة بن الحرث بن أمية بن معاوية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس كان قتل يهوديا جارا للخزرج فخرج اليه يزيد بن الحرث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج

الله عليه وسلم ولد في تلك الايام وقال لبيد

وعبست جرسا قبل مجراء داحس * لو كان للنفس اللجوج خلود

وكان لبيد في حرب حمله ابن عشرين وقوله جرساً أي وقتاً من الدهر و يروى سبتاً والمعنى واحد وكان اجراء داحس والغبراء على ذات الاصاد موضع في بلاد فزارة وكان آخر أيام حرب داحس يوم ذي حسى في أرض قيس وفي ذلك اصطلحت عبس وذبيان وهي أم بني فزارة سمح وعدي ومازن فيقال لهذا الموضع فلهي وأما قلهيا فموضع بالحجاز وفيه اعتزل سعد بن أبي وقاص حين قتل عثمان وأمر ألا يحدث بشيء من أخبار الناس والا يسمع منها شيئاً حتى يصطلحوا و يقال ان الهباءة كانت فرس حذيفة وانها أجريت مع الغبراء ذلك اليوم قال الشاعر

اذا كان غير الله للمرء عدة * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة * وكان يراها عدة للشدائد

وأما حرب حاطب الذي ذكرها فهي حرب كانت على يد حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الأوس فنسبت اليه وكانت بين الأوس والخزرج

﴿ فصل ﴾ فيما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه ذكر ابن اسحق والواقدي والتيمي وابن عقبة

وهو الذي يقال له فسحم وفسحم أمه وهي امرأة من القين بن جسر فقتلا في نفر من بني الحرث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الاوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا فكان الظفر للخزرج على الاوس وقتل يومئذ سويد بن صامت بن خالد بن عطية ابن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الاوس قتله المجذر بن دياد البلوي واسمه عبد الله بن دياد البلوي حليف بني عوف بن الخزرج فلما كان يوم أحد خرج المجذر بن دياد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه الحرث بن سويد بن صامت فوجد الحرث بن سويد غرة من المجذر فقتله بابيه وسأذكر حديثه في موضعه ان شاء الله تعالى ثم كانت بينهم حروب منعني من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت في حرب داحس * قال ابن اسحق وقال حكيم بن أمية بن حارثة بن الاوقص السلمي حليف بني أمية وقد أسلم يورع قومه عما اجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيهم شريفا مطاعا

أهل قائل قولا من الحق قاعد * قد عليه وهل غضبان للرشد سامع وهل سيد ترجو العشيرة نفعه *

لأقصى الموالي والاقارب جامع * تبرأت الا وجه من قد علمت الصبا * واهجركم ما دام مدل ونازع

وأسلم وجهي للاله ومنطقي * ولو راعني من الصديق روائع * قال ابن اسحق ثم ان قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذي اصابهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم فاغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لامر الله لا يستخفي به مبادئهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال اوثانهم وفراقه اياهم على كفرهم * قال ابن اسحق فحدثني يحيي بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلت له ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته

قال: حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط، سفّه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرّق جماعتنا، وسبّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيم، أو كما قالوا؛ فبينا هم في ذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل يمشي حتى استلم الركن، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت، فلما مرّ بهم غمزوه ببعض القول. قال: فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: ثم مضى، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها، فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مرّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها، فوقف، ثم قال: (١٨٤) أتسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بالذبح. قال: فأخذت القوم كلمته، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع، حتى إن أشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، فوالله ما كنت جهولاً. قال: فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه. فبينا هم في ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، وأحاطوا به، يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم، أنا الذي أقول ذلك. قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه. قال: فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه، وهو يبكي ويقول: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟ ثم انصرفوا عنه، فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً نالوا منه قط.

(فصل)

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض آل أم كلثوم ابنة أبي بكر أنها قالت: رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جبذوه بلحيته، وكان رجلاً كثير الشعر. «قال ابن هشام»: حدثني بعض أهل العلم أن أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه، لا حر ولا عبد، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزله، فتدثر من شدة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه «يا أيها المدثر قم فأنذر».

وغيرهم في هذا الباب أموراً كثيرة تتقارب ألفاظها ومعانيها وبعضهم يزيد على بعض فمنها حثوهم سفهاؤهم التراب على رأسه ومنها أنهم كانوا ينضدون الفرث والأخثاء والدماء على بابه ويطرحون رحم الشاة في برمته ومنها بصق أمية بن خلف في وجهه ومنها وطء عقبة بن أبي معيط على رقبته وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان ومنها أخذهم بمخنقه حين اجتمعوا له عند الحجر وقد ذكر ابن إسحق وزاد غيره في الخبر أنهم خنقوه خنقاً شديداً وقام أبو بكر دونه فجبذوا رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره وأما السب والهجو والتلقيب وتعذيب أصحابه وأحبائه وهو بمرأى منه فقد ذكر من ذلك ابن إسحق ما في الكتاب وقد قال أبو جهل لسمية أم عمار بن ياسر ما آمنت بمحمد إلا لأنك عشقته لجماله ثم طعنها بالحربة في قبلها حتى قتلها والأخبار في هذا المعنى كثيرة وذكر ابن إسحق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم دثروني دثروني فأنزل الله تعالى « يا أيها المدثر قم فأنذر » قال بعض أهل العلم في تسميته إياه بالمدثر في هذا المقام ملاطفة وتأنيس ومن عادة العرب إذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو فيها كقوله عليه السلام لحذيفة قم يا نومان وقوله لعلي بن أبي طالب وقد ترب جنبه قم أبا تراب فلو ناداه سبحانه وهو في تلك الحال من الكرب باسمه أو بالأمر المجرد من هذه الملاطفة لهاله ذلك ولكن لما بدئ بيا أيها المدثر أنس وعلم أن ربه راض عنه ألا تراه كيف قال عند ما لقي من أهل الطائف من شدة البلاء والكرب ما لقي رب إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي إلى آخر الدعاء فكان مطلوبه رضا ربه وبه كانت تهون عليه الشدائد ﴿ فإن قيل ﴾ كيف ينتظم يا أيها المدثر مع قوله قم فأنذر وما الرابط بين المعنيين حتى يلتئما في قانون البلاغة ويتشاكلا في حكم الفصاحة ﴿ قلنا ﴾ من صفته عليه السلام ما وصف به نفسه حين قال أنا النذير العريان وهو مثل معروف عند العرب يقال لمن أنذر بقرب العدو وبالغ في الإنذار وهو النذير العريان وذلك أن النذير الجاد يجرد ثوبه ويشير به إذا خاف أن يسبق العدو صوته وقد قيل إن أصل المثل لرجل من خثعم سلبه العدو ثوبه وقطعوا يده فانطلق إلى قومه نذيراً على تلك الحال فقوله عليه السلام أنا النذير العريان أي مثل ذلك والتدثر بالثياب مضاد للتعري فكان في قوله « يا أيها المدثر » مع قوله « قم فأنذر » والنذير الجاد يسمى العريان تشاكل بين والتئام بديع وسمانة في المعنى وجزالة في اللفظ وقوله بعد هذا « وربك فكبر » أي ربك كبر لا غيره لا يكبر عليك شيء من أمر الخلق وفي تقديم المفعول على فعل الأمر إخلاص ومنه قوله إياك نعبد أي لا نعبد غيرك ولم يقل نعبدك ونستعينك وفي الحديث إذا قال العبد إياك نعبد وإياك نستعين يقول الله تعالى أخلص لي عبدي العبادة واستعانني عليها فهذه بيني وبين عبدي

﴿ إسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

* قال ابن إسحق حدثني رجل من أسلم كان واعية أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه فعمد إلى نادٍ من قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان إذا فعل ذلك لم يمر على نادٍ من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمة فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته قالت له يا أبا عمارة لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفا من أبي الحكم بن هشام وجده ههنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى لم يقف على أحد معدا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به فلما دخل المسجد نظر إليه جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه فأنا على دينه أقول ما يقول فرد ذلك علي إن استطعت فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة فإني والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا وتم حمزة رضي الله عنه على إسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه * قال ابن إسحق وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت إنما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال أفعل فقال «بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه» ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي أني سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم

﴿ فصل ﴾ وذكر قول عتبة إن كان هذا رئيا تراه ولغة بني تميم رِئيّ بكسر الراء وكذلك يقولون في كل فعيل عين الفعل منه همزة أو غيرها من حروف الحلق يكسرون أوله مثل رحيم وشهيد والرئي فعيل بمعنى مفعول ولا يكون إلا من الجن ولا يكون فعيل بمعنى مفعول في غير الجن إلا أن يؤثر فيه الفعل نحو جريح وقتيل وذبيح وطحين ولا يقال من الشكر شكير ولا ذكره فهو ذكير ولا فيمن لطم لطيم إلا أن تغيره اللطمة كما قالوا لطيم الشيطان قال ابن الزبير حين قتل عمرو بن سعيد الأشدق ألا إن أبا ذبان قتل لطيم الشيطان «وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون» وقالوا في الحميد حميد ذهبوا به مذهب كريم وكذلك قالوا في الجني رئي وإن كانت الرؤية لا تؤثر في المرئي لأنهم ذهبوا به مذهب قرين ونجي

﴿ فصل ﴾ وذكر إسلام حمزة وأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة وأهيب عم آمنة بنت وهب زوجها عبد المطلب وزوج ابنه عبد الله آمنة في ساعة واحدة فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة

أشعر الناس به فالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم * قال ابن اسحق ثم ان الاسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم ان اشراف قريش من كل قبيلة كما حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحرث أخو بني عبد الدار وأبو البختري بن هشام والاسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام لعنه الله وعبد الله بن أبي أمية والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وأمية بن خلف أو من اجتمع منهم قال اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا له يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة فما بقي أمر (١٨٦) قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك أو كما قالوا فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل على كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم أو كما قال صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فاذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق كما نقوم وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما

لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أرضيه بما يرضيه كما هدم وزاد غير ابن اسحق في اسلام حمزة انه قال لما احتملني الغضب وقلت أنا على قوله أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي وبت من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم ثم أتيت الكعبة وتضرعت الى الله سبحانه ان يشرح صدري للحق ويذهب عني الريب فما استتممت دعائي حتى زاح عني الباطل وامتلأ قلبي يقينا أو كما قال فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما كان من أمري فدعا لي بان يثبتني الله وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي * الى الاسلام والدين الحنيف

لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف

اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذي اللب الحصيف

رسائل جاء أحمد من هداها * بآيات مبينة الحروف

وأحمد فينا مصطفى مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف

فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف

ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف

وقد خبرت ما صنعت ثقيف * به فجزى القبائل من ثقيف

إله الناس شر جزاء قوم * ولا أسقاهم صوب الخريف

﴿ فصل ﴾ وذكر ما سأله قومه من الآيات وازالة الجبال عنهم وانزال الملائكة عليه وغير ذلك جهلا

منهم بحكمة الله تعالى في أمر خلقه الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل وأن يكون ايمانهم عن نظر وفكر في الأدلة
فيقع الثواب على حسب ذلك ولو كشف الغطاء وحصل لهم العلم الضروري بطلت الحكمة التي من أجلها
يكون الثواب والعقاب اذ لا يؤجر الانسان على ما ليس من كسبه كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر
ونحو ذلك وانما أعطاهم من الدليل ما يقتضي النظر فيه العلم الكسبي وذلك لا يحصل الا بفعل من أفعال
القلب وهو النظر في الدليل وفي وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول والا فقد كان قادرا سبحانه ان يأمرهم
بكلام يسمعونه ويغنيهم عن ارسال الرسل اليهم ولكنه سبحانه قسم الأمر بين الدارين فجعل الأمر يعلم
في الدنيا بنظر واستدلال وتفكر واعتبار لانها دار تعبد واختيار وجعل الأمر يعلم في الآخرة بمعاينة
واضطرار لا يستحق به ثواب ولا جزاء وانما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الأولى حكمة دبرها
وقضية أحكمها وقد قال الله تعالى «وما منعنا أن نرسل بالآيات الا ان كذب بها الأولون» يريد فيما قال أهل
التأويل ان التكذيب بالآيات نحو ما سألوه من ازالة الجبال عنهم وانزال الملائكة يوجب في حكم الله ألا
يلبث الكافر بها وان يعاجلهم بالنقمة كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون فلو أعطيت قريش ما سألوه
من الآيات وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يمهلوا ولكن الله أكرم محمدا في الأمة التي أرسله اليهم اذ قد سبق
في علمه أن يكذب به من يكذب ويصدق به من يصدق وبعثه رحمة للعالمين بر وفاجر أما البر فرحمه به
اياهم في الدنيا والآخرة وأما الفاجر فأمنهم أمنهم من الخسف والغرق وارسال حاصب عليهم من السماء كذلك
قال بعض أهل التفسير في قوله «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» مع انهم لم يسئلوا ما سألوا من الآيات الا
تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك فقد كان تواتر أو امن دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف قال
الله سبحانه «أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب» الآية وفي هذا المعنى قيل

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بداهته تنبيك بالخبر

وقد ذكر ابن اسحق في غير هذه الرواية انهم سألوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يدعو الله لهم فنزل جبريل فقال لهم ما شئتم ان شئتم فعلت ما سألتم ثم لا نمهلكم ان كذبتم بعد معاينة الآية
فقالوا لا حاجة لنا بها

(فصل) وذكر قول عبد الله بن أبي أمية واسم أبي أمية حذيفة والله لا أومن لك حتى تتخذ سلما الى
آخر الكلام وقد أسلم عبد الله بن أبي أمية قبل فتح مكة وسيأتي ذكر اسلامه وذكر خبر أبي جهل وما هم به من
القاء الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد وقد رواه النسوي باسناد الى أبي هريرة قال
قال أبو جهل وذكر الحديث الى قوله فنكص أبو جهل على عقبيه فقالوا ما لك فقال ان بيني وبينه لخندقا من
نار وهولا وأجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وخرجه
أيضا مسلم وذكر النسوي أيضا باسناده الى ابن عباس ان أبا جهل قال ألم أنهك فوالله ما بمكة ناد أعز من

نزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا أو كما قال
فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فأسقط علينا كسفا كما زعمت
ان ربك لو شاء فعل فانا لا نؤمن لك الا أن تفعل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله ان شاء أن يفعله بكم فعل قالوا يا محمد أفما علم
ربك انا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه ونطلب منك ما نطلب

فيتقدم اليك فيعلمك ما نراجعك به ويخبرك ماهو صانع في ذلك بنا اذ لم نقبل منك ما جئتنا به انه قد بلغنا انك انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمن ابدا فقد أعذرنا اليك يا محمد وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته فهو لعاتكة بنت عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل
لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل أو كما قال له فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى
تأتيها ثم تأتي معك بصك معك أربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وايم الله ان لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك ثم انصرف عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا آسفا لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه ولما رأى
من مباعدتهم اياه فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب آلهتنا وشتم

أتانا أو سمعه أحلامنا وشتم آلهتنا وإني أعاهد الله لأجلسن له غداً بحجر ما أطيق حمله أو كما قال فإذا سجد في صلاته فضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لا نسلمك لشيء أبداً فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجراً كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته إلى الشام فكان إذا صلى صلى بين الركن اليماني والأسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وقد غدت قريش فجلسوا في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منهزماً منتقعاً لونه مرعوباً قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت إليه رجال قريش فقالوا له ما لك يا أبا الحكم قال قمت إليه لأفعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط فهم بي أن يأكلني * قال ابن إسحق فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لأخذه فلما قال لهم ذلك أبو جهل قام النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي (قال ابن هشام) ويقال النضر ابن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف * قال ابن إسحق فقال يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم وكان النضر بن الحرث من شياطين قريش وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسبنديار فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة الله خلفه في مجلسه إذا قام ثم قال أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثاً منه فهلم إلي فأنا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسبنديار

نادي" فأنزل الله تعالى «أرأيت الذي ينهى عبداً» إلى قوله «فليدع ناديه سندع الزبانية» قال محمد بن يزيد في الكلام حذف تقديره أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى أمصيب هو أو مخطئ، وكذلك في قوله «أرأيت إن كان على الهدى» كأنه قال أليس من نهاه بضال وقوله «لنسفعاً بالناصية» أي لنأخذن بها إلى النار وقيل معنى السفع ههنا الإذلال وقهره والنادي والندي والمنتدى بمعنى واحد وهو مجلس القوم الذين ينتادون إليه وقال أهل التفسير في الزبانية أقوال قال بعضهم واحدها زبنية وقال بعضهم عفرية وقال بعضهم مجلسه وفي أرأيت معنى أخبرني ولذلك قال سيبويه لم تجز إلغاؤها كما ألغي علمت إذا قلت علمت أزيد عندك أم عمرو ولا يجوز هذا في أرأيت ولا بد من النصب إذا قلت أرأيت زيداً أبو من هو قال سيبويه لأن دخول معنى أخبرني فيها لا يجعلها بمنزلة أخبرني في جميع أحوالها (قال المؤلف) وظاهر القرآن يقتضي بخلاف ما قال سيبويه إلا بعد البيان وذلك أنها في القرآن ملغاة لأن الاستفهام هو مطلوبها وعليه وقعت في قوله «أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم» فقوله ألم يعلم استفهام وعليه وقعت أرأيت وكذلك أرأيتم وأرأيتكم في الأنعام فإن الاستفهام واقع بعدها نحو «هل يهلك إلا القوم الظالمين» وهذا هو الذي منع سيبويه في أرأيت وأرأيتك أبو من أنت وأما البيان فالذي قاله سيبويه صحيح ولكن إذا ولي الاستفهام أرأيت ولم يكن لها مفعول سوى الجملة وأما في هذه المواضع التي في التنزيل فليست الجملة المستفهم عنها هي مفعول أرأيت إنما مفعولها محذوف يدل عليه الشرط ولا بد من الشرط بعدها في هذه الصور لأن المعنى أرأيتم صنيعكم إن كان كذا وكذا كما يقول القائل أرأيت إن لقيت العدو أتقاتله أم لا تقدير الكلام أرأيت رأيك أو صنيعك إن لقيت العدو فحرف الشرط وهو إن دال على ذلك المحذوف ومرتبط به والجملة المستفهم عنها كلام مستأنف منقطع إلا أن فيه زيادة بيان لما يستفهم عنه ولولا الشرط وما بعد الاستفهام لقبح كما قال سيبويه ويحسن في علمت وهل رأيت وإنما قبح مع أرأيت خاصة وهي التي دخلها معنى أخبرني فقدره

«فصل» وذكر حديث النضر بن الحارث وما نزل فيه من قول الله تعالى «قالوا أساطير الأولين» واحد الأساطير أسطورة كأحدوثة وأحاديث وهو ما سطره الأولون وقيل أساطير جمع أسطار وأسطار جمع سطر بفتح الطاء وأما سطر بسكون الطاء فجمعه أسطر وجمع الجمع أساطر بغير ياء * وذكر أن النضر ابن الحارث كان يحدث قريشاً بأحاديث رستم واسفنديار وما تعلم في بلاد الفرس من أخبارهم * وذكر

ما انزل الله فى ذلك من قوله وقد قيل فيه نزلت «ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله» واما احاديث رستم فى
تاريخ الطبرى ان رستم من زستان كان يحارب كى بستاسب بن كى لهراسب بعد ما قتل اباه لهراسب ابن
كى احو وكى فى اوائل هذه الاسماء عبارة عن البهاء ويقال عبارة عن ادراك الثار ويقال لهؤلاء الملوك
الكينية من اجل هذا وكان رستم الذى قال له رستم سيد بنى زستان من ملوك الترك وكان كى بستاسب
قد غضب على ابنه فسجنه حسداً له على ما ظهر من وقائعه فى الترك حتى صار الذكر له فبعدها ظهرت الترك
على بلاد فارس وسبوا ابنتين لبستاسب اسم احداهما خمانة او نحو هذا فلما رأى بستاسب الابدس له فى الهم
أطلق ابنه من السجن وهو اسفنديار ورضى عنه وولاه امر الجيوش فنهد الى رستم وكانت بينهما ملاحم
تطول ذكرها لكنه قتل رستم واستباح عساكره ودوخ فى بلاد الترك واستخرج اختيه من ايديهم ثم
مات اسفنديارة ل ابيه وكان ملك ابيه نحواً من مائة عام ثم عهد الى بهمن بن اسفنديار فولاه الامر بعد موته
و بهمن بنه بهم الحسن البنة ودام ملكه نيفا على مائة عام وكان له ابنان ساسان ودارا وقد أمليا فى اول
الكتاب طرفا من حديث ساسان و بنيه وهم الساسانية الذين قام عليهم الاسلام ورستم آخر مذكور انما
قتل هذا فى احاديث كى قباد وكان قبل عهد سليمان ثم كان رستم وزيرا بعد كى قباد لابنه كى قاووس
وكانت الجن قد سخرت له فقال ان سليمان امرهم بذلك فبلغ ملكه من العجائب ما لا يكاد ان يصدقه ذوو
العقول لخروجها عن المعتاد لكن محمد بن جرير الطبرى ذكر منها أخباراً عجيبة * وذكر انه هم عامهم بعمود
من الصعود الى السماء فطرحته الريح وصعصعت اركانه وهدمت بنيانه ثم ثاب اليه بعض جنوده فصار
كسائر الملوك يغلب تارة ويغلب بخلاف ما كان قبل ذلك وسار بجنوده الى اليمن فنهد اليه عمرو ذو الاذعار
فهزمه عمرو وأخذه اسيرا وحبسه فى محبس حتى جاء رستم وكان صاحب امره فاستنقذه من عمرو إما
بطوع وإما باكراه ورده الى بلاد فارس ولابنه شاوخش مع امرأة ابيه ما تأتى ملك الترك حين ذهب وكان رستم
هو القيم على شاوخش والكافل له فى صغره وكان آخر امر شاوخش بعد عجائب انه قتله قرابته ثم مات وقام
ابنه كى خسرو بطلب ثأره فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمثلها وكان الظفر له فلما ظفروا رأى امله
فى اعدائه ما ملأ عينه قره وقلبه سرورا رهد فى الدنيا واراد السياحة فى الارض فعاب عنه ابناء فارس وحذروه
من شمات الشمل بعده وشماته العدو فاستخلف عليهم كى لهراسب بن كى احوين كى كينه بن كى قاووس
المتقدم ذكره ولا ادرى هل رستم الذى قتله اسفنديار هو رستم صاحب كى قاووس ام غيره والظاهر انه ليس
هو لان مدة ما بين كى قاووس وكى بستاسب بعيدة جدا واحسبه كما قدمنا انه كان من الترك وهذا كله كان
فى مدة الكينية وعن ذلك شاء الله فانهم قالوا الترك استعملوا بخت نصر النائب على العراق فكان من اموره مع بنى
اسرائيل واجلائه لهم وهدمه لبيت المقدس واحراقه له ورآه وقتله لاولادالانبياء واسترقاقه لابناء ملوكهم
ولذراريهم مع عيثه فى بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم ما هو مشهور فى كتب التفاسير ومعلوم عند
اصحاب التواريخ * وهذه جملة مختصرة شرح لك ما وقع فى كتاب ابن اسحق من ذكر رستم واسفنديار وكانت
الكينيه قبل مدة عيسى بن مريم اولهم فى عهد افريدون وقبل موسى عليه السلام بين من السنين وآخرهم فى
مدة الاسكندر بن فيلبس والاسكندر هو الذى سلب ملكهم وقتل دارا بن دارا وهو آخرهم ثم كانت
الاشغانية مع ملوك الطوائف اربعمائة وعشرين عاما وقيل اقل من ذلك فى قول الطبرى وقول ابن الهودى
خمسمائة وعشرين فى خلال امرهم بعث عيسى ابن مريم ثم كانت الساسانية بخراسان بلا بن ماكانى
فلما قام الاسلام فقص جدتهم وخضد شوكتهم وهدم هيكلهم وأطفأ نيرانهم التى كانوا يعبدون وسلبت كافة
خلاووه عمرو

ثم تقول عادا محمد أحسن حديثا فى « قال ابن هشام » وهو الذى قال وإنما نعى سأنزل مثل ما أنزل الله

قال ابن إسحاق وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول فيما بلغني نزل فيه ثمان آيات من القرآن قول الله عز وجل إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين وكل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن فلما قال لهم ذلك النضر بن الحرث بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم علم ليس عندنا من علم الأنبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم أمره وأخبراهم ببعض قوله وقالا لهم إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهما أحبار يهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هي فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي وإن لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم فأقبل النضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا أحبار يهود أن نسأله عن أشياء أمرونا بها فإن أخبركم عنها فهو نبي وإن لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم فجاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأخبرنا عن الروح ما هي

قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح * قال ابن إسحاق فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظنا فقال له جبريل وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله لما أنكروا عليه من ذلك فقال الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب يعني محمدا صلى الله عليه وسلم إنك رسول مني أي تحقيق لما سألوا عنه من نبوتك ولم يجعل له عوجا قيما أي معتدلا لا اختلاف فيه لينذر بأسا شديدا من لدنه أي عاجل عقوبته في الدنيا وعذابا أليما في الآخرة أي من عند ربك الذي بعثك رسولا ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا أي دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذب به غيرهم وعملوا بما أمرتهم به من الأعمال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعني قريشا في قولهم إنا نعبد الملائكة وهي بنات الله ما لهم به من علم ولا لآبائهم الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم أي لقولهم إن الملائكة بنات الله إن يقولون إلا كذبا فلعلك باخع نفسك يا محمد على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجوه منهم أي لا تفعل «قال ابن هشام» باخع نفسك أي مهلك نفسك فيما حدثني أبو عبيدة قال ذو الرمة

ألا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشيء نحته عن يديه المقادر

وهذا البيت في قصيدة له وجمعه باخعون وبخعة وقول العرب قد بخعت له نصحي ونفسي أي جهدت له إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا

﴿فصل﴾ وذكر ابن إسحاق إرسال قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى يهود وما رجعا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عن الأمور الثلاثة التي قالت اليهود إن أخبركم بها فهو نبي وإلا فهو متقول فقال لهم سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عنه الوحي في قول ابن إسحاق خمسة عشر يوما وفي سير التيمي وموسى بن عقبة أن الوحي إنما أبطأ عنه ثلاثة أيام ثم جاءه جبريل بسورة الكهف * وذكر افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه وذكر نبوة نبيه وحمده نفسه تعالى خبر باطنه الأمر وإعلام لعباده كيف يحمدونه إذ لولا ذلك لاقتضت الحال الوقوف عن حمده والعبارات عن جلاله لقصور كل عبارة عما هنالك من الجلال وأوصاف الكمال ولما كان الحمد واجبا على العبد قدم في هذه الآية ليقترن في اللفظ بالحمد الذي هو واجب عليه وليستشعر العبد وجوب الحمد عليه وفي سورة الفرقان قال «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده» وبدأ بذكر الفرقان الذي هو الكتاب المبارك قال الله سبحانه «وهذا كتاب أنزلناه مبارك» فلما افتتح السورة بتبارك الذي بدأ بذكر الفرقان وهو الكتاب المبارك ثم قال على عبده فانظر إلى تقدم ذكر عبده على الكتاب وتقدم ذكر الكتاب عليه في سورة الفرقان وما في ذلك من تشاكل اللفظ والتئام الكلام ترى الإعجاز ظاهرا والحكمة باهرة والبرهان واضحا وأنشد لذي الرمة

قال ابن إسحاق: أي أنهم أتبع لأمري وأعمل بطاعتي، وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا: أي الأرض، وإن ما عليها لفان وزائل، وإن المرجع إليّ فأجزي كلا بعمله، فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها. (قال ابن هشام) الصعيد: الأرض، وجمعه: صعد. قال ذو الرمة يصف ظبيا صغيرا:

كأنه بالضحى ترمي الصعيد به * دبابة في عظام الرأس خرطوم

وهذا البيت في قصيدة له. والصعيد أيضا: الطريق، وقد جاء في الحديث: إياكم والقعود على الصعدات، يريد الطرق. والجرز: الأرض التي لا تنبت شيئا، وجمعها: أجراز. ويقال: سنة جرز، وسنون أجراز، وهي التي لا يكون فيها مطر، وتكون فيها جدوبة ويبس وشدة. قال ذو الرمة يصف إبلا:

طوى النحز والأجراز ما في بطونها * فما بقيت إلا الضلوع الجراشع

وهذا البيت في قصيدة له. قال ابن إسحاق: ثم استقبل قصة الخبر فيما سألوه عنه من شأن الفتية فقال: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا: أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حججي ما هو أعجب من ذلك. (قال ابن هشام) والرقيم: الكتاب الذي رقم فيه بخبرهم، وجمعه: رقم. قال العجاج: * ومستقر المصحف المرقم * وهذا البيت في أرجوزة له. قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى: إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا. فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا. ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا. ثم قال تعالى: نحن نقص عليك نبأهم بالحق: أي بصدق الخبر عنهم. إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا: أي لم يشركوا بي كما أشركتم بي ما ليس لكم به علم. (قال ابن هشام) والشطط: الغلو ومجاوزة الحق. قال أعشى بن قيس بن ثعلبة:

لا ينتهون ولا ينهى ذوي شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وهذا البيت في قصيدة له. هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين. قال ابن إسحاق: أي بحجة بالغة. فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا. وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا. وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه. (قال ابن هشام) تزاور: تميل، وهو من الزور. وقال امرؤ القيس

كأنه بالضحى ترمي الصعيد به * دبابة في عظام الرأس خرطوم

يصف ولد الظبية، والخرطوم من أسماء الخمر، أي كأنه من نشاطه دبت الخمر في رأسه. وأنشد له أيضا:

* طوى النحز والأجراز * البيت. والنحز: النخس، والنحاز داء يأخذ الإبل، والنحيزة الغريزة، والنحيزة نسيجة كالحزام. والضلوع الجراشع هو جمع جرشع، قال صاحب العين: الجرشع العظيم الصدر، فمعناه إذا على هذا: الضلوع من الهزال قد نتأت وبرزت كالصدر النابز.

﴿ فصل ﴾ وذكر الرقيم، وفيه سوى ما قاله أقوال: روي عن أنس أنه قال: الرقيم الكلب، وعن كعب أنه قال: هو اسم القرية التي خرجوا منها، وقيل: هو اسم الوادي، وقيل: هو صخرة، ويقال: لوح كتب فيه أسماؤهم ونسبهم وقصتهم. وقال ابن عباس: كل القرآن أعلم إلا الرقيم والغسلين وحنانا والأواه. وقد ذكرت أسماؤهم على الاختلاف في بعض ألفاظها، وهي: مليخا، كسلمينا، مرطوش، بنأنس، ارنطاس، انونس، شاطيطوش. وقيل في اسم مدينتهم: أفسوس. واختلف في بقائهم إلى الآن، فروي عن ابن عباس أنه أنكر أن يكون بقي شيء منهم، بل صاروا ترابا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم. وقال بعض أصحاب الأخبار غير هذا، وإن الأرض لم تأكلهم ولم تغيرهم، وإنهم على مقربة من القسطنطينية، فالله أعلم. وروي أنهم سيحجون البيت إذا نزل عيسى ابن مريم، ثبت هذا الخبر في كتاب البدء لابن أبي خيثمة. وذكر قول الله تعالى «لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً» قد أمليت في إعراب هذه الآية نحوا من كراسة، وذكرنا ما وهم فيه الزجاج من إعرابها حيث جعل أحصى اسما في موضع رفع على خبر المبتدأ، وأمدا تمييز، وهذا لا يصح، لأن التمييز هو الفاعل في المعنى، فإذا قلت: أيهم أعلم أبا، فالأب هو العالم، وكذلك إذا قلت: أيهم أفره عبدا، فالعبد هو الفاره، فيلزم على قوله إذا أن يكون الأمد فاعلا بالإحصاء، وهذا محال، بل هو مفعول، وأحصى فعل ماض، وهو الناصب له. وذكرنا في ذلك الإملاء أنه قد يجوز فيه النصب بما قبله إذا جعلته خبرا، وذلك على شروط بيناها هنالك لمن أراد الوقوف على حقيقتها وعلى مواضعها وكشف أسرارها. وقوله سبحانه «فضربنا على آذانهم» أي أنمناهم، وإنما قيل في النائم ضرب على أذنه، لأن النائم ينتبه من جهة السمع، والضرب هاهنا مستعار من ضربت القفل على الباب. وذكر قوله تعالى «تزاور عن كهفهم ذات اليمين» الآية، وقيل في تقرضهم: تحاذيهم، وقيل: تتجاوزهم شيئا فشيئا، من القرض وهو القطع، أي تقطع ما هنالك من الأرض، وهذا كله شرح اللفظ، وأما فائدة المعنى فإنه تبين أنهم في فجوة من الأرض لا تدخل عليهم الشمس فتحرقهم وتبلي ثيابهم، ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال

لئلا تأكلهم الارض والفائدة العظمى فى هذه الصفة بيان كيفية حالهم فى الكهف وحال كلبهم وأين هو من الكهف وانه بالوصيد وأن باب الكهف الى جهة الشمال للحكمة التى تقدمت وان هذا البيان لا يكاد يعرفه من رآهم فان المطلع عليهم يملأ منهم رعبا فلا يتأمل هذه الدقائق من أحوالهم والنبى عليه السلام لم يرهم قط ولا سمع بهم ولا قرأ كتابا فيه صفتهم لانه امى فى امة أمية وقد جاء كم بيان لا يأتى به من وصل اليهم حتى ان كلبهم قد ذكر وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوصيد وهم فى الفجوة وفى هذا كله برهان عظيم على نبوته ودليل واضح على صدقه وانه غير متقول كما زعموا فقف بذلك على مضمون هذه الاوصاف والمراد بها بعصم ان شاء الله مما وقعت فيه الملحدة من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله وقولهم أى فائدة فى ان تكون الشمس تزاور عن كهفهم وهكذا هو كل بيت يكون فى مفوة أى بابه لجهة الشمال ونبه أهل المعانى على الفائدة الاولى المنبئة عن لطف الله بهم حيث جعلهم فى مفوة تزاور عنهم الشمس فلا تؤذيهم فيقال لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا فما فى ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة وما فيه من معنى اللطف بهم فالجواب ما قدمناه من ان الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئا حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب وكيف من لم يرهم ولا سمع بهم لولا الوحى الذى جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافى والبرهان الكافى والرعب الذى كان يلحق المطلع عليهم قيل كان مما طالت شعورهم وأظفارهم ومن الآيات فى هذه القصة قوله سبحانه «فى فجوة منه» أى فى فضاء ومع انهم فى فضاء منه فلا تصيبهم الشمس قال ابن سلام فهذه آية قال وكانوا يقلبون فى السنة مرتين ومن فوائد الآية انه أخرج الكلب عن التقليب فقال باسط ذراعيه ومع انه كان لا يقلب لم تأكله الارض لان التقليب كان من فعل الملائكة بهم والملائكة أولياء المؤمنين فى الحياة الدنيا وفى الآخرة والكلب خارج من هذه الآية ألا تراه كيف قال بالوصيد أى بفناء الغار لا داخلا معهم لان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب فهذه فوائد جمة قد اشتملت عليها هذا الكلام قال ابن سلام وانما كانوا يقلبون فى الرقدة الاولى قبل أن يبعثوا

﴿فصل﴾ وذكر قول الله سبحانه «قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا» وقال بعض أصحاب السلطان فاستدل بعض أهل العلم على انهم كانوا مسلمين بقوله لنتخذن عليهم مسجدا وذكر الطبرى ان أهل تلك المدينة تنازعوا فيما بينهم فى الاجساد والارواح كيف تكون اعادتها يوم القيامة فقال قوم تعاد الاجساد كما كانت بارواحها كما يقوله أهل الاسلام وخالفهم آخرون وقالوا تبعث الارواح دون الاجساد كما يقوله النصارى وتبرأ بعضهم من بعض واشتد الخلاف واشتد على ملكهم ما نزل بقومه من ذلك فلبس المسوح وافترش الرماد وأقبل على البكاء والتضرع الى الله ان يريه الفصل فيما اختلفوا فيه فأحيا الله أصحاب الكهف عند ذلك فكان من حديثهم ما عرف وشهر فقال الملك لقومه هذه آية أظهرها الله لكم لتعلموا وتعلموا ان الله عز وجل كما أحيا هؤلاء وأعاد أرواحهم الى أجسادهم فكذلك يبعث الخلق يوم القيامة كما بدأهم فرجع الكل الى ما قاله الملك وعلموا انه الحق

﴿فصل﴾ وذكر قول الله سبحانه «ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم» قد أفردنا الكلام على هذه الواو التى

وانى زعيم ان رجعت مملكا * بسير ترى منه الفرانق ازورا وهذا البيت فى قصيدة له وقال أبو الرحف الكلبى يصف بلدا
جاب المدى عن هوانا أزور * ينضى المطايا خمسه العشنزر وهذان البيتان فى أرجوزة له وتقرضهم ذات الشمال تجاوزهم وتتركهم
عن شمالها قال ذو الرمة الى ظعن يقرضن أقواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس وهذا البيت فى
قصيدة له والفجوة السعة وجمعها الفجاء قال الشاعر ألبست قومك مخزاة ومنقصة حتى أبيحوا وخلوا فجوة الدار
ذلك من آيات الله أى فى الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسألتك فى صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد «قال ابن هشام» الوصيد الباب قال العبسى واسمه عبيد ابن وهب بأرض فلاة لا يسد وصيدها على ومعروفى بها غير منكر وهذا البيت فى أبيات له والوصيد أيضا الفناء وجمعه وصائد ووصد ووصدان لو اطلعت
عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا الى قوله قال الذين غلبوا على أمرهم أهل السلطان [illegible]
والملك منهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون يعنى احبار يهود الذين أمروهم بالمسألة عنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم
رجما بالغيب أى لا علم لهم سبعة [illegible] كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا أى لا تكابرهم

يسميها بعض الناس واو الثمانية والذي يليق بهذا الموضع أن يعلم أن هذه الواو تدل على تصديق القائلين لأنها عاطفة على كلام مضمر تقديره نعم وثامنهم كلبهم وذلك أن قائلا لو قال إن زيدا شاعر فقلت له وفقيه كنت قد صدقته كأنك قلت نعم هو كذلك وفقيه أيضا وفي الحديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ بما أفضلت الحمر فقال وبما أفضلت السباع يريد نعم وبما أفضلت السباع خرجه الدارقطني وفي التنزيل «وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر» هو من هذا الباب فكذلك ما أخبر به عنهم من قولهم ويقولون سبعة فقال سبحانه وثامنهم كلبهم وليس كذلك سادسهم كلبهم ورابعهم كلبهم لأنه في موضع النعت لما قبله فهو داخل تحت قولهم مع قوله سبحانه «رجما بالغيب» ولم يقل ذلك في آخر القصة

﴿فصل﴾ وذكر قول الله تعالى «ولا تقولن لشيء» وفسره فقال أي استثن شيئة الله الشيئة مصدر شاء يشاء كما أن الخيفة مصدر خاف يخاف ولكن هذا التفسير وإن كان صحيح المعنى فلفظ الآية مشكل جدا لأن قوله «لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا» نهي عن أن يقول هذا الكلام ولم ينه عن أن يصله بإلا أن يشاء الله فيكون العبد المنهي عن هذا القول منهيا أيضا عن أن يصله بقوله إلا أن يشاء الله هذا محال فقوله إذا إلا أن يشاء الله استثناء من الله راجع إلى أول الكلام وهذا أيضا إذا تأملته نقض لعزمة النهي وإبطال لحكمه فإن السيد إذا قال لعبده لا تقم إلا أن يشاء الله أن تقوم فقد حل عقدة النهي لأن مشيئة الله للفعل لا تعلم إلا بالفعل فللعبد إذا أن يقوم ويقول قد شاء الله أن أقوم فلا يكون للنهي معنى على هذا فإذا لم يكن رد حرف الاستثناء إلى النهي ولا هو من الكلام الذي نهي العبد عنه فقد تبين إشكاله ﴿والجواب﴾ أن في الكلام حذفا وإضمارا تقديره ولا تقولن إني فاعل ذلك غدا إلا ذاكرا إلا أن يشاء الله أو ناطقا بأن يشاء الله ومعناه إلا ذاكرا شيئة الله كما قال ابن إسحق لأن الشيئة مصدر وأن مع الفعل في تأويل المصدر وإعراب ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر والعرب تحذف القول وتكتفي بالمقول وفي التنزيل «فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم» أي يقال لهم أكفرتم فحذف القول وبقي الكلام المقول وكذلك قوله تعالى «يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم» أي يقولون سلام عليكم وهو كثير وكذلك إذا قوله «إلا أن يشاء الله» هي من كلام الباري له سبحانه ثم أضمر القول وهو الذكر الذي قدمناه وبقي المقول وهو أن يشاء الله وهذا القدر يكفي في هذا المقام وإن كان في الآية من البسط والتفتيش ما هو أكثر من هذا

﴿فصل﴾ وقد فسر قوله تعالى «ولبثوا في كهفهم» فقال يعني أي سيقولون ذلك وهو أحد أقوال ثلاثة فيها وعلى هذا القول قرأ ابن مسعود وقالوا لبثوا بزيادة قالوا ثم قال ابن إسحق قل ربي أعلم بما لبثوا وهو وهم من المؤلف أو غيره وإنما التلاوة «قل الله أعلم بما لبثوا» وقد قيل إنه إخبار من الله تعالى عن مقدار لبثهم ولكن لما علم إنكار قريش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار وعلم أن فيه تنازعا بين الناس قال «قل الله أعلم بما لبثوا» وقوله «ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا» أي إنها ثلاث مائة بحساب العجم وإن حسبت بالأهلة فقد زاد العدد تسعا لأن ثلاث مائة سنة بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر (فإن قيل) فكيف قال ثلاث مائة سنين ولم يقل سنة وهو قياس العدد في العربية لأن المائة تضاف إلى لفظ الواحد ﴿فالجواب﴾ أن سنين في الآية بدل مما قبله ليس على حد الإضافة ولا التمييز ولحكمة عظيمة عدل باللفظ عن الإضافة إلى البدل وذلك أنه لو قال ثلاث مائة سنة لكان الكلام كأنه جواب لطائفة واحدة من الناس والناس فيهم طائفتان طائفة عرفوا طول لبثهم ولم يعلموا كمية السنين فعرفهم أنها ثلاث مائة وطائفة لم يعرفوا طول لبثهم ولا

ولا تستفت فيهم منهم أحدا فإنهم لا علم لهم بهم ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا أي ولا تقولن لشيء سألوك عنه كما قلت في هذا إني مخبركم غدا واستثن مشيئة الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهديني ربي لخير مما سألتموني عنه رشدا فإنك لا تدري ما أنا صانع في ذلك ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا أي سيقولون ذلك قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا أي لم يخف عليه شيء مما سألوك عنه

شيئاً من خبرهم فلما قال ثلاثمائة عرف أن اللائق بالكمية التي سكتوا عنها مضمرا للآخرين أن هذه الثلاثمائة سنون وليست أياما ولا شهورا فانتظم البيان للطائفتين من ذكر العدد وجمع المعدود وتبين أنه بدل إذ البدل يراد به تبيين ما قبله ألا ترى أن اليهود قد كانوا عرفوا أن لأصحاب الكهف نبأ عجيبا ولم يكن العجب إلا من طول لبثهم غيبا بهم لم يكونوا على يقين من أنها ثلاثمائة أو أقل فأخبر أن تلك السنين ثلاثمائة ثم لو وقف الكلام ههنا لقالت العرب ومن لم يسمع خبرهم ما هذه الثلاثمائة فقال كالمبين لهم سنين وقد روي معنى هذا التفسير عن الضحاك ذكره النحاس

﴿ فصل ﴾ وقال سنين ولم يقل أعواما والسنة والعام وإن اتسعت العرب فيهما واستعملت كل واحد منهما مكان الآخر اتساعا ولكن بينهما في حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فرق فخذه أولا من الاشتقاق فإن السنة من سنا يسنو إذا دار حول البئر والدابة هي السانية فكذلك السنة دورة من دورات الشمس وقد تسمى السنة دارا في الخبر إن بين آدم ونوح ألف دار أي ألف سنة هذا أصل هذا الاسم ومن ثم قالوا أكلتهم السنة فسموا شدة القحط سنة قال الله سبحانه « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين » ومن ثم قيل أسنت القوم إذا أقحطوا وكأن وزنه أفعلوا لا أفعتلوا كذلك قال بعضهم وجعل سيبويه التاء بدلا من الواو فهي عنده أفعلوا لأن الجدوبة والخصب معتبر بالشتاء والصيف وحساب العجم إنما هو بالسنين الشمسية بها يؤرخون وأصحاب الكهف من أمة عجمية والنصارى يعرفون حديثهم ويؤرخون به فجاء اللفظ في القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم وتمم الفائدة بقوله وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب فإن حسابهم بالشهور القمرية كالمحرم وصفر ونحوهما وانظر بعد هذا إلى قوله « تزرعون سبع سنين دأبا » الآية ولم يقل أعواما ففيه شاهد لما تقدم غير أنه قال ثم يأتي من بعد ذلك عام ولم يقل سنة عدولا عن اللفظ المشترك فإن السنة قد يعبر بها عن الشدة والأزمة كما تقدم فلو قال سنة لذهب الوهم إليها لأن العام أقل أياما من السنة وإنما دلت الرؤيا على سبع سنين شداد وإذا انقضى العدد فليس بعد الشدة إلا رخاء وليس في الرؤيا ما يدل على مدة ذلك الرخاء ولا يمكن أن يكون أقل من عام والزيادة على العام مشكوك فيها لا تقتضيه الرؤيا فحكم بالأقل وترك ما يقع فيه الشك من الزيادة على العام فهاتان فائدتان في التعبير بالعام في هذا الموطن وأما قوله « وبلغ أربعين سنة » فإنما ذكر السنين وهي أطول من الأعوام لأنه مخبر عن اكتمال الإنسان وتمام قوته واستوائه فلفظ السنين أولى بهذا الموطن لأنها أكمل من الأعوام وفائدة أخرى أنه خبر عن السن والسن معتبر بالسنين لأن أصل السن في الحيوان لا يعتبر إلا بالسنة الشمسية لأن النتاج والحمل يكون بالربيع والصيف حتى قيل ربعي للمبكر وصيفي للمؤخر قال الراجز

إن بني صبية صيفيون * أفلح من كان له ربعيون

فاستعمل في الآدميين فلما قيل في الفصيل ونحوه ابن سنة وابن سنتين قيل ذلك في الآدميين وإن كان أصله في البهائم لما قدمنا وأما قوله « وحمله وفصاله في عامين » فلأنه قال سبحانه « يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس » فالرضاع من الأحكام الشرعية وقد قصر فيها على الحساب بالأهلة وكذلك قوله « يحلونه عاما ويحرمونه عاما » ولم يقل سنة لأنه يعني شهر المحرم وصفر إلى آخر العام ولم يكونوا يحسبون بالحول ولا بالشمس ولا ينظرون إلا في الشهور القمرية وقوله سبحانه « فأماته الله مائة عام » إخبار منه لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته وحسابهم بالأعوام والأهلة كما وقت لهم سبحانه وقوله سبحانه في قصة نوح « فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما » فقيل إنما ذكر أولا السنين لأنه كان في شدائد مدته كلها إلا خمسين عاما منذ جاءه الفرج وأتاه

الفوت ويحور أن يكون الله سبحانه علم أن عمره كان ألفا الا الخمسين منها كانت أعواما ويكون عمره ألف سنة ينقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية في الخمسين خاصة لان خمسين عاما بحساب الاهلة أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام ونصف فان كان الله سبحانه قد علم هذا من عمره فاللفظ موافق لهذا المعنى والا ففي القول الاول مقنع والله أعلم بما أراد فتأمل هذا فان العلم بتنزيل الكلام ووضع الالفاظ في مواضعها اللائقة بها يفتح لك بابا من العلم باعجاز القرآن وابن هذا الاصل تعرف المعنى في قوله تعالى « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » وقوله تعالى « ألف سنة مما تعدون » وانه كلام ورد في معرض التكثير والتفخيم لطول ذلك اليوم والسنة أطول من العام كما تقدم فلفظها أليق بهذا المقام

﴿فصل﴾ وذكر قصة الرجل الطواف والحديث الذي جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان ملكا مسح الارض بالاسباب ولم يشرح معنى الاسباب ولاهل التفسير فيه أقوال متقاربة فالواقي قوله تعالى « وآتيناه من كل شيء سببا » أي علما يتسبب به وفي قوله تعالى « فاتبع سببا » أي طريقا موصلة وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب السبب حبل من نور كان ملك يمشي به بين يديه فيتبعه وقد قيل في اسم ذلك الملك رفاييل وهذا أقرب من قول من قال سببا أي طريقا وأقرب أن يكون تفسير القول النبي صلى الله عليه وسلم مسح الارض بالاسباب واختلف في تسميته بذي القرنين كما اختلف في اسمه واسم ابيه فاصح ما جاء في ذلك ما روي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال سأل ابن الكواء علي بن أبي طالب فقال أرأيت ذا القرنين أنبيا كان أم ملكا فقال لا نبيا كان ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرني رأسه ضربتين وفيكم مثله يعني نفسه وقيل كانت له ضفيرتان من شعر والعرب تسمي الخصلة من الشعر قرنا وقيل انه رأى في المنام رؤيا تأولها انه أخذ بقرني الشمس فكان التأويل انه المشرق والمغرب وذكر هذا الخبر علي بن أبي طالب القيرواني العابر في كتاب البستان له قال وبهذا سمي ذا القرنين وأما اسمه فقال ابن هشام في هذا الكتاب اسمه مرزبي بن مرذبة بذال مفتوحة في اسم أبيه وزاي في اسمه وقيل هرمس وقيل هردس وقال ابن هشام في غير هذا الكتاب اسمه الصعب بن ذي مراثد وهو أول التبابعة وهو الذي حكم لابراهيم عليه السلام في بئر السبع حين حاكموه فيها وقيل انه افريدون بن اثفيان الذي قتل الضحاك ويروى في خطبة قس بن ساعدة التي خطبها بسوق عكاظ انه قال فيها يا معشر إياد أين الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان ذلك كلحظة عين وأنشد ابن هشام للاعشى

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا * بالحنو في جدث أميم مقيم

وقوله بالحنو يريد حنو قراقر الذي مات فيه ذو القرنين بالعراق وقول ابن هشام في السيرة انه من أهل مصر وانه الاسكندر الذي بنى الاسكندرية فعرفت به قول بعيد مما تقدم ويحتمل أن يكون الاسكندر سمي ذا القرنين أيضا تشبيها له بالاول لانه ملك ما بين المشرق والمغرب فيما ذكروا أيضا وقتل ملوك فارس وقتل دارا بن دارا وأذل ملوك الروم وغيرهم وقال الطبري في الاسكندر هو اسكندروس بن فيلبوس ويقال فيلفوس وكانت أمه زوجة وكانت أهديت لدارا الاكبر أو بنتا له فوجد منها سهكة اسمها افقوليحت بملك فقال لها الاندروس فجاءت به لدارا الاصغر فلما وضعته رده الى أبيه وجها والد الاسكندر فجاءت به بالاسكندروس فاسمه غيد هم مشتق من تلك البقلة التي طهرت أمه بها اذ ذكروا وذكر عن الزبير انه قال ذو القرنين هو عبد الله بن الضحاك بن معد المحرقي ذكر ملوك الحيرة قال الصعب بن قرين بن هودر الترس

* وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف و يسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى انتهى الى آخر قصة خبره * وكان من خبر ذي القرنين أنه أوتي ما لم يؤت أحد غيره فمدت له الاسباب حتى انتهى من البلاد الى مشارق الارض ومغاربها لا يطأ أرضا الا سلط على أهلها حتى انتهى من المشرق والمغرب الى ما ليس وراءه شيء من الخلق * قال ابن اسحق فحدثني من يسوق الاحاديث عن الاعاجم فيما توارثوا من علمه ان ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرذبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح « قال ابن هشام » واسمه الاسكندر هو الذي بنى الاسكندرية فنسبت اليه * قال ابن اسحق وقد حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي وكان رجلا قد أدرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب

ويحتمل أن يكونوا ملوكا في أوقات شتى يسمى كل واحد منهم ذا القرنين والله أعلم والأول كان على عهد ابراهيم عليه السلام وهو صاحب الخضر حين طلب عين الحياة فوجدها الخضر ولم يجدها ذو القرنين حالت بينه وبينها الظلمات التي وقع فيها هو وأجناده في خبر طويل مذكور في بعض التفاسير مشهور عند الأحباريين وأما قول عمر لرجل سمعه يقول ياذا القرنين لم يكفكم أن تسموا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة ان كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام فهو ملك لا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الحق وان كان قاله متأولا فقد خالفه علي في الخبر المتقدم والله أعلم أي الخبرين أصح غير ان الرواية المتقدمة عن علي يقويها ما نقله أهل الأخبار عن ذي القرنين والله أعلم وكان من مذهب عمر رحمه الله كراهية التسمي بأسماء الأنبياء فقد أنكر على المغيرة تكنيته بأبي عيسى وأنكر على صهيب تكنيه بأبي يحيى فأخبره كل واحد منهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بذلك فسكت وكان عمر انما كره من ذلك الاكثار وأن يظن أن للمسلمين شرفا في الاسم اذا سمي باسم نبي أو أنه ينفعه ذلك في الآخرة فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرض أو نحوه وهو أعلم بما كره من ذلك والا فقد سمى بمحمد طائفة من الصحابة منهم أبو بكر وعلي وطلحة وأبو حذيفة وأبو جهم بن حذيفة وحاطب وحطاب ابنا الحارث كل هؤلاء المحمدين كانوا يكنون بأبي القاسم الا محمد بن حطاب وسمى أبو موسى ابنه موسى وكان يكنى به وأسيد بن حضير سمى ابنه يحيى وعلم بذلك النبي عليه السلام فلم ينكر عليه وكان لطلحة عشرة من الولد كلهم يسمى باسم نبي منهم موسى بن طلحة وعيسى واسحق ويعقوب وابراهيم ومحمد وكان للزبير عشرة كلهم يسمى باسم شهيد فقال له طلحة أنا أسميهم بأسماء الأنبياء وأنت تسميهم بأسماء الشهداء فقال له الزبير فاني أطمع أن يكون بني شهداء ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء ذكره ابن أبي خيثمة وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم والآثار في هذا المعنى كثيرة وفي السنن لأبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تسموا بأسماء الأنبياء وهذا محمول على الاباحة لا على الوجوب وأما التسمي بمحمد ففي مسند الحارث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم أحدهم بمحمد فقد جهل وفي المعطى عن مالك أنه سئل عمن اسمه محمد ويكنى أبا القاسم فلم ير به بأسا فقيل له أكنيت ابنك أبا القاسم واسمه محمد فقال ما كنيته بها ولكن أهله يكنونه بها ولم أسمع في ذلك نهيا ولا أرى بذلك بأسا وهذا يدل على أن مالكا لم يبلغه أو لم يصح عنده حديث النهي عن ذلك وقد رواه أهل الصحيح فالله أعلم ولعله بلغه حديث عائشة أنه عليه السلام قال ما الذي أحل اسمي وحرم كنيتي وهذا هو الناسخ لحديث النهي والله أعلم وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يكنى بأبي القاسم كان اسمه محمدا أو لم يكن وطائفة يكرهونه لمن اسمه محمد وفي المعطى أيضا أنه سئل عن التسمية بمهدي فكرهه وقال وما علمه بأنه مهدي وأباح التسمية بالهادي وقال لأن الهادي هو الذي يهدي الى الطريق وقد مضى كراهية مالك للتسمي بجبريل وقد ذكر ابن اسحق كراهية عمر للتسمي بأسماء الملائكة وكره مالك التسمي بياسين

﴿ فصل ﴾ وذكر سؤالهم عن الروح وما أنزل الله فيه من قوله تعالى « ويسئلونك عن الروح » الآية وروي عن ابن اسحق من غير طريق البكائي انه قال في هذا الخبر فاذا أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو جبريل وهذه الرواية عن ابن اسحق تدل على خلاف ما روى غيره أن يهود قالت لقريش اسئلوه عن الروح فان أخبركم به فليس بنبي وان لم يخبركم فهو نبي وقال ابن اسحق فيما تقدم من الحديث اسئلوه عن الرجل الطواف وعن الفتية وعن الروح فان أخبركم والا فالرجل متقول فسوى في الخبر بين الروح وغيره

* وقال خالد سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال عمر اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بالأنبياء حتى تسميتم بالملائكة * قال ابن اسحق والله أعلم أي ذلك كان أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا الحق ما قال * وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح ويسألونك عن الروح

واختلف أهل التأويل في الروح المسؤول عنه فقال بعضهم هو جبريل لأنه الروح الأمين وروح القدس وعلى هذا رواية ابن إسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش حين سألوه هو جبريل وقالت طائفة الروح خلق من الملائكة على صور بني آدم وقالت طائفة الروح خلق يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالملائكة لبني آدم وروي عن علي أنه قال الروح ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه في كل وجه مائة ألف فم في كل فم مائة ألف لسان يسبح الله بلغات مختلفة وقالت طائفة الروح الذي سألت عنه يهود هو روح الإنسان ثم اختلف أصحاب هذا القول فمنهم من قال لم يجبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سؤالهم لأنهم سألوه تعنتاً واستهزاء فقال الله قل الروح من أمر ربي ولم يأمره أن يبينه لهم وقالت طائفة بل قد أخبرهم الله به وأجابهم عما سألوا لأنه قال لنبيه قل الروح من أمر ربي وأمر الرب هو الشرع والكتاب الذي جاء به فمن دخل في الشرع وتفقه في الكتاب والسنة عرف الروح فكان معنى الكلام ادخلوا في الدين تعرفوا ما سألتم عنه فإنه من أمر ربي أي من الأمر الذي جئت به مبلغاً عن ربي وذلك أن الروح لا سبيل إلى معرفته من جهة الطبيعة ولا من جهة الفلسفة ولا من جهة الرأي والقياس وإنما تعرف من جهة الشرع فإذا نظرت إلى ما في الكتاب والسنة من ذكره نحو قوله سبحانه «ثم سواه ونفخ فيه من روحه» أي من روح الحياة والحياة من صفات الله سبحانه والنفخ في الحقيقة مضاف إلى ملك ينفخ فيه بأمر ربه ونظر إلى ما أخبر به الرسول عليه السلام أن الأرواح جنود مجندة وأنها تتعارف وتشام في الهواء وأنها تقبض من الأجساد بعد الموت وأنها تسئل في قبرها فتفهم السؤال وتسمع وترى وتنعم وتعذب وتلتذ وتألم وهذه كلها من صفات الأجسام فعرف أنها أجسام بهذه الدلائل لكنها ليست كالأجساد في كثافتها وثقلها وإظلامها إذ الأجساد خلقت من ماء وطين وحمإٍ مسنون فهو أصلها والأرواح خلقت مما قال الله تعالى وهو النفخ المتقدم المضاف إلى الملك والملائكة خلقت من نور كما جاء في الصحيح وإن كان قد أضاف النفخ إلى نفسه فكذلك أضاف قبض الأرواح إلى نفسه فقال «الله يتوفى الأنفس حين موتها» وأضاف ذلك إلى الملك أيضاً فقال «قل يتوفاكم ملك الموت» والفعل مضاف إلى الملك مجازاً وإلى الرب حقيقة فهو أيضاً جسم ولكنه من جنس الريح ولذلك سمي روحاً من لفظ الريح ونفخ الملك في معنى الريح غير أنه ضم أوله لأنه نوراني والريح هواء متحرك وإذا كان الشرع قد عرفنا من معاني الروح وصفاته بهذا القدر فقد عرف من جهة أمره كما قال سبحانه «قل الروح من أمر ربي» وقوله من أمر ربي أيضاً ولم يقل من أمر الله ولا من أمري [illegible] يدل على خصوص وعلى ما قدمناه من أنا لا ندركه إلا من أخذه من قول الله سبحانه وقول رسوله بعد الإيمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقه في الدين فإن كان لم يخبرهم به وحبس سائره عنه فقد أحالهم على موضع العلم به

﴿فصل﴾ ومما يفصل معنى الروح وحقيقته أن يعرف هل هي النفس أو غيرها وقد كثرت في ذلك الأقوال واضطربت المذاهب وتعلق قوم بظواهر من الأحاديث لا توجب القطع لأنها من نقل آحاد وأيضاً فإن ألفاظها محتملة للتأويل ومجازات العرب واتساعها في الكلام كثيرة فمما تعلقوا به في أن الروح هي النفس قول بلال أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك مع قول النبي عليه السلام إن الله قبض أرواحنا وقوله عز وجل «الله يتوفى الأنفس» والمقبوضة هي الأرواح ولم يفرقوا بين القبض والتوفي ولا بين الأخذ في قول بلال أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك وبين قول النبي عليه السلام قبض أرواحنا ويتجاذب ذلك أقوال ورجحان تطول وقد روى أبو عمر في التمهيد حديثاً يدل على خلاف مذهبه في أن النفس هي الروح [illegible]

إن الله خلق آدم وجعل فيه نفساً وروحاً فمن الروح عفافه وفهمه وحلمه وسخاؤه ووفاؤه ومن النفس شهوته وطيشه وسفهه وغضبه ونحو هذا وهذا الحديث معناه صحيح إذا تؤمل وإن صح نقله أو لم يصح وسبيلك أن تنظر في كتاب الله أولى لا إلى الأحاديث التي تنقل مرة على اللفظ ومرة على المعنى وتختلف فيها ألفاظ المحدثين فنقول قال الله تعالى «فإذا سويته ونفخت فيه من روحي» ولم يقل من نفسي وكذلك قال «ثم سواه ونفخ فيه من روحه» ولم يقل من نفسه ولا يجوز أيضاً أن يقال هذا ولا خفاء فيما بينهما من الفرق في الكلام وذلك يدل على أن بينهما فرقاً في المعنى وبعكس هذا قوله سبحانه «تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك» ولم يقل تعلم ما في روحي ولا أعلم ما في روحك ولا يحسن هذا القول أيضاً أن يقوله غير عيسى ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد كالليث والأسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه وكذلك قوله تعالى «يقولون في أنفسهم» ولا يحسن في الكلام تقولون في أرواحهم وقال تعالى «أن تقول نفس» ولم يقل أن تقول روح ولا تقوله أعرابي فإذاً كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى ولكن نقف دقيقة تعرف بها السر والحقيقة ولا تكون بين القولين اختلاف ثم إن شاء الله ونقول وبالله التوفيق الروح مشتق من الريح وهو جسم هوائي لطيف به تكون حياة الجسد عادة أجراها الله تعالى لأن العقل يوجب ألا تكون للجسم حياة حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذي هو في تجاويف الجسد كما قال ابن فورك وأبو المعالي وأبو بكر المرادي وسبقهم إلى نحو منه أبو الحسن الأشعري ومعنى كلامهم واحد أو متقارب

﴿ فصل ﴾ فإذا ثبت أن الروح سبب الحياة عادة أجراها الله تعالى فهو كالماء الجاري في عروق الشجرة صعداً حتى تحيا به عادة فتسميه ماء باعتبار أوليته وتسمي أيضاً هدا ر وحاء مارا وليته واعتبارا لمحة التي هي ريح فما دام الجنين في بطن أمه جنيناً فهو ذو روح فإذا نشأ واكتسب ذلك الروح أخلاقاً وأوصافاً فلم يكن فيه وأقبل على مصالح الجسم كغذائه وعشق مصالح الجسد ولذاته ودفع المضار عنه سمي نفساً كما تكتسب الماء الصاعد في الشجرة من الشجرة أوصافاً فلم يكن فيه فالماء في العنبة مثلاً هو ماء باعتبار الأصل والبداءة فمنه من الماء المموعة والرطوبة وفيه من العنبة الحلاوة وأوصاف أخر فتسميه مصطاراً إن شئت أو خمراً إن شئت أو غير ذلك مما أوجبه الاكتساب لهذه الأوصاف فمن قال إن النفس هي الروح على الإطلاق من غير تقييد فلم يحسن العبارة وإنما هي الروح بالأوصاف التي تقتضيها صحبة الملك والملك موصوف بكل خلق كريم ولذلك قال في الحديث فمن الروح عفافه وحلمه ووفاؤه وفهمه ومن النفس شهوته وغضبه وطيشه وذلك أن الروح كما قدمنا مازج الجسد الذي فيه الدم وتسمى الدم نفساً وهو مجرى الشيطان وقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسر لعله أن نبهم مما يحتمل تسطيره فمن يعرف جوهر الكلام وتنزل الألفاظ منازلها لا يسمى روحاً إلا ما وقع به الفرق بين الجماد والحي والذي كان سبب الحياة كما في الكتاب العزيز عند ذكر إحياء الأرض الميتة ونفخ الروح فيها ولا يقال نفخ النفس فيها إلا عند الاتساع في الكلام وتسمية الشيء بما يؤول إليه ومن هنا سمي جبريل عليه السلام روحاً والوحي روحاً لأن به تكون حياة القلوب قال الله سبحانه «أومن كان ميتاً فأحييناه» وقال في الكفار «أموات غير أحياء» وقال في النفس ما تقدم وقال «إن النفس لأمارة بالسوء» ولم يقل إن الروح لأمارة لأن الروح الذي هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ولا يسمى أيضاً نفساً كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الأوصاف المذكورة وما كان نحوها والماء النازل من السماء جنس واحد فإذا مازج أجساد الشجر كالتفاح والفرسك والحنظل والصبر وغير ذلك اختلفت أنواعه كذلك الروح النابتة التي هي من عند الله هي جنس واحد وقد أضافها إلى نفسه تشريفاً لها حين قال ونفخت فيه من روحي ثم خالط

قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا * قال ابن إسحق وحدثت عن ابن عباس أنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قالت أحبار يهود يا محمد أرأيت قولك وما أوتيتم من العلم إلا قليلا إيانا تريد أم قومك قال كلا قالوا فإنك تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها في علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه قال فأنزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل * قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لأنفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الأرض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً أي لا أصنع من ذلك إلا ما شئت

وأنزل عليه في قولهم * خذ لنفسك ما سألوه أن يأخذ لنفسه أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا ويبعث معه ملكا يصدقه بما يقول ويرد عنه
وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال
الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا
من ذلك أي من أن تمشي في الأسواق وتلتمس المعاش جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً وأنزل عليه

في ذلك من قولهم وما أرسلنا
قبلك من المرسلين إلا إنهم
ليأكلون الطعام ويمشون
في الأسواق وجعلنا بعضكم
لبعض فتنة أتصبرون وكان
ربك بصيرا أي جعلت
بعضكم لبعض بلاء
لتصبروا ولو شئت أن أجعل
الدنيا مع رسلي فلا يخالفوا
لفعلت * وأنزل الله عليه فيما
قال عبد الله بن أبي أمية
وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الأرض ينبوعا
أو تكون لك جنة من
نخيل وعنب فتفجر الأنهار
خلالها تفجيرا أو تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا
أو تأتي بالله والملائكة قبيلا
أو يكون لك بيت من
زخرف أو ترقى في السماء
ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل
علينا كتابا نقرؤه قل
سبحان ربي هل كنت إلا
بشرا رسولا « قال ابن
هشام » والينبوع ما نبع من
الماء من الأرض وغيرها
وجمعه ينابيع قال ابن
هرمة واسمه إبراهيم بن عبد
الله الفهري

الأجساد التي خلقت من طين وقد كان في ذلك الطين طيب وخبث فينزع كل فرع إلى أصله ويرجع ذلك
الأصل إلى ما سبق في أم الكتاب وإلى ما دبره وأحكمه الحكيم الخبير فعند ذلك تنافر النفوس أو تتقارب
وتتحاب أو تتباغض على حسب التشاكل في أصل الخلقة وهي معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فما
تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقد ذهب بعض الحكماء إلى ضد ذلك فإن معنى غير مشكور على
الانقياد إليك بغير زمام فإنها صادفت في ذلك بعض جواهرها والشيء يتبع بعضه بعضا

﴿ فصل ﴾ وقد يعبر بالنفس عن جملة الإنسان روحه وجسده فيقول عندي ثلاثة أنفس ولا يقول عندي
ثلاثة أرواح لا يعبر بالروح إلا عن المعنى المتقدم ذكره وإنما اتسع في النفس وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف
الجسد على الروح حتى صار يسمى نفسا وطرأ هذا الاسم بسبب الجسد كما طرأ على الماء في الشجر أسماء على
حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومر وحريف وغير ذلك فتحصل من مضمون ما ذكرنا إلا
يقال في النفس هي الروح على الإطلاق حتى تقيد بما تقدم ولا يقال في الروح هو النفس إلا كما يقال في المني
هو الإنسان أو كما يقال للماء المغذي للكرمة هو الخمر أو الخل على معنى أنه سيضاف إليه أوصاف يسمى بها
خمراً أو خلا وتقييد الألفاظ هو معنى الكلام وتنزيل كل لفظ في موضعه هو معنى البلاغة فافهمه

﴿ فصل ﴾ وإذا ثبت هذا فلم يقل الأول بلال أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك فذكر النفس لأنه معتذر
من ترك عمل أمر به والأعمال مضافة إلى النفس لأن الأعمال جسدانية وقول النبي صلى الله عليه وسلم إن
الله قبض أرواحنا فذكر الروح الذي هو الأصل لأنه إنما سلمهم من رعيهم فأعلمهم أن خالق الأرواح يقبضها
إذا شاء فلا تنبسط انبساطها في اليقظة وروح النائم وإن وصف بالقبض فلا يدل لفظ القبض على انتزاعه
بالكلية كما لا يدل قوله سبحانه في الظل « ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا » على إعدام الظل بالكلية وقوله تعالى « الله
يتوفى الأنفس » فلم يقل الأرواح لأنه ربط الخطاب بالغافلين عنه فأخبر أنه يتوفى أنفسهم ثم يعيدها حتى يتوفاها
فلا يعيدها إلى الحشر لينزجر النفوس بهذه العظة عن سوء أعمالها إذ الآية مكية والخطاب للكفار ووردت
تنزلت الألفاظ منازلها في الحديث والقرآن وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة

﴿ فصل ﴾ واستشهد ابن هشام بقول ابن هرمة واسمه فقال فهري وإنما هو خلجي والخلج اسمه قيس
ابن الحارث بن فهر واختلف في تسميته بني قيس بن الحارث الخلج فقيل لأنهم اختلجوا من قريش
وسكان مكة وقيل لأنهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء فسموا الخلج وابن هرمة واسمه إبراهيم بن علي بن هرمة
وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية وبيته

وإذا هرقت بكل دار عبرة * نزف الشؤون ودمعك الينبوع

والشؤون مجاري الدمع وهي خطوط في الرأس وهي أربعة للرجل وثلاثة للمرأة كذلك ذكروا عن أهل التشريح
وكذلك ذكر قاسم بن ثابت في الدلائل فالله أعلم وكل ما شرح ابن هشام من الآيات التي تلاها ابن إسحق فقد

وإذا هرقت بكل واد عبرة * نزف الشؤون ودمعك الينبوع وهذا البيت في قصيدة له والكسف القطع من العذاب وواحدتها كسفة
مثل سدرة وسدر وهي أيضا واحدة الكسف والقبيل يكون مقابلة ومعاينة وهو كقوله تعالى أو يأتيهم العذاب قبلا أي عيانا وأنشدني أبو
عبيدة للأعشى بن قيس بن ثعلبة أصالحكم حتى تبوؤا بمثلها * كصرخة حبلى يسرتها قبيلها يعني القابلة لأنها تقابلها وتقبل ولدها
وهذا البيت في قصيدة له ويقال القبيل جمعه قبل وهي الجماعات وفي كتاب الله تعالى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا فقبل جمع قبيل

جمع سبيل وسرر جمع سرير وقمص جمع قميص والفيل أيضا في مثل من الامثال وهو قولهم ما يعرف قبيلا من دبير اى لا يعرف ما اقبل مما أدبر قال الكميت بن زيد

فرقت الامور بوجهتهم * فما عرفوا الدبر من القبيل

وهذا البيت في قصيدة له ويقال انما أريد بهذا الفتل فما فتل الى الرباع فهو القبيل وما فتل الى أطراف الاصابع فهو الدبير وهو من الاقبال والادبار الذى ذكرت ويقال فتل المغزل فاذا فتل الى الركبة فهو القبيل واذا فتل الى الورك فهو الدبير والفتل أيضا قوم الرحل والزخرف الذهب والمزخرف المزين بالذهب قال العجاج

من طلل أمسى تخال المصحفا * رسومه والمذهب المزخرفا

وهذان البيتان في أرجوزة له ويقال أيضا لكل مزين مزخرف * قال ابن اسحق وأنزل عليه في قولهم انا قد بلغنا أنك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن ولن نؤمن به أبدا كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب * وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام له وما هم به أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة « قال ابن هشام » لنسفعا لنجذبن ولنأخذن قال الشاعر

قوم اذا سمعوا الصراخ رأيتهم * من بين ملجم مهره أو سافع

والنادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم وفي كتاب الله تعالى وتأتون في ناديكم المنكر وهو الندى وفي كتاب الله تعالى وأحسن نديا وجمعه أندية يقول فليدع أهل ناديه كما قال تعالى واسئل القرية يريد أهل القرية * قال سلامة بن جندل أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم الشاعر

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

وهذا البيت في قصيدة له وقال الكميت بن زيد

لا مهاذير في الندى مكاثير ولا مصمتين بالافحام

وهذا البيت في قصيدة له وقال النادى الجلساء والزبانية الغلاظ الشداد وهم في هذا الموضع خزنة النار والزبانية أيضا في الدنيا أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه والواحد زبنية قال ابن الزبعرى في ذلك

مطاعيم في المقرى مطاعين في الوغى * زبانية غلب عظام حلومها

يقول شداد وهذا البيت في أبيات له * وقال صخر بن عبد الله الهذلى وهو صخر الغى

ومن كبير نفر زبانيه *

وهذا البيت في أبيات له * قال ابن اسحق وأنزل الله تعالى عليه فيما عرضوا من أموالهم قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد * فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث ووقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوا عنه حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ولجوا فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون أى اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزؤا لعلكم تغلبونه بذلك فانكم ان ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم فقال أبو جهل يوما وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق يا معشر قريش يزعم محمد انما جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا وكثرة أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قوله وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما

يقدم ما يحتاج بيانه منه وفي قوله سبحانه « بيت من زخرف » دليل على ان البيت يراد به القصر والمنزل وان كان عظيما فانه سمى بيتا كما قدمنا في شرح بيت القصب في حديث خديجة

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق قول أبى جهل مستهزئا يزعم محمد ان جنود الله التى يعذبونكم بها تسعة عشر وأنتم الناس الى آخر القصة وأهل التفسير يعزون هذه المقالة الى أبى الاشد بن الجمحى واسمه كلدة بن أسيد بن خلف وأبو دهبل الشاعر هو ابن أخيه واسمه وهب بن زمعة بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكانت عند أبى دهبل التومة التى يعرف بها صالح مولى التومة وهى أخت عبد الله بن صفوان بن أمية ولدت له عبد الرحمن قتل يوم الجمل وانه قال اكفونى منهم اثنين وأنا أكفيكم سبعة عشر اعجابا منه بنفسه وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وقد نسب ابن اسحق خبر المصارعة الى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب وسنأتى في الكتاب والله أعلم وأما ما قاله أهل التأويل في خزنة جهنم التسعة عشر فروى عن كعب انه قال بيد كل واحد منهم عمود له شعبتان يدفع بالشعبة سبعين ألفا الى النار وقد أملينا في معنى أبواب الجنة وأبواب النار وفائدة عددها واسمها وذكر الزبانية والحكمة في كونهم عدد القلة الا مسئلة في غير هذا من حرره فليطرح هناك

﴿ فصل ﴾ وذكر قول قريش انما يعلمه رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا لا نؤمن بالرحمن فأنزل الله سبحانه « وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى » كان مسيلمة بن حبيب الحنفى ثم أحد بنى الدول قد تسمى بالرحمن في الجاهلية وكان من المعمرين ذكر وثيمة بن موسى ان مسيلمة تسمى بالرحمن قبل ان يولد عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد في تفسير الزبانية * ومن كبير نفر زبانيه * وجدت في حاشية

فجعلنا عذابهم الا فتنة للذين كفروا الى آخر القصة فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا اذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو
يصلي يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا له وكان الرجل منهم اذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو
يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فان رأى انهم قد عرفوا انه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع وان خفض رسول الله صلى الله
عليه وسلم صوته فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئا من قراءته وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له يستمع منه * قال ابن اسحق وحدثني
داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حدثهم انما أنزلت هذه الآية ولا
تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا من أجل أولئك النفر يقول لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمعها
من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي الى بعض ما يستمع فينتفع به * قال ابن اسحق وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير
عن أبيه قال كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اجتمع يوما أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهوه فقال عبد الله بن مسعود أنا قالوا انا نخشاهم
عليك انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان أرادوه قال دعوني فان الله سيمنعني قال فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش
في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا بها صوته الرحمن علم القرآن قال ثم استقبلها يقرؤها قال فتأملوه فجعلوا يقولون
ماذا قال ابن أم عبد قال ثم قالوا انه ليتلو بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ
منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف الى أصحابه وقد أثروا في وجهه فقالوا له هذا الذي خشينا عليك فقال ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن
ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا قالوا لا حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون * قال ابن اسحق (٢٠١) وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب
الزهري انه حدث ان أبا سفيان بن حرب وأبا جهل ابن هشام والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه

كتاب الشيخ على هذا البيت كبير حي من هذيل ﴿قال المؤلف﴾ وفي أسد أيضا كبير بن غنم بن دودان بن أسد ومن ذريته بنو جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير ولعل الراجز أن يكون أراد هؤلاء فانهم أشهر والله أعلم وبنو كبير أيضا بطن من بني غامد وهم من الأزد والذي بعد ذكره من هذيل هو كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل

﴿فصل﴾ وذكر استماع أبي جهل وأبي سفيان والأخنس الى قول أبي جهل فلما تجاذينا على الركب وقع في الجمهرة الجاذي المقعي على قدميه قال ورب ... عاجلوا الجاذي والجاثي سواء * وذكر قول الله سبحانه خبرا عنهم «جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا» قال بعضهم مستور بمعنى ساتر

(٢٦ - روض ل)

وسلم وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل
لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض
سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر
تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا
يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما
أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا أبا
ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأخنس وأنا والذي حلفت به قال
ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد فقال ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف
الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى اذا تجاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى
ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه قال فقام عنه الأخنس وتركه * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا
عليهم القرآن ودعاهم الى الله قالوا يهزؤن به قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه لا نفقه ما تقول وفي آذاننا وقر لا نسمع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب قد حال
بيننا وبينك فاعمل بما أنت عليه انا عاملون بما نحن عليه انا لا نفقه عنك شيئا فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك
وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا الى قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا أي كيف وقد أوجدت
ربك ان كنت جعلت على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا وبينك وبينهم حجابا بزعمهم أي اني لم أفعل ذلك نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون
اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا أي ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثتك به اليهم انظر كيف ضربوا لك الأمثال

فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أي أخطؤوا المثل الذي ضربوا لك فلا يصيبون به هدى ولا يعتدل لهم فيه قول وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أي قد جئت تخبرنا أنا سنبعث بعد موتنا إذا كنا عظاما ورفاتا وذلك ما لا يكون قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة أي الذي خلقكم مما تعرفون فليس خلقكم من تراب بأعز من ذلك عليه * قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سألته عن قول الله تعالى أو خلقا مما يكبر في صدوركم ما الذي أراد الله به فقال الموت

كما قال وكان وعده مأتيا أي آتيا والصحيح أن مستورا على بابه لأنه حجاب على القلب فهو لا يرى * وذكر حديث ابن عباس حين سئل عن قوله «أو خلقا مما يكبر في صدوركم» فقال الموت وهو تفسير يحتاج الى تفسير ورأيت لبعض المتأخرين فيه قال أراد ابن عباس ان الموت سيفنى كما يفنى كل شيء كما جاء انه يذبح على الصراط فكان المعنى ان لو كنتم حجارة أو حديدا لأدرككم الفناء والموت ولو كنتم الموت الذي هو كبير في صدوركم فلا بد لكم من الفناء والله أعلم بتأويل ذلك وقد بقي في نفسي من تأويل هذه الآية شيء حتى يكمل الله نعمته بفهمها ان شاء الله تعالى وقوله سبحانه «ولوا على أدبارهم نفورا» يجوز أن يكون نفورا جمع نافر فيكون نصبا على الحال ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا لولوا ومما أنزل الله في استماعهم «ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم» ألا ترى كيف جمع يستمعون والحمل على اللفظ اذا قرب منه أحسن ألا ترى الى قوله سبحانه «ومن يسلم وجهه الى الله» فأفرد حملا على لفظ من وقال في آخر الآية ولا خوف عليهم فجمع حملا على المعنى لما بعد عن اللفظ وهكذا كان القياس في قوله «ومنهم من يستمعون» ولكن لما كانوا جماعة ونزلت الآية فيهم بأعيانهم صار المعنى ومنهم نفر يستمعون يعني أولئك النفر وهم أبو جهل وأبو سفيان والأخنس بن شريق ألا ترى كيف قال بعد «ومنهم من ينظر اليك» فأفرد حملا على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر تعذيب من أسلم وطرحهم في الرمضاء وكانوا يلبسونهم أدراع الحديد حتى أعطوهم بألسنتهم ما سألوا من كلمة الكفر الا بلالا رحمه الله وأنزل الله فيهم الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ونزل في عمار وأشباهه الا أن تتقوا منهم تقاة ولما كان الايمان أصله في القلب رخص للمؤمن في حال الاكراه أن يقول بلسانه اذا خاف على نفسه حتى يأمن قال ابن مسعود ما من كلمة تدفع عني سوطين الا قلتها هذا في القول فأما الفعل فينقسم فيه الحال فمنه ما لا خلاف في جوازه كشرب الخمر اذا خاف على نفسه القتل وان لم يخف الا ما دون القتل فالصبر له أفضل وان لم يخف في ذلك الا كسجن يوم أو طرف من الهوان خفيف فلا يحل له المعصية من أجل ذلك وأما الاكراه على القتل فلا خلاف في حظره لأنه انما رخص له فيما دون القتل ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة وهي نفسه فأما اذا دفع عن نفسه بنفس أخرى فلا رخصة واختلف في الاكراه على الزنى فذكر عن ابن الماجشون انه قال لا رخصة فيه لأنه لا يباشره الا عن ارادة في القلب أو شهوة وأفعال القلب لا تباح مع الاكراه وقال غيره بل رخص في ذلك لمن خاف القتل لأن انبعاث الشهوة عند المماسة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مضغ الطعام وقد يجوز أكل الحرام اذا أكره عليه

﴿ فصل ﴾ واختلف الاصوليون في مسئلة من الاكراه وهي هل المكره على الفعل مخاطب بالفعل أم لا

* قال ابن اسحق انهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذي يصيبه ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم وكان بلال مولى أبي بكر رضي الله عنهما لبعض بني جمح مولدا من مولديهم وهو بلال بن رباح وكان اسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو في ذلك البلاء أحد أحد * قال ابن اسحق وحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك وهو يقول أحد أحد فيقول أحد أحد والله يا بلال ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بني جمح فيقول أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حنانا حتى مر به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوما وهم يصنعون ذلك به وكانت دار أبي بكر في بني جمح فقال لأمية بن خلف ألا تتقي الله في هذا المسكين حتى متى قال أنت الذي أفسدته فأنقذه مما ترى فقال أبو بكر أفعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال قد قبلت قال هو لك فأعطاه أبو بكر

الصديق رضي الله عنه علامه ذلك وأخذه فأعتقه ثم أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر إلى المدينة ست رقاب بلال سابعهم * عامر
ابن فهيرة شهد بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة شهيداً * وأم عبيس * وزنيرة فأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها إلا
اللات والعزى فقالت كذبوا وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان فرد الله بصرها * وأعتق النهدية وبنتها وكانتا لامرأة من بني عبد
الدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهي تقول والله لا أعتقكما أبداً فقال أبو بكر رضي الله عنه حل يا أم فلان فقالت حل أنت أفسدتهما
فأعتقهما قال فبكم هما قالت بكذا وكذا قال قد أخذتهما وهما حرتان أرجعا إليها طحينها قالتا أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده إليها قال ذلك إن
شئتما * ومر بجارية بني مؤمل حي من بني عدي بن كعب وكانت مسلمة وكان عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام
وهو يومئذ مشرك وهو
يضربها حتى إذا مل قال إني
أعتذر إليك إني لم أتركك إلا
ملالة فتقول كذلك فعل
الله بك فابتاعها أبو بكر
فأعتقها * قال ابن إسحق
وحدثني محمد بن عبد الله بن
أبي عتيق عن عامر بن عبد
الله بن الزبير عن بعض أهله
قال قال أبو قحافة لأبي بكر
يا بني إني أراك تعتق رقاباً
ضعافاً فلو أنك إذ فعلت
ما فعلت أعتقت رجالاً جلداً
يمنعونك ويقومون دونك
قال فقال أبو بكر رضي الله
عنه يا أبت إني إنما أريد ما
أريد لله قال فيتحدث
أنه ما نزل هؤلاء الآيات إلا
فيه وفيما قال له أبوه فأما من
أعطى واتقى وصدق
بالحسنى إلى قوله تعالى وما
لأحد عنده من نعمة
تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى * قال ابن إسحق وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه وكانوا أهل بيت إسلام
إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فيما بلغني صبراً آل ياسر موعدكم الجنة فأما أمه فقتلوها
وهي تأبى إلا الإسلام وكان أبو جهل الفاسق الذي يغري بهم في رجال من قريش إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال
تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنفيلن رأيك ولنضعن شرفك وإن كان تاجراً قال والله لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وإن
كان ضعيفاً ضربه وأغرى به * قال ابن إسحق حدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قلت لعبد الله بن عباس أكان المشركون يبلغون
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم قال نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه
حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضر الذي نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له اللات والعزى إلهك من دون الله

وقالت المعتزلة لا يصح الأمر بالفعل مع الإكراه عليه وقالت الأشعرية ذلك جائز لأن العزم إنما هو فعل
القلب وقد يتصور منه في ذلك الحين العزم والنية وهي القصد إلى امتثال أمر الله تعالى وإن كان ظاهره أنه
يفعله خوفاً من الناس وذلك إذا أكره على فرض كالصلاة مثلاً إذا قيل صل وإلا قتلت وأما إذا قيل له إن
صليت قتلت فظن القاضي أن الخلاف يساوي بين المعتزلة في ذلك وغلطه بعض أصحابه وقالوا لا خلاف في
هذه المسألة أنه مخاطب بالصلاة مأمور بها وإن رخص له في تركها فليس الترخيص مما يخرجه عن حكم
الخطاب وإنما رفع عنه الإكراه الإثم ولا يخرجه عن أن يكون مخاطباً بها وهذا الغلط المنسوب إلى القاضي
في هذه المسألة ليس بقول له وإنما حكاه في كتاب التقريب والإرشاد عن طائفة من الفقهاء قالوا لا يتصور
القصد والإرادة للفعل مع الإكراه عليه قال القاضي وهذا باطل لأنه يتصور إذا كان يفعله مع الإكراه
فكذلك يتصور منه القصد إلى الامتثال له وبه يتعلق التكليف فإنما غلط من نسب إليه من الأصوليين
هذا القول الذي أبطله وبين بطلانه وإنما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه في المسألة وأقف على حقيقة
مذهبه وهو بريء من الغلط فيها

﴿فصل﴾ وذكر من عذب في الله سمية أم عمار وقد قتلها أبو جهل وهي أول شهيد في
الإسلام وروى أن عماراً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم صبراً أبا اليقظان ثم قال اللهم لا تعذب أحداً من آل عمار بالنار وسمية أمه وهي بنت
خياط كانت مولاة لأبي حذيفة بن المغيرة واسمه مهشم وهو عم أبي جهل وغلط ابن قتيبة فيها فزعم أن
الأزرق مولى الحارث بن كلدة خلف عليها بعد ياسر فولدت له سلمة بن الأزرق وقال أهل العلم بالنسب إنما
سمية أم سلمة بن الأزرق سمية أخرى وهي أم زياد بن أبي سفيان لا أم عمار وعمار والحويرث وعبد الله
بنو ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن الوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة
ابن عامر بن يام بن عنس بن مالك بن أدد بن زيد العنسي المذحجي حليف لبني مخزوم ومن ولد عمار
عبد الله بن سعد بن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر وهو المقتول بالأندلس
قتله عبد الرحمن بن معاوية

﴿فصل﴾ وذكر زنيرة التي أعتقها أبو بكر وأول اسمها زاي مكسورة بعدها نون مكسورة مشددة على

وحدثني الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد أنه حدث أن رجالاً من بني مخزوم مشوا الى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا منهم سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة قال فقالوا له وخشوا شرّه انا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا فانا نأمن بذلك في غيره قال هذا فعليكم به فعاتبوه وإياكم ونفسه فقال

ألا لا يقتلن أخي عييش * فيبقى بيننا أبداً تلاحي

احذروا على نفسه واقسم بالله لئن قتلتموه لأقتلن أشرفكم رجلاً قال فقالوا اللهم العنه من يغرر بهذا الخبيث فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلاً فتركوه ونزعوا عنه قال وكان ذلك مما دفع الله به عنهم

﴿ذكر الهجرة الاولى الى أرض الحبشة﴾ بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكاً لا يظلم

(٢٠٤)

عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم فكانت أول هجرة كانت في الاسلام * وكان أول من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن بني عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حذيفة * ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد * ومن بني عبد الدار ابن قصي مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة * ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جمح * ومن بني عدي بن كعب عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب * ومن بني عامر بن لؤي أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ويقال بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ويقال هو كان أول من قدمها * ومن بني الحرث بن فهر سهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث فكان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين الى أرض الحبشة فيما بلغني « قال ابن هشام » وكان عليهم عثمان بن مظعون فيما ذكر لي بعض أهل العلم

وزن فعيلة هكذا صحت الرواية في الكتاب والزبيرة واحدة الزبانير وهي الحصا الصغار قاله أبو عبيدة وبعضهم يقول فيها زنيرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها ولا يعرف زنبرة في النساء وأما في الرجال فزنبرة بن زبير بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر واسمه خالد بن زنبرة وهو الفرق قاله الدارقطني

﴿فصل﴾ وذكر أم عبيس وكانت لبني تيم بن مرة أعتقها أبو بكر وذكر غير ابن اسحق هؤلاء الذين عذبوا في الله لما أعطوا بالسنة ما سئلوا من الكفر جاءت قبيلة كل رجل منهم بأنطاع الادم فيها الماء فوضعوهم فيها وأخذوهم بأطراف الانطاع واحتملوهم الا بلالا * وقول ورقة بن نوفل لئن قتلتموه لنتخذنه حنانا أي لأتخذن قبره منسكا ومسترحما والحنان الرحمة وكان بلال رحمه الله يكنى أبا عبد الكريم وقيل أبا عبد الله وأخته غفرة وقد تقدم في أول الكتاب ذكر عمر مولى غفرة وهي هذه والغفرة الانثى من أولاد الاراوي والذكر غفر

﴿باب الهجرة الى ارض الحبشة﴾

وقد ذكرنا نسب الحبشة في أول الكتاب وأما النجاشي فاسم لكل ملك يلي الحبشة كما ان كسرى اسم لمن ملك الفرس وخاقان اسم لملك الترك كذا من كان وبطليموس اسم لمن ملك يونان وقد ذكرنا هذا المعنى قبل واسم هذا النجاشي أصحمة بن أبحر وتفسيره عطية وذكر في أول من خرج الى الحبشة عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حين زوجها به يقال

أحسن شخصين رأى انسان * رقية وبعلها عثمان

ولدت رقية لعثمان ابنه عبد الله وبه كان يكنى ومات عبد الله وهو ابن ست سنين وكان سبب موته أن ديكا نقره في عينه فتورم وجهه فمرض فمات وذلك في جمادى الاولى سنة أربع من الهجرة ثم كني بعد ذلك أبا عمرو وهذا هو عبد الله الاصغر وعبد الله الاكبر هو ابنه من فاختة بنت غزوان وأكثر بنيه بعد هذين عمرو ومن بنيه عمر وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأبان وفي السيرة من غير هذه الرواية ان رقية كانت من أحسن البشر وأن رجالا من الحبشة رأوها فأعجبتهم فكانوا يتعرضون لها فأذاها ذلك فكانوا ادا ركبوا أو أركبوها فأعجبهم حسنها وكانت تتأذى بذلك وكانوا لا يستطيعون لعزتهم أن يقولوا لهم شيئا حتى خرج أولئك النفر مع النجاشي الى عدوه الذي كان نازعه فقتلوا جميعا فاستراحت منهم وظهر النجاشي على عدوه وروى الزبير في حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا بلطف الى عثمان ورقية فاحتبس عليه الرسول فقال له عليه السلام ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية تعجب من حسنهما * وذكر ابن اسحق تسمية المهاجرين الى أرض الحبشة وقد تقدم النفر بعد بعضهم وذكر سبب اسلام عمرو بن سعيد بن العاصي وانه رأى نورا خرج من زمزم أضاءت له منه نخل المدينة حتى رأوا البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بني عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا لبداره للاسلام وقد ذكرنا فيما تقدم ان هذه الرؤيا انما كانت لاخيه وان عمرا هو الذي عبرها له وهذا هو الصحيح فيها والله أعلم وأما أخوه خالد بن سعيد فكان يرى قبل ان يسلم نفسه قد أشفى على نار تأجج وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ بحجزته يصرفه عنها فلما استيقظ علم ان نجاته من النار على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أظهر اسلامه ضربه أبوه بمقرعة حتى كسرها على رأسه وحلف لا ينفق عليه وأغرى به اخوته فطردوه وآذوه فانقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هاجر الى ارض الحبشة كذا ذكر ابن اسحق وأبوه سعيد بن العاصي أبو أحيحة الذي يقول فيه القائل

أبو أحيحة من يعتم عمته * يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

وكان اذا اعتم لم يعتم قرشي اعظاما له وقد قيل في عمته أيضا ما أنشده عمرو بن بحر الجاحظ

وكان أبو أحيحة قد علمتم * بمكة غير مهتضم ذميم

اذا شد العصابة ذات يوم * وقام الى المجالس والخصوم

لقد حرمت على من كان يمشي * بمكة غير مغتفر لئيم

مات أبو أحيحة الذي كان يكنى به في حرب الفجار وأسلم من بنيه أربعة ابان وخالد وعمرو والحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ومات أحيحة بن سعيد والعاصي بن سعيد وعبيدة مشركين قتل على الكفر قتل العاصي منهم يوم بدر كافرا * وذكر أمة بنت خالد بن سعيد التي ولدت بأرض الحبشة قال وتزوجها الزبير بن العوام وهي التي كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي صغيرة وجعل يقول سناه سناه * يا أم خالد أي حسن حسن بلغة الحبشة وكانت قد تعلمت لسان الحبشة لانها ولدت بأرضهم وولدت للزبير عمرا وخالدا قال ان أباها خالد بن سعيد أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم مات باجنادين شهيدا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمله على صنعاء واليمن فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أبو بكر أن يستعمله فقال لا أعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا وروي ان أباه سعيد بن العاصي مرض فقال ان رفعني الله من مرضي لا يعبد اله ابن ابي كبشة بمكة أبدا فقال ابنه خالد اللهم لا ترفعه فهلك مكانه فهؤلاء بنو سعيد بن العاصي بن أمية وعثمان هو ابن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس

بهاميهم من خرج باهله معه ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه * من بني هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر جعفر ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم معه امرأته أسماء بنت عميس ابن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ولدت له بارض الحبشة عبد الله بن جعفر رجل * ومن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عثمان ابن عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس معه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعمرو بن سعيد بن العاص بن امية معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث بن شق بن رقبة بن مخدج الكناني * وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية معه امرأته أمينة بنت خلف ابن أسعد بن عامر ابن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة «قال ابن هشام» ويقال همينة بنت خلف * قال ابن اسحق وولدت له بارض الحبشة سعيد بن خالد وأمة

بنت خالد وتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام فولدت له عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير * ومن حلفائهم من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد * وأخوه عبيد الله بن جحش معه امرأته أم حبيبة بنت أبي

سفيان بن حرب بن أمية * وقيس بن عبد الله رجل من بني أسد بن خزيمة معه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب بن أمية * ومعيقيب بن أبي فاطمة وهؤلاء آل سعيد بن العاص سبعة نفر «قال ابن هشام» معيقيب من دوس * قال ابن اسحق ومن بني عبد شمس بن عبد مناف * أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس * وأبو موسى الأشعري واسمه عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة رجلان * ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان حليف لهم رجل * ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد * والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد * ويزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد * وعمرو بن أمية بن الحرث بن أسد أربعة نفر * ومن بني عبد بن قصي طليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد رجل * ومن بني عبد الدار بن قصي مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * وسويبط بن سعد بن حرملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار * وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود بن جذيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة * وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بنت جهم * وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * وفراس بن النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار خمسة نفر * ومن بني زهرة بن كلاب * عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة * وعامر بن أبي وقاص وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة * والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة معه امرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب * ومن حلفائهم من هذيل * عبد الله بن مسعود بن الحرث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل * وأخوه عتبة بن مسعود * ومن بهراء المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هزل بن قائش بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة «قال ابن هشام» ويقال هزل بن فاس بن ذر ودهير بن ثور * قال ابن اسحق وكان يقال له المقداد بن الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وذلك أنه كان تبناه في الجاهلية وحالفه ستة نفر * ومن بني تيم بن مرة الحرث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم معه امرأته ريطة بنت الحرث بن جبيلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ولدت له بأرض الحبشة موسى بن الحرث وعائشة بنت الحرث وزينب بنت الحرث وفاطمة بنت الحرث * وعمرو بن عثمان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم رجلان * ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ولدت له بأرض الحبشة زينب بنت أبي سلمة واسم أبي سلمة عبد الله واسم أم سلمة هند * وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم «قال ابن هشام» اسم شماس عثمان وإنما سمي شماسا لأن شماسا من الشمامسة قدم مكة في الجاهلية وكان جميلا فعجب الناس من جماله فقال عتبة بن ربيعة وكان خال شماس فأنا آتيكم بشماس أحسن منه فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان فسمي شماسا فيما ذكر ابن شهاب وغيره * قال ابن اسحق وهبار بن سفيان بن عبد الأسد ابن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وأخوه عبد الله بن سفيان * وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن حلفائهم معتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو من خزاعة وهو الذي يقال له عيهامة ثمانية نفر «قال ابن هشام» [illegible] بن حمراء * ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن

(٢٠٦)

ولا يختلف في عبد شمس أنه بالدال وأما عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم فقال فيه أبو عبيد والبرقي عبد شمس كالأول وقال أكثر الناس فيه عب شمس ثم اختلفوا في معناه فقيل فيه إنه عبد شمس لكن أدغمت الدال وقيل بل عب الشمس هو ضوءها وصفاؤها وقيل في المثل هو أبرد من عبقر أي البرد وبعضهم يقول وهو أبرد من عب قر أي ناصر قر ومن حب قر أيضا وفيه قول ثالث أعني عب شمس وهو مروي عن ابن عمر وقال معناه حب شمس بالهمز ثم حذفت الهمزة ثم لا وحب الشمس وعبؤه مثله وشك ابن اسحق في عمار بن ياسر هل هاجر الى أرض الحبشة أم لا والأصح عند أهل السير كالواقدي وابن عقبة وغيرهما أنه لم يكن فيهم * وذكر ابن اسحق من بني الحارث بن قيس من هاجر الى أرض الحبشة ولم يذكرهم عن ابن الحارث * وذكره الواقدي وغيره والحارث بن قيس كان أبوه من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم «إنا كفيناك المستهزئين» * وذكر من بني زهرة من هاجر الى أرض الحبشة وهم ستة نفر

مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح * وابنه السائب بن عثمان * وأخواه قدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون * وحاطب بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح معه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر * وابناه محمد بن حاطب والحرث بن حاطب وهما للمجلل * وأخوه حطاب بن الحرث معه امرأته فكيهة بنت يسار * وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح معه ابناه جابر بن سفيان وجنادة بن سفيان ومعه امرأته حسنة وهي أمهما * وأخوهما من أمهما شرحبيل بن حسنة أحد الغوث «قال ابن هشام» شرحبيل بن عبد الله أحد الغوث بن مر أخي تميم بن مر * قال ابن اسحق وعثمان بن ربيعة بن أهبان بن وهب بن حذافة بن جمح أحد عشر رجلا * ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب خنيس ابن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم * وعبد الله بن الحرث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد بن سهم «قال ابن هشام» العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم * قال ابن اسحق وقيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم * وأبو قيس بن الحرث بن قيس بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم * وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم * والحرث بن الحرث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم * ومعمر بن الحرث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم * وبشر بن الحرث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم * وأخ له من أمه من بني تميم يقال له سعيد بن عمرو * وسعيد بن الحرث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم * والسائب بن الحرث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم * وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم * ومحمية بن الجزء حليف لهم من بني زبيد أربعة عشر رجلا * ومن بني عدي بن كعب معمر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي * وعروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي * وعدي بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي * وابنه

(٢٠٧)

النعمان بن عدي * وعامر ابن ربيعة حليف لآل الخطاب من عنز بن وائل معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم خمسة نفر * ومن بني عامر بن لؤي أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر * وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر وأخوه السكران بن عمرو معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر * ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ومعه امرأته عمرة بنت السعدي بن وقدان بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وسعد بن خولة حليف لهم ثمانية نفر «قال ابن هشام» سعد بن خولة من اليمن * قال ابن اسحق * ومن بني الحرث ابن فهر * أبو عبيدة بن الجراح وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث * وسهيل بن بيضاء وهو سهيل ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث ولكن أمه غلبت على نسبه فهو ينسب إليها وهي دعد بنت جحدم بن أمية بن ظرب بن الحرث بن فهر وكانت تدعى بيضاء * وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث * وعياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث ويقال ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة * وعمرو بن الحرث بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحرث * وعثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك ابن ضبة بن الحرث * وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحرث * والحارث بن عبد قيس بن لقيط بن عامر ابن أمية بن ظرب بن الحرث بن فهر ثمانية نفر * فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغارا أو ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا إن كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه * وكان مما قيل من الشعر [illegible]

ولم يذكر السابع وهو عبد الله بن شهاب جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري وكان اسمه عبد الجان فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله مات بمكة بعد الفتح وأخوه عبد الله الأصغر شهد أحدا مع المشركين ثم أسلم * وذكر المطلب بن عبد عوف ولم يذكر أخاه طليبا وكلاهما هاجر إلى أرض الحبشة ومات بها وهما أخوا أزهر بن عبد عوف

﴿فصل﴾ وأنشد لعبد الله بن الحارث ما قاله في أرض الحبشة وفيه قوله

أُلحق عِدَاتك بالقوم الذين طغوا * وعائذاً بك أن يعلوا فيطغوني

أنشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك إظهاره وذلك لحكمة وهي أن الفعل لو ظهر لم يخل أن يكون ماضياً أو مستقبلاً فالماضي يوهم الانقطاع والمتكلم إنما يريد أنه في مقام العائذ وفي حال عَوذ والفعل المستقبل أيضاً يؤذن بالانتظار وفعل الحال مشترك مع المستقبل في لفظ واحد وذلك يوهم أنه غير عائذ فكان مجيئه بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدل على ما يريد فإن عائذاً كقائم وقاعد وهو الذي يسمى عند الكوفيين الدائم فالقائل عائذاً بك يا رب إنما يريد أنا في حال عياذ بك والعامل في هذه الحال بكلمة ونداؤه أي أقول قولي هذا عائذاً وليس بعيد تقديره عذت ولا أعوذ إنما يريد أن سمعه ربه أو يراه عائذاً به * وقوله أن يعلوا يجوز أن يكون أن مع ما بعدها في موضع نصب وفي موضع خفض عند النحويين أما النصب فعلى إضمار الفعل لأنه قال عائذاً أعلم أنه خائف وكأنه قال أخاف أن يعلوا فيطغوني وأما الخفض فعلى إضمار حرف الجر فكأنه قال من أن يعلوا وهو مذهب الخليل وسيبويه في أن المخففة وأن المشددة نحو قوله تعالى «إن هذه أمتكم أمة واحدة» تقديره لأن هذه وجاز إضمار حرف الجر في هذين الموضعين وإن كانت حروف الجر لا تضمر لأنهما موصولتان بما بعدهما فطال الاسم بالصلة فجاز حذف حرف الجر تخفيفاً وللقائل أن يقول هذه دعوى إذ عيم أن وما بعدها اسم مخفوض وهو لا يظهر فيه الخفض ثم يبنى المثال على غير أصل لأن الخفض لم يثبت بعد فقول إنما علمنا أنه في موضع خفض لوقوعه في موضع لا يقع فيه إلا المخفوض بحرف الجر نحو قوله سبحانه «واحذر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله» ونحو قوله تعالى «أحق أن تقوم فيه» ونحو قوله «أن تضل إحداهما» فقوله تعالى احذر ألا يعلموا معناه أن لا يعلموا فلو كان قبل أن فعل لما احذف حرف الجر فتعدى الفعل فنصب ولكن احذر وأحق اسمان لا يعملان فمن ههنا عرف النحويون أنه في موضع خفض إذ لا ناصب له وأما ما علموا به من طول الاسم بالصلة وأن ذلك هو الذي سوغ لهم إضمار حرف الجر فعليل مدخول ينقض عليهم بالأسماء الموصولة كالذي ومن وما فإنها قد طالت بالصلة ومع ذلك لا يجوز إضمار حرف الجر فيها لا تقول خرجت ما عندك ولا مررت الذي عندك أي من الذي عندك وتقول خرجت أن يراني زيد ومررت أن يراني عمرو أي من أن يراني ولأن يراني فدل على أن العلة غير ما قالوا وهي أن أن مع الفعل ليس باسم محض وإنما هو في تأويل اسم والاسم المحض ما دل عليه حرف الجر فلا بد إذاً من إظهار حرف الجر إذا جئت به لأنه اسم قابل لدخول الخوافض عليه وأما أن فحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ولا على الفعل المتصل به فلا تقول هو اسم مخفوض إنما هو في تأويل اسم مخفوض فمن ههنا فرقت العرب بينه وبين غيره من الأسماء فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهراً جاز لأنه في تأويل اسم وإذا أضمرت حرف الجر جاز أيضاً التفاتاً إلى أن الحرف الجار لا يدخل على الحرف ولا على الفعل فحسن إسقاطه مراعاة للفظ أن ولفظ الفعل وقلنا هو في موضع خفض على معنى أن الكلام يؤول إلى الاسم المخفوض لا أنه يظهر فيه خفض أو يقدر تقدير المبني الذي منعه البناء من ظهور الخفض فيه حتى يشبه أن تقول هو اسم مبني على السكون لا بل تقول هي حرف والحرف لا يدخل عليه حرف الجر لا مضمراً ولا مظهراً وإنما هو تقدير في المعنى لا في اللفظ فافهمه

الحارث بن قيس بن عدي بن سعيد بن سهم حين أمنوا بأرض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون على ذلك أحداً وقد أحسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به فقال

يا راكباً بلغن عني مغلغلة * من كان يرجو بلاغ الله والدين

كل امرئ من عباد الله مضطهد * ببطن مكة مقهور ومفتون

أنا وجدنا بلاد الله واسعة * تنجي من الذل والمخزاة والهون

فلا تقيموا على ذل الحياة وخز * ي في الممات وعيب غير مأمون

إنا تبعنا رسول الله واطرحوا * قول النبي وعالوا في الموازين

فاجعل عذابك في القوم الذين بغوا * وعائذاً بك أن يعلوا فيطغوني

وقال عبد الله بن الحارث أيضاً يذكر نفي قريش إياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومه في ذلك

أبت كبدي لا أكذبنك قتالهم * علي وتأباه علي أناملي

وكيف قتالي معشراً أدبوكم * على الحق أن لا تأشبوه بباطل

نفتهم عباد الجن من حر أرضهم * فأضحوا على أمر شديد البلابل

فإن تك كانت في عدي أمانة * عدي بن سعد عن تقى أو تواصل

فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم * بحمد الذي لا يطبى بالجعائل

وبدلت شبلاً شبل كل خبيثة * بذي فجر مأوى الضعاف الأرامل

فصل

﴿ فصل ﴾ واعلم أن التي في تأويل المصدر لا يضاف اليها اسم تقول هذا موضع ان تقعد ويوم خروجك ولا تقول يوم ان تخرج لانها ليست باسم كما قدمنا وانما تضاف الى الأسماء المحضة لا الى التأويل ولا يضاف اليها أيضاً اسم الفاعل لا بمعنى المضي ولا بمعنى الاستقبال ولا المصدر الا على وجه واحد نحو مخافة ان تقوم وذلك اذا أردت معنى المفعول ان وما بعدها وأما على نحو اضافة المصدر الى الفاعل فلا يجوز ذلك وانما تكون فاعلة مع الفعل اذا ذكرته قبلها نحو يسرني أن تقوم وأما مع المصدر مضافا اليها فلا تكون مفعوله مع المصدر ومع الفعل معا وكل هذه الاسرار بديعة وضعها غيرهذا لكني أقول ههنا قولا لائقا بهذا الموضع فاني لم أذكر الخفض باضمار حرف الجر في ان وان الا مساعدة لمن تقدم وعليه بيت التعليل والتأصيل واذا أتيت من التقليد فلا اضمار لحروف الجر فيها انما هو النصب بفعل مضمر أومظهر أما قوله تعالى «أحق ان تقوم فيه» فانما لما قال أحق علم انه يوجب عليه ان يقوم فيه وكذلك أجدر الا تعلموا ومعنى اجدر أحلق وأقرب ولما ثبتت لهم هذه الصيغة اقتضى ذلك الا تعلموا اضمار مقصود في المعنى ولو جئت بالمصدر الذي هو اسم محض نحو القيام والعلم لم يصح اضمار هذا الفعل لانه أجدر وأحق ونحوهما اسمان يضافان الى ما بعدهما فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق فقلت أحق قيامك لا يطلب المعنى ولو نصبته باضمار الفعل الذي أضمرت مع ان لم يكن دليل عليه لان الاسم يطلب الاضافة فيمنع من الاضمار والنصب واذا وقعت بعده لم يطلب الاضافة لما قدمناه من امتناع اضافة الاسماء اليها وانما اخترنا هذا المذهب وآثرناه على ما قدمه من اضمار الخافض لانا قد نجدها في مواضع مجرورة ولا يجوز اضمار حرف الجر كقولك سرالى ان تطلع الشمس ولا يجوز اضمار الى ههنا وكذلك تقول هذا خير من أن تفعل كذا ولا يجوز أيضا اضمار من ولو كان حرف الجر مع اللتين المتقدمتين لاطرد جواز ذلك فيهما على الاطلاق وانما هي أبدا اذا لم يكن معها حرف الجر ظاهرا فمعموله بفعل مضمر وقد تكون فاعلة ولكن بفعل ظاهر نحو يعجبني ان تقوم واما نحو جئت ان أرى زيدا فعلى اضمار الارادة والقصد كانك أردت ان أراه أو ان لا أراه لان كل من فعل فعلا فقد أراده أمرا الكنك ان جعلت مكانها المصدر لم يجز الاضمار أو قبح لان المصدر يعمل فيه الافعال الظاهرة اذا كانت متعدية ويصل اليه بحرف جر اذا لم تكن متعدية وان مع الفعل لا يعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة تقول رأيت قيام زيد ولا تقول ان يقوم وسمعت كلامك ولا تقول سمعت ان تتكلم وانما تتعلق بها وتعمل فيها الافعال الباطنة نحو حسبت واشتهيت وكرهت وما كان في معنى هذا أو قريبا منه فاذا سمع المخاطب ان مع الفعل لم يذهب وهمه بحكم العادة الا الى هذه المعاني فان كانت ظاهرة فذاك والا فعند الايهام مضمرة وان الفعل الظاهر دال عليها وغيرها من الاسماء ليس كذلك اذا وقع قبلها فعل من افعال الجوارح الظاهرة وقع عليها ان كان متعديا أو وصل بحرف ان كان غير متعد ومنع من الاضمار انه لفظي والاضمار معنوي الا في باب المفعول من أجله وقد قدمنا فيه سرا بديعا فيما سبق من هذا الكتاب

﴿ فصل ﴾ وأنشد لعبد الله بن الحرث شعرا فيه * كما جحدت عاد ومدين والحجر *

أما عاد فقد تقدم نسبها وأما الحجر فلم يست امه ولكنه ديار ثمود أراد اهل الحجر وأما مدين فانه شعيب وهم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام وأمهم قطورا بنت قطان الكنعانية ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أمم وقد سميناهم في كتاب التعريف والاعلام وفي أول هذا الكتاب ووقع أيضاً قوله فان أنام ارق فلا أسعى * البيت قال وبه سمي المرقق ﴿قال المؤلف﴾ وفي هذا حجة على الاصمعي حين زعم ان تسال

وقال عبد الله بن الحرث أيضاً

ملك قريش بحمد الله حمه *

كما جحدت عاد ومدين والحجر

فان أنام أرق فلا أسعى *

من الأرض برد ذو فضاء ولا بحر

وأبوه أبو ربيعة ذو الرمحين وفيه يقول ابن الزبعرى

بحيرا بن ذي الرمحين قرّب مجلسي * وراح علينا فضله وهو عاتم

واسم أبي ربيعة عمرو وقيل حذيفة وأم عبد الله بن أبي ربيعة أسماء بنت مخربة التميمية وهي أم أبي جهل بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة هذا هو والد عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الشاعر ووالد الحارث أمير البصرة المعروف بالقباع وكان في أيام عمر واليا على الجند وفي أيام عثمان فلما سمع بحصر عثمان جاء لينصره فسقط عن دابته فمات

﴿فصل﴾ وكان معهما في ذلك السفر عمارة بن الوليد بن المغيرة الذي تقدم ذكره حين قالت قريش لأبي طالب خذ عمارة بدلا من محمد وادفع إلينا محمدا نقتله وكان عمارة من أجمل الناس فذكر أصحاب الأخبار أنهم أرسلوه مع عمرو بن العاصي إلى النجاشي ولم يذكره ابن إسحق في رواية ابن هشام وذكر حديثه مع عمرو في رواية يونس ولكن في غير هذه القصة المذكورة هاهنا ولعل ارسالهم اياه مع عمرو كان في المرة الأخرى التي سيأتي ذكرها في السيرة عند حديث إسلام عمرو وممن ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج الأصبهاني وذكر أن عمرا سافر بامرأته فلما ركبوا البحر وكان عمارة قد هوى امرأة عمرو وهويته فعزما على دفع عمرو أو كان ذلك من عمارة على غير قصد فدفع عمرا فسقط في البحر فسبح عمرو ونادى أصحاب السفينة فأخذوه ورفعوه إلى السفينة فأضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو وقال إني قد كتبت إلى بني سهم ليبرؤوا من دمي لك فاكتب أنت إلى بني مخزوم ليبرؤوا من دمك لي حتى تعلم قريش أنا قد تصافينا فلما كتب عمارة إلى بني مخزوم وتبرؤوا من دمه أي بني سهم قال شيخ من قريش قتل عمارة والله وعلم أنه مكر من عمرو ثم أخذ عمرو يحرض عمارة على التعرض لامرأة النجاشي وقال له أنت امرؤ جميل وهن النساء يحببن الجمال من الرجال فلعلها أن تشفع لنا عند الملك في قضاء حاجتنا ففعل عمارة فلما رأى عمرو ذلك وتكرر عمارة على امرأة الملك ورأى أنها ألانت إليه أتى الملك منتصحا وجاءه بأمارة عرفها الملك قد كان عمارة أطلع عمرا عليها فأدركته غيرة الملك وقال لولا أنه جاري لقتلته ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل فدعا بالسواحر فأمرهن أن يسحرنه فنفخن في إحليله نفخة طار منها هائما على وجهه حتى لحق بالوحوش في الجبال وكان يرى آدميا فيفر منه وكان ذلك آخر العهد به إلى زمن عمر بن الخطاب فجاء ابن عمه عبد الله بن أبي ربيعة إلى عمر واستأذنه في المسير إليه لعله يجده فأذن له عمر فسار عبد الله إلى أرض الحبشة فأكثر النشدة عنه والفحص عن أمره حتى أخبر أنه يرد مع الوحوش إذا وردت ويصدر معها إذا صدرت فسار إليه حتى كمن له في الطريق إلى الماء فإذا هو قد غطاه شعره وطالت أظفاره وتعرت عليه ثيابه حتى كأنه شيطان فقبض عليه عبد الله وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه وهو ينتفض منه ويقول أرسلني يا بحير أرسلني يا بحير وأبى عبد الله أن

انطلقا إلى كل بطريق بهديته قبل أن يكلما النجاشي فيهم ثم قدما إلى النجاشي هداياه ثم سألاه أن يسلمهم إليهما قبل أن يكلمهم قالت فخرجا حتى قدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشي وقالا لكل بطريق منهم إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم ثم إنهما قدما هداياهما إلى النجاشي فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه قالت ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو ابن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشي قالت فقالت بطارقته حوله صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم

ورسله

وقومهم قال فغضب النجاشي ثم قال لاها الله إذا لا أسلمهم إليهما ولا يكاد قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني قالت ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم

لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا، كائنا في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤا، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل؟ قالت: فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قالت: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك. قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له

جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه علي، قالت: فقرأ عليه صدرا من كهيعص، قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضلت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون. قالت: فلما خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم. قالت: فقال له عبد الله ابن أبي ربيعة، وكان أتقى

برسله حتى مات بين يديه، وهو خبر مشهور اختصره بعض من ألف في السير وطوله أبو الفرج وأورده على معنى كلامه متجوزا ببعض ألفاظه.

(فصل) وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشي وما قال له جعفر إلى آخر القصة، وليس فيها إشكال، وفيه من الفقه الخروج عن الوطن وإن كان الوطن مكة على فضلها إذا كان الخروج فرارا بالدين وإن لم يكن إلى إسلام، فإن الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ولا يقولون هو عبد الله، وقد تبين ذلك في هذا الحديث، وسموا بهذا مهاجرين، وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق فقال «والسابقون الأولون» وجاء في التفسير أنهم الذين صلوا القبلتين وهاجروا الهجرتين، وقد قيل أيضا هم الذين شهدوا بيعة الرضوان، فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام إلى دار كفر لما كان فعلهم ذلك احتياطا على دينهم ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم يذكرونه آمنين مطمئنين، وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر في بلد وأوذي على الحق مؤمن ورأى الباطل قاهرا للحق ورجا أن يكون في بلد آخر أي بلد كان يخلى بينه وبين دينه ويظهر فيه عبادة ربه فإن الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن، وهذه الهجرة التي لا تنقطع إلى يوم القيامة «ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله».

(فصل) وليس في باقي حديثهم شيء يشرح، قد شرح ابن هشام الشيوم وهم الآمنون، ويحتمل أن يكون لفظة حبشية غير مشتقة، ويحتمل أن يكون لها أصل في العربية وأن يكون من شمت السيف إذا أغمدته، لأن الآمن مغمد عنه السيف، أو لأنه مصون في صون وحرز كالسيف في غمده * وقوله صوى إليك ثمة

الرجلين فينا: لا تفعل، فإن لهم أرحاما، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبد. قالت: ثم غدا عليه الغد فقال: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم ليسألهم عنه. قالت: ولم ينزل بنا مثلها قط، فاجتمع القوم، ثم قال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله، وما جاء به نبينا، كائنا في ذلك ما هو كائن. قالت: فلما دخلوا عليه، قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ قالت: فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم، هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض، فأخذ منها عودا، ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود، قالت: فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم: الآمنون - من سبكم غرم، ثم قال: من سبكم غرم، ما أحب أن لي دبرا من ذهب «قال ابن هشام» ويقال دبرا من ذهب، ويقال فأنتم سيوم، وأني آذيت رجلا منكم، والدبر بلسان الحبشة الجبل، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار. قالت: فوالله إنا لعلى ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه. قالت: فوالله ما علمنا حزنا قط كان أشد من حزن حز

عرض النيل. قالت: فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ثم يأتينا بالخبر؟ قالت: فقال الزبير بن العوام: أنا. فقالوا: فأنت. وكان من أحدث القوم سنا. قالت: فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. قالت: فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده. قالت: فوالله إنا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن إذ طلع الزبير وهو يسعى فلمع بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوه ومكن له في بلاده. قالت: فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها. قالت: ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوسق عليه أمر الحبشة، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة * قال ابن إسحق: قال الزهري: فحدثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال: هل تدري ما قوله: ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه، وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه؟ قال: قلت: لا. قال: فإن عائشة أم المؤمنين حدثتني أن أباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد إلا النجاشي، وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلا، وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة، فقالت الحبشة بينها: لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فإنه لا ولد له غير هذا الغلام، وإن لأخيه الحبشة من صلبه اثني عشر رجلا فتوارثوا ملكه من بعده بقيت الحبشة بعده دهرا، فعدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حينا. ونشأ النجاشي مع عمه، وكان لبيبا حازما من الرجال، فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة، فلما رأت الحبشة مكانه منه قالت بينها: والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه. فمشوا إلى عمه فقالوا: إما أن تقتل هذا الفتى وإما أن تخرجه من بين أظهرنا، فإنا قد خفنا على أنفسنا. قال: ويلكم، قتلت أباه بالأمس وأقتله اليوم؟ بل أخرجه من بلادكم. قالت: فخرجوا به إلى السوق فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم، فقذفه في سفينة فانطلق به حتى إذا كان العشي من ذلك اليوم هاجت سحابة من

أي أقوى الملك ولا دوائك. وأما صوى بكسر الواو فهو من الضوى مقصور وهو الهزال. وقال الشاعر:

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى رديد الغرائب

ومنه الحديث: اغتربوا لا تضووا. يقول: إن تزويج الغرائب يورث الضوى في الولد والضعف في القلب. قال الراجز:

إن بلالا لم تشنه أمه * لم يتناسب خاله وعمه

وقوله: فهم أعلى بهم عينا، أي أبصر بهم، أي عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم، فالعين ههنا بمعنى الرؤية والإبصار لا بمعنى العين التي هي الجارحة، وما سميت الجارحة عينا إلا مجازا لأنها موضع العيان، وقد قالوا: عانه يعينه عينا إذا رآه، وإن كان الأشهر في هذا أن يقال: عاينه معاينة، والأشهر في عنت أن يكون بمعنى الإصابة بالعين. وإنما أوردنا هذا الكلام لتعلم أن العين في أصل وضع اللغة صفة لا جارحة، وأنها إذا أضيفت إلى الباري سبحانه فإنها حقيقة، نحو قول أم سلمة لعائشة: بعين الله مهواك وعلى رسول الله تردين. وفي التنزيل «ولتصنع على عيني». وقد أملينا في المسائل المفردات مسئلة في هذا المعنى، وفيها الرد على من أجاز التثنية في العين مع إضافتها إلى الله تعالى وقاسها على اليدين، وفيها الرد على من احتج بقول النبي عليه السلام: إن ربكم ليس بأعور، وأوردنا في ذلك ما فيه شفاء، وأسمعناه بنكتة بديعة في معنى عور الرجال فليطالعها هنالك. وقول جعفر في عيسى: هو روح الله وكلمته، ومعنى وكلمته أي قال له كما قال لآدم حين خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، ولم يقل فكان لئلا يتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير، وإنما هو واقع للحال، فقوله يكون مشعر بوقوع الفعل في حال القول، ووجه الفعل بيسير على القول لا يمكن فيه تقدم ولا تأخر، فهذا معنى الكلمة. وأما روح الله فلأنه نفخة روح القدس في جيب الطاهرة المقدسة، والقدس الطهارة من كل ما يشين أو يعيب أو يقذره نفس أو يكرهه شرع، وجبريل روح القدس لأنه روح لم يخلق من مني ولا صدر عن شهوة، فهو مضاف إلى الله سبحانه إضافة تشريف وتكريم لأنه صادر عن الحضرة المقدسة، وعيسى عليه السلام صادر عنه، فهو روح الله على هذا المعنى، إذ النفخ قد يسمى روحا أيضا، كما قال غيلان يصف النار:

فقلت له ارفعها إليك وأحيها * بروحك واقدرها لها قيتة قدرا

وأضف هذا الكلام في روح القدس وفي تسمية النفخ روحا إلى ما ذكرناه قبل في حقيقة الروح وشرح معناه يكمل لك.

* فصل * وذكر حديث عائشة عن النجاشي حين رد الله عليه ملكه وأن قومه كانوا باعوه فلما مرج أمر

[illegible] الحبشة الى ولده فاذا هو محقق ليس في ولده خير فمرج على الحبشة أمرهم فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض تعلموا والله ان ملككم الذي لا يقيم أمركم غيره للذي بيع غدوة فان كان لكم بأمر الحبشة حاجة فادركوه قالت فخرجوا في طلبه وطلب الرجل الذي باعوه منه حتى أدركوه فاخذوه منه ثم جاؤا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه على سرير الملك فملكوه فجاءهم التاجر الذي كانوا باعوه منه فقال اما أن تعطوني مالي واما أن أكلمه في ذلك قالوا لا نعطيك شيئا قال اذا والله أكلمه قالوا فدونك واياه قالت فجاءه فجلس بين يديه فقال أيها الملك ابتعت غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم فاسلموا الى غلامي وأخذوا دراهمي حتى اذا سرت بغلامي أدركوني فاخذوا غلامي ومنعوني دراهمي قالت فقال لهم النجاشي لتعطنه دراهمه أو ليضعن غلامه يده في يده فليذهبن به حيث شاء قالوا بل نعطيه دراهمه قالت فلذلك يقول ما أخذ الله مني رشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه قالت وكان ذلك أول ما خبر من صلابته في دينه وعدله في حكمه * قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت لما مات النجاشي كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور * قال ابن اسحق وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي انك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه قال فارسل الى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا ثم عمد الى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن وخرج الى الحبشة وصفوا له فقال يا معشر الحبشة ألست أحق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتي فيكم قالوا خير سيرة قال فما لكم قالوا فارقت ديننا وزعمت ان عيسى عبد قال فما تقولون أنتم في عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال النجاشي ووضع يده على صدره على قبائه هو يشهد ان عيسى بن مريم لم يزد على هذا شيأ وانما يعني ما كتب فرضوا وانصرفوا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلما مات النجاشي صلى عليه واستغفر له * قال ابن اسحق ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وردهم النجاشي بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام ما وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عازوا قريشا وكان عبد الله بن مسعود يقول ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما أسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه وكان اسلام عمر بعد خروج من خرج من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة * حدثنا ابن هشام قال حدثني مسعر بن كدام عن سعد بن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود ان اسلام عمر كان فتحا وان هجرته كانت نصرا وان امارته كانت رحمة ولقد كنا ما نصلي عند الكعبة حتى اسلم عمر فلما اسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه * قال ابن اسحق حدثني عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة قالت والله انا لنترحل الى ارض الحبشة وقد ذهب عامر في بعض حاجاتنا اذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علي وهو على شركه قالت وكنا نلقى منه

الحبشة أخذوه من سيده واستردوه وظاهر الحديث يدل على انهم أخذوه منه قبل أن يأتي به بلاده لقوله خرجوا في طلبه فأدركوه وقد بين في حديث آخر أن سيده كان من العرب وانه استعبده طويلا وهو الذي يقتضيه قوله فلما مرج على الحبشة أمرهم وضاق عليهم ما هم فيه وهذا يدل على طول المدة في مغيبه عنهم وقد روى أن وقعة بدر حين انتهى خبرها الى النجاشي علم بها قبل من عنده من المسلمين فأرسل اليهم فلما دخلوا عليه اذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال انا نجد في الانجيل أن الله سبحانه اذا أحدث بعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا وان الله قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي ان النبي محمدا صلى الله عليه وسلم بلغني انه التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه الغنم على سيدي وهو من بني ضمرة وان الله قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه فدل هذا الخبر على طول مكثه في بلاد العرب فمن هنا والله أعلم تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تليت عليه حتى بكى وأخضل لحيته وروى عنه أنه قال انا نجد في الانجيل ان اللعنة تقع في الارض اذا كانت امارة الصبيان

﴿ فصل ﴾ ومما في حديث الهجرة الى الحبشة من الفقه أن جعفر بن أبي طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلي في السفينة اذا ركبنا في البحر فقال صلى الله عليه وسلم صل قائما الا أن تخاف الغرق خرجه الدارقطني ولكن في اسناده مقال وفي مسند ابن أبي شيبة وصلى أنس في السفينة جالسا وذكر البخاري عن الحسن يصلي قائما الا ان يضر بأهلها

﴿ فصل ﴾ وذكر الكتاب الذي كتبه النجاشي وجعله بين صدره وقبائه وقال للقوم أشهد ان عيسى لم

مخرجاً قالت فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم أكن أراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجته تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفاً ورقته وحزنه علينا قال أطمعت في إسلامه قالت قلت نعم قال فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب قالت يأساً منه لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الإسلام ﴿ ذكر إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾ * قال ابن إسحق وكان إسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة رجل من قومه من بني عدي بن كعب قد أسلم وكان أيضاً يستخفي بإسلامه فرقاً من قومه وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوماً متوشحاً سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطاً من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي ابن أبي طالب في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له أين تريد يا عمر فقال أريد محمداً هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال وأي أهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمداً على دينه فعليك بهما قال فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقرئهما إياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت قالا له ما سمعت شيئاً قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمداً على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال

يرد على هذا. وفيه من الفقه أنه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذباً صراحاً ولا أن يعطي بلسانه الكفر وإن أكره ما أمكنه الحيلة وفي المعاريض مندوحة عن الكذب وكذلك قال أهل العلم في قول النبي عليه السلام ليس بالكاذب من أصلح بين اثنين فقال خيراً رواه أم كلثوم بنت عقبة قالوا معناه أن يعرض ولا يصرح بالكذب مثل أن يقول سمعته يستغفر لك ويدعو لك وهو يعني أنه سمعه يستغفر للمسلمين ويدعو لهم لأن الآخر من جملة المسلمين ويحتال في التعريض ما استطاع ولا يختلق الكذب اختلاقاً وكذلك في خدعة الحرب يوري ويكني ولا يختلق الكذب يستحله فما جاء من إباحة الكذب في خدع الحرب هذا كله ما وجد إلى الكناية سبيلاً * وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشي واستغفر له وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس في اليوم الذي مات فيه وصلى عليه بالبقيع رفع إليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة فصلى عليه وتكلم المنافقون فقالوا أيصلي على هذا العلج فأنزل الله تعالى « وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم » وفي رواية يونس عن ابن إسحق أن أبا نيزر مولى علي بن أبي طالب كان ابناً للنجاشي نفسه وأن علياً وجده عند تاجر بمكة فاشتراه منه وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين * وذكر أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشي وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي ليملكوه ويتوجوه ولم يختلفوا عليه فأبى وقال ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ الله عليّ بالإسلام قال وكان أبو نيزر من أطول الناس قامة وأحسنهم وجهاً قال ولم يكن لونه كألوان الحبشة ولكن إذا رأيته قلت هذا رجل من العرب

﴿ فصل ﴾ في حديث إسلام عمر ذكره إلى آخره وليس فيه إشكال وكان إسلام عمر والمسلمون إذ ذاك بضعة وأربعون رجلاً وإحدى عشرة امرأة وفيه أن خباباً وهو ابن الأرت كان يقرئ فاطمة بنت الخطاب القرآن وخباب تميمي بالنسب وهو خزاعي بالولاء لأم أنمار بنت سباع الخزاعي وكان قد وقع عليه سباء فاشترته وأعتقته فولاؤه لها وكان أبوها حليفاً لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة فهو زهري بالحلف وهو ابن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم كان قيناً يعمل السيوف في الجاهلية وقد قيل إن أمه كانت أم سباع الخزاعية ولم يلحقه سباء ولكنه انتمى إلى حلفاء أمه

معتكم اقرؤن آنفا أنظر ماهذا الذى جاءبه محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له اخته انا نخشاك

عليها قال لا تخافى وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها اليها فلما قال ذلك طمعت فى اسلامه فقالت له يا أخى انك نجس على شركك وانه لا يمسها

الا الطاهر فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه

فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له يا عمر والله انى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فانى سمعته أمس وهو يقول اللهم أيد الاسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك عمر فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم فقال له خباب هو فى بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف فقال حمزة ابن عبد المطلب فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم ائذن له فأذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة فأخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة وقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة فقال عمر يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله

بنى زهرة يكنى أبا عبد الله وقيل أبا يحيى وقيل أبا محمد مات بالكوفة سنة سبع وثلاثين بعد ما شهد مع على صفين والنهروان وقيل بل مات سنة سبع وثلاثين ذكر أن عمر بن الخطاب سأله عما لقى فى ذات الله فكشف ظهره فقال عمر ما رأيت كاليوم فقال يا أمير المؤمنين لقد أوقدت لى نار فما أطفاها الا شحمى

﴿ فصل ﴾ وفيه ذكر تطهر عمر لمس القرآن وقول أخته لا يمسه الا المطهرون والمطهرون فى هذه الآية هم الملائكة وهو قول مالك فى الموطا واحتج بالآية الأخرى التى فى سورة عبس ولكنهم وان كانوا الملائكة ففى وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس ما يقتضى ألا يمسه الا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين فقد تعلق الحكم بصفة التطهير ولكنه حكم مندوب اليه وليس محمولا على الفرض وكذلك ما كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم وألا يمس القرآن الا طاهر ليس على الفرض وان كان الفرض فيه أبين منه فى الآية لأنه جاء بلفظ النهى عن مسه على غير طهارة ولكن فى كتابه الى هرقل بهذه الآية «يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة» دال على ما قلناه وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة ممن سلف منهم الحكم بن عتيبة وحماد بن أبى سليمان الى اباحة مس المصحف على غير طهارة واحتجوا بحديث كتابه الى هرقل وقالوا حديث عمرو بن حزم مرسل فلم يروه حجة والدارقطنى قد أسنده من طرق حسان أقواها رواية أبى داود الطيالسى عن الزهرى عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده ومما يقوى أن المطهرين فى الآية هم الملائكة أنه لم يقل المتطهرون وانما قال المطهرون وفرق ما بين المطهر والمتطهر أن المتطهر من فعل التطهر وأدخل نفسا فيه كالمتفقه من يدخل نفسه فى الفقه وكذلك المتفعل فى أكثر الكلام وأنشد سيبويه * وقيس عيلان ومن تقيسا * فالآدميون متطهرون اذا تطهروا والملائكة مطهرون خلقة والآدميات اذا تطهرن متطهرات وفى التنزيل «فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله» والحور العين مطهرات وفى التنزيل «لهم فيها أزواج مطهرة» وهذا فرق بين وقوة لتأويل مالك رحمه الله والقول عندى فى الرسول عليه السلام انه طاهر ومطهر أما مطهر فلأنه بشر آدمى يغتسل من الجنابة ويتوضأ من الحدث وأما مطهر فلأنه قد غسل باطنه وشق عن قلبه وملئ حكمة وايمانا فهو مطهر وطاهر وينضم هذا الفصل الى ما تقدم فى ذكر مولده من هذا المعنى فانه يكمله والحمد لله وفى تطهر عمر قبل أن يظهر الاسلام قوة لقول ابن القاسم ان الكافر اذا أراد الطهارة قبل أن يظهر اسلامه ويشهد الشهادتين انه يجزئه وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثير من الفقهاء وكذلك فى خبر اسلام سعد بن معاذ على يدى مصعب بن عمير وقد سأله كيف يصنع من يريد الدخول فى هذا الدين فقال يتطهر ثم يشهد شهادة الحق ففعل ذلك هو وأسيد بن حضير وحديث اسلام عمر وان كان من أحاديث السير فقد خرجه الدارقطنى فى سننه غير أنه خرج أيضا من طريق أنس ان أخت عمر قالت له انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الصحيفة وفيها سورة طه وفى هذه الرواية انه كان وضوءا ولم يكن اغتسالا وفى رواية يونس ان عمر حين قرأ فى الصحيفة سورة طه انتهى منها الى قوله «لتجزى كل نفس بما تسعى» فقال ما أطيب هذا الكلام وأحسنه وذكر هذا الحديث بطوله وفيه ان الصحيفة كان فيها مع سورة طه «اذا

عليه وسلم ان عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا في أنفسهم حين اسلم عمر مع اسلام حمزة وعرفوا انهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن اسلام عمر بن الخطاب حين أسلم * قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن أصحابه عطاء ومجاهد أو عمن روى ذلك ان اسلام عمر فيما تحدثوا به عنه انه كان يقول كنت للاسلام مباعدا وكنت صاحب خمر في الجاهلية أحبها وأشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من

قريش بالحزورة عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومي قال فخرجت ليلة أريد جلسائي أولئك في مجلسهم ذلك قال فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحدا قال فقلت لو اني جئت فلانا الخمار وكان بمكة يبيع الخمر لعلي أجد عنده خمرا فأشرب منها قال فخرجت فجئته فلم أجده قال فقلت لو أني جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين قال فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي وكان اذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الركن الاسود والركن اليماني قال فقلت حين رأيته والله لو أني استمعت من محمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه أستمع منه لأروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشي رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي

الشمس كورت» وان عمر انتهى في قراءتها الى قوله «علمت نفس ما أحضرت»

(فصل) وذكر ابن سنجر زيادة في اسلام عمر قال حدثنا أبو المغيرة قال نا صفوان بن عمرو قال حدثني شريح بن عبيد قال قال عمر بن الخطاب خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال قلت هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ «انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون» قال قلت كاهن علم ما في نفسي فقال «ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون» الى آخر السورة قال فوقع الاسلام في قلبي كل موقع وقال عمر حين أسلم

الحمد لله ذي المن الذي وجبت * له علينا أياد ما لها غير
وقد بدأنا فكذبنا فقال لنا * صدق الحديث نبي عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى * ربي عشية قالوا قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زللي * بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة * والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت ان الذي تدعوه خالقها * فكاد تسبقني من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالقنا * وان أحمد فينا اليوم مشتهر
نبي صدق أتى بالحق من ثقة * وافي الامانة ما في عوده خور

رواه يونس عن ابن اسحق * وذكر البزار في اسلام عمر انه قال فلما أخذت الصحيفة فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم فجعلت أفكر في أي شيء اشتق ثم قرأت فيها «سبح لله ما في السموات والارض» وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت «فآمنوا بالله ورسوله» فقلت أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

(فصل) وفي حديث اسلام عمر قال ماهذه الهينمة والهينمة كلام لا يفهم واسم الفاعل منه مهينم كأنه تصغير وليس بتصغير ومثله المبيطر والمهيمن والمبيقر بالقاف وهو المهاجر من بلد الى بلد والمسيطر ولو صغرت واحدا من هذه الاسماء لحذفت الياء الزائدة كما يحذف الالف من مفاعل وتلحق ياء التصغير في موضعها فيعود اللفظ الى ما كان فيقال في تصغيره مهيم ومبيطر ومسيطر (فان قيل) فهلا قلتم انه لا يصغر أصلا لئلا يعمل تصغير على لفظ المكبر والامثلة الفرق (فالجواب) انه قد يظهر الفرق بينهما في مواضع منها الجمع فانك تجمعه مباطر بحذف الياء واذا كان مصغرا لا يجمع الا بالواو والنون فتقول مبيطرون وذلك ان التصغير لا يكسر لان تكسيره يؤدي الى حذف الياء في الخماسي لانها زائدة كالالف فيذهب معنى التصغير وأما اللاتي في المصغر فيؤدي تكسيره الى تحريك ياء التصغير أو همزها وذلك أن يقال في لبيس فلا أنس فيذهب أيضا معنى التصغير لفظ الياء التي هي دالة عليه ولو سميت اسم فاعل من بأس لقلت

يقرأ القرآن حتى قمت في قبلته مستقبله ما بيني وبينه الا ثياب الكعبة قال فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت فيه ودخلني الاسلام فلم أزل قائما في مكاني ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف وكان اذا انصرف خرج على دار ابن أبي حسين وكانت طريقه حتى يجزع المسعى ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهري ثم على دار الاخنس بن شريق حتى يدخل بيته وكان مسكنه صلى الله عليه وسلم في الدار الرقطاء التي كانت بيدي معاوية بن أبي سفيان قال عمر رضي

الله عنه فتبعته حتى إذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسي عرفني فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أني إنما تبعته لأوذيه فنهمني ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قال قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قد هداك الله يا عمر ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته * قال ابن إسحق والله أعلم أي ذلك كان * قال ابن إسحق وحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال لما أسلم أبي عمر قال أي قريش أنقل للحديث قال قيل له جميل بن معمر الجمحي قال فغدا عليه قال عبد الله بن عمر وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له أعلمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبي حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول باب الكعبة ألا إن عمر بن الخطاب قد صبا قال يقول عمر من خلفه كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم قال وطلح فقعد وقاموا (٢١٩) على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم أو لتركتموها لنا قال فبينما هم على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم قالوا صبا عمر فقال فمه رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل قال فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه قال فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك فقال ذلك أي بني العاص بن وائل السهمي «قال ابن هشام» حدثني بعض أهل العلم أنه قال يا أبت من الرجل الذي زجر القوم عنا يوم أسلمت وهم يقاتلونك جزاه الله خيرا قال يا بني ذاك العاص بن وائل لا جزاه الله خيرا * قال ابن إسحق وحدثني عبد الرحمن بن الحرث عن بعض آل عمر أو بعض أهله قال قال عمر لما أسلمت تلك الليلة تذكرت أي أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فأخبره أني قد أسلمت قال قلت أبو جهل وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة قال فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه قال فخرج إلي أبو جهل فقال مرحبا وأهلا بابن أختي ما جاء بك قال جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به قال فضرب الباب في وجهي وقال قبحك الله وقبح ما جئت به ﴿خبر الصحيفة﴾ * قال ابن إسحق فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم وأن عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجعل الإسلام يفشو في القبائل اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد

فيه مئيس ولو سهلت الهمزة لحركت الياء فقلت فيه ميس وتقول في تصغيره إذا صغرته مييس بالإدغام كما تقول أويس أويس ولا تنقل حركة الهمزة إلى الياء إذا سهلت كما تنقلها في اسم الفاعل من يئس ونحوه إذا سهلت الهمزة وهذه مسألة من التصغير بديعة تقوم على تصحيحها البرهان

﴿فصل﴾ وفي حديث إسلام عمر فنهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أي زجره والنهم زجر الأسد والنهامي الحداد والنهام طائر وفيه قول العاصي بن وائل قال هكذا عن الرجل وهي كلمة معناها الأمر بالتنحي فليس يعمل فيها ما قبلها كما يعمل إذا قلت جلس هكذا أي على هذه الحال وإن كان لا بد من عامل فيها إذا جعلتها للأمر لأنها كاف التشبيه دخلت على ذا وها تنبيه فيقدر العامل إذا مضمرا كأنك قلت ارجعوا هكذا وتأخروا هكذا واستغنى بقولك هكذا عن الفعل كما استغنى برويدا عن ارفق

﴿فصل﴾ وذكر قول عمر لجميل بن معمر الجمحي إني قد أسلمت وتابعت محمدا فصرخ جميل بأعلى صوته ألا إن عمر قد صبا وجميل هذا هو الذي كان يقال له ذو القلبين وفيه نزلت في أحد الأقوال «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» وفيه قيل

وكيف ثوائي بالمدينة بعدما ... قضى وطرا منها جميل بن معمر

وهو البيت الذي تغنى به عبد الرحمن بن عوف في منزله واستأذن عمر فسمعه وهو يتغنى وينشد بالركبانية وهو غناء يحدى به الركاب فلما دخل عمر قال له عبد الرحمن إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم وقلب المبرد هذا الحديث وجعل المنشد عمر والمستأذن عبد الرحمن ورواه الزبير كما قدم وهو أعلم بهذا الشان

﴿حديث الصحيفة التي كتبتها قريش﴾

* قال ابن اسحق فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا اليه وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب الى قريش وظاهرهم * قال ابن اسحق حدثني حسين بن عبد الله ان أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا فقال يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما قالت نعم فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة * قال ابن اسحق وحدثت انه كان يقول في بعض ما يقول يعدني محمد أشياء لا أراها يزعم انها كائنة بعد الموت فماذا وضع في يدي بعد ذلك ثم ينفخ في يديه ويقول تبا لكما ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد فأنزل الله تعالى فيه «تبت يدا أبي لهب وتب» « قال ابن هشام » تبت خسرت والتباب الخسار وقال حبيب بن خدرة الخارجي أحد بني هلال ابن عامر بن صعصعة

يا طيب إنا في معشر ذهبت ... مسعاتهم في التبار والتبب

وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب

ألا أبلغا عني على ذات بيننا ... لؤيا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدا ... نبيا كموسى خط في أول الكتب

ذكر فيه قول أبي لهب ليديه تبا لكما لا أرى فيكما شيئا مما يقول محمد فأنزل الله تعالى تبت يدا أبي لهب وتب هذا الذي ذكره ابن اسحق يشبه ان يكون سببا لذكر الله سبحانه يديه حيث يقول «تبت يدا أبي لهب» وأما قوله وتب فتفسيره ما جاء في الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الصفا فصعد عليه فهتف يا صباحاه فلما اجتمعوا اليه قال أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال «فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فأنزل الله تعالى «تبت يدا أبي لهب» وقد تب هكذا قرأ مجاهد والأعمش وهي والله أعلم قراءة مأخوذة عن ابن مسعود لأن في قراءة ابن مسعود ألفاظا كثيرة تعين على التفسير قال مجاهد لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل أن أسأل ابن عباس ما احتجت أن أسأله عن كثير مما سألته وكذلك زيادة قد في هذه الآية فسرت انه خبر من الله تعالى وان الكلام ليس على جهة الدعاء كما قال تعالى «قاتلهم الله أنى يؤفكون» أي انهم أهل أن يقال لهم هذا وتبت يدا أبي لهب ليس من باب قاتلهم الله ولكنه خبر محض بأن قد خسر أهله وماله واليدان آلة الكسب وأهله وماله مما كسب فقوله «تبت يدا أبي لهب» تفسيره قوله ما أغنى عنه ماله وما كسب وولد الرجل من كسبه كما جاء في الحديث أي خسرت يداه هذا الذي كسبت وقوله وتب تفسيره «سيصلى نارا ذات لهب» أي قد خسر نفسه بدخوله النار وقول أبي لهب تبا لكما ما أرى فيكما شيئا يعني يديه سبب نزول تبت يدا كما تقدم * وقوله في الحديث الآخر تبا لك يا محمد سبب نزول قوله سبحانه وتب فالكلمتان في السورة بمنزلة الكلمتين على السببين والآيتان بعدهما تفسير للسببين تباب يديه وتبابه هو في نفسه والتبب على وزن الفعل لانه في معنى الهلاك كالهلاك والخسار وزنا ومعنى ولذلك قيل فيه تب وتباب

(وصل) ذكر شعر أبي طالب * ألا أبلغا عني على ذات بيننا * قال قاسم بن ثابت ذات بيننا وذات يده وما كان نحوه صفة لمحذوف مؤنث كأنه يريد الحال التي هي ذات بينهم كما قال الله سبحانه «وأصلحوا ذات بينكم» وكذلك اذا قلت ذات يده تريد أمواله أو مكتسباته كما قال عليه السلام أرعاه على زوج في ذات يده وكذلك اذا قلت لقيته ذات يوم أي لقاءة أو مرة ذات يوم فلما حذف الموصوف وبقيت الصفة صارت كالحال لا تتمكن ولا ترفع في باب ما لم يسم فاعله كما ترفع الظروف المتمكنة وانما هو كقولك سير عليه شديدا وطويلا وقول الخثعمي واسمه أنس بن مالك [مدرك] عزمت على اقامة ذات صباح ليس هو عندي من هذا الباب وان كان سيبويه قد جعلها لغة لخثعم ولكنه على معنى اقامة يوم وكل يوم هو ذو صباح كما تقول ما كلمني ذو شفة أي متكلم وما مررت بذي نفس فلا يكون من باب ذات مرة الذي لا يتمكن في الكلام وقد وجدت في حديث قيلة بنت مخرمة وهو حديث طويل وقع في مسند ابن أبي شيبة أن أختها قالت الويل لأختي تريد السفر مع زوجها حريث بن حسان ذا صباح من صبح الارض ونصرها فهذا يكون من باب ذات مرة وذات يوم غير انه ذكر لانه ثقل عليها التأنيث مع الصاد وتوالي الحركات فحذفوها فقالوا ذا صباح وهذا لا يتمكن كما لا يتمكن ذات يوم وذات حين ولا تضاف اليه مصدر ولا غيره وقول الخثعمي عزمت على اقامة ذي صباح أضاف اليه فكيف أضاف اليه ثم نصبه أو كيف تضارع الحال مع اضافة المصدر اليه كذلك خفضه وأخرجه عن نظائره الا أن يكون سيبويه سمع خثعم يقولون سرت في ذات

وإن عليه في العباد محبة * ولا خير ممن خصه الله بالحب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى * ويصبح من لم يجن ذنبا كذي الذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا * أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما * أمر على من ذاقه جانب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا * لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبن منا ومنكم سوالف * وأيد أترت بالقساسية الشهب
بمعترك ضيق ترى كسر القنا * به والنسور الطخم يعكفن كالشرب
كأن مجال الخيل في حجراته * ومعمعة الأبطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره * وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب

ولسنا نمل الحرب حتى تملنا * ولا نشتكي ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى * إذا طار أرواح الكماة من الرعب

فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا حتى جهدوا لا يصل إليهم شيء إلا سرا مستخفيا به من أراد صلتهم من قريش وقد كان أبو جهل بن هشام فيما يذكرون لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه في الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام إلى بني هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فجاءه أبو البختري بن هشام بن الحرث بن أسد فقال ما لك وله فقال يحمل الطعام إلى بني هاشم فقال أبو البختري طعام كان لعمته عنده بعثت إليه أفتمنعه أن يأتيها بطعامها خل سبيل الرجل قال فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه فأخذ أبو البختري لحي بعير فضربه به فشجه ووطئه وطأ شديدا وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشمتوا بهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا مناديا بأمر الله لا يتقي فيه أحدا من الناس فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بني هاشم وبني المطلب دونه وحالوا بينه وبين ما أرادوا من البطش به يهمزونه ويستهزئون به ويخاصمونه وجعل القرآن ينزل في قريش بأحداثهم

يوم أو يسير عليه ذات يوم برفع الباء فحينئذ يسوغ له أن يقول لعه خثعم وأما البيت الذي تقدم فالشاهد له فيه وما أظن خثعم ولا أحدا من العرب يجهر الممكن في نحو هذا وإخراجه عن النصب والله أعلم

﴿فصل﴾ وفيه * ولا خير ممن خصه الله بالحب * وهو مشكل جدا لأن لا في باب التبرئة لا تنصب مثل هذا الاسم وإنما تقول لا خيرا من زيد في الدار ولا شرا من فلان وإنما تنصب بغير تنوين إذا كان الاسم غير موصول بما بعده كقوله تعالى «لا تثريب عليكم اليوم» لأن عليكم ليس من صلة التثريب لأنه في موضع الخبر وأشبه ما قال في بيت أبي طالب أن خيرا مخفف من خير كهين وميت وفي التنزيل «خيرات حسان» هو مخفف من خيرات * وقوله ممن من متعلقة بمحذوف كأنه قال لا خير أخير ممن خصه الله وخير وأخير لفظان من جنس واحد فحسن الحذف استثقالا لتكرار اللفظ كما حسن « ولكن البر من آمن بالله » «والحج أشهر معلومات » لما في تكرار الكلمة من بين من الثقل على اللسان وأغرب من هذا قول الله تعالى « ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير » أي لو عجله لهم إذا استعجلوا به استعجالا مثل استعجالهم بالخير فحسن هذا الكلام لما في الكلام من ثقل التكرار وإذا حذفوا حرفا واحدا الهذذ العلة كقولهم بلحرث(١) بنو فلان وظلت وأحسنت فأحرى أن يحذفوا كلمة من حروف فهذا أصل مطرد في نحو رفيه وجه آخر وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لأصل الكلمة لأن خيرا من زيد إنما معناه أخير من زيد وكذلك شر من فلان إنما أصله أشر على وزن أفعل وحذفت الهمزة تخفيفا وأفعل لا ينصرف فإذا انحذفت الهمزة انصرف ونون فإذا توهمتها غير ساقطة التفاتا إلى أصل الكلمة لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع ما قوته من ضرورة الشعر * وقوله بالقساسية الشهب يعني السيوف نسبها إلى قساس وهو معدن حديد لبني أسد وقيل اسم للجبل الذي فيه المعدن قال الراجز يصف فأسا

أخضر من معدن ذي قساس * كأنه في الحيد ذي الأضراس
* يرمى به في البلد الدهاس *

وقال أبو عبيد في القساسية لا أدري إلى أي شيء نسبت والذي ذكرناه قال المبرد وقوله ذي قساس كما تحكي ذو يزن أي صاحب هذا الاسم وفي أقيال حمير ذو كلاع وذو عمرو أضيف المسمى إلى اسمه كما قالوا زيد بطة أضافوه إلى لقبه * وذكر فيه النسور الطخم فقيل هي السود الرؤس قاله صاحب العين وقال أيضا الطخمة سواد في مقدم الأنف * وقوله كراعيه السقب يريد ولد الناقة التي عقرها قدار فرغا ولدها فصاح برغائه كل شيء له صوت فهلكت ثمود عند ذلك فضربت العرب ذلك مثلا في كل هالكة كما قال علقمة

(١) بياض بالأصل

* رعي فوقهم سقب السماء فداحص * وقال آخر

لعمري لقد لاقت سليم وعامر * على جانب الثرثار راغية البكر

﴿فصل﴾ وذكر أم جميل بنت حرب عمة معاوية وذكر أنها كانت تحمل الشوك وتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيها «وامرأته حمالة الحطب» ﴿قال المؤلف﴾ ولما كنى عن ذلك الشوك بالحطب والحطب لا يكون إلا في حبل من ثم جعل الحبل في عنقها ليماثل الجزاء العمل * وقوله من مسد هو من مسدت الحبل إذا أحكمت فتله إلا أنه قال من مسد ولم يقل حبل مسد ولا ممسود لمعنى لطيف ذكره بعض أهل التفسير قال المسد تعبر به في العرف عن حبل الدلو وقد روي أنه تصنع بها في النار ما تصنع بالدلو ورفع بالمسد في عنقها إلى شفير جهنم ثم ترمى بها إلى قعرها هكذا أبداً أبداً وقولهم إن المسد هو حبل الدلو في العرف صحيح فإنا لم نجده في كلام العرب إلا كذلك كقول الذبياني * له صريف صريف القعو بالمسد * وقال الآخر وهو يستقي على إبله

يا مسد الخوص تعوذ مني * إن تك لدناً ليناً فإني

* ما شئت من أشمط مقسئن *

وقال آخر

يا رب عنس لا يبارك في أحد * في قائم منهم ولا فيمن قعد

* غير الأولى شدوا بأطراف المسد *

أي استقوا وقال آخر وهو يستقي

ومسد أمر من أيانق * لسن بأنياب ولا حقائق

يريد جمع أينق وأينق جمع ناقة مقلوب وأصله أنوق فقلب وأبدلت الواو ياء لأنها قد أبدلت ياء للكسرة إذا قالوا نياق وقلبوه فراراً من اجتماع ضمتين لو قالوا أنوق على الأصل يريد أن المسد من جلودها وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المدينة قد حرمت ما بين لابتيها إلا لعصفورة قتب أو مسد محالة والمحالة البكرة وفي حديث آخر أنه حرمها أن يعضد شجرها إلا المحجة أو مسد والمحجة عصا الراعي وقال أبو حنيفة في النبات كل مسد رشاء وأنشد

وبكرة ومحوراً صراراً * ومسداً من أبق مغاراً

والأبق قشر القنب والكتان وأنشد أيضاً

أو عطا عطناً ومعا * بالمسد المفتول أو زرما

فقد بان لك بهذا أن المسد حبل البئر وقد جاء في صفة جهنم أعاذنا الله منها أنها كطي البئر لها قرنان والقرنان في البئر كالدعامتين للبكرة فقد بان لك بهذا كله ما ذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعاذنا الله من عذابه وأليم عقابه وبهذا تناسب الكلام وكثرت معانيه ونزه عن أن يكون فيه حشو أو لغو تعالى الله منزله فإنه كتاب عزيز وقول مجاهد إنها السلسلة التي ذرعها سبعون ذراعاً لا ينافي ما تقدم إذ يجوز أن يرتقي في تلك السلسلة أم جميل وغيرها وقد قال أبو الدرداء لامرأته يا أم الدرداء إن لله سلسلة تغلي بها مراجل جهنم منذ خلق الله النار إلى يوم القيامة وقد خلعنا نصفها بالإيمان بالله فاجتهدي في النجاة من النصف الآخر بالحض على طعام المساكين وكذلك قول مجاهد إنها كانت تمشي بالنمائم لا ينافي حملها للشوك وهو في كلام العرب سائغ أيضاً فقد قال ابن الأسلت لم تستحن احملوا

ومن نصب لعداوته منهم فمنهم من سمي لنا ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار فكان ممن سمي لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب وإنما سماها الله تعالى حمالة الحطب لأنها كانت فيما بلغني تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر فأنزل الله تعالى فيهما تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد

وشتكم شرحين كل قبيله * لهارمل من بين مدك وحاطب

فالمدكي الذي يذكي نار العداوة والحاطب الذي ينم ويغري كالمحتطب للنار ومن هذا المعنى وكأنه منتزع منه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات والقتات هو الذي يجمع القت وهو ما يوقد به النار من حشاش وحطب صغار * وقوله في جيدها ولم يقل في عنقها والمعروف أن يذكر العنق اذا ذكر الغل أو الصنع كما قال تعالى « انا جعلنا في أعناقهم أغلالا » ويذكر الجيد اذا ذكر الحلي او الحسن فانما حسن هنا ذكر الجيد في حكم البلاغة لانها امرأة والنساء تحلي أجيادهن وأم جميل لا حلي لها في الآخرة الا الحبل المجعول في عنقها فلما أقيم لها ذلك مقام الحلي ذكر الجيد معه فتأمله فانه معنى لطيف ألا ترى الى قول الاعشى

* يوم تبدي لنا قتيلة عن جيد * ولم يقل عن عنق وقول الآخر * وأحسن من عقد المليحة جيدها * ولم يقل عنقها ولو قاله لكان غثا من الكلام فانما يحسن ذكر الجيد حيث قلنا او نظر الى هذا المعنى قوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » أي لا بشرى لهم الا ذلك وقول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع *

أي لا تحية لهم كذلك قوله في جيدها حبل من مسد أي لسن ثم جيد يحلى انما هو حبل المسد وانظر كيف قال وامرأته ولم يقل وزوجه لانها ليست بزوج له في الآخرة ولان التزويج حلية شرعية وهو من أمر الدين فجردها من هذه الصفة كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط فلم يقل زوج نوح وقد قال لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وقال لنبيه عليه السلام قل لأزواجك وقال وأزواجه أمهاتهم الا أن يكون مساق الكلام في ذكر الولادة والحمل ونحو ذلك فيكون حينئذ لفظ المرأة أولى لان تلك المواطن كقوله تعالى « وكانت امرأتي عاقرا » فاقبلت امرأته في صرة . لان الصفة التي هي الانوثة هي المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجا

﴿ فصل ﴾ وأنشد شاهدا على الجيد قول الاعشى

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيــــد أسيل تزينه الاطواق

وقوله تزينه أي تزيده حسنا وهذا من القصد في الكلام وقد أبى المولدون الا الغلو في هذا المعنى وأن يعلموه وقال في الحماسة حسين بن مطير

مثقلة الاطراف زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها

وقال خالد القسري لعمر بن عبد العزيز من تكن الخلافة زينته فانت زينتها ومن تكن شرفته فانت شرفتها وأنت كما قال

وتزيدين أطيب الطيب طيبا * ان تمسيه أين مثلك أينا

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر ان صاحبكم اعطي مقولا ولم يعط معقولا ﴿ قال المؤلف ﴾ وانما يحسن هذا من خالد لما قصد به التملق والاغراق فصد رمثل هذا المعنى عن الصديق بحسن لما قصده من الحقيقة والتحري للحق والبعد عن الملق والخلابة وذلك حين عهد الى عمر بالخلافة ودفع اليه عهده مختوما وهو لا يعرف ما فيه فلما عرف ما فيه رجع الى منزل أبي بكر (؟) فقال له الصديق ما آثرتك بها ولكني آثرتها بك وما قصدت مساءتك ولكن رجوت ادخال السرور على المؤمنين بك ومن هنا أخذ الحطيئة قوله

ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم كانت بها الاثر

«قال ابن هشام» الجيد العنق قال أعشى بني قيس ابن ثعلبة

يوم تبدي لنا قتيلة عن جيد أسيل تزينه الاطواق

وهذا البيت في قصيدة له وجمعه اجياد والمسد شجر يدق كما يدق الكتان فيفتل منه حبال قال النابغة الذبياني واسمه زياد بن عمرو بن معاوية

مقذوفة بدخيس النحض بازلها * له صريف صريف القعو بالمسد

وهذا البيت في قصيدة له وواحدته مسدة

* قال ابن إسحاق فذكر لي أن أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى إلا أبا بكر فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه أما والله إني لشاعرة ثم قالت

مذمما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا

ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك فقال ما رأتني لقد أخذ الله ببصرها عني « قال ابن هشام » قولها ودينه قلينا عن غير ابن إسحاق * قال ابن إسحاق وكانت قريش إنما تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون لما يصرف الله عني من أذى قريش يسبون ويهجون مذمما وأنا محمد * وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح كان إذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه فأنزل الله تعالى فيه ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده إلى آخر السورة كلها « قال ابن هشام » والهمزة الذي يشتم الرجل علانية ويكسر عينيه عليه ويغمز به قال حسان بن ثابت

همزتك فاختضعت لذل نفس * بقافية تأجج كالشواظ

وهذا البيت في قصيدة له وجمعه همزات واللمزة الذي يعيب الناس سرا ويؤذيهم قال رؤبة بن العجاج

* في ظل عصري باطلي ولمزي *

وهذا البيت في أرجوزة له وجمعه لمزات * قال ابن إسحاق والعاص بن وائل السهمي كان خباب بن الأرت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قينا بمكة يعمل السيوف وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له حتى إذا كان له عليه مال فجاءه يتقاضاه فقال له يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذي أنت على دينه أن في الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم قال خباب بلى قال فأنظرني إلى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع إلى تلك الدار فأقضيك هنالك حقك فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله مني ولا أعظم حظا في ذلك فأنزل الله تعالى فيه أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا إلى قوله تعالى ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ولقي أبو جهل بن هشام فيما بلغني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك الذي تعبد فأنزل الله تعالى عليه فيه ولا تسبوا الذين

وقد سلك هذا المعنى في النسيب عبد الله بن عباس الرومي فقال

وأحسن من عقد المليحة جيدها * وأحسن من سربالها المتجرد

ومما هو دون الغلو وفوق التقصير قول الرضي

حليته جيده لا ما تقلده * وكحله ما بعينيه من الكحل

ونحوه مما أنشده الثعالبي

وما الحلي إلا حيلة من نقيصة * يتمم من حسن إذا الحسن قصرا

فأما إذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتج إلى أن يزورا

وسمعت القاضي أبا بكر محمد بن العربي يقول حج أبو الفضل الجوهري الزاهد ذات مرة فلما أشرف على الكعبة ورأى ما عليها من الديباج تمثل وقال

ما علق الحلي على صدرها * إلا لما يخشى من العين

يقول والدر على نحرها * من علق الشين على الزين

وبيت الأعشى المتقدم بعده

وشباب كالأقحوان جلاه * الطل فيه عذوبة واتساق

وأثيث جثل النبات تروّيـ * ـه لعوب غريرة مفناق

حرة طفلة الأنامل كالدمـ * ـية لا عانس ولا مهراق

وذكر قول أم جميل لأبي بكر لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا الفهر المعروف في الفهر التأنيث وتصغيره فهيرة ووقع ههنا مذكرا * وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم ألا ترون إلى ما يدفع الله عني من أذى قريش يشتمون ويهجون مذمما وأنا محمد وأدخل النسوي هذا الحديث في كتاب الطلاق في باب من طلق بكلام لا يشبه الطلاق فإنه غير لازم وهو فقه حسن لقول النبي صلى الله عليه وسلم ألا ترون إلى ما يدفع الله عني فجعل أذاهم مصروفا عنه لما سبوا مذمما ومذمم لا يشبه أن يكون اسما له فكذلك إذا قال لها كلي واشربي وأراد به الطلاق لم يلزمه وكان مصروفا عنه لأن مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث خباب مع العاصي بن وائل وما أنزل الله فيه من قوله «أفرأيت الذي كفر بآياتنا» وقد تقدم الكلام على أرأيت وأنه لا يجوز أن يليها الاستفهام كما يلي علمت ونحوها وهي ههنا عاملة في الذي كفر وقد قدمنا من القول ما يغني عن إعادته ههنا فلتطلب في سورة اقرأ أو حديث نزولها

﴿ فصل ﴾ وذكر قول أبي جهل لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك فأنزل الله تعالى «ولا تسبوا الذين

يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم إلى الله *
والنضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي كان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فدعا فيه إلى الله
تعالى وتلا فيه القرآن وحذر قريشا ما أصاب الأمم الخالية خلفه في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم الشديد وعن اسفنديار وملوك فارس ثم
يقول والله ما محمد بأحسن حديثا مني وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتتبها كما اكتتبتها فأنزل الله فيه وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي
تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما ونزل فيه (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين)
ونزل فيه ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم «قال ابن
هشام» الأفاك الكذاب وفي كتاب الله تعالى ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون وقال رؤبة
* ما لامرئ أفك قولا أفكا * وهذا البيت في أرجوزة له * قال ابن إسحق وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فيما بلغني مع الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم في المجلس وفي المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون «قال ابن هشام»

يدعون من دون الله» الآية وهذه الآية أصل عند المالكية في إثبات الذرائع ومن أمثالها في البيوع وكثير من الأحكام وذلك أن سب آلهتهم كان من الدين فلما كان سببا إلى سبهم البارى سبحانه نهى عن سب آلهتهم فكذلك ما يخاف منه الذريعة إلى الربا ينبغي الزجر عنه ومن الذرائع ما يقرب من الحرام ومنها ما يبعد فيقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك ولم يجعل الشافعي الذريعة إلى الحرام أصلا ولا كره شيئا من البيوع التي يتقى فيها الذريعة إلى الربا وقال تهمة المسلم وسوء الظن به حرام ومن حجتهم قول عمر بن الخطاب إنما الربا على من قصد الربا وقول النبي عليه السلام إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فيه أيضا متعلق لهم وقالوا ونهيه تعالى عن سب آلهتهم لئلا يسبوا الله تعالى ليس من هذا الباب لأنه لا تهمة به لمؤمن ولا نصارى عليه وكما نهى عن الذريعة إلى تحليل ما حرم الله فكذلك ينبغي أن يتقى تحريم ما أحل الله وكلا الطرفين ذميم وأحل الله البيع وحرم الربا والربا معلوم فما ليس من الربا فهو من البيع والكلام في هذه المسئلة للطائفتين والاحتجاج للفريقين يتسع مجاله ويبعد بنا عن مقصودنا من الكتاب

﴿فصل﴾ حديث النضر بن الحارث وقال في نسبه كلدة بن علقمة وغيره من النساب يقول علقمة بن كلدة وكذلك ألفيته في حاشية كتاب الشيخ التي يخرج عن أبي الوليد وحدثنا النضر أنه يعلم أخبار رستم واسفنديار وكان يقول اكتتبها كما اكتتبها محمد ووقع في الأصل اكتتبها كما اكتتبها محمد وفي الرواية الأخرى عن أبي الوليد اكتتبها كما اكتتبها ورستم الشديد الفارسي معناه ذو الضياء والياء في الشديد والألف سواء ومعناه ارخشاد وقد تقدم شرحه ومعه جمشاد وهو من أول ملوك الأرض وهو الذي قتله الضحاك بيوراسب ثم عاش إلى مدة أفريدون وابنه جم وبين أفريدون وبين جم سبعة آباء وقال له حين قتله ما ملك محمد وما أنت له بكفء ولا كيف له كان في داره وقد تقدم طرف من أخبار رستم واسفنديار في الجزء قبل هذا * وذكر حديث ابن الزبعرى وقوله إنا نعبد الملائكة وإن النصارى تعبد المسيح إلى آخر كلامه وما أنزل الله في ذلك من قوله تعالى «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى» الآية ﴿قال المؤلف﴾ ولو تأمل ابن الزبعرى وغيره ممن كفار قريش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين (أحدهما) أنه خطاب متوجه على الخصوص لقريش وعبدة الأصنام وقوله إنا نعبد الملائكة حيدة وإنما وقع الكلام

حصب جهنم كل ما أوقدت به قال أبو ذؤيب الهذلي واسمه خويلد بن خالد
فأطفئ ولا توقد ولا تك محصنا * لنار العداة أن تطير شكاتها وهذا البيت في أبيات له وروى ولا تك محصا قال الشاعر
حصبت لها نارى فأبصر ضوءها * وما كان لولا حصبها ليرى * قال ابن إسحق ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب آنفا
وما قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا أكل ما يعبد من
دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى ابن مريم فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس
من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده إنهم إنما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته [illegible]

ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون أي عيسى بن مريم وعزير ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكرون انهم يعبدون الملائكة وانها بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون الى قوله ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ونزل فيما ذكر من أمر عيسى بن مريم انه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجته وخصومته ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون أي يصدون عن أمرك بذلك من قوله ثم ذكر عيسى ابن مريم فقال ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها أي ما وضعت على يديه من الآيات من احياء الموتى (٢٢٦) وابراء الاسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم

* والاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة وكان من أشراف القوم وممن يسمع منه فكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد عليه فانزل الله تعالى فيه ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الى قوله تعالى زنيم ولم يقل زنيم لعيب في نسبه لأن الله لا يعيب أحدا بنسب ولكنه حقق بذلك نعته ليعرف والزنيم العديد للقوم وقد قال الخطيم التميمي في الجاهلية زنيم تداعاه الرجال زيادة* كما زيد في عرض الاديم الاكارع

والوليد بن المغيرة فقال أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ونحن عظيما القريتين فأنزل الله تعالى فيما بلغني وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الى قوله تعالى مما يجمعون وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وعقبة بن أبي معيط وكانا متصافيين حسنا ما بينهما فكان عقبة قد جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه فبلغ ذلك أبيا فأتى عقبة فقال ألم يبلغني انك جالست محمدا وسمعت منه ثم قال وجهي من وجهك حرام أن أكلمك واستغلظ من اليمين ان انت جلست اليه او سمعت منه أو لم تأته فتتفل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله فأنزل الله تعالى فيهما ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الى قوله تعالى للانسان خذولا ومشى أبي بن خلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم بال قد ارفت فقال يا محمد أنت تزعم ان الله يبعث هذا بعد ما أرم ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله واياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك الله النار فأنزل الله تعالى فيه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق

والمخاطبة في اللات والعزى وهبل وغير ذلك من أصنامهم (والثاني) أن لفظ التلاوة «انكم وما تعبدون» ولم يقل ومن تعبدون فكيف يلزم اعتراضه بالمسيح وعزير والملائكة وهم يعقلون والاصنام لا تعقل ومن ثم جاءت الآية بلفظ ما الواقعة على ما لا يعقل وانما تقع ما على ما يعقل بعلم بقرينة من التعظيم والابهام ولعلنا نشرحها ونشبعها فيما بعد ان قدر لنا ذلك وسبب عبادة النصارى للمسيح معروف وأما عبادة اليهود عزيرا وقولهم فيه انه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم وسببه فيما ذكر عبد بن حميد انا كشي ان التوراة لما احترقت ايام بخت نصر وذهب بذهابها دين اليهود فلما تاب اليهم أمرهم وجدوا لفقدها أعظم الكرب فقام عزير يبكي لفقد التوراة ادمن ذلك فمر بامرأة جاءته على قبر فقد شرب شعرها فقال لها عزير من أنت قالت انا المالمام الفرى أبكي على ولدي وأنت تبكي على كتابك وقالت له اذا كان غدا فأت هذا المكان فلما ان جاء من الغد للساعة التي وعدته اذا هو بانسان خارج من الارض في يده كرة فقال أروه فهاتورى فقال له افتح فاك فألقاها في جوفه فكتب عزير التوراة كما أنزلها الله ثم قدر على التوراة بعد ما كانت دفنت ان ظهر فعرضت التوراة وما كان عزير كتب فوجدوه سواء فلهذا قالوا انه ولد الله تعالى الله عن ذلك * وقوله حصب جهنم هو من باب النقض والنقص والحصب بسكون الصاد كالنقص والنقض ومنه الحاصب في قوله سبحانه «انا ارسلنا عليكم حاصبا» وروي حضب جهنم بضاد معجمة في شواذ القراآت وهو من حضبت النار اذا حضبا اذا فلت اذكيتها وحشتها وأذكيتها وفسر ابن اسحق قوله يصدون ومن قرأ يصدون فمعناه يعدون

﴿ فصل ﴾ وذكر ما أنزل الله تعالى في الاخنس بن شريق وانه أنزل من قوله تعالى «عتل بعد ذلك زنيم» وقد قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقد قيل في الاسود بن عبد يغوث الزهري وقال ابن عباس نزلت في رجل من قريش له زنمة كزنمة الشاة رواه البخاري بمعناه وفي رواية اخرى انه قال الزنيم الذي له زنمة من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها وروي عن ابن عباس ايضا مثل ما قال ابن اسحق ان الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم قال ذلك نافع بن الازرق الحروري وقال اما سمعت قول حسان زنيم تداعاه الرجال البيت وقد انشد ابن هشام هذا البيت مستشهدا به ونسبه للخطيم التميمي والاعرف انا

الحسبان كما قال ابن عباس وأما العتل فهو الغليظ الجافي من قوله تعالى «خذوه فاعتلوه» وقال عليه السلام
أما أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر جماع مناع

﴿فصل﴾ وذكر قولهم الذي أنزل الله فيه «قل يا أيها الكافرون» إلى آخرها فقال «لا أعبد ما تعبدون»
أي في الحال ولا أنا عابد ما عبدتم أي في المستقبل وكذلك ولا أنتم عابدون ما أعبد (فإن قيل) كيف
قيل لهم ولا أنتم عابدون ما أعبد وهم قد قالوا لهم ولنعبد [illegible] كيف نفى عنهم ما أرادوا وعزموا
عليه (فالجواب) من وجهين أحدهما أنه علم أنهم لا يفعلون فأخبر عن علم الثاني أنهم لو عبدوه على
الوجه الذي قالوه ما كانت عبادة ولا تسمى عبادة إلا الشمس عبدوه سنة وعبدوا غيره أخرى (فإن قيل) كيف قال
ولا أنتم عابدون ما أعبد ولم يقل من أعبد وقد قال أهل العربية إن ما تقع على ما لا يعقل فكيف عبر بها عن
الباري تعالى (فالجواب) أما قد ذكرناه قبل أنه قد تقع على من يعقل بقرينة فهذا أوان ذكرها وتلك
القرينة الإبهام والمبالغة في التعظيم والتفخيم وهي في معنى الإبهام لأن من جلالة عظمته حتى خرجت عن
الحصر وعجزت الأفهام عن كنه ذاته وجب أن يقال فيه هو ما هو كقول العرب سبحان ما سبح الرعد
بحمده ومنه قوله «والسماء وما بناها» فليس كونه بانيا للسماء أوجب له [illegible] المعظم ما أوجب له بنى السموات
ودحى الأرض وكان المعنى أن شيئا بناها لعظم أو ما أعظم من شيء فلفظ ما في هذا الموضع تؤذن
بالتعجب من عظمه كأنما كان هذا الفاعل لهذا [illegible] أعظمه وكذلك قوله تعالى في قصة آدم «ما منعك أن
تسجد لما خلقت بيدي» ولم يقل لمن خلقت وهو يعقل لأن السجود لم يجب له من حيث كان يعقل ولا من
حيث كان لا يعقل ولكن من حيث أمروا بالسجود له وكان ذلك الخلق قد وجب عليهم ما أمروا به
فيه فما أحسنت ما في هذا الموضع لأمر جهة التعظيم له لكن من جهة ما تعبدهم به الأمر من السجود له وكائنا
من كان وأما قوله تعالى «لا أعبد ما تعبدون» فواقعة على ما لا يعقل لأنهم كانوا يعبدون الأصنام وقوله
«ولا أنتم عابدون ما أعبد» [illegible] الإبهام وتعظيم الله ودفع أن الجنس يعمهم [illegible] كأنما
ما كان فحسنت ما في هذا الموضع لهذا [illegible] على أولي العلم [illegible]
[illegible] عليها وهو قوله تعالى «ولا أنا عابد ما عبدتم» [illegible] فقال «ولا أنتم عابدون ما أعبد» بلفظ
المضارع في الآخر [illegible] قال [illegible] كما [illegible] في ذلك أن ما [illegible]
الإبهام وإن كانت خبرية تعطي معنى الشرط [illegible] تحول المستقبل
إلى لفظ الماضي تقول إذا قام زيد قعد [illegible] إن [illegible] رائحة الشرط من أجل
إبهامها ولذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضي ولا [illegible] في فعل الحال ولذلك قال في أول السورة
ما تعبدون لأنه حال لأن رائحة الشرط [illegible] وكذلك رائحة الشرط معدومة في قوله
عابدون ما أعبد لأنه [illegible] لأنه معصوم [illegible]
[illegible] ذلك في حقهم لأنهم في قصة [illegible]
[illegible] ولكن [illegible] ولا أنتم عابدون ما أعبد في الحال
وفي المآل لما علم من [illegible] لا [illegible] الشرط [illegible] عليه
السلام [illegible] هذه المسألة قوله تعالى
«كيف نكلم من كان في المهد [illegible]» [illegible] عن الذي [illegible]
على لفظ الماضي [illegible] الشرط ولذلك جاء كان بلفظ

علم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون * واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة فيما ذكر الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص ابن وائل السهمي وكانوا ذوي أسنان في قومهم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر فإن كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظ منه وإن كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فأنزل الله تعالى فيهم قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون السورة كلها أي إن كنتم لا تعبدون الا الله الا أن أعبد ما تعبدون فلا حاجة لي بذلك منكم لكم دينكم ولي دين

وأبو جهل بن هشام لما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفا بها لهم قال يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد قالوا لا قال عجوة يثرب بالزبد والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها تزقما فأنزل الله تعالى فيه «ان شجرة الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم» أي ليس كما يقول «قال ابن هشام» المهل كل شيء أذبته من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة وبلغنا عن الحسن ابن أبي الحسن انه قال كان عبد الله بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة وانه أمر يوما بفضة فأذيبت فجعلت تلون ألوانا فقال هل بالباب من أحد قالوا نعم قال فأدخلوهم فأدخلوا فقال ان أدنى ما أنتم راؤون شبها بالمهل لهذا وقال الشاعر

يسقيه ربي حميم المهل يجرعه * يشوي الوجوه فهو في بطنه صهر

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي

فمن عاش منهم عاش عبدا وان يمت * ففي النار يسقى مهلها وصديدها

وهذا البيت في قصيدة له ويقال ان المهل صديد الجسد بلغنا ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضر أمر بثوبين لبيسين يغسلان فيكفن فيهما فقالت له عائشة قد أغناك الله يا أبت عنهما فاشتر كفنا فقال انما هي ساعة حتى يصير الى المهل قال الشاعر

شاب بالماء منه مهلا كريها * ثم علّ المتون بعد النهال

«قال ابن اسحق» فأنزل الله تعالى فيه والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه وقد طمع في اسلامه فبينا هو في ذلك اذ مر به ابن أم مكتوم الأعمى فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن فشق ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضجره وذلك انه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من اسلامه فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا وتركه فأنزل الله تعالى فيه عبس وتولى أن جاءه الأعمى الى قوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة أي انما بعثتك بشيرا ونذيرا لم أخص بك أحدا دون أحد فلا تمنعه ممن ابتغاه ولا تتصدين به لمن لا يريده «قال ابن هشام» ابن أم مكتوم أحد بني عامر بن لؤي واسمه عبد الله ويقال عمرو *

الصبي بعده فصار معنى الكلام من يكن صبيا فكيف يكلم لما أشارت الى الصبي أن كلموه ولو قالوا كيف نكلم من هو في المهد الآن لكان الانكار والتعجب مخصوصا به فلما قالوا كيف نكلم من كان صار الكلام أبلغ في الاحتجاج للعموم الداخل فيه الى هذا الغرض أشار أبو اسحاق وهو الذي أراد وان لم يكن هذا اللفظ فليس المقصود العبارات وانما المقصود تصحيح المعاني الملقاة من الالفاظ والاشارات

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث أبي جهل حين ذكر شجرة الزقوم يقال ان هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش وان رجلا أخبره ان أهل يثرب يقولون تزقمت اذا أكلت التمر بالزبد فجعل بجهله اسم الزقوم من ذلك استهزاء وقيل ان لهذا الاسم أصلا في لغة اليمن وان الزقوم عندهم كل ما يتقيأ منه وذكر أبو حنيفة في النبات أن شجرة باليمن يقال لها الزقوم لا ورق لها وفروعها أشبه شيء برؤس الحيات فهي كريهة المنظر وفي تفسير ابن سلام والماوردي أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم أعاذنا الله منها وان أهل النار ينحدرون اليها قال ابن سلام وهي تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر * وقوله الملعونة في القرآن أي الملعون آكلها وقيل بل هو وصف لها كما يقال يوم ملعون أي مشؤم

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ابن أم مكتوم وذكر اسمه ونسبه وأم مكتوم اسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم * وذكر الرجل الذي كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الوليد بن المغيرة وقد قيل كان أمية بن خلف وفي حديث الموطأ عظيم من عظماء المشركين ولم يسمه وفي قوله سبحانه « أن جاءه الأعمى » من الفقه أن لا غيبة في ذكر الانسان بما ظهر في خلقه من عمى أو عرج الا أن يقصد به الازدراء فيلحق المأثم به لانه من أفعال الجاهلين قال الله تعالى « أتتخذنا هزؤا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » وفي ذكره اياه بالعمى من الحكمة والاشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب لانه قال « أن جاءه الأعمى » فذكر المجيء مع العمى وذلك ينبئ عن تجشم كلفة ومن تجشم القصد اليك على ضعفه فحقك الاقبال عليه لا الاعراض عنه فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم متوليا عن الاعمى فغيره أحق بالعتب مع أنه لم يكن آمن بعد الا تراه يقول « وما يدريك لعله يزكى » الآية ولو كان قد صح ايمانه وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أعرض لكان العتب أشد والله أعلم وكذلك لم يكن ليخبر عنه ويسميه بالاسم المشتق من العمى دون الاسم المشتق من الايمان والاسلام لو كان دخل في الايمان قبل ذلك والله أعلم وانما دخل فيه بعد نزول الآية ويدل على ذلك قوله للنبي صلى الله عليه وسلم استدنني يا محمد ولم يقل استدنني يا رسول الله مع أن ظاهر الكلام يدل على ان الهاء في لعله يزكى عائدة على الاعمى لا على الكافر لانه لم يتقدم له ذكر بعد ولعل تعطي الترجي والانتظار ولو كان ايمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجي والانتظار للتزكي والله أعلم

فصل

قال ابن إسحاق: وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا إلى أرض الحبشة إسلام أهل مكة فأقبلوا لما بلغهم من ذلك حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيا فكان ممن قدم عليه مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة فشهد معه بدرا ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ومن مات بمكة * منهم من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل * ومن حلفائهم عبد الله بن جحش بن رئاب ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان حليف لهم من قيس عيلان * ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد * ومن بني عبد الدار بن قصي مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف * وسويبط بن سعد بن حرملة * ومن بني عبد بن قصي طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة * والمقداد بن عمرو حليف لهم * وعبد الله بن مسعود حليف لهم * ومن بني مخزوم بن يقظة أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة * وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم * وسلمة بن هشام بن المغيرة حبسه عمه بمكة فلم يقدم إلا بعد بدر وأحد والخندق * وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه إلى المدينة ولحق به

أخواه لأمه أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام فرجعا به إلى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق * ومن حلفائهم عمار بن ياسر يشك فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا * ومعتب ابن عوف بن عامر من خزاعة * ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح * وابنه السائب بن عثمان وقدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون * ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي * وهشام بن العاص بن وائل حبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق * ومن بني عدي بن كعب بن لؤي عامر بن ربيعة حليف لهم معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم * ومن بني عامر بن لؤي عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبي قيس * وعبد الله بن سهيل ابن عمرو وكان حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر إلى المدينة حتى كان يوم بدر فانحاز من المشركين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معه بدرا * وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو * والسكران بن عمرو بن عبد شمس معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس مات بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سودة بنت زمعة * ومن حلفائهم سعد بن خولة * ومن بني الحارث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح وهو عامر بن عبد الله بن الجراح * وعمرو بن الحارث بن زهير بن أبي شداد * وسهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال * وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا وكان من دخل منهم بجوار فيمن سمي لنا عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي دخل بجوار من الوليد بن المغيرة * وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي دخل بجوار من أبي طالب بن عبد المطلب وكان خاله وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب * قال ابن إسحاق فأما عثمان بن مظعون فإن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف

﴿فصل﴾ وذكر ما بلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة وكان باطلا وسببه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته عند ذكر اللات والعزى وإنهن لهن الغرانقة العلى وإن شفاعتهن لترتجى فطار ذلك بمكة فسر المشركون وقالوا قد ذكر آلهتنا بخير فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخرها وسجد المشركون والمسلمون ثم أنزل الله تعالى «فينسخ الله ما يلقي الشيطان» الآية فمن هاهنا اتصل بهم في أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا وقد ذكره موسى بن عقبة وابن إسحاق من غير رواية البكائي وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ومن صححه قال فيه أقوالا * منها أن الشيطان قال ذلك وأشاعه والرسول عليه السلام لم ينطق به وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لمحمد ما أتيتك بهذا * ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها من قبل نفسه وعنى بها الملائكة أن شفاعتهم لترتجى * ومنها أن النبي عليه السلام قالها حاكيا عن الكفرة وأنهم يقولون ذلك فقالها متعجبا من كفرهم والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته والله أعلم وسمى الذين قدموا منهم من أجل ذلك الخبر وذكر فيهم طليبا وقال فيه ابن أبي كبير بن عبد بن قصي وزيادة أبي كبير في هذا الموضع لا يوافق عليه وكذلك وجدت في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر على هذا وذكره أبو عمر ونسبه كما نسبه ابن إسحاق بزيادة أبي كبير وكان [illegible] إحدى الروايتين عن ابن إسحاق وكذلك قال الواقدي وابن عقبة ومن تابعهم [illegible]

﴿فصل﴾ وذكر قول لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وقصة ابن مظعون إلى آخرها وليس

الوليد بن المغيرة قال والله إن غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي فمشى إلى الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت إليك جوارك قال له يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي قال لا ولكني أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره قال فانطلق إلى المسجد فاردد علي جواري علانية كما أجرتك علانية قال فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري قال صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره ثم انصرف وعثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشدهم فجلس معهم عثمان فقال لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * قال عثمان صدقت قال * وكل نعيم لا محالة زائل * قال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول قال لبيد بن ربيعة يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم إن هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية لقد كنت في ذمة منيعة قال يقول

عثمان بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس فقال له الوليد هلم يا ابن أخي إن شئت إلى جوارك فعد قال لا * قال ابن إسحق وأما أبو سلمة بن عبد الأسد فحدثني أبي إسحق بن يسار عن سلمة بن عبد الله ابن عمر بن أبي سلمة أنه حدثه أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجال بني مخزوم فقالوا يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمدا فما لك ولصاحبنا تمنعه منا قال إنه استجار بي وهو ابن أختي وإن أنا لم أمنع ابن أختي

ومما انتبه كل غير سؤال واحد وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فصدقه في هذا القول وهو عليه السلام يقول في مناجاته أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق والجنة حق والنار حق ولقاؤك حق فكيف يجمع بين هذا مع قوله * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فالجواب من وجهين أحدهما أن يريد بقوله ما خلا الله ما عدا الله وعدا رحمته التي وعد بها من رحمته والنار وما توعد به من عقابه وما سوى هذا فباطل أي مضمحل ﴿والجواب الثاني﴾ أن الجنة والنار وإن كانتا حقا فإن الزوال عليهما جائز لذاتيهما وإنما يبقيان بإبقاء الله لهما وأنه يخلق الدوام لأهلهما على قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائدا على الذات وهو قول الأشعري وإنما الحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال وهو القديم الذي انعدامه محال ولذلك قال عليه السلام أنت الحق بالألف واللام أي المستحق لهذا الاسم على الحقيقة وقولك الحق لأن قوله قديم وليس بمخلوق محدث ووعدك الحق كذلك لأن وعده كلامه هذا مقتضى الألف واللام ثم قال والجنة حق والنار حق بغير ألف ولام ولقاؤك حق كذلك لأن هذه أمور محدثات والمحدث لا يجب له البقاء من جهة ذاته وإنما علمنا بقاءها من جهة الخبر الصادق الذي لا يجوز عليه الخلف لا من جهة استحالة الفناء عليها كما يستحيل على القديم سبحانه الذي هو الحق وما خلاه باطل فإما جوهر وإما عرض وليس في الأعراض إلا ما يجب له الفناء ولا في الجواهر إلا ما يجوز عليه الفناء والبطول وإن بقي ولم يبطل فجائز أن يبطل وأما الحق سبحانه فليس من قبيل الجواهر والأعراض فاستحال عليه ما يجب لهما أو يجوز عليهما

لم أمنع ابن أخي فقام أبو لهب فقال يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون توثبون عليه في جواره من بين قومه والله لتنتهن أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد قال فقالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة وكان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

فصل

وإن امرأ أبو عتيبة عمه * لفي روضة ما إن يسام المظالما
أقول له وأين منه نصيحتي * أبا معتب ثبت سوادك قائما
ولا تقبلن الدهر ما عشت خطة * تسب بها إما هبطت المواسما
وول سبيل العجز غيرك منهم * فإنك لم تخلق على العجز لازما
وحارب فإن الحرب نصف ولن ترى * أخا الحرب يعطى الخسف حتى يسالما
وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة * ولم يخذلوك غانما أو مغارما
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما
بتفريقهم من بعد ود وألفة * جماعتنا كيما ينالوا المحارما
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما تروا يوما لدى الشعب قائما

«قال ابن هشام» ويروى سلب «قال ابن هشام» بقي منها بيت تركناه * قال ابن إسحق وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما حدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فأذن له فخرج أبو بكر مهاجرا حتى إذا سار من مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة أخو بني الحرث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش * قال ابن إسحق والأحابيش بنو الحرث بن عبد مناة بن كنانة والهون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة «قال ابن هشام» تحالفوا جميعا فسموا الأحابيش للحلف ويقال ابن الدغينة * قال ابن إسحق وحدثني الزهري عن عروة عن عائشة قالت فقال ابن الدغنة أين يا أبا بكر قال أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي قال ولم فوالله إنك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم ارجع وأنت في جواري فرجع معه حتى إذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش إني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضن له أحد إلا بخير قالت فكفوا عنه قالت وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه وكان رجلا رقيقا إذا قرأ القرآن استبكى قالت فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته قالت فمشى رجال من قريش إلى ابن الدغنة فقالوا يا ابن الدغنة إنك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكي وكانت له هيئة ونحو فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء قالت فمشى ابن الدغنة إليه فقال له يا أبا بكر إني لم أجرك لتؤذي قومك إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت قال أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله قال فاردد علي جواري قال قد رددته عليك قال فقام ابن الدغنة

فقال يا معشر قريش إن ابن أبي قحافة قد رد علي جواري فشأنكم بصاحبكم * قال ابن إسحق وحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد قال لقيه سفيه من سفهاء قريش وهو عامد إلى الكعبة فحثا على رأسه ترابا قال فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل قال فقال أبو بكر ألا ترى إلى ما يصنع هذا السفيه قال أنت فعلت ذلك بنفسك قال وهو يقول أي رب ما أحلمك أي رب ما أحلمك أي رب ما أحلمك

﴿حديث نقض الصحيفة﴾

* قال ابن إسحق وبنو هاشم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ثم إنه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفر من قريش ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحرث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وذلك أنه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه وكان هشام لبني هاشم واصلا وكان ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا قد أوقره طعاما حتى إذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ثم يأتي به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك * قال ابن إسحق ثم إنه مشى إلى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح إليهم أما إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدا قال ويحك يا هشام فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد والله أن لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتى أنقضها قال قد وجدت رجلا قال فمن هو قال أنا قال له زهير ابغنا رجلا ثالثا فذهب إلى المطعم بن عدي فقال له يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعا قال ويحك فماذا أصنع إنما أنا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قال أنا قال ابغنا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قال زهير بن أبي أمية قال ابغنا رابعا فذهب إلى أبي البختري بن هشام فقال له [illegible]

﴿فصل﴾ وذكر حديث أبي بكر حين لقيه ابن الدغنة واسمه مالك وهو سيد الأحابيش وقد سماهم ابن إسحق وهم بنو الحارث وبنو الهون من كنانة وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا أي تجمعوا فسموا الأحابيش وقيل إنهم تحالفوا عند جبل يقال له حبشي فاشتق لهم منه هذا الاسم * وقوله لأبي بكر إنك لتكسب المعدوم يقال كسبت الرجل مالا فعديته إلى مفعولين هذا قول الأصمعي وحكى غيره أكسبته مالا فعلى هذا تكسب المعدوم أي تكسب غيرك ما هو معدوم عنده والدغنة اسم امرأة عرف بها الرجل والدغن الغيم يأتي بعد المطر

﴿فصل﴾ وذكر نقض الصحيفة وقيام هشام فيها ونسبه فقال هشام بن الحارث بن حبيب وفي الحاشية عن أبي الوليد إنما هو هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث وهكذا وقع اسمه في رواية يونس عن ابن إسحق وكان أبوه عمرو أخا نضلة بن هاشم لأمه * وذكر أنه كان يأتي بالبعير قد أوقره

المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال له وهل على هذا الأمر الذي تدعوني إليه من أحد قال نعم ثم سمى له القوم فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة قال أبو جهل وكان في ناحية المسجد كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الأسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابها حيث كتبت قال أبو البختري صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به قال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك قال أبو جهل هذا أمر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس في ناحية المسجد فقام المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا باسمك اللهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون « قال ابن هشام » وقد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب يا عم إن الله قد سلط [illegible] الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله إلا أثبتته فيها ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج إلى قريش فقال يا معشر قريش إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا فهلم صحيفتكم فإن كانت كما قال ابن أخي فقال القوم رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فإذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادهم ذلك شرا فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا قال ابن إسحاق فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم

زبرا بالزاي المعجمة وفي غير نسخة الشيخ أبي بحر برا أو في رواية يونس برا أو برا على الشك من الراوي * وذكر أن منصور بن عكرمة كان كاتب الصحيفة فشلت يده وللنساب من قريش في كاتب الصحيفة قولان أحدهما أن كاتب الصحيفة هو بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار والقول الثاني أنه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بني عبد الدار أيضا وهو خلاف قول ابن إسحاق ولم يذكر الزبير في كاتب الصحيفة غير هذين القولين والزبيريون أعلم بأنساب قومهم * وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب من ضيق الحصار لا يبايعون ولا يناكحون وفي الصحيح أنهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة وكان فيهم سعد بن أبي وقاص روي أنه قال لقد جعت حتى إني وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وبلعته وما أدري ما هو إلى الآن وفي رواية يونس أن سعدا قال خرجت ذات ليلة لأبول فسمعت قعقعة تحت البول فإذا قطعة من جلد بعير يابسة فأخذتها وغسلتها ثم أحرقتها ثم رضضتها وسففتها بالماء فقويت بها ثلاثا وكانوا إذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام لعياله فيقوم أبو لهب عدو الله فيقول يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فأنا ضامن أن لا خسار عليكم فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع إلى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يديه شيء يطعمهم به ويغدو التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعا وعريا وهذه إحدى الشدائد الثلاث التي دل عليها تأويل الغطات الثلاث التي غطه جبريل حين قال له اقرأ قال ما أنا بقارئ وإن كان ذلك كان في اليقظة ولكن مع ذلك له في مقتضى الحكمة تأويل وإيماء وقد تقدمت الإشارة إلى هذا قبل وإلى آخر حديث الصحيفة ليس فيها ما يشكل * وقول أبي طالب ألا قد أتى بحرنا يعني الذين بأرض الحبشة نسبهم إلى البحر لركوبهم إياه وهكذا وجه النسب إليه وقد قال عليه السلام إذا نشأت بحرية وزعم ابن سيده في كتاب المحكم أن العرب تنسب إلى البحر بحراني على غير قياس وأنه من شواذ النسب ونسب هذا القول إلى سيبويه والخليل ولم يقله سيبويه قط وإنما قال في شواذ النسب تقول في بهراء بهراني وفي صنعاء صنعاني كما تقول بحراني في النسب إلى البحرين التي هي مدينة وعلى هذا تلقاه جميع النحاة وتأولوه من كلام سيبويه وإنما شبه على ابن سيدة لقول الخليل في هذه المسألة أعني مسألة النسب إلى البحرين كأنهم بنوا البحر على بحران وإنما أراد لفظ البحرين ألا تراه يقول في كتاب العين تقول بحراني في النسب إلى البحرين ولم يذكر النسب إلى البحر أصلا للعلم به وأنه على القياس جار وفي الغريب المصنف عن اليزيدي أنه قال إذا قالوا بحراني في النسب إلى البحرين فلم يقولوا بحري لئلا يشتبه بالنسب إلى البحر وما زال ابن سيدة يعثر في هذا الكتاب وغيره

ألاهل اتى بحر يا صبع ر سا * على نأيهم والله بالناس أرود
براوحها الملك وسحر مجمع * ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد
وكانت كفاء وقعة بأزمة * ليقطع منها ساعد ومقلد
و ترك حراث تقلب أمره * أسهم فيها عدداك و سحد
فيخبرهم ان الصحيفة مزقت * وان كل ما لم يرضه الله مفسد
نداعى لها من لبس فيها بقرقر * فطائرها فى رأسها يتردد
و نطعن أهل المكتين فهربوا * فرائصهم من خشية الشر رعد
ونصعد بين الاخشبين كتيبة *

ندمى م نها الاطل و ند حص دحصاب بحرحه الى سدل من صل ألا راه قال فى هدا الباب ود كر بحيرة طبريه فقال هى من أعلام خروج الدجال وان ماءها ييبس عند خروجه والحديث اعا جاء فى عين زغر وانما ذكرت بحيرة طبرية فى حديث يأجوج ومأجوج وانهم يشربون ماءها وقال فى الجمار فى غير هذا الكتاب هى التى يرمى بعرفة وهذه هفوة لا يقال وعثرة لعاً لها وكم له من هذا اذا تكلم فى النسب وغيره ومن النسب الى البحر قوله عليه السلام لاسماء بنت عميس حين قدمت من أرض الحبشة البحرية الحبشية فهذا مثل قول أبى طالب الاهل اتى بحريها * وقوله والله بالناس أرود أى ارفق ومصدر بدك أى رفقا جاء بلفظ التصغير لانهم يريدون به تقليلا أى ارفق قليلا وانس له مكبر من لفظه لان المصدر أرواد الا ان يكون من باب تصغير الترخيم وهو ان تصغير الاسم الذى فيه الزوائد فتحذفها فى التصغيرة قول فى اسود سويد وفى مسل أرواد رويد * وقوله من لبس فيها بقرقر أى لبس بذليل لان القرقر الارض الموطوءة التى لا تمنع سالكها ويجوز ان يريد به لبس بذى هزل لان القرقرة الضحك * وقوله وطائرها فى رأسها يتردد أى حظها من الشؤم والشر وفى التنزيل «ألزمناه طائره فى عنقه» * وقوله لها خدج سهم وقوس ومرهد وجدت فى حاشية كتاب الشيخ مما كتبه عن أبى الوليد الكنانى على هذا البيت لعله خدج بضم الخاء والدال جمع خدج على ما حكى الفارسى وأنشد شاهدا عليه عن ثعلب * ثم انتسا الحمول والخدج *
ونظيره ستر وستر ذكر ذلك عن ابن سيدة فى محكمه ويكون المعنى ان الذى يقوم لها مقام الخدج سهم وقوس ومرهد الى هنا انتهى ما فى حاشية كتاب الشيخ ﴿قال المؤلف﴾ وفى العين الخدج حسك العظ فيكون الخدج فى البيت مستعارا من هذا أى لها حسك ثم فسره فقال سهم وقوس ومرهد هكذا فى الاصل بالراء وكسر الميم فيحتمل ان يكون مقلوبا من مهرد مفعل من هرد اذا مزقه ويعنى به رمحا أو سيفا ويحتمل ان يكون غير مقلوب ويكون من الرهيد وهو الناعم أى سيف صاحبه بالظفر أو سهم هو بالرى من الدم وفى بعض النسخ مزهد بفتح الميم والزاى فان صحت الرواية به فمعناه مزهد فى الحياة وحريص على الممات والله أعلم
، وقوله منها اذا جعلت ايدى المفيضين ترعد يعنى أيدى المفيضين بالقداح فى الميسر وكان لا يفيض معهم فى الميسر الا سخى ويسمون من لا يدخل معهم فى ذلك البرم وقالت امرأة لبعلها وكان برما بخيلا ورأته يفرن نصيبين فى الاكل أبرما قرونا ويسمونه أيضا الحصور يريد أبو طالب انهم يطعمون اذا بخل الناس والميسر هى الجزور التى تقسم يقال يسرت اذا قسمت هكذا فسره القتبى وانشد
أقول لهم بالشعب اذ ييسرونني * ألم تيأسوا انى ابن فارس زهدم
قال ييسروننى أى يقسمون مالى ويروى ياسروننى من الاسر * وقوله زفوف الدرع أحرد زفوف الدرع فضولها وقيل فى معنى زفوف حضر فضول الفرش والبسط وهو قول ابن عباس وعن على انها المرافق وعن سعيد بن جبير الزفارف رياض الجنة والاحرد الذى فى مشيه تثاقل وهو من الحرد وهو عيب فى الرجل وفيه * هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا * سهل هذا هو ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة

لها خرج سهم وقوس ومرهد
فمن يبس من حضار مكة عزه *
فعزتنا فى بطن مكة أتلد
نشأنا بها والناس فيها قليل *
فلم نتفكك نزداد خيرا ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم
اذا جعلت أيدى المفيضين ترعد
جزى الله رهطا بالحجون تبايعوا
على ملأ يهدى لحزم ويرشد
قعودا لدى خطم الحجون كأنهم
مقاولة بل هم أعز وأمجد
أعان عليها كل صقر كأنه *
اذا ما مشى فى رفرف الدرع أحرد
جرىء على جل الخطوب كأنه
شهاب بكفى قابس يتوقد
من الاكرمين من لؤى بن غالب
اذا سيم خسفا وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه
على وجهه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد سيد وابن سيد *

يحض على مقرى الضيوف ويحشد
ويبنى لابناء العشيرة صالحا * اذا نحن طفنا فى البلاد ويمهد
ألظ بهذا الصلح كل مبرأ * عظيم اللواء أمره ثم يحمد
قضوا ما قضوا فى ليلهم ثم أصبحوا * على مهل وسائر الناس رقد
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا * وسر أبو بكر بها ومحمد
متى شرك الاقوام فى جل أمرنا * وكنا قديما قبلها نتودد
وكنا قديما لا نقر ظلامة * وندرك ما شئنا ولا نتشدد
فيال قصى هل لكم فى نفوسكم * وهل لكم فيما يجىء به غد

فاني وإياكم كما قال قائل * لديك البيان لو تكلمت أسود وقال حسان بن ثابت يبكي المطعم بن عدي حين مات ويذكر قيامه في نقض الصحيفة

أعين فابكي سيد القوم واسفحي * بدمع وان أنزفته فاسكبي الدما
وبكي عظيم المشعرين كليهما * على الناس معروفا له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيدك ما لبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها * وقحطان أو باقي بقية جرهم
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره * وذمته يوما اذا ما تذمما
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم * على مثله فيهم أعز وأعظما

وآبى اذا يأبى وألين شيمة * وأنوم عن جار اذا الليل أظلما

«قال ابن هشام» قوله كليهما عن غير ابن اسحق «قال ابن هشام» وأما قوله أجرت رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه الى ما دعاهم اليه من تصديقه ونصرته صار الى حراء ثم بعث الى الاخنس بن شريق ليجيره فقال أنا حليف والحليف لا يجير فبعث الى سهيل بن عمرو فقال ان بني عامر لا تجير على بني كعب فبعث الى المطعم بن عدي فأجابه الى ذلك ثم تسلح المطعم وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله فذلك الذي يعني حسان بن ثابت * قال ابن اسحق

وقال حسان بن ثابت أيضا يمدح هشام بن عمرو لقيامه في الصحيفة

هل يوفين بنو أمية ذمة * عقدا كما أوفى جوار هشام
من معشر لا يغدرون بجارهم * للحارث بن حبيب بن سخام
واذا بنو حسل أجاروا ذمة * أوفوا وأدوا جارهم بسلام

وكان هشام أخا سخام «قال ابن هشام» ويقال شحام * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم الى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا

ابن الحارث بن فهر يعرف بابن البيضاء وهي أمه واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ضرب بن الحارث بن فهر وهم ثلاثة اخوة سهل وسهيل وصفوان بنو البيضاء * وقوله

واني واياكم كما قال قائل * لديك البيان لو تكلمت أسود

أسود اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلا.

﴿فصل﴾ وذكر قول حسان في مطعم بن عدي وذكر جواره للنبي عليه السلام وذلك حين رجع من الطائف وقيامه في أمر الصحيفة

فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده اليوم مطعما

وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة لأنه قدم الفاعل وهو مضاف الى ضمير المفعول فصار في الضرورة مثل قوله * جزى ربه عني عدي بن حاتم * غير أنه في هذا البيت أشبه قليلا لتقدم ذكر مطعم فكأنه قال أبقى مجده هذا المذكور المتقدم ذكره مطعما ووضع الظاهر موضع المضمر كما لو قلت ان زيدا ضربت جاريته زيدا أي ضربت جاريته اياه ولا أستعمل هذا ولا سيما اذا قصدت قصد التعظيم بتفخيم ذكر الممدوح كما قال الشاعر

وما لي أن أكون أعيب يحيي * ويحيي طاهر الاثواب بر

ويجوز نصبه عندي على البدل من قوله وبكي عظيم المشعرين ويكون المفعول من قوله أبقى مجده محذوفا فكأنه قال أبقاه مجده أبدا والمفعول لا حرج في حذفه فاذا دل عليه الكلام كما في هذا البيت * وذكر قول حسان في هشام بن عمرو وقال فيه للحارث بن حبيب بن سخام وقد قدمنا أنه وهو حبيب بالتخفيف لا بصغره وجعله حسان تصغيرا بتشديده ولكن هذا من باب الضرورة اذ لا يصح أن يقال في فلس فليس ولا في كليب كليب في شعر ولا غيره ولكن لما كان الحب والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر وهو حسن في الشعر وسائغ في الكلام وهشام بن عمرو هذا أسلم وهو معدود في المؤلفة قلوبهم وكانوا أربعين رجلا ذكروا * وقوله ابن سخام هو اسم أمه وأكثر أهل النسب يقولون فيه شحام بشين معجمة وألفيت في حاشية كتاب الشيخ ان أبا عبيد البكري قال سخام بالسين والخاء مهملة والذي في الأصل من قول ابن هشام سخام بالسين مهملة والخاء معجمة ولفظ سخام من سخم الطعام وحشم اذا تغيرت رائحته قاله أبو حنيفة

﴿فصل﴾ وذكر حديث طفيل بن عمرو الدوسي وهو طفيل بن عمرو بن طريف بن العاصي بن ثعلبة بن

فقالوا له يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين
الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمعن
منه شيئاً قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفاً فرقاً من أن
يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه قال فغدوت إلى المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة قال فقمت منه
قريباً فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله قال فسمعت كلاماً حسناً قال فقلت في نفسي واثكل أمي والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي
الحسن من القبيح فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فإن كان الذي يأتي به حسناً قبلته وإن كان قبيحاً تركته قال فمكثت حتى
انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته فاتبعته حتى إذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد إن قومك قد قالوا لي كذا وكذا للذي قالوا
فوالله ما برحوا يخوفونني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لئلا أسمع قولك ثم أبى الله إلا أن يسمعني قولك فسمعته قولاً حسناً فاعرض
علي أمرك قال فعرض علي رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام وتلا علي القرآن فلا والله ما سمعت قولاً قط أحسن منه ولا أمراً أعدل
منه قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا نبي الله إني امرؤ مطاع في قومي وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لي آية
تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت إلى قومي حتى إذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني
مثل المصباح قال فقلت اللهم في غير وجهي إني أخشى أن يظنوا أنها مثلة وقعت في وجهي لفراقي دينهم قال فتحول فوقع في رأس سوطي قال
فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط إليهم من الثنية قال حتى جئتهم فأصبحت فيهم قال فلما نزلت أتاني أبي
وكان شيخاً كبيراً قال فقلت إليك عني يا أبت فلست منك ولست مني قال لم يا بني قال قلت أسلمت وتابعت دين محمد صلى

(٢٣٥)

الله عليه وسلم قال أي بني فديني دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه قال ثم جاء فعرضت عليه الإسلام

سالم بن فهم بن غنم بن دوس إلى آخره وليس فيه إشكال إلا قوله حنا ذي الشرى وقد قال ابن هشام هو
حمى وهو موضع حموه لصنمهم ذي الشرى فإن صحت رواية ابن إسحاق فالنون قد تبدل من الميم [illegible] كما قالوا حلال
وحلام للجدي ويجوز أن يكون من حنو الوادي وهو ما انحنى منه وقوله يا ذا الكفين
لست من عبادكا أراد الكفين بالتشديد فخفف للضرورة غير أن في نسخة الشيخ أن الصنم كان اسمه
ذا الكفين بتخفيف الفاء فخطه بعد أن كانت مشددة فدل أنه عنده مخفف في غير الشعر فإن صح هذا فهو
محذوف اللام كأنه تثنية كف من كفأت الإناء أو إذا كففته عني كف [illegible] الهمزة وألقى حركتها

فأسلم ثم أتتني صاحبتي فقلت إليك عني فلست منك ولست مني قالت لم بأبي أنت وأمي قال قلت فرق بيني وبينك الإسلام وتابعت دين محمد
صلى الله عليه وسلم قالت فديني دينك قال قلت فاذهبي إلى حنا ذي الشرى «قال ابن هشام» ويقال حمى ذي الشرى فتطهري منه وكان
ذو الشرى صنماً لدوس وكان الحمى حمى حموه له وبه وشل من ماء يهبط من جبل قال فقالت بأبي أنت وأمي أتخشى على الصبية من ذي الشرى
شيئاً قال قلت لا أنا ضامن لذلك قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الإسلام فأسلمت ثم دعوت دوساً إلى الإسلام فأبطئوا علي
ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت له يا نبي الله إنه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوساً ارجع إلى قومك
فادعهم وارفق بهم قال فلم أزل بأرض دوس أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق
ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معي من قومي ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو
ثمانين بيتاً من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا فتح الله
عليه مكة قال قلت يا رسول الله ابعثني إلى ذي الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه [illegible] فجعل طفيل يوقد عليه النار
ويقول يا ذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا [illegible] قال ثم رجع إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم فلما ارتدت العرب [illegible] حتى فرغوا من طليحة
ومن أرض نجد كلها ثم سار مع المسلمين إلى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل [illegible]
فاعبروها لي رأيت أن رأسي حلق وأنه خرج من فمي طائر وأنه [illegible]
[illegible] قالوا خيراً قال أما أنا والله فقد أولتها قالوا ماذا قال أما حلق رأسي [illegible]
فرجها فالأرض تحفر لي فأغيب فيها وأما [illegible]

وخرج انه حراحة شديدة ثم استقل منها ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا «قال ابن هشام» حدثني

خلاد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من اهل العلم ان اعشى بني قيس بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * وبت كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وانما * تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن * اذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا
كهولا وشبانا فقدت وثروة * فلله هذا الدهر كيف ترددا
ومازلت ابغي المال مذ انا يافع * وليدا وكهلا حين شبت وامردا
وابتذل العيس المراقيل تغتلي * مسافة ما بين النجير فصرخدا
الا ايهذا السائلي اين يممت *
فان لها في اهل يثرب موعدا
فان تسألي عني فيارب سائل * حفي عن الاعشى به حيث اصعدا
اجدت برجليها النجاء وراجعت * يداها خنافا لينا غير احردا
وفيها اذا ما هجرت عجرفية * اذا خلت حرباء الظهيرة اصيدا

على الفاء كما قال الحب والحب وفي الحديث ان أهل الخاصرمن درس كانوا يتراءونه في البدو وفي سوطه كانه دبل المعلق وذكره المبرد فقال في لفظ الحديث فجعلوا ينظرون الى الجمل وهو يهتف من شدة الصماء واذا ورو روى أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال لما قال طفيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان دوسا غلب عليها الزنى والربا فادع الله عليهم فقال هلكت دوس حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد دوسا

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن هشام حديث الاعشى وقصيدته الى آخرها فلما كان قريبا من مكة لقيه بعض المشركين فقال الى أين يا أبا بصير الحديث وذكر تحريم الخمر وتحريم الزنى وقول الاعشى أما الخمر ففي النفس منها علالات وقال غير ابن هشام كان القائل للأعشى هذه المقالة أبو جهل قالها في دار عتبة بن ربيعة وكان بارلاء ده «قال المؤلف» وهذه غفلة من ابن هشام ومن قال بقوله فان الناس مجمعون على ان الخمر لم ينزل تحريمها الا بالمدينة بعد ان مضت بدر وأحد وحرمت في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل وفي الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها وغنته القينات الا يا حمز للشرف النواء فبقر خواصر الشارفين واجتب اسنمتهما وقوله للنبي عليه السلام هل أنتم الا عبيد لآبائي وهو على الحديث بطوله فان صح خبر الاعشى وما ذكر له في الخمر فلم يكن هذا بمكة وانما كان بالمدينة ويكون القائل له انما علمت انه يحرم الخمر من المنافقين أو من اليهود فالله أعلم وفي القصيدة ما يدل على هذا قوله فان لها في أهل يثرب موعدا وقد ألفيت للقالي رواية عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال لقي الاعشى عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له انه يحرم الخمر فرجع فهذا أولى بالصواب وقول الاعشى أروى منها هذا العام ثم أعود فاسلم لا يخرجه عن الكفر باجماع قال الاسفرايني في عقيدته اذا قال المؤمن سأكفر غدا أو بعد غد فهو كافر لحينه باجماع واذا قال الكافر سأومن غدا أو بعد غد أو على كره لا يخرجه عن حكم الكفر الا ايمانه اذا آمن ولا خلاف في هذا والله المستعان * وقوله ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * لم ينصب ليلة على الظرف لان ذلك يفسد معنى البيت ولكن أراد المصدر فحذفه والمعنى اغتماض ليلة أرمد فحذف المضاف الى الليلة وأقامها مقامه فصار اعرابها كاعرابه وقدر وفي هذا البيت ليلك بالكاف ومعناه اغتماض أرمد وقيل بل أرمد على هذه الرواية من صفة الليل أي حال فيه على المجاز كما تقول ليل ساهر * وقوله تناسيت قبل اليوم خلة مهددا * مهدد فعلل من المهد ولولا قيام الدليل على ان الميم أصلية لجاز ان يكون مفعلا لان الكلمة الرباعية اذا كان أولها ميما أو همزة حملها على الزيادة الا ان يقوم دليل على أنها أصلية والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف في الدال اذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف ولعلت فيه مهد كما تقول مرد ومكر ومفر في كل ما وزنه مفعل من المضاعف وانما الدال في مهدد ضوعفت للالحاق بجعفر * وقوله اذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا * والاصيد المائل العنق ولما كانت الحرباء تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت كانت في وسط السماء في أول الزوال كالأصيد وذلك أحر ما تكون الرمضاء تصف ناقته بالنشاط وقوة المشي في ذلك الوقت * وقوله خنافا * في العين خنفت الناقة تخنف خنفا في السير اذا مالت بيديها نشاطا وناقة خنوف قال الراجز

ان السواء والنسل والرغف * والقبة الحسناء والكأس الأنف
* للطاعنين الخيل والخيل خنف *

* وقوله ليس غير أحردا أي ليس ذلك من عير حرد في يديها أي اعوجاج والحرد وصرخد بلدان وأهل الحجر أول من ارتد في خلافة أبي بكر بعد أهل دبا وقد حاصرهم جند بن أسد وحاصر

وآليت لا آوي لها من كلالة * ولا من حفى حتى تلاقي محمدا * متى ما تناخي عند باب ابن هاشم * تراحي وتلقى من فواضله ندى
نبي يرى ما لا ترون وذكره * أغار لعمري في البلاد وأنجدا * له صدقات ما تغب ونائل * وليس عطاء اليوم مانعه غدا
أجدك لم تسمع وصاة محمد * نبي الإله حيث أوصى وأشهدا * إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على أن لا تكون كمثله * فترصد للموت الذي كان أرصدا

فإياك والميتات لا تقربنها * ولا تأخذن سهما حديدا لتفصدا
ولا النصب المنصوب لا تنسكنه *
ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تقربن حرة كان سرها *
عليك حراما فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه *
لعاقبة ولا الأسير المقيدا
وسبح على حين العشيات والضحى *
ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرا من بائس ذي ضرارة *
ولا تحسبن المال للمرء مخلدا
فلما كان بمكة أو قريبا منها
اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن أمره
فأخبره أنه جاء يريد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ليسلم فقال له يا أبا بصير إنه
يحرم الزنا فقال الأعشى
والله إن ذلك لأمر ما لي فيه
من أرب فقال له يا أبا بصير
فإنه يحرم الخمر فقال الأعشى
أما هذه فوالله إن في النفس
منها لعلالات ولكني منصرف فأتروى منها عامي هذا ثم آتيه فأسلم فانصرف فمات في عامه ذلك ولم يعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابن إسحاق وقد كان عدو الله أبو جهل بن هشام مع عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبغضه إياه وشدة عليه يذله الله له إذا
رآه * قال ابن إسحاق حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان الثقفي وكان واعية قال قدم رجل من إراش قال ابن هشام ويقال إراشة
بإبل له مكة فابتاعها منه أبو جهل فمطله بأثمانها فأقبل الإراشي حتى وقف على نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم في ناحية

أهل التحبير زيادة له يريد بأمر أبي بكر حتى نزلوا على حكمه وأما صرخد فبلد تطيب الأعناب والبه تنسب الخمر الصرخدية وفي الأمالي * ولدكظم الصرخدي تركته * وقوله وآليت لا آوي لها من كلالة * ولا من حفى أي لا أرق لها فأقول آه من الحفا وما به إذا رققت له كذلك * وقوله أغار لعمري في البلاد وأنجدا المعروف في اللغة غار وأنجد وقد أنشدوا هذا البيت لعمري غار في البلاد وأنجدا والغور ما انخفض من الأرض والنجد ما ارتفع منها وأغار كقياس في الغور ولم يأت على أفعل إلا قليلا وكان قياسه أن يكون مثل أنجد وأتهم لأنه من أم الغور فهو هابط ونزل فصار من باب غارت عينه تغور أو غار الماء ونحو ذلك فإن أردت أشرف على الغور قلت أغار ولا يكون خارجا عن القياس * وقوله وليس عطاء اليوم مانعه غدا من رواه على رفع العطاء ونصب مانع أي ليس العطاء الذي يعطيه اليوم مانعا عطاءه غدا فالهاء في مانعه عائدة على الممدوح فلو كانت عائدة على العطاء لقال وليس عطاء اليوم مانعه هو بإبراز الضمير الفاعل لأن الصفة إذا جرت على غير من هي له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل وذلك لسر بديع قد ذكرناه في غير هذا الموضع لم يذكره الناس ولو نصب العطاء لجاز على إضمار الفعل المتروك إظهاره لأنه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ويكون اسم ليس على هذا مضمرا فيها عائدا على النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله فانكحن أو تأبدا يريد أو ترهب لأن الراهب أبدا عزب فقال له تأبدا مشتق من لفظ الأبد * وقوله فالله فاعبدا وقف على النون الخفيفة بالألف وكذلك فانكحن أو تأبدا ولذلك كتبت في الخط بالألف لأن الوقف عليها بالألف وقد قيل في مثل هذا إنه لم يرد النون الخفيفة وإنما خاطب الواحد بخطاب الاثنين وزعموا أنه معروف في كلام العرب وأنشدوا في ذلك

فإن تزجراني يا ابن عفان أزدجر * وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا

وأنشدوا أيضا في هذا المعنى

فقلت لصاحبي لا تحبسانا * بنزع أصولها واجتث شيحا

ولا يمكن إرادة النون الخفيفة في هذا البيت لأنه لا يكون إبدالها إلا في الوقف وهذا القول قد يحتمل في الضمير فلا يصح إلا إذا الوقف عليه دون الضمير وحكى أن الحجاج قال يا حرسي اضرب عنقه وقد يمكن أن يحمل الوصل على الوقف ويحمل أن يريد اضرب أنت وصاحبك وقد قيل في قوله سبحانه ألقيا في جهنم إن الخطاب لملك واحد حملا على هذا الباب وقيل بل هو راجع إلى قوله تعالى سائق وشهيد وفي القصيدة زيادة لم تقع في رواية ابن هشام وهي قوله في وصف الناقة

وأما إذا ما أدلجت فترى لها * رقيبين جديا لا يغيب وفرقدا

ووقع هذا البيت بعد قوله لها أمر أحردا وقوله في صفة النبي صلى الله عليه وسلم أغار لعمري في البلاد وأنجدا وبعده * به أنقذ الله الأنام من العمى * وما كان فيهم من يريع إلى هدى

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث الإراشي الذي قدم مكة وأسند دينه على أبي جهل قال ابن إسحاق هو من

المسجد جالس فقال يا معشر قريش من رجل يؤديني على أبي الحكم بن هشام فإني رجل غريب ابن سبيل وقد غلبني على حقي قال فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل الجالس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزؤون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة اذهب إليه فإنه يؤديك عليه فأقبل الإراشي حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عبد الله إن أبا الحكم بن هشام قد غلبني على حق لي قبله وأنا غريب ابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه يأخذ لي حقي منه فأشاروا لي إليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله قال انطلق إليه وقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه فانظر ماذا يصنع قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فاخرج إلي فخرج إليه وما في وجهه من رائحة قد انتقع لونه فقال أعط هذا الرجل حقه فقال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له قال فدخل فخرج إليه بحقه فدفعه إليه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للإراشي الحق بشأنك فأقبل الإراشي حتى وقف

على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا فقد والله أخذ لي حقي قال وجاء الرجل الذي بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت قال عجبا من العجب والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه وما معه روحه فقال له أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج إليه حقه فدخل فخرج إليه بحقه فأعطاه إياه قال ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا ويلك ما لك والله ما رأينا مثل ما صنعت قط قال ويحكم والله ما هو إلا أن ضرب علي بابي وسمعت صوتا فملئت منه رعبا ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط والله لو أبيت لأكلني * قال ابن إسحاق

(فصل)

وحدثني أبي إسحاق بن يسار قال كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريش فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض شعاب مكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه قال إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق قال نعم قال فقم حتى أصارعك قال فقام إليه ركانة يصارعه فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه فقال يا محمد والله إن هذا للعجب أتصرعني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمري قال ما هو قال أدعو لك هذه الشجرة التي ترى فتأتيني قال ادعها فدعاها فأقبلت حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال لها ارجعي إلى مكانك قال فرجعت إلى مكانها قال فذهب ركانة إلى قومه فقال يا بني عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الأرض فوالله ما رأيت أسحر منه قط ثم أخبرهم بالذي رأى والذي صنع

أراش وهو ابن الغوث أو ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ وهو والد أنمار الذي ولد بجيلة وخثعم وإراشة الذي ذكر ابن هشام بطن من خثعم وإراشة مذكورة في العماليق في نسب فرعون صاحب مصر وفي بلي أيضا بنو إراشة * وقوله من يؤديني على أبي الحكم أي يعينني على أخذ حقي منه وهو من الأداة التي توصل الإنسان إلى ما يريد كأداة الحرب وأداة الصانع فالحاكم يؤدي الخصم أي يوصله إلى مطلبه وقد قيل إن الهمزة بدل من عين يؤدي ويعدي بمعنى واحد أي يزيل العدوان والعداء وهو الظلم كما تقول هو يشكيك أي يزيل شكواك وفي حديث خباب شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكنا معناه على أحد القولين لم ينزع شكوانا ولم يزلها * وقوله فخرج إليه وما في وجهه رائحة أي بقية روح فكأن معناه روح باقية فلذلك جاء به على وزن فاعلة والدليل على أنه أراد معنى الروح وإن جاء به على فاعلة قول الإراشي في آخر الحديث خرج إلي وما معه روحه

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ركانة ومصارعته للنبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم مثل هذا الحديث عن أبي الأسود الجمحي ولعلهما أن يكونا جميعا صارعاه صلى الله عليه وسلم وقد تقدم التعريف بأبي الأشدين واسمه ونسبه وركانة هذا هو ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب من مسلمة الفتح وتوفي في خلافة معاوية وهو الذي طلق امرأته البتة فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نيته فقال إنما أردت واحدة فردها عليه ومن حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء ولابنه يزيد بن ركانة صحبة أيضا ويروى عن يزيد بن ركانة ابنه علي وكان علي قد أعطي من الأيد والقوة ما لم يعط أحد ينزع في ذلك إلى جده ركانة وله في ذلك أخبار ذكرها القالي في أماليه منها خبره مع يزيد بن معاوية وكان يزيد بن معاوية من أشد العرب فصارعه يوما فصرعه علي صرعة لم يسمع بمثلها ثم حمله بعد ذلك على فرس جموح لا يطاق ومعلم فلي ما يراد به فلما جمح به الفرس ضم عليه فخذيه فصمت به فمات الفرس وذكر عنه أيضا أنه أخذ رجلين من بني تميم يجري بهما وهما يجتهدان أن يطلقاه حتى صاحا الموت الموت فأطلقهما

* قال ابن إسحاق ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ما نعلم ركبا أحمق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه لم نأل أنفسنا خيرا ويقال إن النفر من النصارى من أهل نجران فالله أعلم أي ذلك كان فيقال والله أعلم فيهم نزلت هؤلاء الآيات «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين» إلى قوله «لنا أعمالنا ولكم

أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين» * قال ابن إسحاق وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت فقال لي ما زلت أسمع من علمائنا أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه والآيات من المائدة من قوله «ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون» إلى قوله «فاكتبنا مع الشاهدين» قال ابن إسحاق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المسجد جلس إليه المستضعفون من أصحابه خباب وعمار وأبو فكيهة يسار مولى صفوان بن أمية ابن محرث وصهيب وأشباههم من المسلمين هزئت بهم قريش فقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء إليه وما خصهم الله به دوننا فأنزل الله تعالى فيهم «ولا تطرد الذين يدعون ربهم [illegible] ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك ف[illegible] من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على [illegible] ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم» وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس [illegible] غلام نصراني يقال له جبر عبد لابن الحضرمي وكانوا يقولون والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام [illegible] «ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين» «قال ابن هشام» يلحدون إليه [illegible] قال رؤبة بن العجاج إذا تبع الضحاك كل ملحد «قال ابن هشام» يعني الضحاك الخارجي [illegible] وكان العاص بن وائل السهمي فيما بلغني إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فإنما هو رجل [illegible] فأنزل الله في ذلك «إنا أعطيناك الكوثر»

﴿فصل﴾ وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وإيمانهم وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى «الذين قالوا إنا نصارى» ولم يقل من النصارى ولا سماهم هو سبحانه بهذا الاسم وإنما حكى قولهم الذي قالوه حين عرفوا أنفسهم ثم شهد لهم بالإيمان وذكر أنهم [illegible] وإذا كانوا هكذا فليسوا نصارى هم من أمة محمد عليه السلام وإنما عرف النصارى بهذا الاسم لأن مبدأ دينهم كان من ناصرة قرية بالشام فاشتق اسمهم منها كما اشتق اسم اليهود من يهوذ بن يعقوب ثم لا يقال لمن أسلم منهم يهودي فاسم الإسلام أولى بهم فقد خرجوا من ذلك النسب

﴿فصل﴾ وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس إلى مبيعة غلام المبيعة مفعلة من البيعة وقد يجوز أن تكون مفعلة بضم العين وهو قول الأخفش وإذا قلنا بقول سيبويه فهي مفعولة حذفت الواو منها في قول سيبويه حين سكنت [illegible] وفي قول أبي الحسن الأخفش أن [illegible] بدل من الواو الزائدة في مفعولة [illegible] ولا كلام على هذين المذهبين موضع غير هذا وذكر صهيبا وأبا فكيهة وسيأتي ذكر اسم أبي فكيهة والمعروف [illegible] وكذلك صهيب بن سنان وقد مر في هذا الموضع على ذكر اسمه وهو يسار مولى عبد الدار

﴿فصل﴾ وذكر قول العاصي بن وائل إن محمدا أبتر إذا مات انقطع ذكره وأنزل الله تعالى في قوله من سورة الكوثر على قول ابن إسحاق وأكثر المفسرين وقيل إن أبا جهل هو الذي قال ذلك وقيل كعب بن الأشرف ويلزم على هذا القول الأخير أن تكون سورة الكوثر مدنية وقد روى يونس عن أبي عبد الله الجعفي عن جابر الجعفي عن محمد بن علي قال كان القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيبة فلما قبضه الله قال العاصي أصبح محمد أبتر من ابنه فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم إنا أعطيناك الكوثر عوضا يا محمد من مصيبتك بالقاسم فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ولم يقل إن شانئك أبتر [illegible] لأن هو في هذا الموضع تعطي الاختصاص

مثل أن يقول قائل إن زيداً فاسق فلا يكون مخصوصاً بهذا الوصف دون غيره فإذا قلت إن زيداً هو
الفاسق فمعناه هو الفاسق الذي زعمت فدل على أن بالحضرة من يزعم غير ذلك وهكذا قال الجرجاني وغيره
في تفسير هذه الآية أن هو يعطي الاختصاص وكذلك قال في قوله سبحانه «إنه هو أغنى وأقنى» لما كان
العباد يتوهمون أن غير الله قد يغني قال هو أغنى وأقنى أي لا غيره وكذلك قوله تعالى «وأنه هو أمات وأحيا»
إذ كانوا قد يتوهمون في الإحياء والإماتة ما توهمه النمرود حين قال أنا أحيي وأميت أي أنا أقتل من شئت
وأستحيي من شئت فقال عز وجل وأنه هو أمات وأحيا أي لا غيره وكذلك قوله تعالى «وأنه هو رب
الشعرى» أي هو الرب لا غيره إذ كانوا قد اتخذوا أرباباً من دونه منها الشعرى فلما قال وأنه خلق الزوجين
وأنه أهلك عاداً استغنى الكلام عن هو التي تعطي معنى الاختصاص لأنه فعل لم يدعه أحد وإذا ثبت هذا
فكذلك قوله إن شانئك هو الأبتر أي لا أنت والأبتر الذي لا عقب له يتبعه فيجدده كالبتر الذي هو عدم
الذنب فإذا فهمت هذا ونظرت إلى العاصي وكان ذا ولد وعقب وولده عمرو وهشام ابنا العاصي بن وائل
فكيف يثبت له البتر وانقطاع الولد وهو ذو ولد ونسل وعقب عن نبيه وهو يقول «ما كان محمد أبا أحد من
رجالكم» الآية . فالجواب أن العاصي وإن كان ذا ولد فقد انقطعت العصمة بينه وبينهم فلم ينتسبوا أتباعاً له لأن
الإسلام قد حجزهم عنه فلا يرثهم ولا يرثونه وهم من أتباع محمد عليه السلام وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم كما قرأ
أبي بن كعب وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم والنبي أولى بهم كما قال الله سبحانه فهم وجميع المؤمنين أتباع النبي
في الدنيا أتباعه في الآخرة إلى حوضه وهذا معنى الكوثر وهو موجود في الدنيا لكثرة أتباعه فيها الذين
أرواحهم عافية بما فيهم من العلم وكثرة أتباعه في الآخرة الساقين من حوضه ماء الحياة الباقية وعدو الله
العاصي على هذا هو الأبتر على الحقيقة إذ قد انقطع ذكره وأتباعه وصار أولاده أتباعاً لمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك
قوبل تعييره للنبي صلى الله عليه وسلم بالأبتر بما هو ضده من الكوثر فإن الكثرة تضاد معنى القلة ولو قال في
جواب اللعين إنا أعطيناك الحوض الذي من صفته كذا وكذا لم يكن رداً عليه ولا مشاكلاً لجوابه ولكن
جاء باسم يتضمن الخير الكثير والعدد الجم الغفير المضاد لمعنى البتر وأن ذلك في الدنيا والآخرة بسبب
الحوض المورود الذي أعطاه فلا يختص لفظ الكوثر بالحوض بل يجمع هذا المعنى كله ويشتمل عليه
وإذا كانت آنيته كعدد النجوم فيا لهذه الصفة في الدنيا علماء الأمة من أصحابه ومن بعدهم فقد قال
أصحابي كالنجوم وهم يروون العلم عنه ويؤدونه إلى من بعدهم كما تروي الآنية في الحوض وتسقي الواردة
عليه ويقال روي من الماء أي استقى كما يقال روي العلم وكلاهما فيه حياة ومنه قيل لمن روى علماً أو شعراً
راوية تشبيهاً بالمزادة أو الدابة التي يحمل عليها الماء وليس من باب علامة ونسابة وفي حديث أبي هريرة في
صفة الحوض أنها تروى في أكف المؤمنين آنية وحصباء الحوض اللؤلؤ والياقوت وتشبيههما في
الدنيا الحكم المأثورة ألا ترى أن اللؤلؤ في علم التعبير حكم وفوائد علم وفي صفة الحوض له المسك أي حمأته
ويشابهه في الدنيا طيب الثناء على العلماء واتباع الأنبياء كما أن المسك في علم التعبير ثناء حسن وعلم التعبير
من علم النبوة وقد ذكر في صفة الحوض الطير التي ترده كأعناق البخت ويشابهه من صفة العلم في الدنيا
ورود الطالبين من كل صقع وقطر على حضرة العلم وأنبيائهم إياها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وبعده
فتأمل صفة الكوثر وكونه في الدنيا محسوسة في الآخرة مدركة بالعيان تبارك الله ثم لك اعتبار آخر في مطابقة
السورة لسبب نزولها ولذلك قال فصل لربك وانحر أي تواضع لمن أعطاك الكوثر بالصلاة له فإن
الكثرة في الدنيا تدعو في أكثر الخلق إلى الكبر وتحدو إلى الفخر والخيلاء فلذلك كان عليه السلام طأطأ

ما هو خير لك من الدنيا وما فيها والكوثر العظيم

رأسه

قال ابن إسحاق قال لبيد بن ربيعة الكلابي:

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه * وعند الرداع بيت آخر كوثر

«قال ابن هشام» وهذا البيت في قصيدة له «قال ابن هشام» وصاحب ملحوب عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب مات بملحوب وقوله وعند الرداع بيت آخر كوثر يعني شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب مات بالرداع والكوثر أراد الكثير ولفظه مشتق من لفظ الكثير «قال ابن هشام» قال الكميت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وهذا البيت في قصيدة له «قال ابن هشام» وقال أمية بن أبي عائذ الهذلي يصف حمار وحش

يحامي الحقيق إذا ما احتدمن * وحمحم في كوثر كالجلال

يعني بالكوثر الغبار الكثير شبهه لكثرته عليه بالجلال وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن إسحاق حدثني جعفر ابن عمرو «قال ابن هشام» هو جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن عبد الله بن مسلم أخي محمد بن شهاب الزهري عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له يا رسول الله ما الكوثر الذي أعطاك الله قال نهر كما بين صنعاء إلى أيلة آنيته كعدد نجوم السماء ترده طيور لها أعناق كأعناق الإبل قال يقول عمر ابن الخطاب إنها يا رسول الله لناعمة قال آكلها أنعم منها

قال ابن إسحاق وقد سمعت في هذا الحديث أو غيره أنه قال صلى الله عليه وسلم من شرب منه لا يظمأ أبدا * قال ابن إسحاق وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] الإسلام وكلمهم فأبلغ إليهم فقال زمعة بن الأسود والنضر بن الحرث والأسود بن عبد يغوث [illegible] لك تحدث عنك الناس [illegible] وروى فيما يقال فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم وقالوا لولا أنزل [illegible] ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون

رأسه عام الفتح حين رأى كثرة أتباعه وهو على الراحلة حتى ألصق عثنونه بالرحل امتثالا لأمر ربه وكذلك أمره بالنحر شكرا لله ورفع اليدين إلى النحر في الصلاة عند استقبال القبلة التي عندها ينحر والنهر يدي معناه الجمع بين الفعلين النحر المأمور به يوم الأضحى والإشارة إليه في الصلاة برفع اليدين إلى النحر كأن القبلة مجموعة مصلى إليها فكذلك ينحر عندها ويشار إلى النحر عند استقبالها وإلى هذا المعنى أشار عليه السلام حين قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ونسك نسكنا فهو مسلم وقد قال الله سبحانه قل إن صلاتي ونسكي فقرن بين الصلاة إلى الكعبة والنسك إليها كما قرن بينهما حين قال فصل لربك وانحر * وذكر في صفة الحوض كما بين صنعاء وأيلة وقد جاء فيه أيضا في الصحيح كما بين جرباء وأذرح وبينهما مسافة بعيدة وفي الصحيح أيضا في صفته كما بين عدن أبين إلى عمان وقد تقدم ذكر أبين وأنه ابن زهير بن أيمن بن حمير وأن عدن سميت برجل من حمير عدن بها أي أقام وتقدم أيضا ما قاله الطبري أن عدن وأبين هما ابنا عدنان أخوا معد وأما عمان بتشديد الميم وفتح العين فهي بالشام قرب دمشق سميت بعمان بن لوط بن هاران كان سكنها فيما ذكروا وأما عمان بضم العين وتخفيف الميم فهو باليمن سميت بعمان بن سنان وهو من ولد إبراهيم فيما ذكروا وفيه نظر إذ لا يعرف في ولد إبراهيم لصلبه من اسمه سنان وفي صفة الحوض أيضا كما بين الكوفة ومكة وكما بين بيت المقدس والكعبة وهذه كلها روايات متقاربة المعاني وإن كانت المسافات بعضها أبعد من بعض وكذلك الحوض له طول وعرض وزوايا وأركان فيكون اختلاف هذه المسافات التي في الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه ولا أظمأنا في الدنيا والآخرة به ومما جاء في معنى الكوثر ما رواه ابن أبي نجيح عن عائشة قالت الكوثر نهر في الجنة لا يدخل أحد إصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر وقع هذا الحديث في السيرة من رواية يونس ورواه الدارقطني من طريق مالك بن مغول عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله أعطاني نهرا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتي أن يسمع خرير ذلك الكوثر إلا سمعه فقلت يا رسول الله وكيف ذلك قال أدخلي إصبعيك في أذنيك وشدي فالذي تسمعين فيهما من خرير الكوثر وروى الدارقطني من طريق جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي والذي نفسي بيده إنك لذائد عن حوضي يوم القيامة تذود عنه الكفار كما يذاد البعير الضالة عن الماء بعصى من عوسج إلا أن هذا الحديث يرويه حرام بن عثمان عن ابني جابر وقد سئل مالك عنه فقال ليس بثقة وأغلظ فيه الشافعي القول وأما قوله عليه السلام ومنبري على حوضي فقد قيل في معناه أقوال ويفسره عندي الحديث الآخر وهو قوله عليه السلام وهو على المنبر إني لأنظر إلى حوضي الآن من مقامي هذا أو كما قال

﴿فصل﴾ وذكر ابن هشام في الاستشهاد على معنى الكوثر قول لبيد بن ربيعة

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه * وعند الرداع بيت آخر كوثر

وبالغورة الحراب ذو الفضل عامر * فنعم ضياء الطارق المتنور

يسمّى عامر بن مالك ملاعب الأسنة وهو عم لبيد وسيذكر لم سمي ملاعب الأسنة إذا جاء ذكره إن شاء الله تعالى وصاحب ملحوب عوف بن الأحوص وقد ذكره ابن هشام والذي غدا بالرداع شريح بن الأحوص في قوله وقال غيره هو حيان بن عتبة بن مالك بن جعفر بن كلاب والرداع من أرض اليمامة وملحوب مفعول من لحبت العود إذا قشرته وكأن هذا الموضع سمي ملحوبا لأنه لا أكم فيه ولا شجر وذكر حديث المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية فقال فيها استهزئ برسل ثم قال فحاق بالذين سخروا منهم ولم يقل استهزؤوا ثم قال ما كانوا به يستهزئون ولم يقل يسخرون ولا بد في حكمة في هذا من جهة البلاغة وتنزيل الكلام منازله فقوله استهزئ برسل أي أسمعوا من الكلام الذي يسمى استهزاء ما ساءهم بألسنتهم أسمع غير واحد من الرسل وإنما يسمى استهزاء إذا كان مسموعا وهو من فعل الجاهلين قال الله تعالى «أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» وأما السخر والسخري فقد يكون في النفس غير مسموع ولذلك تقول سخرت منه كما تقول عجبت منه إلا أن العجب لا يختص بالمعنى المذموم كما يختص السخر وفي التنزيل خبرا عن نوح «إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون» ولم يقل نستهزئ بكم كما تستهزئون لأن الاستهزاء ليس من فعل الأنبياء إنما هو من فعل الجاهلين كما تقدم من قول موسى عليه السلام فأما السخر أي العجب من كفر من يسخر به ومن سخف عقولهم * فإن قلت فقد قال الله تعالى الله يستهزئ بهم فقد قالت العرب تسمي الجزاء على الفعل باسم الفعل كما قال تعالى «نسوا الله فنسيهم» وهو مجاز حسن وأما الاستهزاء الذي كان يقصده فهو الذي يسمى استهزاء حقيقة ولا يرضى به إلا جهول ثم قال سبحانه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون أي حاق بهم من الوعيد المعد لهم على ألسنة الرسل ما كانوا يستهزئون به بألسنتهم فتبارك الله كل كلمة منزلها ولم تجر في حكم البلاغة وضع واحدة مكان الأخرى وذكر أيضا قوله سبحانه «ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا» أي لو جعلنا الرسول إليهم من الملائكة لم يكن إلا على صورة رجل ولدخل عليهم من اللبس فيه ما دخل في أمر محمد وقوله هذا يدل على أن الأمر كله منه سبحانه فهو يعمي من شاء عن الحق ويفتح بصيرة من شاء وقوله ما يلبسون معناه يلبسون على غيرهم لأن أكثرهم قد عرفوا أنه الحق ولكن جحدوا واستيقنتها أنفسهم فجعلوا يلبسون أي يلبس بعضهم على بعض ويلبسون على أتباعهم وأتباعهم أي يخلطون عليهم بالباطل تقول العرب لبست عليهم الأمر ألبسه أي سترته وخلطته ومن لبس الثياب لبست ألبس لأنه في معنى كسيت وفي مقابلة عريت فجاء على وزنه والآخر في معنى خلطت أو سترت فجاء على وزنه

﴿شرح ما في حديث الإسراء من المشكل﴾

اتفقت الرواة على تسميته إسراء ولم يسمه أحد منهم سرى وإن كان أهل اللغة قد قالوا سرى وأسرى بمعنى واحد فدل على أن أهل اللغة لم يحققوا العبارة وذلك أن القراء لم يختلفوا في التلاوة من قوله «سبحان الذي أسرى بعبده» ولم يقل سرى وقال والليل إذا يسر ولم يقل يسري فدل على أن السرى من سريت إذا سريت ليلا وهي مؤنثة تقول طالت سراك الليلة والإسراء متعد في المعنى ولكن حذف مفعوله كثيرا حتى ظن أهل اللغة أنهما بمعنى واحد لما رأوهما غير متعديين إلى مفعول في اللفظ وإنما أسرى بعبده أي جعل البراق يسري كما تقول أمضيته أي جعلته يمضي لكن كثر حذف المفعول لقوة الدلالة عليه أو للاستغناء عن ذكره إذ المقصود بالخبر ذكر محمد لا ذكر الدابة التي سارت به وجاء في قصة لوط عليه السلام أن يقال له فأسر بأهلك أي سر بهم وإن قرأت فأسر بأهلك بالقطع أي فأسر بهم الدواب التي يحملون عليها من دابة أو جمل ولم يتصور

قال ابن إسحاق ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يلقى بالوليد بن المغيرة وأمية ابن خلف وأبي جهل بن هشام فغمزوه وهمزوه واستهزؤوا به فغاظه ذلك فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون

﴿ذكر الإسراء والمعراج﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال ثم أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس من إيلياء وقد فشا الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها

ذلك في السرى بالنبي صلى الله عليه وسلم اذ لا يجوز ان يقال سرى بعبده بوجه من الوجوه ولذلك لم تأت التلاوة الا بوجه واحد في هذه القصة فتدبره وكذلك يسامح النحويون أصحابي الباء والهمزة ويجعلونهما بمعنى واحد في حكم التعدية ولو كان ما قالوه أصلا لجاز في أمرضته أن تقول مرضت به وفي أسقمته ان تقول سقمت به وفي أعميته ان تقول عميت به قياسا على أذهبته وذهبت به ويأبى الله ذلك والعالمون فإنما الباء تعطي مع التعدية طرفا من المشاركة في الفعل ولا تعطيه الهمزة فاذا قلت أقعدته فمعناه جعلته يقعد ولكنك شاركته في القعود بجذبة بيدك الى الارض أو نحو ذلك فلا بد من طرف من المشاركة اذا قعدت به ودخلت به وذهبت به بخلاف أدخلته وأذهبته ﴿فان قلت﴾ فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم وذهب بسمعهم وأبصارهم وتعالى سبحانه عن ان يوصف بالذهاب أو يضاف اليه طرف منه وانما معناه اذهب نورهم وسمعهم ‹قلنا› في الجواب عن هذا ان النور والسمع والبصر كان بيده سبحانه وقد قال بيده الخير وهذا من الخير الذي بيده واذا كان بيده جاز ان يقال ذهب به على المعنى الذي يقتضيه قوله سبحانه بيده الخير كائنا ما كان ذلك المعنى فعلينا ان نؤمن بالمعنى الآخر الذي في قوله ذهب الله بنورهم مجازا كان أو حقيقة ألا ترى انه لما ذكر الرجس كيف قال ليذهب عنكم الرجس ولم يقل ليذهب به وكذلك قال ويذهب عنكم رجز الشيطان تعليما للعباد حسن الادب معه حتى لا يضاف الى القدوس سبحانه لفظا ومعنى شيء من الارجاس وان كانت خلقا له وملكا فلا يقال هي بيده على الخصوص تحسينا للعبارة وتنزيها له وفي مثل النور والسمع والبصر يحسن ان يقال هي بيده فحسن على هذا ان يقال ذهب به واما أسرى بعبده فان دخول الباء فيه ليس من هذا القبيل فانه فعل لا يتعدى الى مفعول وذلك المفعول المسرى هو الذي يسرى بالعبد مشاركة بالسرى كما قدمنا في قعدت به انه يعطي المشاركة في الفعل أو في طرف منه وتأمله

﴿فصل﴾ ويتقدم بين يدي الكلام في هذا الباب هل كان الاسراء يقظة بجسده أو كان في نومه بروحه كما قال سبحانه «واني لم يبت في نومه»؛ وقد ذكر ابن اسحق عن عائشة ومعاوية انها كانت رؤيا حق وان عائشة قالت لم يفقد بدنه وانما عرج بروحه تلك الليلة ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس» ولم يقل الرؤية وانما يسمى رؤيا ما كان في النوم في عرف اللغة ويحتج أيضا بحديث البخاري عن أنس بن مالك قال لما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو هذا وهو خيرهم وقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل الحديث بطوله وقال في آخره واستيقظ وهو في المسجد الحرام وهذا نص لا اشكال فيه انها كانت رؤيا صادقة وقال أصحاب القول الثاني قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية في اليقظة وأنشدوا للراعي يصف صائدا

وكبر للرؤيا وهش فؤاده * وبشر نفسا كان قبل يلومها

قالوا وفي الآية بيان انها كانت في اليقظة لانه قال وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممن أسلم وقال الكفار يزعم محمد انه أتى بيت المقدس ورجع الى مكة ليلته والعير تطرد اليها شهرا مقبلة وشهرا مدبرة ولو كانت رؤيا نوم لم يستبعد أحد منهم هذا فقد يرى النائم نفسه في السماء وفي المشرق والمغرب فلا يستبعد منه ذلك احتج هؤلاء أيضا بشيء من الاحا

﴿قال ابن اسحق كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري وعائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ومعاوية ابن أبي سفيان والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزهري وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأم هانئ بنت أبي طالب ما اجتمع في هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أسري به صلى الله عليه وسلم وكان في مسراه وما ذكر منه بلاء وتمحيص وأمر من أمر الله في قدرته وسلطانه فيه عبرة لأولي الالباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق وكان من أمر الله على يقين فأسري به كيف شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التي يصنع بها ما يريد وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني عنه يقول أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق وهي الدابة التي كانت تحمل عليها الانبياء قبله تضع حافرها في منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والارض حتى انتهى الى بيت المقدس

الذي كان معطى عند القوم ووجدوه حين أصبح لا ماء فيه وبإرشاده للذين ند بعيرهم حين أنفرهم حس الدابة
وهو البراق حتى دلهم عليه فأخبر أهل مكة بأمارة ذلك حتى ذكر الغرارتين السوداء والزرقاء كما في هذا الكتاب
وفي رواية يونس أنه وعدهم بشأن قدوم العير التي أرشدهم إلى البعير وشرب إناءهم وأنهم سيقدمون ويخبرون
بذلك فقالوا يا محمد متى يقدمون فقال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم ولم يقدموا حتى كربت الشمس أن
تغرب فدعا الله فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف قال ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وليوشع بن نون
وهذا كله لا يكون إلا يقظة وذهبت طائفة ثالثة منهم شيخنا القاضي أبو بكر رحمه الله إلى تصديق المقالتين
وتصحيح الحديثين وأن الإسراء كان مرتين إحداهما كان في نومه توطئة له وتيسيراً عليه كما كان بدء
نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة فإنه عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الإسراء سهله عليه
بالرؤيا لأن هوله عظيم فجاء في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقاً من الله بعبده وتسهيلاً عليه ورأيت المهلب في
شرح البخاري قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء وأنهم قالوا كان الإسراء مرتين مرة في نومه ومرة في
يقظته ببدنه صلى الله عليه وسلم «قال المؤلف» وهذا القول هو الذي يصح وبه تتفق معاني الأخبار ألا ترى
أنه قال في حديث أنس الذي قدمناه ذكره أتاه بلا نية قبل أن يوحى إليه ومعلوم أن الإسراء كان بعد النبوة
وحين فرضت الصلاة كما قدمنا في الجزء قبل هذا وقيل كان قبل الهجرة بعام ولذلك قال في الحديث
فارتد كثير ممن كان قد أسلم ورواة الحديثين حفاظ فلا يستقيم الجمع بين الروايتين إلا أن يكون الإسراء
مرتين وكذلك ذكر في حديث أنس أنه لقي ابراهيم في السماء السادسة وموسى في السابعة وفي أكثر
الروايات الصحيحة أنه رأى ابراهيم عند البيت المعمور في السماء السابعة ولقي موسى في السادسة وفي رواية
ابن اسحق أتي بثلاثة آنية أحدها ماء فقال قائل إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته وفي إحدى روايات
البخاري في الجامع الصحيح أنه أتي بإناء فيه عسل ولم يذكر الماء والرواة ثقات لا سبيل إلى تكذيب
بعضهم ولا توهينهم فدل على صحة القول بأنه كان مرتين وعاد الاختلاف إلى أنه كان كله حقاً ولكن في
حالين ووقتين مع ما يشهد له من ظاهر القرآن فإن الله سبحانه يقول «ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى
فأوحى إلى عبده ما أوحى» ثم قال «ما كذب الفؤاد ما رأى» وهذا نحو ما وقع في حديث أنس من قوله فيما يراه
قلبه وعينه نائمة والفؤاد هو القلب ثم قال «أفتمارونه على ما يرى» ولم يقل ما قد رأى فدل على أن ثم رؤية أخرى
بعد هذه ثم قال «ولقد رآه نزلة أخرى» أي في نزلة نزلها جبريل إليه مرة فرآه في صورته التي هو عليها «عند
سدرة المنتهى إذ يغشى السدرة ما يغشى» قال يغشاها فراش من ذهب وفي رواية يغشاها الياقوت ونبقها
مثل قلال هجر ثم قال «ما زاغ البصر» ولم يقل الفؤاد كما قال في التي قبل هذه فدل على أنها رؤية عين وبصر
في النزلة الأخرى ثم قال «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» وإذا كانت رؤية عين فهي من الآيات
الكبرى ومن أعظم البراهين والعبر وصارت الرؤيا الأولى بالإضافة إلى الأخرى ليست من الكبر لأن ما يراه
العبد في منامه دون ما يراه في يقظته لا محالة وكذلك قال في أكثر الأحاديث أنه رأى عند سدرة المنتهى
نهرين ظاهرين ونهرين باطنين وأخبره جبريل أن الظاهرين النيل والفرات وذكر في حديث أنس أنه
رأى هذين النهرين في السماء الدنيا وقال له الملك هما النيل والفرات أصلهما وعنصرهما فيحتمل أن يكون رأى
في حال اليقظة منبعهما ورأى في المرة الأولى النهرين دون أن يرى أصلهما والله أعلم وقد جاء في تفسير قوله
تعالى «وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض» أنهما النيل والفرات أنزلا من الجنة من أسفل
درجة منها على جناح جبريل فأودعهما بطون الجبال ثم إن الله سبحانه سيرفعهما ويذهب بهما عند رفع

القرآن

فوجد فيه ابراهيم الخليل
وموسى وعيسى في نفر من
الأنبياء قد جمعوا له فصلى بهم
ثم أتي بثلاثة آنية إناء فيه لبن
وإناء فيه خمر وإناء فيه ماء
فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فسمعت قائلا
يقول حين عرضت علي إن
أخذ الماء غرق وغرقت
أمته وإن أخذ الخمر غوى
وغوت أمته وإن أخذ اللبن
هدي وهديت أمته قال
فأخذت إناء اللبن فشربت
منه فقال لي جبريل عليه
السلام هديت وهديت
أمتك يا محمد * قال ابن
اسحق وحدثت عن
الحسن أنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينا
أنا نائم في الحجر إذ جاءني
جبريل فهمزني بقدمه
فجلست فلم أر شيئاً فعدت
إلى مضجعي فجاءني الثانية
فهمزني بقدمه فجلست فلم أر
شيئاً فعدت إلى مضجعي
فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه
فجلست فأخذ بعضدي
فقمت معه فخرج إلى باب
المسجد فإذا دابة أبيض بين
البغل والحمار في فخذيه
جناحان يحفز بهما رجليه
يضع يده في منتهى طرفه
فحملني عليه ثم خرج معي
لا يفوتني ولا أفوته

القرآن وذهاب الإيمان فلا يبقى على الأرض خير وذلك قوله تعالى «وإنا على ذهاب به لقادرون» وفي حديث مسند ذكره النحاس في المعاني بأتم من هذا فاختصرته ووقع في كتاب المعلم للمازري قول رابع في الجمع بين الأقوال قال كان الإسراء بجسده في اليقظة إلى بيت المقدس وكانت رؤيا عين ثم أسري بروحه إلى فوق سبع سموات ولذلك شنع الكفار قوله وأتيت بيت المقدس في ليلتي هذه ولم يشنعوا قوله فيما سوى ذلك

﴿فصل﴾ ومما سئل عنه في هذا الحديث شماس البراق حين ركبه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل أما تستحي يا براق فما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه وقد قيل في تفسيره ما قاله ابن بطال في شرح الجامع الصحيح قال كان ذلك لبعد عهد البراق بالأنبياء وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وروى غيره في ذلك سببا آخر قال في روايته في حديث الإسراء قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شمس به البراق لعلك يا محمد مسست الصفراء اليوم فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما مسها إلا أنه مر بها فقال تبا لمن يعبدك من دون الله وما مسها إلا لذلك وذكر هذه الرواية أبو سعيد النيسابوري في شرف المصطفى والله أعلم وقد جاء ذكر الصفراء في مسند البزار وأنها كانت صنما بعضه من ذهب فكسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفي الحديث الذي خرجه الترمذي من طريق بريدة الأسلمي أنه عليه السلام حين انتهى إلى بيت المقدس قال جبريل بإصبعه إلى الصخرة فخرقها فشد بها البراق وصلى وإن حذيفة أنكر هذه الرواية وقال لم يربطه وقد سخره له عالم الغيب والشهادة وفي هذا من الفقه على رواية بريدة التنبيه على الأخذ بالحزم مع صحة التوكل وأن الإيمان بالقدر كما روي عن وهب بن منبه لا يمنع الحازم من توقي المهالك قال وهب وجدته في سبعين كتابا من كتب الله القديمة وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم قيدها وتوكل فإيمانه صلى الله عليه وسلم بأنه قد سخر له كإيمانه بقدر الله وعلمه بأنه سبق في علم الكتاب ما سبق ومع ذلك كان يتزود في أسفاره ويعد السلاح في حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين في غزوة أحد وربطه للبراق في حلقة الباب من هذا الفن وهو حديث صحيح وقد رواه غير بريدة ووقع في حديث الحارث بن أبي أسامة من طريق أنس ومن طريق أبي سعيد وغيرهما أعني ربطه للبراق في الحلقة التي كانت تربطه فيها الأنبياء غير أن الحديث يرويه داود بن المحبر وهو ضعيف ومما سئل عنه قول الملائكة في كل سماء لجبريل من معك فيقول محمد فيقولون أوقد بعث إليه فيقول نعم هكذا لفظ الحديث في الصحاح ومعنى سؤالهم عن البعث إليه فيما قال بعض أهل العلم أي قد بعث إليه ليعرج به إلى السماء كما قد وجدوا في العلم أنه سيعرج به ولو أرادوا بعثه إلى الخلق لقالوا أوقد بعث ولم يقولوا إليه مع أنه يبعد أن يخفى عن الملائكة بعثه إلى الخلق فلا يعلمون به إلى ليلة الإسراء وفي الحديث الذي تقدم في هذا الكتاب أيضا حين ذكر تسبيح ملائكة السماء السابعة ثم تسبيح ملائكة كل سماء ثم يسأل بعضهم بعضا عن تسبيحهم حتى ينتهي السؤال إلى ملائكة السماء السابعة فيقولون قضى ربنا في خلقه كذا ثم ينتهي الخبر إلى سماء الدنيا الحديث بطوله وفي هذا ما يدل على أن الملائكة قد علمت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين نبئ فإنما قالت أوقد بعث إليه أي قد بعث إليه بالبراق كما تقدم على أن في حديث أنس أن ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل أوقد بعث كما وقع في السير ولكن في أول الحديث أنه هذا إنما جاء في حديث الرؤيا التي رآها قبله كما قدمنا وأن ذلك قبل أن يوحى إليه كما جاء في الحديث نصه وفي هذا قوة لما تقدم من أن الإسراء كان رؤيا ثم كان رؤية ولذلك لم يجد في رواية من الروايات أن الملائكة قالوا أوقد بعث إليه إلا في ذلك الحديث والله أعلم

قال ابن إسحق وحدثت عن قتادة أنه قال حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دنوت منه لأركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحي يا براق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم على الله منه قال فاستحيا حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته

فصل: وذكر باب الحفظة وأن عليه ملكا يقال له إسماعيل، وقد جاء ذكره في مسند الحارث وفيه أن تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك، هكذا لفظ الحديث في رواية الحارث، وفي رواية ابن إسحاق اثنا عشر ألف ملك، هكذا لفظ الحديث، وفي مسند الحارث أيضا وذكر سدرة المنتهى فقال لو غطيت بورقة من ورقها هذه الأمة لغطتهم، وفي صفتها من رواية الجميع فإذا ثمرها كقلال هجر، وفي حديث القلتين من كتاب الطهارة من رواية ابن جريج إذا كان الماء قلتين من قلال هجر لم يحمل الخبث، قالوا والقلتان منها تسعان خمسمائة رطل، قال الترمذي وذلك نحو من خمس قرب. وفي تفسير ابن سلام عن بعض السلف إنما سميت سدرة المنتهى لأن روح المؤمن ينتهى به إليها فيصلي عليه هنالك الملائكة المقربون، قال ذلك في تفسير عليين.

فصل: وفيه أنه رأى آدم في سماء الدنيا وعن يمينه أسودة وعن شماله أسودة، وأن جبريل أعلمه أن الأسودة التي عن يمينه هم أصحاب اليمين، وفي رواية ابن إسحاق تعرض عليه أرواح ذريته فإذا نظر إلى الذين عن يمينه ضحك، وقد سئل عن هذا فقيل كيف رأى عن يمينه أرواح أصحاب اليمين ولم يكن إذ ذاك من أصحاب اليمين إلا نفر قليل، ولعله لم يكن مات تلك الليلة منهم أحد، وظاهر الحديث يقتضي أنهم كانوا جماعة، فالجواب أن يقال إن كان الإسراء رؤيا بالقلب فقد قلنا إن ذلك سيكون، وإن كانت رؤيا عين كما قال ابن عباس رضي الله عنه فإن ذلك أرواح المؤمنين رآها هنالك لأن الله تعالى يتوفى الخلق في منامهم كما قال في التنزيل «الله يتوفى الأنفس حين موتها» فيصعد بالأرواح إلى هنالك فرآها ثم أعيدت إلى أجسادها، وجواب آخر وهو أن أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله تعالى في سورة المدثر في قوله تعالى «إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين» قال ابن عباس هم الأطفال الذين ماتوا صغارا، ولذلك سألوا المجرمين ما سلككم في سقر، لأنهم ماتوا قبل أن يعلموا بكفر الكافرين، وقد ثبت في الصحيح أن أطفال المؤمنين والكافرين في كفالة إبراهيم عليه السلام، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين رآهم في الروضة مع إبراهيم من هؤلاء يا جبريل، فقال أولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا، فقال له وأولاد الكافرين، قال وأولاد الكافرين، خرجه البخاري في الحديث الطويل من كتاب الجنائز وخرجه في موضع آخر فقال فيه أولاد الناس، فهو في الحديث الأول نص وفي الثاني عموم، وقد روي في أطفال الكافرين أنهم خدم لأهل الجنة، فعلى هذا لا يبعد أن يكون الذي رآه عن يمين آدم من نسم ذريته أرواح هؤلاء، وفي هذا ما يدفع تشغيب هذا السؤال والاعتراض فيه.

فصل: وفيه شربه من إناء القوم وهم نيام، والماء وإن كان لا يملك والناس شركاء فيه وفي النار والكلأ كما جاء في الحديث، لكن المستقي إذا أحرزه في وعائه فقد ملكه، فكيف استباح النبي صلى الله عليه وسلم شربه وهو ملك لغيره، وأملاك الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ولا دماؤهم. فالجواب: أن العرب في الجاهلية كان في عرف العادة عندهم إباحة الرسل لابن السبيل فضلا عن الماء، وكانوا يعهدون بذلك إلى رعائهم ويشترطونه عليهم عند عقد إجارتهم ألا يمنعوا الرسل وهو اللبن من أحد مر بهم، وللحكم في العرف في الشريعة أصول تشهد له، وقد ترجم البخاري عليه في كتاب البيوع، وخرج حديث هند بنت عتبة وقوله: خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف.

فصل: وذكر أنه دخل بيت المقدس وجمع له نفر من الأنبياء فصلى بهم، وفي حديث الترمذي الذي قدمناه من حديث حذيفة أنه أنكر أن يكون صلى بهم وقال ما زال عن ظهر البراق حتى رأى الجنة والنار و[illegible]

قال الحسن في حديثه فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى جبريل عليه السلام معه حتى انتهى به إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ثم أتي بإناءين في أحدهما خمر وفي الآخر لبن، قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء اللبن فشرب منه وترك إناء الخمر، قال فقال له جبريل هديت للفطرة وهديت أمتك يا محمد وحرمت عليكم الخمر، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة فلما أصبح غدا على قريش فأخبرهم الخبر فقال أكثر الناس هذا والله الأمر البين، والله إن العير لتطرد شهرا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرا مقبلة أفيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة، قال فارتد كثير ممن كان أسلم، وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا له هل لك يا أبا بكر في صاحبك يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع إلى مكة، قال فقال لهم أبو بكر إنكم تكذبون عليه، فقالوا بلى ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس، فقال أبو بكر والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك، فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه، ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله أحدثت هؤلاء القوم أنك جئت بيت المقدس

هذه الليلة. قال: نعم، قال: يا نبي الله فصفه لي فإني قد جئته. قال الحسن: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فرفع لي حتى نظرت إليه، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبي بكر، ويقول أبو بكر: صدقت، أشهد أنك رسول الله. كلما وصف له منه شيئا قال: صدقت، أشهد أنك رسول الله. قال: حتى إذا انتهى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: وأنت يا أبا بكر الصديق؛ فيومئذ سماه الصديق * قال ابن إسحاق: قال الحسن: وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن إسلامه لذلك: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا. فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دخل فيه من حديث قتادة * قال ابن إسحاق: وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول: ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه * قال ابن إسحاق: وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة. فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك قول الله تبارك وتعالى: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس، ولقول الله تعالى في الخبر عن إبراهيم إذ قال لابنه: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك، ثم مضى على ذلك، فعرفت أن الوحي من الله يأتي الأنبياء أيقاظا ونياما * قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغني: تنام عيني وقلبي يقظان، والله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله على أي حالاته كان نائما أو يقظان، كل ذلك حق وصدق. قال ابن إسحاق: وزعم الزهري عن سعيد بن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى حين رآهم في تلك الليلة فقال: أما إبراهيم فلم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه، وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى كأنه من رجال شنوءة، وأما عيسى بن مريم فرجل أحمر بين القصير والطويل سبط الشعر كثير خيلان الوجه كأنه خرج من ديماس تخال رأسه يقطر ماء وليس به ماء، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفي. «قال ابن هشام: وكانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عمر مولى غفرة عن إبراهيم بن محمد بن علي بن أبي طالب قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام إذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لم يكن بالطويل الممغط ولا القصير المتردد، كان ربعة من القوم، ولم يكن بالجعد القطط ولا السبط، كان جعدا رجلا [illegible]

وعده الله تعالى ثم عاد إلى الأرض، وزيادة العدل مقبولة، ورواية من أثبت مقدمة على رواية من نفى. وذكر فيه صفة الأنبياء، وقال في عيسى: كأن رأسه يقطر ماء وليس به ماء، وكأنه خرج من ديماس. والديماس الحمام، وأصله دماس، ويجمع على دماميس، وقد قيل في جمعه دياميس، ومثله قيراط ودينار، وديباج الأصل فيها كلها التضعيف، ثم قلب الحرف المدغم ياء، فلما جمعوا وصغروا ردوه إلى أصله، والواو في قراريط ودنانير [illegible] ثم يقولوا ديابيس ولا قياريط كما قالوا دياميس، وقالوا ديابيج وديابج. وأصل الدمس التغطية، ومنه ليل دامس. وفي هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام إشارة إلى الري والخصب الذي يكون في أيامه إذا أهبط إلى الأرض والله أعلم * وذكر في صفة موسى أنه آدم طوال، ولوصفه إياه بالأدمة أصل في كتاب الله تعالى، قاله الطبري عند تفسير قوله «تخرج بيضاء من غير سوء» قال: في خروج يده بيضاء آية في أن خرجت بيضاء مخالفة لونه الذي هو لون جسده، وذلك دليل بين على الأدمة التي هي خلاف البياض * وذكر إبراهيم فقال: لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعني نفسه، وفي آخر هذا الكلام إشكال من أجل أن أشبه منصوب في الموضعين، ولكن إذا فهمت معناه عرفت إعرابه، ومعناه: لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم به منه، ثم كرر أشبه توكيدا فصارت لغوا كالمقحم، وصاحبكم معطوف على الضمير الذي في أشبه الأول الذي هو نعت لرجل، وحسن العطف عليه وإن لم يؤكد كما حسن في قوله تعالى «ما أشركنا ولا آباؤنا» من أجل الفصل بلا النافية، ولو أسقط من الكلام أشبه الثاني لكان حسنا، ولو أخر صاحبكم فقال ولا أشبه به صاحبكم منه لجاز، ويكون فاعلا بأشبه الثانية، ويكون من باب قولهم: ما رأيت رجلا أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد، وهي مسألة عذراء لم يفترعها أيدي النحاة بعد، ولم يسف منها قدم منهم، ولابن أحزمين(?) رأينا كلاما فيها، وقد أملينا في غير هذا الكتاب فيها مجموعا شافيا.

﴿فصل﴾ وذكر في صفة النبي صلى الله عليه وسلم ما نعته به علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: لم يكن بالطويل الممغط بالغين المعجمة، وفي غير هذه الرواية بالعين المهملة، وذكر الأوصاف إلى آخرها، وقد شرحها أبو عبيد فقال عن الأصمعي والكسائي وأبي عمرو وغير واحد: قوله ليس بالطويل الممغط أي ليس بالبائن الطويل، ولا القصير المتردد يعني الذي تردد خلقه بعضه على بعض، وهو مجتمع ليس بسبط الخلق، يقول فليس هو كذلك ولكن ربعة بين الرجلين، وهكذا صفته صلى الله عليه وسلم، وفي حديث آخر ضرب

بالمطهم ولا بالمكلثم وكان أبيض مشربا أدعج العينين أهدب الأشفار جليل المشاش والكتد دقيق المسربة أجرد شثن الكفين والقدمين إذا مشى تقلع كأنما يمشي في صبب وإذا التفت التفت معا بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفى الناس ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم * قال محمد بن إسحق وكان فيما بلغني عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها واسمها هند في مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول ما أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة في بيتي فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه فتكشف عن بطنه كأنه قبطية مطوية فقلت له يا نبي الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبوك ويؤذوك قال والله لأحدثنهموه قالت فقلت لجارية لي حبشية ويحك اتبعي محمدا رسول الله حتى تسمعي ما يقول للناس وما يقولون له فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس أخبرهم فعجبوا وقالوا ما آية ذلك يا محمد فإنا لم نسمع بمثل هذا قط قال آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فأنفرهم حس الدابة فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا موجه إلى الشام ثم أقبلت حتى إذا كنت بضجنان مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم إناء فيه ماء وقد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء والأخرى برقاء قالت فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم وسألوهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءا ماء ثم غطوه وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا الآخرين وهم بمكة فقالوا صدق والله لقد أنفرنا في الوادي الذي ذكر وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى أخذناه * قال ابن إسحق وحدثني من لا أتهم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج ولم أر شيئا قط أحسن منه وهو الذي يمد إليه ميتكم عينيه إذا حضر فأصعدني صاحبي فيه حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه ملك من الملائكة يقال له إسماعيل تحت يديه اثنا عشر ألف ملك تحت يدي كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا الحديث وما يعلم جنود ربك إلا هو قال فلما دخل بي قال من هذا يا جبريل قال محمد قال أوقد بعث قال نعم قال فدعا لي بخير

اللحم بين الرجلين * وقوله ليس بالمطهم قال الأصمعي هو التام كل شيء منه على حدته فهو بارع الجمال وقال غير الأصمعي المكلثم المدور الوجه يقول ليس كذلك ولكنه مسنون * وقوله مشرب يعني الذي أشرب حمرة والأدعج العين الشديد سواد العين قال الأصمعي الدعجة هي السواد والجليل المشاش العظيم رؤس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين * وقوله الكتد هو الكاهل وما يليه من جسده وقوله شثن الكفين والقدمين يعني أنهما إلى الغلظ وقوله ليس بالسبط ولا الجعد القطط فالقطط الشديد الجعودة مثل شعور الحبشة ووقع في غريب الحديث لأبي عبيد التام كل شيء منه على حدته يقول ليس كذلك ولكنه بارع الجمال فهذه الكلمة أعني ليس كذلك مخلة بالشرح وقد وجدته في رواية أخرى عن أبي عبيد بإسقاط يقول ليس كذلك ولكن على نص ما ذكرناه آنفا عنه عن الأصمعي والذي في غريب الحديث من تلك الزيادة وهم وقع في الكتاب والله أعلم وأما ما رواه الترمذي عن الأصمعي في شرح المطهم قال هو البادن الكثير اللحم ذكره عن أبي جعفر عن الأصمعي وذكر عنه في الممغط نحو ما قدمناه قال وسمعت أعرابيا يقول تمغط في نشابه أي مدها وفي كتاب العين مغطت الشيء إذا مددته وقال في باب العين المهملة معطت الشيء إذا مددته كما قال في العين المعجمة فعلى هذا يقال فيه ممغط ومنمغط ووزنه منفعل وأدغمت النون في الميم كما أدغمت في نحوه فامحى لما التبس بالمضاعف ولم يدغموا النون في الميم في شاة زنماء ولا في غنم لئلا يلتبس بالمضاعف لو قالوا زماء وغما وقد ذكرنا قبل ما وقع في الترمذي من تفسير الحجلة حيث قال يقال إنه بيض له حيث تكلمنا على خاتم النبوة ووصفه بواحد لاختلاف الرواية فيه والحمد لله

﴿ فصل ﴾ وقد تكلم العلماء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الإسراء فروى مسروق عن عائشة أنها أنكرت أن يكون رآه وقالت من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية واحتجت بقوله سبحانه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وفي مصنف الترمذي عن ابن عباس وكعب الأحبار أنه رآه قال كعب إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال رأيت نورا وفي حديث آخر من كتاب مسلم أنه قال نور أنى أراه وليس في هذا الحديث

وقاله * قال ابن إسحاق وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا فلم يلقني ملك إلا ضاحكا مستبشرا يقول خيرا ويدعو به حتى لقيني ملك من الملائكة فقال مثل ما قالوا ودعا بمثل ما دعوا به إلا أنه لم يضحك ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره فقلت لجبريل يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم قال فقال لي جبريل أما إنه لو كان ضحك إلى أحد كان قبلك أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك لضحك إليك ولكنه لا يضحك هذا مالك خازن النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لجبريل وهو من الله تعالى بالمكان الذي وصف لكم مطاع ثم أمين ألا تأمره أن يريني النار فقال بلى يا مالك أر محمدا النار قال فكشف عنها غطاءها ففارت وارتفعت حتى ظننت لتأخذن ما أرى قال فقلت لجبريل يا جبريل مره فليردها إلى مكانها قال فأمره فقال لها اخبي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه فما شبهت رجوعها إلا وقوع الظل حتى إذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها قال أبو سعيد الخدري في حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بني آدم فيقول لبعضها إذا عرضت عليه خيرا ويسر به ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ويقول لبعضها إذا عرضت عليه أف ويعبس بوجهه ويقول روح خبيثة خرجت من جسد خبيث قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته فإذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وقال روح طيبة خرجت من جسد

بيان شاف أنه رآه وحكي عن أبي الحسن الأشعري أنه قال رآه بعيني رأسه وفي تفسير النقاش عن ابن حنبل أنه سئل هل رأى محمد ربه فقال رآه رآه رآه حتى انقطع صوته * وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وذكر إنكار عائشة أنه رآه فقال الزهري ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس وفي تفسير ابن سلام عن عروة أنه كان إذا ذكر إنكار عائشة أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه يشتد ذلك عليه وقول أبي هريرة في هذه المسألة كقول ابن عباس أنه رآه روى يونس عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين قال سأل مروان أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وفي رواية يونس أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم رآه فقال ابن عمر وكيف رآه فقال ابن عباس كلاما كرهت أن أورده بلفظه لما يوهم من التشبيه ولو صح لكان له تأويل والله أعلم والمتحصل من هذه الأقوال والله أعلم أنه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى والنعيم الأكبر ولكن دون ذلك وإلى هذا يومئ قوله رأيت نورا ونورا أنى أراه في الرؤية الأخرى والله أعلم * وأما الدنو والتدلي فهما خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض المفسرين وقيل إن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام تدلى إلى محمد حتى دنا منه وهذا قول طائفة أيضا وفي الجامع الصحيح في إحدى الروايات فتدلى الجبار وهذا مع صحة نقله لا يكاد أحد من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره أو للغفلة عن موضعه ولا استحالة فيه لأن حديث الإسراء إن كان رؤيا رآها بقلبه وعينه نائمة كما في حديث أنس فلا إشكال فيما يراه في نومه عليه السلام فقد رآه في أحسن صورة ووضع كفه بين كتفيه حتى وجد بردها بين ثدييه رواه الترمذي من طريق معاذ في حديث طويل ولما كانت هذه رؤيا نام لم ينكرها أحد من أهل العلم ولا استشنعها وقد بينا أن حديث الإسراء كان رؤيا نام كان يقظة فإن كان قوله فتدلى الجبار في المرة التي كان فيها غير نائم وكان الإسراء بجسده فيقال فيه من التأويل ما يقال في قوله ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فليس بأبعد منه في باب التأويل ولا نكارة فيه كان في نوم أو يقظة وقد أشرنا إلى تمام هذا المعنى في شرح ما تضمنه لفظ القوسين من قوله قاب قوسين في جزء أمليناه في شرح سبحان الله وبحمده تضمن لطائف من معنى التقديس والتسبيح فلينظر هناك وأمليناه أيضا في معنى رؤية الرب سبحانه في المنام وفي عرصات القيامة مسئلة لقناع الحقيقة في ذلك كاشفة فمن أراد فهم الرؤية والرؤيا فليتطلبها هنالك ويقوي ما ذكرناه من معنى إضافة التدلي إلى الرب سبحانه كما في حديث البخاري ما رواه ابن سنجر مسندا إلى شريح بن عبيد قال لما صعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء فأوحى إلى عبده ما أوحى فلما أحس جبريل دنو الرب خر ساجدا فلم يزل يسبح سبحان رب الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة حتى قضى الله إلى عبده ما قضى قال ثم رفع رأسه فرأيته في خلقه الذي خلق عليه منظوما أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت فخيل إلي أن ما بين عينيه قد سد الأفقين وكنت لا أراه قبل ذلك إلا على صور مختلفة وكنت أكثر ما أراه على صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان أحيانا لا أراه قبل ذلك إلا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال

﴿فصل﴾ ومما يسأل عنه من حديث الإسراء ويتكلم فيه لقاؤه لآدم في السماء الدنيا ولإبراهيم في السماء

طيب وإذا امرأة به روح الكافر فيقول أف منها وكرهها وساءه ذلك ويقول روح خبيثة خرجت من جسد خبيث. قال ثم رأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل في أيديهم قطع من نار كالأفهار يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلماً قال ثم رأيت رجالاً لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالإبل المهيومة حين يعرضون على النار يطؤونهم لا يقدرون على أن يتحولوا (٢٥٠) من مكانهم ذلك قال قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا قال ثم رأيت رجالاً بين أيديهم لحم سمين طيب إلى جنبه لحم غث منتن يأكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب قال قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن قال ثم رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء اللاتي أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم * قال ابن إسحق وحدثني جعفر بن عمرو عن القاسم بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فأكل حرائبهم واطلع على عوراتهم * قال ابن إسحق ثم رجع إلى حديث أبي سعيد الخدري قال ثم أصعدني إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا قال ثم أصعدني إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا أخوك يوسف بن يعقوب قال ثم أصعدني إلى السماء الرابعة فإذا فيها رجل فسألته من هو فقال هذا إدريس قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعناه مكاناً علياً قال ثم أصعدني إلى السماء الخامسة فإذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية عظيم العثنون لم أر كهلاً أجمل منه قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا المحبب في قومه هرون بن عمران قال ثم أصعدني إلى السماء السادسة فإذا فيها رجل آدم طويل أقنى كأنه من رجال شنوءة فقلت له من هذا يا جبريل قال هذا أخوك موسى بن عمران

السابعة وغيرهما من الأنبياء الذين لقيهم في غيرها من السماوات والحكمة في اختصاص كل واحد منهم بالسماء التي رآه فيها وسؤال آخر في اختصاص هؤلاء الأنبياء باللقاء دون غيرهم وإن كان رأى الأنبياء كلهم فما الحكمة في اختصاص هؤلاء الأنبياء بالذكر وقد تكلم أبو الحسن بن بطال في شرح البخاري على هذا السؤال فلم يصنع شيئاً ومعنى كلامه الذي أشار إليه أن الأنبياء لما علموا بقدومه عليهم ابتدروا إلى لقائه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم فمنهم من أسرع ومنهم من أبطأ إلى هذا المعنى أشار فلم نرد عليه والذي أقول في هذا إن مأخذ فهمه من علم التعبير فإنه من علم النبوة وأهل التعبير يقولون من رأى نبياً بعينه في المنام فإن رؤياه تؤذن بما يشبه حال ذلك النبي من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التي أخبر بها عن الأنبياء في القرآن والحديث وحديث الإسراء كان بمكة وهي حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله لأن فيها بيته فأول ما رأى عليه السلام من الأنبياء آدم الذي كان في أمن الله وجواره فأخرجه عدوه إبليس منها وهذه القصة تشبهها الحالة الأولى من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته فكربه ذلك وغمه وأشبهت قصته في هذا قصة آدم مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر والفاجر منهم وكان في السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن أرواح أهل الشقاء لا تلج في السماء ولا تفتح لهم أبوابها كما قال الله تعالى ثم رأى في الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود أما عيسى فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيى فقتلوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بإلقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله تعالى كما نجى عيسى منهم ثم سموه في الشاة فلم تزل تلك الأكلة تعاوده حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت وهكذا فعلوا بابني الخالة عيسى ويحيى لأن أم يحيى أشياع بنت عمران أخت مريم ابنة عمران أمهما واحدة وأما لقاؤه ليوسف في السماء الثالثة فإنه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف وذلك أن يوسف ظفر بإخوته بعدما أخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم الآية وكذلك نبينا عليه السلام أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق ومنهم من قبل فداءه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم أقول ما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم ثم لقاؤه لإدريس في السماء الرابعة وهو المكان الذي سماه الله مكاناً علياً وإدريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مؤذناً بحالة رابعة وهي علو شأنه عليه السلام حتى أخاف الملوك وكتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبي عليه السلام ورأى ما رأى من خوف هرقل لقد أمر أمر ابن أبي كبشة حتى أصبح يخافه ملك بني الأصفر وكتب عنه بالقلم إلى جميع ملوك الأرض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي وملك عمان ومنهم من هادنه وأهدى إليه وأتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه فأظفره الله به فهذا مقام علو وخط بالقلم كنحو ما أوتي إدريس عليه السلام ولقاؤه في السماء الخامسة لهارون المحبب في قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه ولقاؤه في السماء السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على

الجبارة

الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بني إسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد إهلاك عدوهم وكذلك غزى
رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة حتى صالحه على الجزية بعد
أن أتي به أسيرا وافتتح مكة ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه ثم لقاؤه في السماء السابعة لإبراهيم عليه
السلام لحكمتين إحداهما أنه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره إليه والبيت المعمور حذو مكة وإليه تحج
الملائكة كما أن إبراهيم هو الذي بنى الكعبة وأذن في الناس بالحج إليها والحكمة الثانية أن آخر أحوال
النبي صلى الله عليه وسلم حجه إلى البيت الحرام وحج معه نحو من سبعين ألفا من المسلمين ورؤية إبراهيم
عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعي إليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة فقد انتظم في هذا الكلام
الجواب عن السؤالين المتقدمين أحدهما السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر والآخر السؤال عن تخصيصهم
بهذه الأماكن من السماء الدنيا إلى السابعة وكان الحزم ترك التكلف لتأويل ما لم يرد فيه نص عن السلف
ولكن عارض هذا الغرض ما يجب من التفكر في حكمة الله والتدبر لآيات الله وقول الله تعالى «إن في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون» وقد روي أن تفكر ساعة خير من عبادة سنة ما لم يكن التنطع والتكلف خارجا من
ملاحظة الكتاب والسنة ومقتضى كلام العرب فعند ذلك يكون القول في الكتاب والسنة بغير علم عصمنا
الله تعالى من ذلك وجعلنا من المتأملين لأمره حيث يقول فاعتبروا يا أولي الأبصار وليدبروا آياته وليتذكر
أولوا الألباب ولولا إسراع الناس إلى إنكار ما جهلوه وغلظ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لأبدينا من سر
هذا السؤال وكشف الغطاء عن الحكمة في هؤلاء الأنبياء المسمين في هذه المراتب أكثر مما كشفنا

(فصل) وذكر البيت المعمور وأنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك روى ابن سنجر عن علي رحمه الله
قال البيت المعمور بيت في السماء السابعة يقال له الضراح واسم السماء السابعة عريبا وروى أبو بكر الخطيب
بإسناد صحيح إلى وهب بن منبه قال من قرأ البقرة وآل عمران يوم جمعة كان له نور ما بين عريبا
وجريبا وجريبا هي الأرض السابعة وذكر عن عبد الله بن أبي الهذيل قال البيت المعمور يدخله كل يوم
سبعون ألف دحية عند كل دحية سبعون ألف ملك رواه عنه أبو إسحاق قال أبو سلمة ذات
ما الدحية قال الرئيس وروى ابن سنجر أيضا من طريق أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في
السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال مكة وفي السماء السابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم
فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا
يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدا يولى عليهم أحدهم
يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله إلى أن تقوم الساعة

(فصل) وأما فرض الصلاة عليه هنالك ففيه التنبيه على فضلها حيث لم تفرض إلا في الحضرة المقدسة
ولذلك كانت الطهارة من شأنها ومن شرائط أدائها والتنبيه على أنها مناجاة الرب وأن الرب تعالى مقبل
بوجهه على المصلي يناجيه يقول حمدني عبدي أثنى علي عبدي إلى آخر السورة وهذا أيضا مشاكل لفرضها عليه
في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب وناجاه ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يطهر
المصلي للصلاة وأخرج عن الدنيا بجسمه كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شيء إلا مناجاة ربه
وتوجهه إلى قبلته في ذلك الحين وهو بيت المقدس ورفع إلى السماء كما يرفع المصلي يديه إلى جهة السماء إشارة
إلى القبلة العليا وهي البيت المعمور وإلى جهة عرش من يناجيه ويصلي له تبارك

(فصل) وأما فرض الصلوات خمسين ثم حطها إلى خمس [illegible]

ثم أصعدني إلى السماء السابعة فإذا فيها كهل جالس على كرسي إلى باب البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك
لا يرجعون فيه إلى يوم
القيامة لم أر رجلا أشبه
بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه
به منه قال قلت من هذا
يا جبريل قال هذا أبوك
إبراهيم قال ثم دخل بي
الجنة فرأيت فيها جارية
لعساء فسألتها لمن أنت
وقد أعجبتني حين رأيتها
فقالت لزيد بن حارثة
فبشر بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم زيد
ابن حارثة قال ابن
إسحق ومن حديث ابن
مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم فيما
بلغني أن جبريل لم يصعد به
إلى سماء من السموات إلا
قال له حين يستأذن في دخولها
من هذا يا جبريل فيقول محمد
صلى الله عليه وسلم
فيقولون أوقد بعث إليه
فيقول نعم فيقولون حياه الله
من أخ وصاحب حتى انتهى
به إلى السماء السابعة ثم
انتهى به إلى ربه ففرض
عليه خمسين صلاة كل يوم
قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأقبلت راجعا فلما
مررت بموسى بن عمران
ونعم الصاحب كان لكم
سألني كم فرض عليك من
الصلاة فقلت خمسين
صلاة كل يوم فقال إن
[illegible]
[illegible]

فاسأله أن يخفف عنك وعن أمتك [illegible]
ذلك فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي [illegible]

انها حطت خمسا بعد خمس وقد يمكن الجمع بين الروايتين لدخول الخمس في العشر فقد يتكلم في هذا النقص من الفريضة أهو نسخ أم لا على قولين فقال قوم هو من باب نسخ العبادة قبل العمل بها وأنكر ابو جعفر النحاس هذا القول من وجهين أحدهما البناء على أصله ومذهبه في ان العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها لان ذلك عنده من البداء والبداء محال على الله سبحانه الثاني ان العبادة ان جاز نسخها قبل العمل بها عند من يرى ذلك فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها الى الارض ووصولها الى المخاطبين قال وانما ادعى النسخ في هذه الصلوات الموضوعة عن محمد وأمته القاشاني ليصحح بذلك مذهبه في أن البيان لا يتأخر ثم قال أبو جعفر انما هي شفاعة شفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته ومراجعة راجعها ربه ليخفف عن أمته ولا يسمى مثل هذا نسخا (قال المؤلف) اما مذهبه في ان العبادة لا تنسخ قبل العمل بها وان ذلك بداء فليس بصحيح لان حقيقة البداء ان يبدو للآمر رأى يتبين له الصواب فيه بعد أن لم يكن تبينه وهذا محال في حق من يعلم الاشياء بعلم قديم وليس النسخ من هذا في شئ انما النسخ تبديل حكم بحكم والكل في سابق علمه ومقتضى حكمته كنسخه المرض بالصحة والصحة بالمرض ونحو ذلك وأيضا فان العبد المأمور يحصل عليه عند توجه الامر اليه ثلاث عبادات الفعل الذي أمر به والعزم على الامتثال عند سماع الامر واعتقاد الوجوب ان كان واجبا فان نسخ الحكم قبل الفعل فقد حصلت فائدتان العزم واعتقاد الوجوب وعلم الله ذلك منه فصح امتحانه له واختباره اياه وأوقع الجزاء على حسب ما علم منه وانما الذي لا يجوز نسخ الامر قبل نزوله وقبل علم المخاطب به والذي ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها ليس هو حقيقة النسخ لان العبادة المأمور بها قد مضت وانما جاء الخطاب بالنهي عن مثلها لا عنها * وقولنا في الخمس والاربعين صلاة الموضوعة عن محمد وأمته أحد وجهين اما أن يكون نسخ ما وجب على النبي صلى الله عليه وسلم من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب وهذا قد قدمنا انه نسخ على الحقيقة ونسخ عنه ما وجب عليه من التبليغ فقد كان في كل مرة عازما على تبليغ ما أمر به وقول أبي جعفر انما كان شافعا ومراجعا ينفي النسخ فان النسخ قد يكون عن سبب معلوم فشفاعته عليه السلام كانت سببا للنسخ لا مبطلة لحقيقته ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس في خاصته وأما أمته فلم ينسخ عنهم حكم اذلا يتصور نسخ الحكم قبل بلوغه الى المأمور كما قدمنا وهذا كله أحد الوجهين في الحديث والوجه الثاني أن يكون هذا خبرا لا تعبدا واذا كان خبرا لم يدخله النسخ ومعنى الخبر انه عليه السلام أخبره ربه ان على أمته خمسين صلاة ومعناه انها خمسون في اللوح المحفوظ وكذلك قال في آخر الحديث هي خمس وهي خمسون والحسنة بعشر أمثالها فتأوله رسول الله صلى الله عليه وسلم على انها خمسون بالفعل فلم يزل يراجع ربه حتى بين له انها خمسون في الثواب لا بالعمل (فان قيل) فما معنى نقصها عشرا بعد عشر (قلنا) ليس كل الخلق يحضر قلبه في الصلاة من أولها الى آخرها وقد جاء في الحديث انه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها وان العبد يصلي الصلاة فيكتب له نصفها ربعها حتى انتهى الى عشرها ووقف فهي خمس في حق من كتب له عشرها وعشر في حق من كتب له أكثر من ذلك وخمسون في حق من كملت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها

﴿فصل﴾ وذكر انه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة الا ضاحكا مستبشرا الا مالكا خازن جهنم وذلك انه لم يضحك لاحد قبله ولا هو ضاحك لاحد وصدق في هذا في كتاب الله تعالى قال الله سبحانه «عليها ملائكة غلاظ شداد» وهم يوكلون بغضب الله تعالى فالغضب لا يزايلهم أبدا وفي هذا الحديث معارضة

فوضع عني عشرا ثم رجعت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألته فوضع عني عشرا فمررت على موسى ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك كلما رجعت اليه قال فارجع فاسأل حتى انتهيت الى ان وضع ذلك عني الا خمس صلوات في كل يوم وليلة ثم رجعت الى موسى فقال لي مثل ذلك فقلت قد راجعت ربي وسألته حتى استحييت منه فما انا فاعل فمن أداهن منكم ايمانا بهن واحتسابا لهن كان له أجر خمسين صلاة صلوات الله على محمد صلى الله عليه وسلم

للحديث الذي في صفة ميكائيل أنه ما ضحك منذ خلق الله جهنم وكذلك يعارضه ما خرّج الدارقطني
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم في الصلاة فلما انصرف سئل عن ذلك فقال رأيت ميكائيل راجعا
من طلب القوم وعلى جناحيه الغبار فضحك إليّ فتبسمت إليه وإذا صح الحديثان فوجه الجمع بينهما أن يكون
لم يضحك منذ خلق الله النار إلى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الحديث عاما
يراد به الخصوص أو يكون الحديث الأول حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هذا الحديث الأخير
ثم حدث بعد بما حدث به من ضحكه إليه والله أعلم ولم ير آكل الربا على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة
ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع أن ينظر إليه وذكر أكلة الربا وأنهم بسبيل آل فرعون يمرون عليهم
كالإبل المهيومة وهي العطاش والهيام شدة العطش وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مهيومة كما
لا يقال معطوشة إنما يقال هائم وهيمان وقد يقال هيوم ويجمع على هيم ووزنه فعل بالضم لكن كسر من أجل
الياء كما قال تعالى «فشاربون شرب الهيم» ولكن جاء في الحديث مهيومة كأنه شيء فعل بها كالمحمومة
والمجنونة وكأنه يهوم وهو الذي لا يشبع وكان قياس الياء أن تعتل فيقال مهيمة كما يقال مبيعة في معنى مبيوعة
ولكن صحت الياء لأنها في معنى الهيومة كما صحت الواو في عور لأنه في معنى أعور وكما صحت في حوروا لأنه في
معنى تجاوروا وإنما رآهم مبقرة بطونهم لأن العقوبة مشاكلة للذنب فآكل الربا يربو بطنه كما أراد أن
يربو ماله بأكل ما حرم عليه فمحقت البركة من ماله وجعلت نفخا في بطنه حتى يقوم كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس وإنما جعلوا بطريق آل فرعون يمرون عليهم غدوّا وعشيا لأن آل فرعون هم أشد الناس
عذابا يوم القيامة كما قال سبحانه «أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» فخصوا بسبيلهم ليعلم أن الذين هم
أشد الناس عذابا يطؤونهم فضلا عن غيرهم من الكفار وهم لا يستطيعون القيام ومعنى كونهم في طريق
جهنم بحيث يمر بالكفار عليهم أن الله سبحانه قد أوقف أمرهم بين أن يتوبوا فيكون خيرا لهم وبين أن
يعودوا ويصروا فيدخلهم النار وهذه صفة من هو في طريق النار قال الله تعالى «فمن جاءه موعظة من
ربه فانتهى» إلى آخر الآية وفي بعض المسندات أنه رأى بطونهم كالبيوت يعني أكلة الربا وفيها حيات
ترى من خارج البطون (فإن قيل) هذه الأحوال التي وصفها عن أكلة الربا إن كانت عبارة عن حالهم في
الآخرة فآل فرعون في الآخرة قد أدخلوا أشد العذاب وإنما يعرضون على النار غدوّا وعشيا
في البرزخ وإن كانت هذه الحال التي رآهم عليها في البرزخ فأي بطون لهم وقد صاروا عظاما ورفاتا ومزقوا
كل ممزق (فالجواب) أنه إنما رآهم في البرزخ لأنه حدث عما رأى وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت
وفيها تصحيح لمن قال الأرواح أجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب فيخلق الله في تلك الأرواح من الآلام
ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطئ بالأقدام ولا يستطيع من قيامه وليس في هذا الحديث دليل على أنهم أشد
عذابا من آل فرعون ولكن فيه دليل على أنهم يطؤهم آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الربا
ما داموا في البرزخ إلى أن يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم ينادي منادي الله
«ادخلوا آل فرعون أشد العذاب» وكذلك ما رأى من النساء المعلقات بثديهن يجوز أن يكون رأى
أرواحهن وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله ويحتمل أيضا أن يكون مثلت له حالهن في الآخرة
وذكر الذين يدعون ما أحل الله من نسائهم ويأتون ما حرم عليهم وهذا يعم على تحريم إتيان النساء في
أعجازهن وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والإجماع وقد ذكرنا المواضع التي تقوم بها
الحجة على هذه المسألة من كتاب الله ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا ما جاء في ذلك

عن ابن عباس من قوله هو الكافر وقول ابن عمر هي اللوطية الصغرى وأما الاجماع فان المرأة ربداء الفرج ولو جاز وطؤها في المسلك الآخر ما أجمعوا على ردها بداء الفرج وقد مهدنا الادلة على هذه المسئلة مفردة في غير هذا الاملاء بما فيه شفاء والحمد لله * وقوله فأكل جرائبهم الجريبة المال وهو من الحرب وهو السلب يريد أن الولد اذا كان لغير رشدة نسب الى الذي ولد على فراشه فيأكل من ماله صغيرا وينظر الى بناته من غير أمه والى اخواته وليس بعمات له والى أمه وليست بجدة له وهذا فساد كبير واغا قدم ذكر الاكل من جريبته وماله قبل الاطلاع على عوراته وان كان الاطلاع على العورات أشنع لان نفقته عليه أول من حال صغره ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عوراته أولا يبلغ وأيضا فان الام ان أرضعته بلبانها ولم تدفعه الى مرضعة كان الزوج أباه من الرضاعة وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة وفي ذلك نقصان من الشناعة فان بلغ الصبي وماتت الام وأعلمته انه لغير رشدة لستعفف عن ميراثهم وتكف عن الاطلاع على عوراتهم أو علم ذلك بقرينة حال وجب عليه ذلك وان كان شر الثلاثة كما جاء في الحديث في ابن الزنى وقد تؤول حديث شر الثلاثة على وجوه هذا أقربها الى الصواب لقوله عليه السلام أكل جرائبهم واطلع على عوراتهم ومن فعل هذا عن عمد وقصد فهو شر الناس وان لم يعلم فأكلا واطلاعه شر عمل وأبواه حين زنيا فارقا ذلك العمل الخبيث لخبثهما والابن في عمل خبيث من منشئه الى وفاته فعمله شر عمل وفي هذا الحديث من الفقه أيضا أن حكم الحاكم لا يحل حراما وذلك ان الولد في حكم الشريعة للفراش الا ان ينفى باللعان فاذا حكم الحاكم بهذا وعلم الولد عند بلوغه خلاف ما حكم به الحاكم لم يحل له بهذا الحكم ما حرم الله عليه من أكل الجرائب والاطلاع على العورات وفي هذا رد لمذهب أبي حنيفة من قوله ان حكم الحاكم قد يحل ما يعلم انه حرام مثل ان يشهد شاهدان على رجل انه طلق وهما يعلمان انه لم يطلق فقبل القاضي شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل فاذا بانت منه كان لاحد الشاهدين ان ينكحها مع علمه بانه قد شهد زورا ولم يقل أبو حنيفة بهذا القول في الاموال لقول النبي عليه السلام لعل أحدكم ان يكون ألحن بحجته من صاحبه فاقضي له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار وفي هذا الحديث مع الذي قدمنا رد لمذهبه ولا حجة له في ان يقول ذلك مخصوص بالاموال من وجهين أحدهما ان القياس أصل من أصوله وقياس المسئلتين واحد * الثاني انه قال من حق أخيه ولم يقل من مال أخيه وهذا اللفظ يعم الحقوق كلها

﴿قال المؤلف﴾ وعندي ان أبا حنيفة رحمه الله انما بنى هذه المسئلة على أصله في طلاق المكره فانه عنده لازم فاذا أكره الرجل على الطلاق وقلنا بلزوم الطلاق له فقد حرمت المرأة عليه واذا حرمت عليه جاز ان ينكحها من شاء فالامر انما يتعلق في هذا المذهب بالشهادة دون النكاح وقد خالفه فقهاء الحجاز في طلاق المكره وقولهم يعضد الاثر وقول أبي حنيفة يعضده النظر والخوض في هذه المسئلة يصد بنا عما نحن بسبيله

﴿فصل﴾ وذكره لادريس في السماء الرابعة مع قوله تعالى «ورفعناه مكانا عليا» مع انه قد رأى موسى وابراهيم في مكان أعلى من مكان ادريس وذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الاحبار ان ادريس خص من جميع الانبياء ان رفع قبل وفاته الى السماء الرابعة ورفعه ملك كان صديقا له وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر وكان ادريس سأله ان يريه الجنة فأذن له الله في ذلك فلما كان في السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت فعجب وقال أمرت ان أقبض روح ادريس الساعة في السماء الرابعة ثم قبضه الملك ورفعه الى ذلك المكان العلي خاصا له دون الانبياء

﴿فصل﴾ وذكر نزول الانبياء في كل سماء مرحبا بالاخ الصالح وقول آدم وابراهيم بالابن الصالح

* قال ابن إسحق: فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله تعالى صابرا محتسبا مؤديا إلى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والأذى. وكان عظماء المستهزئين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم * من بني أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب: الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به فقال: اللهم أعم بصره وأثكله ولده * ومن بني زهرة بن كلاب: الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة. ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. ومن بني

سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب: العاص بن وائل بن هشام «قال ابن هشام» العاص بن وائل بن هاشم ابن سعيد بن سهم. ومن بني خزاعة: الحرث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحرث بن عبد عمرو بن ملكان. فلما تمادوا في الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى عليه «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون» * قال ابن إسحق: حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه فمر به الأسود بن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي. ومر به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى فمات منه حبنا. ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سبله، وذلك أنه مر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بإزاره فخدش في رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتقض به فقتله. ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته. ومر به الحرث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخض قيحا فقتله * قال ابن إسحق: فلما حضرت الوليد الوفاة دعا بنيه وكانوا ثلاثة: هشام بن الوليد والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد فقال لهم: أي بني أوصيكم [illegible] فلا تضيعوا فيهن [illegible]

وقد ذكرنا في أول هذا الكتاب حجة لمن قال إن إدريس ليس بجد لنوح ولا هو من آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه قال: مرحبا بالأخ الصالح ولم يقل بالابن الصالح. وأما إشفاق موسى عليه السلام بهذه الأمة والحاجة على نبيها أن يشفع لها ويسأل التخفيف عنها فلقوله والله أعلم حين قضي إليه الأمر بجانب الغربي ورأى صفات أمة محمد عليه السلام في الألواح وجعل يقول إني أجد في الألواح أمة صفتهم كذا اللهم اجعلهم أمتي فيقال له تلك أمة أحمد وهو حديث مشهور فكان إشفاقه عليهم واعتناؤه بأمرهم كما يعتني بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلني منهم والله أعلم * ومما جاء في حديث الإسراء مما لم يذكره ابن إسحق في مسند الحارث بن أبي أسامة أنه عليه السلام ناداه مناد وهو على ظهر البراق يا محمد فلم يعرج عليه ثم ناداه آخر يا محمد يا محمد ثلاثا فلم يعرج عليه ثم لقيته امرأة عليها من كل زينة ناشرة يديها تقول يا محمد يا محمد حتى تغشاه فلم يعرج عليها ثم سأل جبريل عما رأى فأخبره فقال أما المنادي الأول فداعي اليهود لو أجبته لتهودت أمتك وأما الآخر فداعي النصارى لو أجبته لتنصرت أمتك وأما المرأة التي كان عليها من كل زينة فإنها الدنيا لو أجبتها لآثرت الدنيا على الآخرة

﴿فصل﴾ وذكر حديث المستهزئين الذين أنزل الله فيهم «إنا كفيناك المستهزئين» وذكر فيهم الحارث بن الطلاطلة والطلاطلة أمه قاله أبو الوليد الوقشي والطلاطلة في اللغة الداهية * قال أبو عبيد كل داء عضال فهو طلاطلة وذكر في نسبه عبد عمرو بن ملكان وملكان بالضبطين جميعا وفي حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبي بحر قال قد تقدم من قول ابن حبيب النحوي أن الناس ليس فيهم ملكان بفتح الميم وإسكان اللام إلا ملكان بن جرم بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وملكان بن عباد بن عياض بن عقبة بن السكون بن أشرس وأخوه عدي هم بطن عزيز وأمهم [illegible] بنت دهم بن ثوبان وهم من كندة وكل من في الناس وغيرهما ملكان مكسور الميم ساكن اللام وقال مشايخ خزاعة في خزاعة ملكان بفتح الميم قال القاضي يعني ابن حبيب ملكان بن أفصى بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وقال غير ابن حبيب كالذي يخرج من عبارته أن الذي في خزاعة إنما هو ملكان بن أفصى مثل ملكان بن عدي بن عبد مناة من الرباب الذين منهم ذو الرمة الشاعر ومثل ملكان بن عبدة [illegible] من الرباب أيضا رهط سفيان بن سعيد الثوري. وذكر في المستهزئين الأسود بن عبد يغوث الزهري روي أنه لما أنزل الله تعالى «إنا كفيناك المستهزئين» نزل جبريل عليه السلام فخاطب الأسود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالي خالي فقال له جبريل خل عنك ثم [illegible] حتى قتله ذكره الدارقطني

﴿فصل﴾ وذكر وفاة الوليد بن المغيرة وقوله لبنيه وعهده عند أن أبا أزيهر الدوسي لا تدعوه [illegible]

بأمره ولكني أخشى أن تسبوا به بعد اليوم رجلاً في ثقيف فلا تدعوه حتى تأخذوه وعقري عند أبي أزيهر الدوسي فلا يفوتنكم به وكان أبو أزيهر قد زوجه بنتاً ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات فلما هلك الوليد بن المغيرة وثبت بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهم عقل الوليد وقالوا إنما قتله سهم صاحبكم وكان لبني كعب حلف من بني عبد المطلب بن هاشم فأبت عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا أشعاراً وغلظ بينهم الأمر وكان الذي أصاب الوليد سهمه رجلاً من بني كعب بن عمرو من خزاعة فقال عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

إني زعيم أن تسيروا فتهربوا * وأن تتركوا الظهران تعوي ثعالبه

وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا * وأن تسألوا أي الأراك أطايبه

فإنا أناس لا تطل دماؤنا * ولا يتعالى صاعداً من نحاربه

وكانت الظهران والأراك منازل بني كعب من خزاعة * فأجابه الجون بن أبي الجون أخو بني كعب بن عمرو الخزاعي فقال

والله لا نؤتي الوليد ظلامة * ولما تروا يوماً تزول كواكبه

ويصرع منكم مسمن بعد مسمن * وتفتح بعد الموت قسراً مشاربه

إذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم * فكلكم باكي الوليد ونادبه

ثم إن الناس ترادوا وعرفوا إنما يخشى القوم السبة فأعطتهم خزاعة بعض العقل وانصرفوا عن بعض فلما اصطلح القوم قال الجون بن أبي الجون

وقائلة لما اصطلحنا تعجباً * لما قد حملنا للوليد وقائل

ألم تقسموا تؤتوا الوليد ظلامة * ولما تروا يوماً كثير البلابل

فنحن خلطنا الحرب بالسلم فاستوت * فأم هواه آمناً كل راحل

صحت

ثم لم ينته الجون بن أبي الجون حتى افتخر بقتل الوليد وذكر أنهم أصابوه وكان ذلك باطلاً فلحق الوليد بولده وقومه من ذلك ما حذره فقال الجون بن أبي الجون

ألا زعم المغيرة أن كعباً * بمكة منهم قدر كثير

فلا تفخر مغيرة أن تراها * بها يمشي المعلهج والمهير

بها آباؤنا وبها ولدنا * كما أرسى بمثبته ثبير

وما قال المغيرة ذاك إلا * ليعلم شأننا أو يستثير

فإن دم الوليد يطل إنا * نطل دماء أنت بها خبير

كساه الفاتك الميمون سهماً * زعافاً وهو ممتلئ بهير

فخر ببطن مكة مسلحباً * كأنه عند وجبته بعير

الفرج المغصوب وأصله في البكر من أجل التدمية وهو من عقر السرج الفرس إذا أدماه وبيضة العقر مثل لأنهم كانوا يفتنون البكر بالبيضة ليعرفوا بكورتها وقيل عقر بضم العين لأنه بمعنى بضع وذكر قتل هشام بن الوليد لأبي أزيهر وخبر أم غيلان مع ضرار حين أجارته ومن غنام الحبران دوساً لما بلغها مقتل أبي أزيهر الدوسي وثبت على رجال من قريش كانوا عندهم ثقة ليقتلوهم بحير بن العوام أخا الزبير وأرادوا قتل ضرار بن الخطاب فأجارته أم غيلان واستغاثت قال ضرار لقد أدخلتني بين درعها وبدنها حتى إني لأجد مس شيء ركبها والمسند موضع الحلق من الشعر وكان الذي قتل بحيراً صبيح بن سعد أو مليح بن سعد جد أبي هريرة لأمه لأن أمه أميمة بنت مليح أو صبيح

(فصل) وذكر شعر عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وفيه * وأن تتركوا ماء بجزعة أطرقا * والجزعة والجزع بمعنى واحد وهو منعطف الوادي * وقال ابن الأعرابي هو ما اتسع منه وأطرقا اسم علم لموضع سمي بفعل الأمر للاثنين فهو يحكى ولا يعرب وقيل إن أصل تسميته بذلك أن ثلاثة نفر وأنها جائفين سمع أحدهم صوتاً فقال لصاحبيه أطرقا أي انصتا حتى نرى ما هذا الصوت فسمي المكان بأطرقا والله أعلم وذكر شعر الجون بن أبي الجون * وفيه ألم تقسموا تؤتوا الوليد ظلامة أراد أن تؤتوا ومعناه أن لا تؤتوا كما جاء في التنزيل «يبين الله لكم أن تضلوا» في قول طائفة ومعناه عندي كراهية أن تضلوا وقد قدمنا في الجزء قبل هذا كلاماً على أن ومقتضاها وشيئاً من أسرارها فيه غنية وإذا كان الكلام محمولاً على معناها فالنصب جائز والرفع جائز أيضاً كما أنشدوا * ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى * بنصب أحضر ورفعه وأنشد سيبويه * ونهنهت نفسي بعدما كدت أفعله * يريد أن أفعله وإذا رفعت في هذا الموضع لم تذهب الرفع معنى أن فقد حكى سيبويه مره يحفرها وقدره تقديرين أحدهما أن يريد الحال أي مره حافراً لها والثاني أن يريد مره أن يحفرها وارتفع الفعل لما ذهبت أن من اللفظ ومن أين جاء الفرق بين التقديرين وقال إذا نويت أن فالفعل مستقبل وإذا لم تنوها فالفعل حاضر وفي أمثلة من العرب ذكرها الطبري قال العرب تقول لمن توجه في أمر يصنع ماذا ويفعل ماذا على تقدير يريد أن يصنع ماذا فإذا قالوا يريد ماذا لم يكن إلا رفعاً لأن المعنى الذي يجلب معنى أن ليس في قوله يريد لا يستقيم أن تقول يريد أن يريد ماذا لمعنى أن الإرادة لا تراد وذكر شعر الجون أيضاً وفيه * بها يمشي المعلهج والمهير * المهير ابن المهيرة الحرة والمعلهج المتردد في الإماء كأنه منحوت من أصلين من العلج لأن الأمة علجة ومن اللهج كأن واطئ الأمة قد لهج بها فنحت لفظ المعلهج من هذين اللفظين وفيه * كما أرسى بمثبته ثبير * كذا

سيكفيني مطال أبي هشام * صغار جعدة الأوبار حور (قال ابن هشام) تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه * قال ابن إسحق ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذي المجاز وكانت عند أبي سفيان بن حرب بنت أبي أزيهر وكان أبو أزيهر رجلا شريفا في قومه فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده لوصية أبيه إياه وذلك بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ومضى بدر وأصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين فخرج يزيد بن أبي سفيان فجمع بني عبد مناف وأبو سفيان بذي المجاز فقال الناس أخفر أبو سفيان في صهره فهو ثائر به فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد وكان أبو سفيان رجلا حليما منكرا يحب قومه حبا شديدا انحط سريعا إلى مكة وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر فأتى ابنه وهو في الحديد في قومه من بني عبد مناف والمطيبين فأخذ الرمح من يده ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها ثم قال قبحك الله أتريد أن تضرب قريشا بعضهم ببعض في رجل من دوس سنؤتيهم العقل إن قبلوه وأطفأ ذلك الأمر فانبعث حسان بن ثابت يحرض في دم أبي أزيهر ويعير أبا سفيان خفرته ويجبنه فقال

غدا أهل ضوجي ذي المجاز كليهما * وجار ابن حرب بالمغمس ما يغدو
كساك هشام بن الوليد ثيابه * فأبل وأخلف مثلها جددا بعد
قضى وطرا منه فأصبح ماجدا * وأصبحت رخوا ما تخب وما تعدو
فلو أن أشياخا ببدر تشاهدوا * لبل نعال القوم معتبط ورد
ولم يمنع العير الضروط ذماره * وما منعت مخزاة والدها هند

فلما بلغ أبا سفيان قول حسان قال يريد حسان أن يضرب بعضنا ببعض في رجل من دوس بئس والله ما ظن * ولما أسلم أهل الطائف كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ربا الوليد الذي كان في ثقيف لما كان أبوه أوصاه به

* قال ابن إسحق فذكر لي بعض أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقي من الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد ذلك الربا يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين إلى آخر القصة فيها ولم يكن في أبي أزيهر ثأر نعلمه حتى حجز الإسلام بين الناس

تحت الرواية في رخي بالخاء وهو زحاف داخل على زحاف لأن تسكين اللام من مفاعلتن في الوافر زحاف ولكنه حسن كثير فأما كثرته في هذا الشاعر فمفاعيلن لأنه على وزنه ومفاعيلن يحسن حذف الياء منها في الطويل فيصير فعولن مفاعلن فلذلك أدخل هذا الشاعر الزحاف على مفاعلتن لأنه بعد السكون يوازن مفاعيلن إلى يحذف ياؤها فاعلم ذلك فإنه ملح في علم العروض

(وصل) وأنشد لحسان بن ثابت * غدا أهل ضوجي ذي المجاز بسحره * ضوج الوادي جانبه وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب إذا حجت أقامت بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل إلى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل إلى سوق ذي المجاز فتقيم فيه إلى أيام الحج وكانوا يتفاخرون في سوق عكاظ في شهر شوال إذا اجتمعوا ويقال عكظ الرجل صاحبه إذا فاخره وغلبه بالمفاخرة فسميت عكاظ لذلك وذكر * لبل نعال القوم معتبط ورد * يعني الدم العبيط

(وصل) وذكر ما أنزل الله في الربا الآيات من سورة البقرة وقد قدمنا في حديث بنيان الكعبة من قولهم لا تدخلوا فيها مهر بغي ولا ربا وأن في ذلك دليلا على قدم تحريمه عندهم في شرع إبراهيم عليه السلام أو في غيره

إلا أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري خرج في نفر من قريش إلى أرض دوس فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان مولاة لدوس وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس فأرادت دوس قتلهم بأبي أزيهر فقامت دونهم أم غيلان ونسوة كن معها حتى منعتهم فقال ضرار بن الخطاب في ذلك

جزى الله عنا أم غيلان صالحا * ونسوتها إذ هن شعث عواطل
فهن دفعن الموت بعد اقترابه * وقد برزت للثائرين المقاتل
دعت دعوة دوسا فسالت شعابها * بعز وأدتها الشراج القوابل
وعمرا جزاه الله خيرا فما ونى * وما بردت منه لدي المفاصل
فجردت سيفي ثم قمت بنصله * وعن أي نفس بعد نفسي أقاتل

(قال ابن هشام) وحدثني أبو عبيدة أن التي قامت دون ضرار أم جميل ويقال أم غيلان قال ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل فيمن قام دونه فلما قام عمر بن الخطاب أتته أم جميل وهي ترى أنه أخوه فلما انتسبت له عرف القصة فقال إني لست بأخيه إلا في الإسلام وهو غاز وقد عرفت منتك عليه فأعطاها على أنها ابنة سبيل (قال ابن هشام) وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم أحد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول انج يا ابن الخطاب لا أقتلك فكان عمر يعرفها له بعد إسلامه قال ابن إسحق وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته أبو لهب والحكم بن أبي العاص بن أمية وعقبة بن أبي معيط وعدي بن حمراء الثقفي وابن الأصداء الهذلي وكانوا جيرانه لم يسلم منهم أحد إلا الحكم بن أبي العاص وكان أحدهم فيما ذكر لي يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلي وكان أحدهم يطرحها في برمته إذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا يستتر به منهم إذا صلى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا

 كما حدثني عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير عن عروة بن الزبير يخرج به رسول الله صلى الله

من الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك أنه من أقبح الاعمال لما فيه من هدم جانب المروءة وايثار الحرص مع بعد الامل ونسيان نه الاجل وترك التوسعة وحسن المعاملة ومن تأمل أبواب الربا الاح له شر التحريم من جهة الخشع المانع من حسن المعاشرة والداعية الى ترك القرض وما فيه وفي التوسعة من مكارم الاخلاق ولذلك قال سبحانه «فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله» غضبا منه على أهله ولهذه النكتة قالت عائشة لام محبة مولاة زيد بن أرقم ابلغي زيدا بني زيد بن أرقم ان قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكرت لها عنه مسئلة من البيوع تشبه الربا فقالت أبطل جهاده ولم تقل صلاته ولا صيامه لان السيئات لا تحبط الحسنات ولكن خصت الجهاد بالابطال لانه حرب لاعداء الله وآكل الربا قد أذن بحرب من الله فهو ضده ولا تجتمع الضدان وهذا معنى ذكره أبو الحسن بن بطال في شرح الجامع وتلك المسئلة مذكورة في المدونة اكن اسنادها الى عائشة ضعيف

﴿ وفاة أبي طالب ﴾

ذكر ابن اسحق وفاة أبي طالب الى آخر القصة وفيها قال العباس والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع (قال المؤلف) شهادة العباس لابي طالب لو أداها بعد ما أسلم لكانت مقبولة ولم ترد بقوله لم أسمع لان الشاهد العدل اذا قال سمعت وقال من هو أعدل منه لم أسمع أخذ بقول من أثبت السماع لان عدم السماع يحتمل أسبابا منعت الشاهد من السمع ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم مع أن الصحيح من الاثر قد أثبت لابي طالب الوفاة على الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» وثبت في الصحيح أيضا ان العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح أيضا من طريق أبي سعيد انه عليه السلام قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وفي رواية أخرى كما يغلي المرجل بالقمقم وهي مشكلة وقال بعض أهل العلم القمقم هو البسر الاخضر يطبخ في المرجل استعجالا لنضجه يفعل ذلك أهل الحاجة وفي رواية يونس عن ابن اسحق زيادة وهي انه قال يغلي منه دماغه حتى يسيل على قدميه ومن باب الطريق حكمه الله ومشاكلة الجزاء للعمل ان أبا طالب كان مع رسول الله بجملته متحزبا له الا انه مثبت لقدميه على ملة عبد المطلب حتى قال عند الموت أنا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على ملة آبائه ثبتنا الله على الصراط المستقيم وقد ذكر قول الله تعالى «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» وقد استغفر عليه السلام يوم أحد فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وذلك حين جرح المشركون وجهه وقتلوا عمه وكثيرا من أصحابه ولا يصح أن تكون الآية نزلت في عمه ناسخة لاستغفاره يوم أحد لان وفاة عمه كانت قبل ذلك بمكة ولا ينسخ المتقدم المتأخر وقد أجيب عن هذا السؤال بأجوبة منها ان فعل استغفاره لقومه مشروط بتوبتهم من الشرك كانه أراد الدعاء لهم بالتوبة حتى يغفر لهم ويقوي هذا القول رواية من روى اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وقد ذكر هذا ابن اسحق رواية في بعض روايات الكتاب بهذا اللفظ وقيل معناه يغفر لهم فلا يعجل لهم عقوبة الدنيا من المسخ والخسف ونحو ذلك ووجه ثالث وهو أن تكون الآية تأخر نزولها فنزلت بالمدينة ناسخة للاستغفار للمشركين فيكون سبب نزولها متقدما ونزولها متأخرا لا سيما وهي في سورة براءة وبراءة من آخر ما نزل فيكون على

علوا عليه ذلك الاذى عليه وسلم على الجوار يقذفه به على بابه ثم يقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق * قال ابن اسحق ثم ان خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلاك خديجة وكانت له وزير صدق على الاسلام يشكو اليها وبهلاك عمه أبي طالب وكان له عضدا وحرزا في أمره ومنعة وناصرا على قومه وذلك قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا * قال ابن اسحق فحدثني هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير قال لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع اباك قال ويقول بين ذلك ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب قال ابن اسحق ولما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قالت قريش بعضها لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا الى

بالى أبي طالب فلما أخذنا على ابن أخيه وليعطنا والله ما نأمن أن يبتزونا أمرنا * قال ابن إسحق فحدثني العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس قال مشوا إلى أبي طالب فكلموه وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب في رجال من أشرافهم فقالوا يا أبا طالب إنك منا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذي بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ولنكف عنه وليدعنا وديننا ولندعه ودينه فبعث إليه أبو طالب فجاءه فقال يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قال فقال أبو جهل نعم وأبيك وعشر كلمات قال تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه قال فصفقوا بأيديهم ثم قالوا أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلها واحدا إن أمرك لعجب ثم قال بعضهم لبعض إنه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه قال ثم تفرقوا قال فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا قال فلما قالها أبو طالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في إسلامه فجعل يقول له أي عم فأنت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة قال فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قال يا ابن أخي والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بني أبيك من بعدي وأن تظن قريش أني إنما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا أقولها إلا لأسرك بها قال فلما تقارب من أبي طالب

هذا إنا نسخه للاستغفار بين جميعا وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أبي طالب عند موته وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال له أبو جهل وابن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب فقال أنا على ملة عبد المطلب وظاهر الحديث يقتضي أن عبد المطلب مات على الشرك ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافا في عبد المطلب وأنه قد قيل فيه مات مسلما لما رأى من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد فالله أعلم غير أن في مسند البزار وفي كتاب النسوي من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة وقد عزت قوما من الأنصار عن ميتهم لعلك بلغت معهم الكدى ويروى الكرى بالراء يعني القبور فقالت لا فقال لو كنت بلغت معهم الكدى أو كما قال ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك وقد خرجه أبو داود ولم يذكر فيه حتى يدخلها جد أبيك وكذلك لم يذكر فيه فما دخلت الجنة وفي قوله جد أبيك ولم يقل جدك يعني أباه تقوية للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أمه وأباه وآمنا به فالله أعلم ويحتمل أن يكون أراد تخويفها بقوله حتى يدخلها جد أبيك فتتوهم أنه الجد الكافر ومن جدوده عليه السلام إسمعيل وإبراهيم لأن قوله عليه السلام حق وبلوغها معهم الكدى لا يوجب خلودا في النار فهذا من لطيف الكناية فافهمه وحكى عن هشام بن السائب أو أبيه أنه قال لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش فأوصاهم فقال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب وفيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا إلا أحرزتموه ولا شرفا إلا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وإني أوصيكم بتعظيم هذه البنية فإن فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن في صلة الرحم منسأة في الأجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعي وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة والممات عليكم بصدق الحديث وأداء الأمانة فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام وإني أوصيكم بمحمد خيرا فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاءنا بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وايم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا وإذا أعظمهم عليه أحوجهم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رشد ولا يأخذ أحد بهديه إلا سعد ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهي ثم هلك

﴿فصل﴾ وذكر ما أنزل الله تعالى في قولهم «أن امشوا واصبروا على آلهتكم» وذكر بعض أهل التفسير في قولهم امشوا أنه ليس من المشي الذي هو نقل الأقدام ولكنه من المشاء والنماء ويقال مشى الرجل وأمشى إذا كثر ماله قال الشاعر

وكل فتى وإن أمشى وأثرى ... ستخلجه عن الدنيا منون

الموت قال نظر العباس اليه يحرك شفتيه قال فاصغى اليه باذنه قال فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع قال وأنزل الله تعالى في الرهط الذين كانوا اجتمعوا اليه وقال لهم ما قال وردوا عليه ما ردوا ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق الى قوله تعالى أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يعنون النصارى لقولهم ان الله ثالث ثلاثة ان هذا الا اختلاق ثم هلك أبو طالب * قال ابن اسحق ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل فخرج اليهم (٢٦٠) وحده * قال ابن اسحق فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومسعود بن عمرو بن عمير وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر اما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا أكلمك ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت أعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقد قال لهم فيما ذكر لي اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه «قال ابن هشام» وقوله فيذئرهم يعني يحرشهم قال عبيد بن الابرص

ولقد اتاني عن تميم انهم * ذئروا لقتلى عامر وتعصبوا

فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجؤوه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء اهل الطائف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال الراجز * والشاة لا تمشي على الهملع * أي لا تمشي على الذئب والهملع الذئب وقاله الخطابي في معنى الآية كأنهم أرادوا ان المشاء والحركة في صبرهم على آلهتهم وحملها على المشي أظهر في الله والله أعلم * وذكر تتابع المصائب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموت خديجة بعد موت عمه وذكر الزبير في حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي في الموت فقال تكرهين ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكره خيرا أشعرت ان الله قد أعلمني انه سيزوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون فقالت آلله أعلمك بهذا يا رسول الله فقال نعم فقالت بالرفاء والبنين * وذكر أيضا في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم خديجة من عنب الجنة

﴿ خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف ﴾

وقد ذكر البكري في تسميتها بالطائف ان الدمون رجل من الصدف من حضرموت نزلها فقال لاهلها ألا أبني لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه فسميت الطائف وقيل غير ذلك مما ستذكره * وقوله فيذئرهم عليه قد فسره ابن هشام وأنشد * ذئروا لقتلى عامر وتعصبوا * وفي الحديث لما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء قال ذئر النساء على أزواجهن وفسره أبو عبيد بالنشوز على الازواج وأنشد البيت الذي أنشده ابن هشام ومعنى كلامهما واحد وذكر ما لقي من أشراف ثقيف وذكر موسى ابن عقبة زيادة في الحديث حين أغروا به سفهاءهم قال وكان يمشي بين سماطين منهم فكلما نقل قدما رجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء وذكر التيمي كما ذكر ابن عقبة وزاد قال كان اذا أذلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون حتى انتهى الى الموضع الذي ذكره ابن اسحق من حائط عتبة بن ربيعة * قال ابن اسحق فجلس الى ظل حبلة والحبلة الكرمة اشتق اسمها من الحبل لانها تحمل بالعنب ولذلك فتح حمل الشجرة والحبلة فعلة من حمل فتحت الحاء تشبيها بحمل المرأة وقد يقال فيه حمل بالكسر تشبيها بالحمل الذي على الظهر ومن قال في الكرمة حبلة باسكون الباء فليس بالمعروف وقد قال أبو الحسن بن كيسان في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع حبل الحبلة أنه بيع العنب قبل أن يطيب كما جاء في الحديث الآخر من نهيه عن بيع الثمر قبل أن يبدو صلاحه وهو قول غريب لم

يذهب إليه أحذق في تأويل الحديث، وقد قال عمر بن الخطاب في الأرضين التي افتتحت في زمانه وقد قيل له اقسمها على الذين افتتحوها فقال والله لا أدعها حتى يجاهد بها حبل الحبلة يريد أولادها في البطون ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال والقول الذي ذكره أبو الحسن في حبل الحبلة وقع في كتاب الألفاظ ليعقوب وإنما أشكل عليه وعلى غيره دخول الهاء في الحبلة حتى قالوا فيه أقوالا كلها هباء فمنهم من قال إنما قال الحبلة لأنها بهيمة أو جنينة ومنهم من قال دخلت للجماعة ومنهم من قال للمبالغة وهذا كله ينعكس عليهم بقوله حبل الحبلة فإنه لم يدخل التاء إلا في أحد اللفظين دون الثاني ويبطل أيضاً على من قال أراد معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم وإنما النكتة في ذلك أن الحبل ما دام حملا لا يدرى أذكر هو أم أنثى لم يسم حبلة فإذا كانت أنثى وبلغت حد الحمل فحملت فذلك الحبل هو الذي نهى عن بيعه والأول قد علمت أنوثته بعد الولادة فعبر عنه بالحبلة وصار معنى الكلام أنه نهى عن بيع حبل الجنينة التي كانت حملا لا يعرف ما هي ثم عرف بعد الوضع وكذلك في الآدميين فإذا لا يقال لها حبلة إلا بعد المعرفة بأنها أنثى وعند ذكر الحمل الثاني لأن هذه الأنثى قبل أن تحبل وهي صغيرة رخل وتسمى أيضاً حائلا وأشباه ذلك وقد زال عنها اسم الحمل فإذا حملت وذكر حملها وأراد ذكره مع الحالة الأولى التي كانت فيها حملا فرق بين اللفظين بتاء التأنيث وخص اللفظ الذي هو عبارة عن الأنثى بالتاء دون اللفظ الذي لا يدري ما هو أذكر أم أنثى فقد كان المعنى قريبا والمأخذ سهلا لا يحتاج إلى هذه الإطالة لولا ما تقدم من تخليطهم في تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذي لا يقدر قدره في البلاغة إلا العالم بجوهر الكلام

﴿ فصل ﴾ وذكر دعاءه عليه السلام عند الشدة وقوله اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي إلى آخر الدعاء وفيه أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ويسأل عن النور ههنا ومعنى الوجه وإشراق الظلمات أما الوجه إذا جاء ذكره في الكتاب والسنة فهو ينقسم في الذكر إلى موطنين موطن تقريب واسترضاء بعمل كقوله تعالى « يريدون وجهه » وكقوله « إلا ابتغاء وجه ربه » فالمطلوب في هذا الموطن رضاه وقبوله للعمل وإقباله على العبد العامل وأصله أن من رضي عنك أقبل عليك ومن غضب عليك أعرض عنك ولم يرك وجهه فإذا قيل يبتغي وجهه فإنما معنى الرضى والقبول والإقبال وليس بصلة في الكلام كما قال أبو عبيدة لأن قولنا يبتغي وجه الله غير قولنا يبتغي الله ومعنى الصلة عند من قال بها أن الكلمة لا تدل على معنى كثير وقد قيل وجهه أي الثواب والمعنى وبعد فالوجه عند العرب ... وكذلك قال في قوله تعالى « ويبقى وجه ربك » أي يبقى ربك « وكل شيء هالك إلا وجهه » أي إلا إياه وعلى هذا فقد جلا ذكر الوجه من حكمه وكيف يخلو كلامه من الحكمة وهو الكتاب الحكيم ولكن هذا هو الموطن الذي يراد فيه ذكر الوجه والمعنى به ما ظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده والوجه إنما ... ولا كان ... يقول هذا وجه المسألة ووجه الحديث أي الظاهر إلى ... وكذلك ... إلى أصرك ... والبصائر لا يحيط بأوصاف جلاله وما ظهر لها من ذلك أقل مما ... وهو الظاهر ... تعالى وجل وكذلك في الآخرة نظر أهلها إلى وجهه سبحانه إنما هو نظر إلى ما يرون من ... ومالا يدركون من ذلك الجلال أكثر مما أدركوا ... وقوله سبحانه « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك » لما كانت السموات والأرض قد أظهرت من قدرته ... لا يعرف ما علم من سلطانه وظهر إلى البصائر من جلاله ...

قال فيما ذكر لي اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك

كما كان في القدم فهو ذو الجلال والاكرام قال الحسن معناه مجلل بالبهاء وأكرم من شاء بالنظر الى وجهه
أما الأشعري فذهب في معنى الوجه الى ما ذهب فيه من معنى العين واليد وانها صفات لله تعالى لم تعلم من جهة
العقول ولا من جهة الشرع المنقول وهذه محكمة أيضا فانه نزل بلسان عربي مبين ففهمته العرب لما نزل
بلسانها وليس في لغتها ان الوجه صفة ولا اشكال على المؤمن منهم ولا على الكافر في معنى هذه الآي التي
احتيج آخر الزمان الى الكلام فيها مع الجهال لان المؤمن لم يخش على عقيدته شكا ولا تشبيها فلم يستفسر
أحد منهم رسول الله عليه السلام ولا سأله عن هذه الآية التي هي اليوم مشكلة عند عوام الناس ولا الكافر
في ذلك الزمان لم يتعلق بها في معرض المناقضة والمجادلة كما فعلوا في قوله تعالى انكم «وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم» ولا قال أحد منهم زعم محمد ان الله لا يشبهه شيء ثم جعل له وجها ويدين الى غير ذلك
فدل على انهم لم يروا في الآية اشكالا وانه وافقها على غير التشبيه وعرفوا من بيانه الكلام وملاحة
الاستعارة انه معجز فلم يتعاطوا له معارضة ولا توهموا فيه مناقضة وقد أمليت في معنى اليدين والعين مسئلة
بديعة جدا فلتطلب هناك وأما النور فعبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الالهية وبه أشرقت
الظلمات أي أشرقت محالها وهي القلوب التي كانت فيها ظلمات الجهالة والشكوك فاستنارت القلوب بنور
الله وقد قال المفسرون في قوله تعالى «مثل نوره» أي مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة فيها وهو نور الايمان
والمعرفة المجلي لكل ظلمة وشك قال كعب المشكاة مثل لفمه والمصباح مثل للسانه والزجاجة مثل لصدره
أو لفمه أي فم محمد صلى الله عليه وسلم وقال أعوذ بنور وجهك ولو قال بوجهك لحسن ولكن توسل اليه
بما أودع قلبه من نوره وتوسل الى نعمه بنعمه والى فضله ورحمته بفضله ورحمته وقد تكون الظلمات ههنا
أيضا الظلمات المحسوسة واشراقها اجلالها على حالها وكذلك الانوار المحسوسة الكل دال عليه فهو نور
النور أي مظهره ومنور الظلمات أي جاعلها نورا في حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى

﴿فصل﴾ وذكر خبر عداس غلام عتبة وشيبة ابني ربيعة حين جاء بالقطف من عندهما الى آخر
القصة وفيه قبول هدية المشرك وان لا يتورع عن طعامه وسيأتي بيان ذلك ان شاء الله تعالى وزاد
التيمي فيه ان عداسا حين سمعه ذكر يونس بن متى قال والله لقد خرجت منها يعني نينوى وما فيها عشرة
يعرفون ما متى فمن أين عرفت أنت متى وأنت أمي وفي أمة أمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أخي
كان نبيا وأنا نبي وذكروا أيضا ان عداسا لما أراد سيداه الخروج الى بدر أمراه بالخروج معهما
فقال لهما أقتال ذلك الرجل الذي رأيت بحائط كرمكما تريدان والله ما تقوم له الجبال فقالا ويحك يا عداس
قد سحرك بلسانه وعندما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف ما لقي ودعا بالدعاء
المتقدم نزل عليه جبريل ومعه ملك الجبال كما روى البخاري عن عبد الله بن يوسف عن يونس عن ابن
شهاب قال حدثني عروة ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته انها قالت للنبي عليه
السلام هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم
العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت على وجهي
وأنا مهموم فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل
فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما
شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي فقال يا محمد ذلك لك ان شئت أطبق عليهم الأخشبين فقال النبي
صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا كذا

فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا
من هذا العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس وما دينك قال نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الأرض
شيء خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الا نبي قالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه

* قال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى وهم فيما ذكر لي سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا إلى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن إلى قوله تعالى ويجركم من عذاب أليم وقال تبارك وتعالى قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة

﴿عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل﴾

* قال ابن إسحق ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم إذا كانت على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به * قال ابن إسحق فحدثني من أصحابنا من لا أتهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الديلي ومن حدثه أبو الزناد عنه «قال ابن هشام» ربيعة بن عباد * قال ابن إسحق وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبي قال إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به قال وخلفه رجل أحول وضيء له غديرتان عليه حلة عدنية فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا إليه قال ذلك الرجل يا بني فلان إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه قال فقلت لأبي يا أبت من هذا الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب «قال ابن هشام» قال النابغة

كأنك من جمال بني أقيش * يقعقع خلف رجليه بشن

قال في الحديث ابن عبد كلال وهو خلاف ما قاله ابن إسحق

﴿فصل﴾ وذكر حديث وفد جن نصيبين وما أنزل الله فيهم وقد أملينا أول المبعث من هذا الكتاب طرفا من أخبارهم وبينا هنالك أسماءهم ونصيبين مدينة بالشام أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم روي أنه قال رفعت إلي نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله أن يعذب نهرها وينضر شجرها ويطيب ثمرها أو قال ويكثر ثمرها وتقدم في أسمائهم ما ذكره ابن دريد قال هم منشي وماشي وشاصر وماصر والأحقب ولم يزد على تسمية هؤلاء وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم وفي الصحيح أن الذي آذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وأنهم سألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه تقع في يد أحدهم أوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابهم زاد ابن سلام في تفسيره أن البعر يعود خضرا لدوابهم ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستنجى بالعظم والروث وقال إنه زاد إخوانكم من الجن ولفظ الحديث في كتاب مسلم كما قدمناه كل عظم ذكر اسم الله عليه ولفظه في كتاب أبي داود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه وأكثر الأحاديث تدل على معنى رواية أبي داود وقال بعض العلماء رواية مسلم في الجن المؤمنين والرواية الأخرى في حق الشياطين منهم وهذا قول صحيح تعضده الأحاديث التي لا نطيل بذكرها الإطالة وفي هذا رد على من زعم أن الجن لا تأكل ولا تشرب وتأولوا قوله عليه السلام إن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله على غير ظاهره وهم لأنه أصناف كما جاء في حديث آخر صنف على صور الحيات وصنف على صور الكلاب سود وصنف ريح طيارة أو قال هفافة ذوو أجنحة وزاد بعض الرواة في الحديث وصنف يحلون ويظعنون وهم السعالي ولعل هذا الصنف الطيار هو الذي لا يأكل ولا يشرب إن صح القول المتقدم والله أعلم وروينا في حديث سنده قرأته على الشيخ الحافظ أبي بكر بن العربي يسنده إلى جابر بن عبد الله قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشي إذ جاءت حية فقامت إلى جنبه وأدنت فاها من أذنه وكانت تناجيه أو نحو هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت قال جابر فسألته فأخبرني أنه رجل من الجن وأنه قال له مر أمتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة فإن الله جعل لنا في ذلك رزقا

﴿فصل﴾ وذكر عرضه نفسه صلى الله عليه وسلم على القبائل لتؤمن به وتؤويه وتنصره قبيلة قبيلة وذكر بني حنيفة واسم حنيفة أثال بن لجيم ولجيم تصغير اللجم وهي دويبة قال وطرفة وأنشد

لها ذنب مثل ذيل العروس * إلى سبة مثل جحر اللجم

ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل وسمي حنيفة لحنف كان في رجليه وقيل بل حنيفة أمهم وهي بنت كاهل

* قال ابن إسحق حدثنا ابن شهاب الزهري أنه أتى كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه * قال ابن إسحق وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين أنه أتى كلبا في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه حتى إنه ليقول لهم يا بني عبد الله إن الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم * قال ابن إسحق وحدثني بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم إلى الله وعرض عليهم نفسه فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم * قال ابن إسحق وحدثني الزهري أنه أتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم إلى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس «قال ابن هشام» فراس بن عبد الله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والله لو أني أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ثم قال له أرأيت إن نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك قال الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له أفتهدف نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه فلما صدر الناس رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافي معهم المواسم فكانوا إذا رجعوا إليه حدثوه بما يكون في ذلك الموسم فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان في موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا إلى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به إلى بلادنا قال فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال يا بني عامر هل لها

ابن أسد غيروا اسمها وهم أهل اليمامة وأصحاب مسيلمة الكذاب وقد أملينا في أول الكتاب سبب نزولهم اليمامة وأول من نزلها منهم * وذكر بيحرة بن فراس العامري وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفتهدف نحورنا للعرب دونك نهدف أي نجعلها هدفا فالسهام والهدف الغرض * وذكر قول الشيخ هل لها من تلاف أي تدارك وهو تفاعل من تلافيتهم وهل لذناباها من مطلب مثل ضرب لما فاته وأصله من ذنابى الطائر إذا أفلت من الحبالة فطلبت الأخذ بذناباه وقال ما تقولها إسماعيلي قط أي ما ادعى النبوة كاذبا أحد من بني إسمعيل

* فصل * وذكر عرض نفسه على كندة وهم بنو ثور بن مرتع بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا على أحد الأقوال بين النساب في كندة وسمي كندة لأنه كند أباه أي عقه وسمي أبوه مرتعا لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعا فهو مرتع بن ثور وقد قيل إن ثورا هو مرتع وكندة أبوه

* فصل * وذكر غير ابن إسحق ما لم يذكره ابن إسحق مما رأيت إملاء بعضه في هذا الكتاب لفائدته ذكر قاسم بن ثابت والخطابي عرض نفسه على بني ذهل بن ثعلبة ثم على بني شيبان بن ثعلبة وذكر الخطابي وقاسم جميعا ما كان من كلام أبي بكر مع دغفل بن حنظلة الذهلي زاد قاسم بكماله الحديث فرأينا أن نذكر زيادته قال ثم دفعنا إلى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلم قال علي وكان أبو بكر مقدما في كل خير فقال ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وكانت له غديرتان تسقطان على تريبته وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم فقال له مفروق إنا لنزيد على الألف ولن تغلب ألف من قلة فقال أبو بكر كيف المنعة فيكم فقال مفروق علينا الجهد ولكل قوم جد فقال أبو بكر كيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق إنا لأشد ما نكون غضبا حين نلقى وإنا لأشد ما نكون لقاء حين نغضب وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر أوقد بلغكم أنه رسول الله فها هو ذا فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك فإلام تدعو يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وإلى أن تؤووني وتنصروني فإن قريشا قد تظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد فقال مفروق وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون» فقال مفروق وإلام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون» فقال مفروق دعوت والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق

ومحاسن

من تلاف هل له ناباها من مطلب والذي نفس فلان بيده ما هو لها اسماعيلي قط وانها الحق فأين رأيكم كان عنكم * قال ابن اسحق فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل الى الله والى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الله وعرض عليه ما عنده * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري ثم الظفري عن أشياخ من قومه قالوا قدم سويد بن صامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا وكان سويد انما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره وشرفه ونسبه وهو الذي يقول

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى * مقالته بالغيب ساءك ما يفري
مقالته كالشهد ما كان شاهدا * وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه * نميمة غش تبتري عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم * من الغل والبغضاء بالنظر الشزر
فرشني بخير طالما قد بريتني * وخير الموالي من يريش ولا يبري

وهو الذي يقول ونافر رجلا من بني سليم ثم أحد بني زعب بن مالك مائة ناقة الى كاهنة من كهان العرب فقضت له فانصرف عنها

 هو والسلمي ليس معهما غيرهما لما فرقت بينهما الطريق قال مالي يا أخا بني سليم قال أبعث اليك به قال فمن لي بذلك اذا فاتني به قال انا قال كلا والذي نفس سويد بيده لا تفارقني حتى أوتى مالي فاتخذا فضرب به الارض ثم أوثقه رباطا ثم انطلق به الى دار بني عمرو بن عوف فلم يزل عنده حتى بعثت اليه سليم بالذي له فقال في ذلك

لا تحسبني يا ابن زعب بن مالك * كمن كنت تردي بالغيوب وتختل
تحولت قرنا اذ صرعت بعزة * كذلك ان الحازم المتحول
ضربت به ابط الشمال فلم يزل * على كل حال خده هو أسفل
... فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه الى الله والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي

ومحاسن الاعمال والله لقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك وكأنه أراد أن يشركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعت مقالتك يا أخا قريش واني أرى ان تركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي وقلة نظر في العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره ان نعقد عليهم عقدا ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى فقال وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة في تركنا ديننا واتباعنا اياك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر وانا انما نزلنا بين صريين اليمامة والسماوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذان الصريان فقال انهار كسرى ومياه العرب فاما ما كان من انهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وأما ما كان من مياه العرب فذنبه مغفور وعذره مقبول وانما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا ولا نؤوي محدثا واني أرى هذا الامر الذي تدعونا اليه هو مما تكرهه الملوك فان أحببت ان نؤويك وننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم في الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله لن ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا» ثم نهض النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيدي فقال يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق في الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم قال ثم دفعنا الى مجلس الاوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا صدقاء صبراء وروي في حديث مسند الى طارق قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنا بسوق ذي المجاز يعرض نفسه على القبائل يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبيه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عنه فقيل هو غلام عبد المطلب قلت ومن الرجل يرجمه قيل لي هو عمه عبد العزى أبو لهب وذكر الخبر بطوله خرجه الدارقطني ووقع أيضا في السيرة من رواية يونس

(وصل) ذكر حديث سويد بن صامت وشعره وفي الشعر ومأثور على ثغرة النحر يعني

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرضها علي فعرضها عليه فقال له إن هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله تعالى علي هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه إلى الإسلام فلم يبعد منه وقال إن هذا لقول حسن ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلته الخزرج فإن كان رجال من قومه ليقولون إنا لنراه قد قتل وهو مسلم وكان قتله قبل يوم بعاث * قال ابن إسحق وحدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد قال لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه

فتية من بني عبد الأشهل فيهم إياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس إليهم فقال لهم هل لكم في خير مما جئتم له قالوا له وما ذاك قال أنا رسول الله بعثني إلى العباد أدعوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وأنزل علي الكتاب قال ثم ذكر لهم الإسلام وتلا عليهم القرآن قال فقال إياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أي قوم هذا والله خير مما جئتم له قال فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه إياس بن معاذ وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا قال فصمت إياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج قال ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك قال محمود بن لبيد فأخبرني من حضره من قومي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع * قال ابن إسحق فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وإنجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا * قال ابن إسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالي يهود قالوا نعم قال أفلا

السيف وما يؤثر من الأثر وهو فرند السيف يقال فيه أثر وأثر قال الشاعر * خفافا كلها يتقي بأثر * أراد سمي وسويد هو الكامل وهو ابن الصامت بن خالد بن عطية بن حوط بن حبيب بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب وبنت سويد هي أم عاتكة أخت سعيد بن زيد امرأة عمر بن الخطاب فهو جدها لأمها واسم أمها بنت ... وقيل حليمة بنت سويد هكذا ذكره الزبير بن أبي بكر

﴿فصل﴾ وذكر مجلة لقمان وهي الصحيفة وكأنها مفعلة من الجلال والجلالة أما الجلالة فهي صفة المخلوق والجلال من صفة الله تعالى وقد أجاز بعضهم أن يقال في المخلوق جلال وجلالة وأنشد

فلا ذا جلال هبنه لجلاله * ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

ولقمان كان نوبيا من أهل أيلة وهو ابن عنقاء بن سرون وابنه الذي ذكر في القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج وغيره وقد قيل في اسمه غير ذلك وليس بلقمان بن عاد الحميري

﴿فصل﴾ وذكر قدوم أبي الحيسر أنس بن رافع يطلب الحلف وذلك بسبب الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج وهي حرب بعاث المذكورة ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثير من صناديدهم وأشرافهم وبعاث اسم أرض بها عرفت

﴿بدء إسلام الأنصار﴾

ولم يكن الأنصار اسما لهم في الجاهلية حتى سماهم الله به في الإسلام وهم بنو الأوس والخزرج والخزرج الريح الباردة وقال بعضهم هي الجنوب خاصة ودخول الألف واللام في الأوس على حد دخولها في اسم جمع نحو وهو من باب رومي وروم لأن الأوس هو العطية أو العوض وقيل هذا إذا كان علما لا تدخله الألف واللام ألا ترى أن كل أوس في العرب غير هذا فإنه بغير ألف ولام كأوس بن حارثة الطائي وغيره وكذلك أوس وأويس الذئب قال الراجز

يا ليت شعري عنك والأمر عمم * ما فعل اليوم أويس بالغنم

وأبوهم حارثة بن ثعلبة وهو العنقاء والذي جرى عليه أحد القولين وأمهم قيلة بنت كاهل بن عذرة من قضاعة ويقال هي بنت جفنة واسمه علبة بن عمرو بن عامر وقيل بنت سعد بن الهون بن خزيمة بن مدركة قاله الزبير بن أبي بكر في كتاب أخبار المدينة والأنصار جمع ناصر على غير قياس في جمع فاعل ولكن على تقدير حذف الألف من ناصر لأنها زائدة فالاسم على تقدير حذفها ثلاثي والثلاثي يجمع على أفعال وقد قالوا في نحوه صاحب وأصحاب وشاهد وأشهاد * وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لنفر من الأنصار أمن موالي يهود

تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شيء قالوا لهم ان نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه فأجابوه فيما دعاهم اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا * قال ابن اسحق وهم فيما ذكر لي ستة نفر من الخزرج * منهم من بني النجار وهو تيم الله ثم من بني مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو أبو امامة * وعوف بن الحرث ابن رفاعة بن سواد بن مالك ابن غنم بن مالك بن النجار وهو ابن عفراء « قال ابن هشام » وعفراء بنت عبيد ابن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة ابن غنم بن مالك بن النجار * ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رافع بن مالك ابن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق « قال ابن هشام » ويقال عامر بن الازرق قال ابن اسحق ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة * قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد « قال ابن هشام » وعمرو بن سواد ليس لسواد ابن يقال له غنم * قال ابن اسحق ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام * ومن بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض عليهم الحرب منهم من بني النجار ثم من بني مالك بن النجار أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو أبو امامة وعوف ومعاذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار

أيهم أي من حلفائهم والمولى يجمع الحليف وابن العم والمعتق والمعتق لانه مفعل من الولاية وجاء على وزن مفعل لانه مفرع وملحق لوليه فجاء على وزن ما هو في معناه * وذكر النفر القادمين في العام الثاني الذين بايعوه بيعة النساء وقد ذكر الله تعالى بيعة النساء في القرآن فقال « يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا » الآية فأراد ببيعة النساء انهم لم يبايعوه على القتال وكانت مبايعته للنساء أن يأخذ عليهن العهد والميثاق فاذا أقررن بألسنتهن قال قد بايعتكن وما مست يده يد امرأة في مبايعة كذلك قالت عائشة وقد روي انهن كن يأخذن بيده في البيعة من فوق ثوب وهو قول عامر الشعبي ذكره عنه ابن سلام في تفسيره والاول أصح وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن المقري النقاش في صفة بيعة النساء وجها ثالثا أورد فيه آثارا وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغمس يده في اناء وتغمس المرأة يدها فيه عند المبايعة فيكون ذلك عقدا للبيعة وليس هذا بالمشهور ولا هو عند أهل الحديث بالثبت غير أن ابن اسحاق أيضا قد ذكره في رواية عن يونس عن أبان ابن أبي صالح وذكر أنساب الذين بايعوه وشهدوا بيعة العقبة وغزاة بدر وهذا الكتاب يجمع التنبيه على ما يحتاج اليه بعون الله * وذكر في أنساب المبايعين له في العقبة الاولى بني سلمة ثم ساردة بن تزيد بن جشم وتزيد بالتاء منقوطة باثنتين من فوق ولا يعرف في العرب تزيد الا هذا وتزيد بن الحاف بن قضاعة وهم الذين تنسب اليهم الثياب التزيدية واما سلمة بكسر اللام فهم من الانصار سمي بالسلمة واحدة السلام وهي الحجارة قال الشاعر

ذاك خليلي وذو يعاتبني * يرمي ورائي بالسهم والسلمة

وفي جعفي سلمة بن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفي وفي جهينة سلمة بن نصر بن غطفان قاله ابن حبيب النسابة وفي الصحابة عمرو بن سلمة أبو يزيد الجرمي الذي أم قومه وهو ابن ست سنين أو سبع وفي الرواة عبد الله بن سلمة وينسب الى بني سلمة هؤلاء سلمي بالفتح كما ينسب الى بني سلمة وهم بطن من بني عامر يقال لهم السلمات يقال لاحدهم سلمة الخير والآخر سلمة الشر ابنا قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر وأما سليمة بالضم في دوس فهم بنو سليمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس وسليمة هذا هو أخو جذيمة الابرش وهو الذي قتل أباه مالكا بسهم قتل خطأ ويقال في النسب اليه سلمي أيضا وهو القياس وقد قيل سليمي كما قيل في عميرة عميري * وذكر بني خدارة بن ... خدارة وخدرة أخوان وغيره يقول في

وهما اثنا عشر * ومن بني زريق بن عامر رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق * وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق «قال ابن هشام» ذكوان مهاجري أنصاري قال * ومن بني عوف بن الخزرج ثم من بني غنم بن عوف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج وهم القواقل عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم * وأبو عبد الرحمن وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بني غصينة من بلي حليف لهم «قال ابن هشام» وإنما قيل لهم القواقل لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما وقالوا له قوقل به بيثرب حيث شئت «قال ابن هشام» القوقلة ضرب من المشي * قال ابن إسحق ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ثم من بني العجلان بن زيد بن غنم بن سالم * العباس ابن عبادة بن نضلة بن مالك ابن العجلان * قال ابن إسحق ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة * عقبة بن عامر بن نابي بن زيد بن حرام * ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة قطبة بن عامر بن حديدة ابن عمرو بن غنم بن سواد * وشهدها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني عبد الأشهل ابن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس * أبو الهيثم ابن التيهان واسمه مالك «قال ابن هشام» التيهان يخفف ويثقل كقوله ميت وميّت * ومن بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس عويم بن ساعدة * قال ابن إسحق وحدثني يزيد بن أبي حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد بالمرأة الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن تفترض علينا الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئا فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء غفر وإن شاء عذب * قال ابن إسحق وذكر لي ابن شهاب الزهري عن عائذ الله بن عبد الله الخولاني أبي إدريس أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الأولى على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا

حدارة بالحاء المضمومة وهكذا قيده أبو عمر وكذلك ذكره ابن دريد في الاشتقاق وهو أشبه بالصواب لأنه أجود تجريدا وكثيرا ما يجعلون أسماء الإخوة مشتقة بعضها من بعض * وذكر القواقل وهم بنو عمرو بن غنم بن مالك وذكر تسميتهم القواقل وأن ذلك لقولهم إذا أجاروا أحدا قوقل حيث شئت وفي الأنصار القواقل والجعادر وهما بطنان من الأوس وسبب تسميتهما واحد في المعنى أما الجعادر فكانوا إذا أجاروا أحدا أعطوه سهما وقالوا له جعدر به حيث شئت كما كانت القواقل تفعل وهم بنو زيد ابن عمرو بن زيد بن مالك بن ضبيعة فقال لهم كسر الذهب وهما جميعا من الأوس قال الشاعر

فإن أنا بين الجواري ولبدة * مقابله بين الجعادر والكسر

في بدع في الزيد بن زيد بن مالك * وزيد بن عمرو أنها غيرة الحفر

وذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم ينسبه ولا نسبه في أهل العقبة الثانية ولا في غزوة بدر وهو مالك بن التيهان واسم التيهان أيضا مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن عامر بن زعوراء بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري حليف بني عبد الأشهل كان أحد النقباء ليلة العقبة شهد بدرا واختلف في وقت وفاته وأصح ما قيل فيه أنه شهد مع علي صفين وقتل بها رحمه الله وأحسب ابن إسحاق وابن هشام تركا نسبه على جلالته في الأنصار وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للاختلاف فيه فقد وجدت في شعر عبد الله بن رواحة حين أضاف أبو الهيثم رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزله ومعه أبو بكر وعمر فذبح لهم عناقا وأطعمهم من رطب الحديث بطوله فقال ابن رواحة في ذلك

فلم أر كالإسلام عزا لأهله * ولا مثل أضياف الإراشي معشرا

فجعله إراشيا كما ترى والإراشي منسوب إلى إراشة في خزاعة أو إلى إراش بن لحيان بن الغوث فالله أعلم أهو أنصاري بالحلف أم بالنسب المذكور قبل هذا وبالله من قول أبي عمر في الاستيعاب وقد قيل إنه بلوي من بني إراشة بن فاران بن عمرو بن بلي والتيهان في اللغة ورح العقاب والتيهان أيضا ضرب من العشب وقد ذكر أبو حنيفة أنه سمي الرجل بهما أو بالمعنى الأول وأنشد

رعت بقران الحزن روضا مواصلا * عميما من الطلاع والتيهان الجعد

ذكر بيعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ألا يشركوا ولا يزنوا إلى آخر الآية وقيل في قوله عز وجل حكاية عن النساء «ولا يأتين ببهتان» أنه الولد تنسبه إلى بعلها وليس منه وقيل هو الاستماع

بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجسة ونحوها والأول أشبه أن يبايع عليه الرجال وكذلك قيل في قوله تعالى «ولا يعصينك في معروف» إنه النوح وهذا أيضا ليس من شأن الرجال ودل على ضعف قول من خصه بالنوح وخص البهتان بإلحاق الولد بالرجل وليس منه وقيل تفتريه بين أيديهن يعني الكذب وغيبة الناس عند الناس فيهم وأرجلهن يعني المشي في معصية ولا يعصينك في معروف أي في خير يأمرهن به والمعروف اسم جامع لمكارم الأخلاق وما عرف حسنه ولم تنكره القلوب وهذا معنى يعم الرجال والنساء وذكر ابن إسحق في رواية يونس فيما أخذ عليه السلام عليهن أن قال ولا تغششن أزواجكن قالت إحداهن وما غش أزواجنا فقال أن تأخذي من ماله فتحابي به غيره

﴿ فصل ﴾ وذكر هجرة مصعب بن عمير وهو المقرئ وهو أول من سمي بهذا أعني المقرئ يكنى أبا عبد الله كان قبل إسلامه من أنعم قريش عيشا وأعطرهم وكانت أمه شديدة الكلف به وكان يبيت وقعب الحيس عند رأسه يستيقظ فيأكل فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه ونهكت جسمه حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليه وعليه فروة قد رقعها فيبكي لما كان يعرف من نعمته وحلفت أمه حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها فكانت تقف للشمس حتى تسقط مغشيا عليها وكان بنوها يحشون فاها بشجار وهو عود فيصبون فيه الحساء لئلا تموت وسنذكر إسلامها وشيئا بعد ذكره في بدر إن شاء الله تعالى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكره يقول ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير ذكره الواقدي وذكر أيضا بسنده قال كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا وجمالا وسيبا وكان أبواه يحبانه وكانت أمه تكسوه أحسن ما يكون من الثياب وكان أعطر أهل مكة يلبس الحضرمي من النعال وذكر أن منزله كان على أسعد بن زرارة منزل بفتح الزاي وكذلك كل ما وقع في هذا الباب من نزل فلان على فلان فهو بالفتح لأنه أراد المصدر ولم يرد المكان وكذا قيده الشيخ أبو بحر بفتح الزاي وأما أم قيس بنت محصن المذكورة في هجرة بني أسد فاسمها آمنة وهي أخت عكاشة وهي التي ذكرت في الموطأ أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾ وذكر أول من جمع بالمدينة وهو أبو أمامة وذكر غيره أن أول من جمع بهم مصعب بن عمير لأنه أول من قدم المدينة من المهاجرين ثم قدم بعده ابن أم مكتوم وقد ذكرنا في أول الكتاب من جمع في الجاهلية بمكة يخطب وذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم وحض على اتباعه وهو كعب بن لؤي وقال إنه أول من سمى العروبة بالجمعة ومعنى العروبة الرحمة بلغني عن بعض أهل العلم وكانت قريش تجتمع إليه فيها فيما حكى الزبير بن بكار فيخطبهم فيقول أما بعد فاعلموا وتعلموا أن الأرض لكم مهاد والجبال أوتاد والسماء بناء والنجوم أعلام(1) ثم يأمرهم بصلة الرحم ويبشرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ويقول حرمكم يا قوم عظموه وسيكون له نبأ عظيم ويخرج منه نبي كريم ثم يقول في شعر ذكره

على غفلة أتى النبي محمد * فيخبر أخبارا صدوقا خبيرها
صروف رأينا ها تقلب أهلها * لها عقد ما يستحيل مريرها

ثم يقول

يا ليتني شاهد فحواء دعوته * إذا قريش تبغي الخلق خذلانا

وأما أول من جمع في الإسلام فقد ذكرناه وذكر ابن إسحق أن أبا أمامة جمع بهم في هزم النبيت في نقيع يقال له نقيع الخضمات والنقيع بالنون في حديث عائشة أي موضع ذلك وحد فسروا عن ابن عباس

(1) كذا بالأصل فليحرر

يعصينه في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة له وإن سترتم عليه إلى يوم القيامة فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر * قال ابن إسحق فلما انصرف عنه صلى الله عليه وسلم القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين وكان يسمى المقرئ بالمدينة مصعب وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس أبي أمامة * قال ابن إسحق فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلي بهم وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض * قال ابن إسحق وحدثني محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أبي أمامة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد أبي كعب بن مالك حين ذهب بصره فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة قال فمكث حينا على ذلك لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له قال فقلت والله إن هذا بي لعجز ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة قال فخرجت به في يوم جمعة كما كنت أخرج فلما

أسحق وذكره البكري في كتاب معجم ما استعجم من أسماء البقع أنه نقيع بالنون ذكره في باب النون والقاف وقال هزم النبيت جبل على بريد من المدينة وفي غريب الحديث أنه عليه السلام حمى غرز النقيع قال الخطابي النقيع القاع والغرز نبت شبه الثمام وسيأتي تفسيره فيما بعد إن شاء الله تعالى ومعنى الخضمات من الخضم وهو الأكل بالفم كله والقضم بأطراف الأسنان ويقال هو أكل اليابس والخضم أكل الرطب وكأنه جمع خضمة وهي الماشية التي تخضم وكأنه سمي بذلك لخصب كان فيه وأما النقيع بالباء فهو أقرب إلى المدينة منه بكثير وأما نقيع الخضمات فبخاء وضم وباء بن خالد ذكره في سنن أبي داود والخضمة شجرة عرف بها

﴿فصل﴾ وتجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة وتسميتهم إياها بهذا الاسم وكانت تسمى العروبة كان عن هداية من الله تعالى لهم قبل أن يؤمروا بها ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فاستقر فرضها واستمر حكمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة أضلته اليهود والنصارى وهدانا الله إليه ذكر الكشي وهو عبد بن حميد قال نا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل أن تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة قال الأنصار لليهود يوم يجمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله ونصلي ونشكر أو كما قالوا فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوا يوم العروبة وكانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة فاجتمعوا إلى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه فذبح لهم شاة فتغدوا وتعشوا من شاة وذلك لقلتهم فأنزل الله عز وجل في ذلك «إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله» ﴿قال المؤلف﴾ ومع توفيق الله لهم إليها فقد لا يكون فعلهم ذلك عن غير إذن من النبي صلى الله عليه وسلم لهم فقد روى الدارقطني عن عثمان بن أحمد بن السماك قال نا أحمد بن محمد بن غالب الباهلي قال نا محمد بن عبد الله أبو زيد المدني قال نا المغيرة بن عبد الرحمن قال حدثني مالك عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال أذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ولم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بمكة ولا يبدي لهم فكتب إلى مصعب ابن عمير أما بعد فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا إلى الله بركعتين قال فأول من جمع مصعب بن عمير حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فجمع عند الزوال من الظهر وأظهر ذلك ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أضلته اليهود والنصارى وهدانا الله إليه فيما ذكر أهل العلم أن اليهود أمروا بيوم من الأسبوع يعظمون الله فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل أنفسهم السبت فالزموه في شرعهم وكذلك النصارى أمروا على لسان عيسى بيوم من الأسبوع فاختاروا من قبل أنفسهم الأحد فألزموه شرعا لهم ﴿قال المؤلف﴾ وكان اليهود إنما اختاروا السبت لأنهم اعتقدوه اليوم السابع ثم زادوا الكفر بهم أن الله استراح فيه تعالى الله عن قولهم لأن بدء الخلق عندهم الأحد وآخر الستة الأيام التي خلق الله فيها الخلق الجمعة وهو أيضا مذهب النصارى فاختاروا الأحد لأنه أول الأيام في زعمهم وقد شهد الرسول صلى الله عليه وسلم للفريقين بالضلال اليوم وقال في صحيح مسلم إن الله خلق التربة يوم السبت فبين أن أول الأيام التي خلق الله فيها الخلق السبت وآخر الأيام الستة إذا الخميس وكذلك قال ابن إسحق فيما ذكر عنه الطبري وفي الآثار يوم الجمعة سمي الجمعة لأنه جمع فيه خلق آدم روي ذلك عن سلمان وغيره وقد قدمنا في حديث الكشي أن الأنصار سموه جمعة لاجتماعهم فيه فهداهم الله إلى السنة وهداهم إلى اختيار اليوم وموافقة الحكمة أن الله تعالى لما بدأ فيه خلق أبينا آدم وجمل

جمع الأذان بالجمعة صلى عليه وابن عمر قال فقلت له يا أبت ما لك إذا سمعت الأذان بالجمعة صليت على أبي أمامة قال أي بني كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم النبيت من حرة بني بياضة يقال له نقيع الخضمات قال قلت وكم أنتم يومئذ قال أربعون رجلا قال ابن إسحق وحدثني عبد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر كان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زرارة فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر

فيه بعد هذا الجنس وهو البشر وجعل فيه أيضا فناءهم وانقضاءهم إذ فيه تقوم الساعة فوجب أن يكون يوم
ذكر وعبادة لأنه يذكر بالمبدأ ويذكر بالمعاد وانظر إلى قوله تعالى «فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع» وخص
النهي لأنه يوم يذكر بالوقت الذي لا بيع فيه ولا خلة مع أنه وتر الأيام التي قبله في الأصح من القول والله يحب
الوتر لأنه من أسمائه فكان من هدى الله لهذه الأمة أن ألهموا إليه ثم أقروا عليه لما وافقوا الحكمة فيه فهم
الآخرون السابقون يوم القيامة كما قال عليه السلام كان اليوم الذي اختاروه سابقا لما اختاره اليهود
والنصارى ومقدما عليه ولذلك كان يقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة السجدة في صبح يوم الجمعة
رواه سعد بن إبراهيم عن الأعرج عن أبي هريرة ورواه مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس
كلاهما عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه عن سعيد بن جبير أيضا عزرة بن عبد الرحمن ذكره البزار
ورواه الترمذي في كتاب العلل له عن الأحوص ورواه البزار أيضا عن أبي الأحوص وعن علقمة عن
عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه من ذكر الستة الأيام وابتداء ذكر خلق آدم من
طين وذلك في يوم الجمعة تنبيها منه عليه السلام على الحكمة وتذكرة للقلوب بهذه الموعظة وأما قراءته «هل
أتى على الإنسان حين من الدهر» في الركعة الثانية فلما فيها من ذكر السعي وشكر الله لهم عليه بقوله وكان
سعيكم مشكورا مع ما في أولها من ذكر بدء خلق الإنسان وأنه لم يكن قبل شيئا مذكورا وقد قال في يوم
الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله فنبه بقراءته إياها على الذاهب للسعي المشكور عليه والله أعلم ألا ترى أنه كان كثيرا
ما يقرأ في صلاة الجمعة أيضا بهل أتاك حديث الغاشية وذلك أن فيها لسعيها راضية كما في سورة الجمعة فاسعوا
إلى ذكر الله فاستحب عليه السلام أن يقرأ في الثانية ما فيه رضاهم بسعيهم المأمور به في السورة الأولى
ولفظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع كما قدمنا أو كان على وزن فعلة وفعلة لأنه في معنى قربة وقربة والعرب تأتي
بلفظ الكلمة على وزن ما هو في معناها وقالوا عمرة فاشتقوا اسمها من عمارة المسجد الحرام وبنوه على فعلة
لأنها وصلة وقربة إلى الله ولهذا الأصل فروع في كلام العرب ونظائر لهذين الاسمين يبعد [illegible]
[illegible] أكثر من [illegible] وقالوا في الجمعة جمّع بتشديد الميم كما قالوا عيّد إذا شهد العيد وعرّف
إذا شهد عرفة ولا يقال في غير الجمعة الاجمع بالجمعة وفي البخاري أول من عرّف بالبصرة ابن عباس
والتعريف إنما هو بعرفات فكيف بالبصرة ولكن معناه أنه رضي الله عنه إذا صلى العصر يوم عرفة أخذ
في الدعاء والذكر والضراعة إلى الله تعالى إلى غروب الشمس كما يفعل أهل عرفة وليس في تسمية هذه الأيام
بالاثنين إلى الخميس ما يشد قول من قال إن أول الأسبوع الأحد وسابعها السبت كما قال أهل الكتاب
لأنها أسماء طارئة وإنما كانت أسماؤها في اللغة القديمة شيار وأول وأهون وجبار ودبار ومؤنس والعروبة
وأسماؤها بالسريانية قبل هذا أبو جاد هوز حطي إلى آخرها ولو كان الله تعالى ذكرها في القرآن بهذه الأسماء
المشتقة من العدد لقلنا هي تسمية صادقة على المسمى بها ولكنه لم يذكر منها إلا الجمعة والسبت وليسا من
المشتقة من العدد ولم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحد والاثنين إلى سائرها إلا حاكيا للغة قومه
لا مبتدئا للتسمية ولعل قومه أن يكونوا أخذوا معاني هذه الأسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم فألقوا عليها
هذه الأسماء اتباعا لهم والأقوى فيما ورد في الصحيح من قوله عليه السلام إن الله خلق التربة يوم السبت
والجبال يوم الأحد الحديث والعجب من الطبري على تبحره في العلم كيف خالف مقتضى هذا الحديث
وأعنق في الرد على ابن إسحاق وغيره ومال إلى قول اليهود في أن الأحد هو الأول ويوم الجمعة سادس لا سابع
وإنما [illegible] يوم السبت مع ما [illegible] عليه السلام أن اليهود والنصارى [illegible] وما

قال ابن اسحق واسم ظفر كعب بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس قالا على بئر يقال لها بئر مرق فجلسا في الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير لا أبالك انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا فانه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدما قال فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل اليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس أكلمه قال فوقف عليهما متشتما فقال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقالا فيما يذكر عنهما والله لعرفنا في وجهه الاسلام قبل ان يتكلم به في اشراقه وتسهله ثم قال ما أحسن هذا الكلام وأجمله كيف تصنعون

اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسأرسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم اخذ حربته ثم انصرف الى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف على النادي قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت

احتج به الطبري من حديث آخر فليس في الصحة كالذي قدمناه وقد تمكن فيه التأويل أيضا فقف هنالك على حكمة الله تعالى في تقييد الخلق به لما فهمه من الذكر بانشاء هذا الجنس ومدته كما قدمناه أولا لما فيه أيضا من الذكر بآخره الله سبحانه واظهاره فضل الخلق بعبثه فانك اذا كنت في الجمعة تذكر في كل جمعة قبلها حتى ترتقي وتصل الى الجمعة التي خلق فيها أبوك آدم ثم فكرت في الأيام الستة التي قبل يوم الجمعة وجدت في كل يوم منها جنسا من المخلوقات موجودا الى السبت ثم انقطع وهناك لم تجد في الجمعة التي تلي ذلك السبت وجودا الا للواحد الصمد الوتر فقد ذكرت الجمعة من فكر بتوحيد الله وأزليته فوجب ان تؤكد في هذا اليوم توحيد الملك للرب الذكر له كما قال تعالى «فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع» وان يشاكل ذلك الذكر بالعمل وذلك بأن تكون العمل مشاكلا لمعنى التوحيد فتكون الاجتماع في مسجد واحد من المساجد والى امام واحد من الأئمة ويخطب ذلك الامام فيذكر بتوحيد الله تعالى وملائكته فتشاكل الفعل للقول والقول للمعتقد فأمل هذه الأغراض فانك قد كنت ترى ما ذكرنا بالمعنى وقد رددناها على ما شرطنا في أول الكتاب معاني لم نكن هنالك وعدناها ولكن الكلام يجر بعضه بعضا حتى يخرجوا الكلم قصدنا ان الى الاطالة ولا أنس بالزيادة من الخير وبالله المستعان

اسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير

وسمع أهل مكة هاتفا يهتف وهو يقول قبل اسلام سعد

فان يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فحسبوا انه يريد بالسعدين القبيلتين سعد هذيم من قضاعة وسعد بن زيد مناة بن تميم حتى سمعوه يقول

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصرا * ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا الى داعي الهدى وتمنيا * على الله في الفردوس منية عارف

فعلموا حينئذ انه يريد سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وذكر فيه اغتسالهما حين أسلما بأمر مصعب بن عمير لهما بذلك وذلك السنة في كل كافر يسلم ثم اختلف في نية الكافر اذا أسلم باغتساله فقال بعضهم يجزئه

بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت ان بني حارثة قد خرجوا الى

أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم قد عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك قال فقام سعد مغضبا مبادرا تخوفا للذي ذكر له من بني حارثة فأخذ الحربة من يده ثم قال والله ما أراك أغنيت شيئا ثم خرج اليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد ان أسيدا انما اراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لأسعد بن زرارة يا أبا أمامة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني أتغشانا في دارنا بما نكره وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير أي مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان قال فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم لاشراقه وتسهله ثم قال لهما كيف تصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي ركعتين قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق وركع

ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا الى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله قالوا فوالله ما أمسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة ورجع أسعد ومصعب الى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعوان الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وتلك أوس الله وهم من الاوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الاسلت وهو صيفي وكان شاعرا لهم قائدا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق وقال فيما رأى من الاسلام وما اختلف الناس فيه من أمره

أرب الناس أشياء ألمت * يلف الصعب منها بالذلول
أرب الناس أما اذ ضللنا * فيسرنا لمعروف السبيل
فلولا ربنا كنا يهودا * وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى * مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل جيل
نسوق الهدي ترسف مذعنات * مكشفة المناكب في الجلول

«قال ابن هشام» أنشدني

رفع الجنابة عن نفسه وقال بعضهم نوى التعبد ولا حكم للجنابة في حقه لان معنى الامر به استباحة الصلاة والكافر لا يصلي وان كان مخاطبا في أصح القولين ولكنه أمر مشروط بالايمان فاذا لم يكن الايمان وهو الشرط الاول فاجدر بان يكون الشرط الثاني وهو الغسل من الجنابة غير مفيد شيئا فاذا أسلم هدم الاسلام ما كان قبله فلم يجب عليه اعادة صلاة مضت واذا سقطت الصلوات سقطت عنه شروطها واستأنف الاحكام الشرعية فيجب عليه الصلوات من حين يسلم بشروط أيامن من وضوء وغسل من جنابة اذا أحدث بعد اسلامه وغير ذلك من شروط الصلاة ورأيت لبعض المتأخرين ان الغسل انما يجب لانه نجسة ليس عند ذي بالين لان الله سبحانه يقول «انما المشركون نجس» فحكم بنجاسة انما يرفع بالطهارة ولم يحكم عليهم بالنجس لوجود الجنابة لانه قد علق الحكم بصفة الشرك والحكم المعلق بالصفة مرتبط بها فاذا ارتفع حكم الشرك بالايمان لم يبق للجنابة حكم كما اذا كان المسلم جنبا ثم بال فالمأمور من الجنابة برفع عنه حكم الحدث الاصغر فهو حدث الوضوء لان الطهارة الصغرى داخلة في الكبرى ويطهره من نجس الشرك بالنيابة فرأيتها لا تصل الى الطهر من الجنابة الطهارة الكبرى وينبغي أن يكون منها كما كانت الطهارة من الجنابة تغنيه عن الطهارة من الحدث اذ لبست واحدة من هذه الطهارات من مثله لعين نجاسة فيها وتغني بعد هذا ان أمره بالاغتسال بعد والحكم بانه غير فرض محكم والله أعلم غير ان الترمذي خرج حديث قيس بن عاصم حين أسلم فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغتسل قال الترمذي وعلى هذا العمل عند أهل العلم يستحبون للكافر اذا أسلم أن يغتسل ويحسل ثيابه فقال يستحبون وجعلها مسئلة استحباب

﴿فصل﴾ وذكر شعر أبي قيس بن الاسلت وفيه قوله

ولولا ربنا كنا يهودا * وما دين اليهود بذي شكول

اراد جمع شكل وشكل الشيء بالفتح هو مثله والشكل بالكسر الدل والحسن فكأنه أراد أن دين اليهود بدع فليس له شكول أي ليس له نظير من الحقائق ولا مثل يعضده من الامر المعروف المقبول وقد قال الطائي

وقالت أتنسى قالوا أخي من قرابة * فقلت لهم ان الشكول أقارب
قريبي في رأيي وديني ومذهبي * وان باعدتنا في الخطوب المناسب

وقال فيها مع الرهبان في جبل الجليل بالجيم الجليل بالجيم وهذا الجبل من جبال الشام معروف بهذا الاسم

﴿ذكر البراء بن معرور وصلاته الى الكعبة﴾

 وقوله فلولا ربنا وقولا ولولا ربنا وقوله مكشفة المناكب في الجلول رجل من الانصار أو من خزاعة

﴿البيعة الثانية الكبرى بالعقبة﴾ «قال ابن اسحق» ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج من خرج من الانصار المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله قال ابن اسحق فحدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب ابن القين أخو بني سلمة ان أخاه عبد الله بن كعب [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجنا في حجاج قومنا من المشركين [illegible]

وخرجنا من المدينة قال البراء لنا يا هؤلاء انى قد رأيت رأيا والله ما أدرى أتوافقوني عليه أم لا قال قلنا وما ذاك قال قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر يعني الكعبة وأن أصلي اليها قال فقلنا والله ما بلغنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم يصلي الا الى الشام وما نريد أن نخالفه قال فقال انى لمصل اليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام وصلى الى الكعبة حتى قدمنا مكة قال وقد كنا عبنا عليه ما صنع وأبى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا مكة قال لي يا ابن أخي انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت في سفري هذا فانه والله لقد وقع في نفسي منه شيء لما رأيت من خلافكم اياي فيه قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا من أهل مكة فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل تعرفانه فقلنا لا قال فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه قال قلنا نعم قال وقد كنا نعرف العباس كان لا يزال يقدم علينا تاجرا قال فاذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس قال فدخلنا المسجد فاذا العباس رضي الله عنه جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس معه فسلمنا ثم جلسنا اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل قال نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك قال فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ألشاعر قال نعم فقال البراء بن معرور يا نبي الله اني خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للاسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر فصليت اليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها قال فرجع البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معنا الى الشام قال وأهله يزعمون أنه صلى الى الكعبة حتى مات وليس ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم «قال ابن هشام» وقال عون بن أيوب الانصاري

ومنا المصلي أول الناس مقبلا على كعبة الرحمن بين المشاعر يعني البراء بن معرور وهذا البيت في قصيدة له

ذكر حديث كعب بن مالك حين خرج في نفر من قومه مع البراء بن معرور وكانوا يصلون الى بيت المقدس وكان البراء يصلي الى الكعبة الحديث الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت على قبلة لو صبرت عليها فقه قوله لو صبرت عليها انه لم يأمره باعادة ما قد صلى لانه كان متأولا وفي الحديث دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى بيت المقدس وهو قول ابن عباس وقالت طائفة ما صلى الى بيت المقدس الا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا فعلى هذا تكون في القبلة نسخان نسخ سنة بسنة ونسخ سنة بقرآن وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة فروى عنه من طرق صحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فلما كان عليه السلام يتحرى القبلتين جميعا لم يتبين توجهه الى بيت المقدس للناس حتى خرج من مكة والله أعلم قال الله تعالى له في الآية الناسخة «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام» أي من أي جهة جئت الى الصلاة وخرجت اليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبرا بيت المقدس أو لم تكن لانه كان بمكة يتحرى في استقباله بيت المقدس أن تكون الكعبة بين يديه وتدبر قوله تعالى «ومن حيث خرجت فول وجهك» وقال لامته «وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» ولم يقل حيثما خرجتم وذلك انه كان عليه السلام امام المسلمين فكان يخرج اليهم الى كل صلاة ليصلي بهم وكان ذلك واجبا عليه اذ كان الامام المقتدى به فأفاد ذكر الخروج في خاصة نفسه هذا المعنى ولم يكن حكم غيره هكذا يقتضى الخروج ولا سيما النساء ومن لا جماعة عليه وكرر الباري تعالى الامر بالتوجه الى البيت الحرام في ثلاث آيات لان المنكرين لتحويل القبلة كانوا ثلاثة أصناف من الناس اليهود لانهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم وأهل الريب والنفاق اشتد انكارهم له لانه كان أول نسخ نزل وكفار قريش قالوا ندم محمد على فراق ديننا فسيرجع اليه كما رجع الى قبلتنا وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه فيقولون يزعم محمد انه يدعونا الى ملة ابراهيم واسمعيل وقد فارق قبلة ابراهيم واسمعيل وآثر عليها قبلة اليهود فقال الله له حين أمره بالصلاة الى الكعبة «لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم» على الاستثناء المنقطع أي لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون وقال سبحانه «وانه للحق من ربك فلا تكونن من الممترين» أي من الذين شكوا وامتروا ومعنى هو الحق من ربك أي الذي أمرتك به من التوجه الى البيت الحرام هو الحق الذي كان عليه الانبياء قبلك فلا تمتر في ذلك وقال «وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق» وقال «وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» أي يكتمون ما علموا من ان الكعبة هي قبلة الانبياء وروى أبو داود السجستاني في كتاب الناسخ والمنسوخ له وهو في رواية ابنه بسند رفيع جدا أنا الامام الحافظ أبو بكر بن العربي قال أنا أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن أيوب

* قال ابن إسحق حدثني معبد بن كعب أن أخاه عبد الله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه قال كعب ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة قال فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيبا قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة إحدى نساء بني مازن بن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي ابن نابي إحدى نساء بني سلمة وهي أم منيع قال فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج قال وكانت العرب إنما يسمون هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها إن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده قال فقلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله ورغب في الإسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله إن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن

البزار قال أنا أبو علي بن شاذان قال أنا أبو بكر النجاد نا أحمد بن سليمان قال نا أحمد بن صالح قال نا عنبسة عن يونس عن ابن شهاب قال كان سليمان بن عبد الملك لا يعظم إيلياء كما يعظمها أهل بيته قال فسرت معه وهو ولي عهد قال ومعه خالد بن يزيد بن معاوية فقال سليمان وهو جالس فيه والله إن في هذه القبلة التي صلى إليها المسلمون والنصارى لعجبا قال خالد بن يزيد أما والله إني لأقرأ الكتاب الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم وأقرأ التوراة فلم تجدها اليهود في الكتاب الذي أنزله الله عليهم ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما غضب الله تعالى على بني إسرائيل رفعه وكانت صلاتهم إلى الصخرة عن مشاورة منهم وروى أبو داود أن يهوديا خاصم أبا العالية في القبلة فقال أبو العالية إن موسى عليه السلام كان يصلي عند الصخرة ويستقبل البيت الحرام فكانت الكعبة قبلته وكانت الصخرة بين يديه وقال اليهودي بيني وبينك مسجد صالح النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو العالية فإني صليت في مسجد صالح وقبلته الكعبة وأخبر أبو العالية أنه رأى مسجد ذي القرنين وقبلته الكعبة وروى أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لجبريل وددت أن الله حولني عن قبلة اليهود فيقول له جبريل إنما أنا عبد مأمور وروى غيره أنه كان يديم النظر إلى السماء حرصا على أن يؤمر بالتوجه إلى الكعبة فأنزل الله تعالى «قد نرى تقلب وجهك في السماء» الآية * وذكر عدة أصحاب بيعة العقبة وأنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين وهما أم عمارة وهي نسيبة بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان وشهدت يوم اليمامة وباشرت القتال بنفسها وشاركت ابنها عبد الله في قتل مسيلمة وقطعت يدها وجرحت اثني عشر جرحا عاشت بعد ذلك دهرا وكان الناس يأتونها بمرضاهم فتستشفي لهم فتمسح يدها الشلاء على العليل وتدعو له فقلما مسحت بيدها ذا عاهة إلا برئ والأخرى أسماء بنت عمرو أم منيع وقد رفع في نسبها ونسب الأخرى ابن إسحق وروي أن أم عمارة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى للنساء شيئا فأنزل الله تعالى «إن المسلمين والمسلمات» الآية * وذكر قول البراء بن معرور وهو أول من ضرب بيده على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعه على اختلاف في ذلك وقد ذكره ابن إسحق وقال نبايعك على أن نمنعك مما نمنع منه أزرنا أراد نساءنا والعرب تكني عن المرأة بالإزار وتكني أيضا بالإزار عن النفس وتجعل الثوب عبارة عن لابسه كما قال

رموها بأثواب خفاف فلا ترى ... لها شبها إلا النعام المنفرا

يرجع الى قومك وندعك قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم «قال ابن هشام» ويقال الهدم الهدم أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم قال كعب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس

﴿أسماء النقباء الاثني عشر وتمام خبر العقبة﴾ «قال ابن هشام» من الخزرج فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي * أبو امامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج * وسعد ابن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج

* وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحرث بن الخزرج * ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر ابن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم ابن الخزرج * والبراء ابن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج * وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج * وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ابن فهر بن ثعلبة بن غنم بن

أي بإبدال حرف فقولا بما شئت فإن ربا يحتمل الوجهين جميعا وقد قال الفارسي في قول الرجل الذي كتب الى عمر من الغزو يذكره بأهله

ألا أبلغ أبا حفص رسولا * فدى لك من أخي ثقة إزاري

قال الازار كناية عن الاهل وهو في موضع نصب بالاغراء أي احفظ ازاري وقال ابن قتيبة الازار في هذا البيت كناية عن نفسه ومعناه فداك نفسي وهذا القول هو المرضي في العربية والذي قاله الفارسي بعيد عن الصواب لأنه أضمر المبتدأ وأضمر الفعل الناصب للازار ولا دليل عليه لبعده عنه وبعد البيت ما يدل على صحة القول المختار وهو

قلائصنا هداك الله انا * شغلنا عنكم زمن الحصار

فنصب قلائصنا بالاضمار الذي جعله الفارسي ناصبا للازار والبراء بن معرور يكنى أبا بشر وابنه بشر بن البراء وهو الذي أكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة فمات ومعرور اسم أبيه معناه مقصود يقال عره واعتره اذا قصده والبراء أول من صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره بعد موته وكبر أربعا وفي هذا الحديث الصلاة على القبر وقد روي من ست طرق عن النبي صلى الله عليه وسلم قاله احمد بن حنبل وذكرها كلها أبو عمر في التمهيد وزاد ثلاث طرق لم يذكرها ابن حنبل فهي اذا تروى من تسع طرق أعني أن تسعة من الصحابة رووا صلاته عليه السلام على المقبرة هم ابن عباس وأنس بن مالك وبريدة وأبو هريرة وزيد بن ثابت وعامر بن فهيرة [ربيعة] وأبو قتادة الانصاري وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وحديثه مرسل وأصحها اسنادا حديث ابن عباس وأبي هريرة وقد ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار بل الدم الدم والهدم الهدم وقال ابن هشام الهدم بفتح الدال قال ابن قتيبة كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دمي دمك وهدمي هدمك أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا ويقال أيضا بل اللدم اللدم والهدم الهدم وأنشد

ثم الحقي بهدمي ولدمي * [illegible]

فاللدم جمع لادم وهم أهله الذين يلتدمون عليه اذا مات وهو من لدمت صدره اذا ضربته والهدم قال ابن هشام الحرمة وانما كنى عن حرمة الرجل وأهله بالهدم لانهم كانوا أهل نجعة وارتحال ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما احتوى ثم قال هدمي هدمك أي رحلي مع رحلك أي لا أظعن الا معك وأنشد [illegible] * كأنها هدم في الجفرة [illegible] *

فصل [illegible] وذكر الاثني عشر [illegible] كعب منهم الى آخره [illegible] كل واحد [illegible] عليه

السلام

سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج «قال ابن هشام» هو غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج * والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج «قال ابن هشام» ويقال ابن خنيس * ومن الاوس أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل ابن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * وسعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس * ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن

عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس «قال ابن هشام» وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولا يعدون رفاعة * وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما أنشدني أبو زيد الانصاري

* أبلغ أبيا أنه فال رأيه * وحان غداة الشعب والحين واقع
أبى الله ما منتك نفسك إنه * بمرصاد أمر الناس راء وسامع
وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا * بأحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترغبن في حشد أمر تريده * وألب وجمع كل ما أنت جامع
ودونك فاعلم أن نقض عهودنا * أباه عليك الرهط حين تبايعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما * وأسعد يأباه عليك ورافع
وسعد أباه الساعدي ومنذر * لأنفك إن حاولت ذلك جادع
وما ابن ربيع إن تناولت عهده * بمسلمه لا يطمعن ثم طامع
وأيضا فلا يعطيكه ابن رواحة * وإخفاره من دونه السم ناقع
وفاء به والقوقلي ابن صامت * بمندوحة عما تحاول يافع
أبو هيثم أيضا وفي بمثلها * وفاء بما أعطى من العهد خانع
وما ابن حضير إن أردت بمطمع * فهل أنت عن أحموقة الغي نازع
وسعد أخو عمرو بن عوف فإنه * ضروح لما حاولت ملأمر مانع
أولاك نجوم لا يغبك منهم * عليك بنحس في دجى الليل طالع

فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة * قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي

يعني المسلمين قالوا نعم * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصاري أخو بني سالم ابن عوف يا معشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه فأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال والله ما قال ذلك العباس الا ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم وأما عبد الله بن أبي بكر فقال ما قال ذلك العباس الا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي ابن سلول فيكون أقوى لأمر القوم فالله أعلم أي ذلك كان «قال ابن هشام» سلول امرأة من خزاعة وهي أم أبي بن مالك بن الحرث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق فبنو النجار يزعمون ان أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده وبنو عبد الاشهل يقولون بل أبو الهيثم بن التيهان * قال ابن اسحق قال الزهري حدثني معبد بن كعب بن مالك فحدثني في حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك قال كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ثم بايع بعد القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط يا أهل الجباجب والجباجب المنازل هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة هذا ابن أزيب «قال ابن هشام» ويقال ابن أزيب اسمع أي عدو الله أما والله لأفرغن لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا الى رحالكم قال فقال له العباس بن عبادة بن نضلة والذي بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا فقال

السلام اثني عشر نقيبا اقتداء بقوله تعالى في قوم موسى وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقد سميناهم أولئك النقباء بأسمائهم في كتاب التعريف والاعلام فلا نطيل بذكرهم وروى عن الزهري انه قال قال النبي عليه السلام للاوس والخزرج حين قدم عليهم النقباء لا يجدن أحدكم في نفسه أن يؤخذ غيره فانما يختار لي جبريل وروى عن مالك بن أنس انه روى حديث النقباء عن شيخ من الانصار قال مالك وكنت أعجب كيف جاء هذا رجلان من قبيلة ورجل من أخرى حتى حدثت بهذا الحديث وان جبريل هو الذي ولاهم وأشار على النبي صلى الله عليه وسلم بهم وذكر ان الشيطان صرخ من رأس العقبة بأنفذ صوت قال الشيخ أبو بحر هكذا وقع في الامهات وأصلحه على القاضي أبي الوليد بأبعد «قال المؤلف» ولا معنى لهذا الاصلاح لان نعت الصوت بالنفاذ صحيح هو أفصح من وصفه بالبعد وقد مضى في حديث عمر مع الكاهن قال لقد سمعت من صوت العجل صوتا ما سمعت أنفذ منه وفي الصحيح ان الله تعالى يحشر الخلق يوم القيامة في صعيد واحد فينفذهم البصر ويسمعهم الداعي وكذلك وجدته في رواية يونس بن بكير عن ابن اسحق بأنفذ صوت كما كان في الاصل * وقوله يا أهل الجباجب يعني منازل منى وأصله ان الاوعية من الادم تتخذ للابل ونحوه تسمى جبجبة فجعل الخيام والمنازل لاهلها كالاوعية * وقوله عليه السلام حين صرخ الشيطان بأهل الجباجب هذا أزب العقبة هذا ابن أزيب قال ابن هشام ويقال ابن أزيب كذا ابن أزب كما تقدم في هذا الموضع أزب العقبة قال ابن ماكولا أكثر ما يقال الأزب بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم قال فرجعنا إلى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث من هنالك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه قال وقد صدقوا لم يعلموه قال وبعضنا ينظر إلى بعض قال ثم قام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان له جديدان قال فقلت له كلمة كأني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش (٢٧٨) قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجله ثم رمى بهما إليّ فقال والله لتنتعلنهما قال يقول أبو جابر مه أحفظت والله الفتى فاردد إليه نعليه قال قلت لا والله لا أردهما فأل والله صالح والله لئن صدق الفأل لأسلبنه * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبي ابن سلول فقالوا له مثل ما قال كعب من القول فقال لهم إن هذا الأمر جسيم ما كان قومي ليتفوتوا عليّ بمثل هذا وما علمته كان قال فانصرفوا عنه قال ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان وخرجوا في طلب القوم فأدركوا سعد بن عبادة بأذاخر والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيبا فأما المنذر فأعجز القوم وأما سعد فأخذوه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته

عمرو بن بكيل من همدان جده العباس أم أمه سيله وقال لا يعرف الأزب في الأسماء إلا هذا وأزب العقبة وهو اسم شيطان ووقع في هذه النسخة في عروة أجدار بن العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاي وفي حديث ابن الزبير ما يشهد له حين رأى رجلا طوله شبران على بردعة رحله فقال ما أنت فقال إزب قال وما إزب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود السوط حتى باص أي هرب وقال يعقوب في الألفاظ الأزب القصير وحديث ابن الزبير ذكره العتبي في الغريب فالله أعلم أي اللفظين أصح وابن أزيب في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعيلا من الأزب أيضا والأزيب النشاط وأزيب اسم ريح من الرياح الأربع والأزيب الفزع أيضا والأزيب الرجل المتقارب المشي وهو على وزن أفعل قاله صاحب العين ويحتمل أن يكون ابن أزيب من هذا أيضا وأما النشاط فأزيب على وزن فعيل لأن يعقوب حكى في الألفاظ امرأة أزيبة ولو كان على وزن أفعل في المذكر لم يقل في المؤنث بتاء إلا أن فعيلا في أسماء الأسماء عزيز وقد قالوا في ضهياء وهي التي لا تحيض من النساء فعيل جعلوا الهمزة زائدة وهي عندي فعيل لأن الهمزة في قراءة عاصم لام الفعل في قوله تعالى يضاهئون والضهياء من هذا لأنها تضاهي الرجل أي تشبهه ويقال فيه ضهياء بالمد فلا اشتقاق فيها إلا أنت على لغة من قال ضاهيت بالياء وقد يجوز أن يكون أزيب وأزيبة مثل أرمل وأرملة فلا يكون فعيلا وروى أبو الأشهب عن الحسن قال لما بويع لرسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبو لبنى قد أنذر بكم فتفرقوا

﴿فصل﴾ وذكر الحارث بن هشام حين رمى بنعليه إلى جابر قال وكان عليه نعلان جديدان والنعل مؤنثة ولكن لا يقال جديدة في الفصيح من الكلام وإنما يقال ملحفة جديد لأنها في معنى مجدودة أي مقطوعة فهي من باب كف خضيب وامرأة قتيل قال سيبويه ومن قال جديدة فإنما أراد معنى حديثة أراد سيبويه أن جديدة بمعنى حادثة وكل فعيل بمعنى فاعل تدخله التاء في المؤنث * وذكر قول سعد حين أسرته قريش فأتاني رجل وضيء شعشاع والشعشع والشعشعاني الطويل من الرجال وكذلك السلهب والصقعب والسرهف والسرحب والخبق والشوذب الطويل مع رقة في أسماء كثيرة * وقوله أوى إليه رجل أي رق له يقال أويت له وماويت * وقوله فتنطس القوم الخبر أي أكثروا البحث عنه والتنطس تدقيق النظر قال الراجز

وقد أكون عندها نبيسا * طبا بأدواء النسا نطيسا

وكان ذا شعر كثير قال سعد فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع علي نفر من قريش فيهم رجل وضيء أبيض شعشاع حلو من وذكر الرجال «قال ابن هشام» الشعشاع الطويل الحسن قال رؤبة * يمطوه من شعشاع غير مودن * يعني عنق البعير غير قصير يقول مودن اليد أي ناقص اليد يمطوه من السير شعشاع حلو من الرجال قال فقلت في نفسي إن يك عند أحد من القوم خير فعند هذا قال فلما دنا مني رفع يده فلكمني لكمة شديدة قال فقلت في نفسي لا والله ما عندهم بعد هذا من خير قال فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني إذ أوى لي رجل ممن كان معهم فقال ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قال قلت بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف تجاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادي وللحرث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف قال ويحك فاهتف باسم الرجلين

وائتمرا به بينهما قال ففعل وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما إن رجلا من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ليهتف بكما ويذكر أن بينه وبينكما جوارا قالا ومن هو قال جبير بن مطعم بن عدي قالا صدق والله إن كان ليجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده قال فجاءا فخلصا سعدا من أيديهم فانطلق وكان الذي لكم سعدا سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي «قال ابن هشام» وكان الرجل الذي أوى إليه أبا البختري بن هشام * قال ابن إسحق وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين قالهما ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر

تداركت سعدا عنوة فأخذته * وكان شفاء لو تداركت منذرا

ولو نلته طلت هناك جراحه * وكانت حريا أن يهان ويهدرا «قال ابن هشام» ويروى * وكان حقيقا أن يهان ويهدرا * قال ابن إسحق فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال

لست إلى سعد ولا المرء منذر * إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

فلولا أبو وهب لمرت قصائد * على شرف البرقاء يهوين حسرا

أتفخر بالكتان لما لبسته * وقد تلبس الأنباط ريطا مقصرا

فلا تك كالوسنان يحلم أنه * بقرية كسرى أو بقرية قيصرا

ولا تك كالثكلى وكانت بمعزل * عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا

ولا تك كالشاة التي كان حتفها * بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

ولا تك كالعاوي فأقبل نحره * ولم يخشه سهما من النبل مضمرا

فإنا ومن يهدي القصائد نحونا * كمستبضع تمرا إلى أهل خيبرا

وذكر قول ضرار بن الخطاب * وكان شفاء لو تداركت منذرا * وضرار كان شاعر قريش وفارسها ولم يكن في قريش أشعر منه ثم ابن الزبعرى وكان جده مرداس رئيس بني محارب بن فهر في الجاهلية يسير فيهم بالمرباع وهو ربع الغنيمة وكان أبوه أيام الفجار رئيس بني محارب بن فهر أسلم ضرار عام الفتح * وذكر قول حسان يجيبه

لست إلى عمرو ولا المرء منذر * إذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

يعني بعمرو عمرو بن خنيس والد المنذر يقول لست إليه ولا إلى ابنه المنذر أي أنت أقل من ذلك والمنذر بن عمرو هذا يقال له أعنق ليموت هو أحد النقباء كذا ذكر ابن إسحق وذكر ابن إسحق في المواخاة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين أبي ذر الغفاري وأنكر ذلك الواقدي محمد بن عمر وقال إنما آخى بينه وبين طليب بن عمير قال وكيف يواخي بينه وبين أبي ذر والمواخاة كانت قبل بدر وأبو ذر كان إذ ذاك غائبا عن المدينة ولم يقدم إلا بعد بدر وقد قطعت بدر المواخاة ونسخها قوله سبحانه «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض» وللمنذر بن عمرو حديث واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له غيره رواه عبد المهيمن ابن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده عن المنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد للسهو قبل السلام وعبد المهيمن ضعيف وقول حسان

ولا تك كالشاة التي كان حتفها * بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

يقول العرب في مثل قديم من أثار على نفسه شرا كالباحث عن المدية وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر

وكان يجير الناس من سيف مالك * فأصبح يبغي نفسه من يجيرها

وكان كعنز السوء قامت بظلفها * إلى مدية تحت التراب تثيرها

(فصل) في إسلام عمرو بن الجموح وذكر صنمه الذي كان يعبده واسمه مناة وقرنه وإلقاءه مع ميت الدم

فلما قدموا المدينة أظهروا الإسلام بها وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ابن غنم بن كعب بن سلمة وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وكان عمرو بن الجموح سيدا من سادات بني سلمة وشريفا من أشرافهم وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب يقال له مناة كما كانت الأشراف يصنعون تتخذه إلها تعظمه وتطهره فلما أسلم فتيان بني سلمة معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكسا على رأسه فإذا أصبح عمرو قال ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لأخزينه فإذا أمسى ونام عمرو عدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطهره ويطيبه ثم يعدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى فإن كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو عدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من

ابن بني سلمة فيها عذرة من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده في مكانه الذي كان به فخرج يبغيه حتى وجده في تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكلمه من أسلم من قومه فأسلم برحمة الله وحسن اسلامه فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذي أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة قال

والله لو كنت الها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر في قرن

أف لملقاك الها مستدن * الآن فتشناك عن سوء الغبن

الحمد لله العلي ذي المنن * الواهب الرزاق ديان الدين

هو الذي أنقذني من قبل أن * أكون في ظلمة قبر مرتهن

* بأحمد المهدي النبي المرتهن * قال ابن اسحق وكانت بيعة الحرب حين أذن الله لرسوله في القتال شروطا سوى شرطه عليهم في العقبة الاولى كانت الاولى على بيعة النساء وذلك ان الله تعالى لم يكن أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم في الحرب فلما أذن له فيها وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة الآخرة على حرب الاحمر والاسود أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة * قال ابن اسحق فحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد عن جده عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوا في العقبة الاولى على بيعة النساء على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا (٢٨٠) وأثرة علينا وأن لا ننازع الامر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم * قال ابن اسحق وهذه تسمية من شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها من الاوس والخزرج وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين * شهدها من الاوس بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر ثم من بني عبد الاشهل بن جشم ابن الحرث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الاوس أسيد بن حضير ابن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل نقيب لم يشهد بدرا وأبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك شهد بدرا * وسلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الاشهل شهد بدرا ثلاثة نفر «قال ابن هشام» ويقال ابن زعوراء بفتح العين * قال ابن اسحق ومن بني حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * ظهير بن رافع بن عدي بن زيد بن جشم بن حارثة * وأبو بردة بن نيار واسمه هانئ بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن هني بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة حليف لهم شهد بدرا * ونهير بن الهيثم من بني نابي بن مجدعة بن حارثة ثلاثة نفر * ومن بني عمرو بن عوف ابن مالك بن الاوس سعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس نقيب شهد بدرا فقتل به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا «قال ابن هشام» ونسبه ابن اسحق في بني عمرو بن عوف «قال ابن هشام» وهو من بني غنم بن السلم لانه ربما كانت دعوة الرجل في القوم أو يكون فيهم فينسب اليهم قال ابن اسحق ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو نقيب شهد بدرا وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك واسم البرك امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة ويقال أمية بن البرك فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق ومعن بن عدي بن الجد بن العجلان بن ضبيعة حليف لهم من بلي شهد بدرا واحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها وقتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه * وعويم بن ساعدة شهد بدرا واحدا والخندق

وغيره اذا صبغته فلان الدماء كانت تعبد فيه في الجاهلية وفيه سميت الاصنام الدمى وفي الحديث لا والدمى لا أرى غيا يقول بأسا وكذلك فهذه الطاغية التي كانوا يهلون لها بقديد والخطم من هذا المطلع ما في قوله تعالى «ومناة الثالثة الأخرى» من الفائدة جعلها ثالثة اللات والعزى وأخرى بالاضافة الى مناة التي كان يعبدها عمرو بن الجموح وغيره من قومه فهما مناتان واحداهما أخرى بالاضافة الى صاحبتها * وقوله * الآن فتشناك عن سوء الغبن * الغبن في الرأي يقال غبن رأيه كما يقال سفه نفسه وغبنوا الآن الغبي خسر نفسه وأوبقها وأفسد رأيه ونحو هذا * وقوله الها مستدن من السدانة وهي خدمة البيت وتعظيمه * وقوله ديان الدين الدين جمع دينة وهي العادة ويقال لها ديدن أيضا وقال ابن الطثرية واسمه يزيد

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم * له عند ليلى دينة يستديمها

فألقيت سهمي بينهم حين أوحشوا * فما صار لي في القسم الا ثمينها

ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أي هو ديان أهل الاديان ولكن جمعها على الدين لانها ملل ونحل كما قالوا في جمع الحرة حرائر لانها في معنى الكرائم والعقائل وكذلك مرائر الشجر وان كانت الواحدة مرة ولكنها في معنى فعيلة لانها عسيرة في الذوق وشديدة على الآكل وكريهة له

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق تسمية من حضر العقبة وذكر أبا الهيثم بن التيهان وقد ذكرنا

خمسة نفر فجميع من شهد العقبة من الأوس أحد عشر رجلا * وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج أبو أيوب وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مات بأرض الروم غازيا في زمن معاوية بن أبي سفيان * ومعاذ بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك ابن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها وهو ابن عفراء وأخوه عوف بن الحرث شهد بدرا وقتل به شهيدا وهو الذي قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة وهو لعفراء وقال رفاعة بن الحرث بن سواد فيما قال ابن هشام * وعمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها وقتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه * وأسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار نقيب مات قبل بدر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى وهو أبو أمامة ستة نفر * ومن بني عمرو بن مبذول ومبذول عامر بن مالك بن النجار سهل بن عتيك بن النعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو شهد بدرا رجل * ومن بني عمرو بن مالك بن النجار وهو بنو حديلة «قال ابن هشام» حديلة بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج * أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك شهد بدرا * وأبو طلحة وهو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك شهد بدرا رجلان * ومن بني مازن بن النجار قيس بن أبي صعصعة واسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن شهد بدرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على الساقة يومئذ * وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن رجلان فجميع من شهد العقبة من بني النجار أحد عشر رجلا «قال ابن هشام» عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء وهذا الذي ذكره ابن اسحق إنما هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء * قال ابن اسحق ومن بلحرث بن الخزرج سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث نقيب شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ (٢٨١) القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن

اسمه واسم أبيه وما قيل في نسبه في ذكر العقبة الأولى * وذكر قطبة بن عامر والقطبة فيما ذكر أبو حنيفة واحدة القطب وهي شوكة مدحرجة ذات ثلاث شوكات وهي تشبه حسك السعدان وقد كان يعيب أبي حنيفة أنه الذي سميه بلاد باحص الأمير والقطبة طرف النصل * وذكر ذكوان بن عبد قيس ونسبه إلى عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن رواحة بن غضب بن جشم والغضب في اللغة الشديد الحمرة

(٣٦ - روض ل)

الخزرج بن الحرث نقيب شهد بدرا وأحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها إلا الفتح وما بعده وقتل يوم مؤتة شهيدا أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وبشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث أبو النعمان بن بشير شهد بدرا * وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد بن الحرث بن الخزرج بن الحرث شهد بدرا وهو الذي أري النداء للصلاة فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به * وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث شهد بدرا وأحدا والخندق وقتل يوم بني قريظة شهيدا طرحت عليه رحى من أطم من آطامها فشدخته شدخا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون إن له لأجر شهيدين * وعقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عسيرة بن جدارة بن عوف بن الحرث وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سنا مات في أيام معاوية لم يشهد بدرا ستة نفر * ومن بني بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة شهد بدرا * وفروة بن عمرو بن وذفة بن عبيد بن عامر بن بياضة شهد بدرا «قال ابن هشام» ويقال ودفة * قال ابن اسحق وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة شهد بدرا ثلاثة نفر * ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق نقيب * وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق وكان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معه بمكة فهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة وكان يقال له مهاجري أنصاري شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق شهد بدرا * والحرث بن قيس بن خالد بن مخلد بن عامر بن زريق وهو أبو خالد شهد بدرا أربعة نفر * ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم نقيب وهو الذي تزعم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يد رسول الله

النبي صلى الله عليه وسلم وشرط له واشترط عليه ثم توفي قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وابنه بشر بن البراء بن معرور شهد بدرا وأحدا والخندق ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة التي سم فيها وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأل بني سلمة من سيدكم يا بني سلمة فقالوا الجد بن قيس على بخله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأي داء أكبر من البخل سيد بني سلمة الأبيض الجعد بشر بن البراء بن معرور * وسنان بن صيفي بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا * والطفيل بن النعمان ابن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا وقتل يوم الخندق شهيدا * ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عبيد شهد بدرا * ويزيد ابن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عبيد شهد بدرا * ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد * والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد شهد بدرا * ويزيد بن حرام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد * وجبار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا «قال ابن هشام» ويقال جبار بن صخر بن أمية بن خناس * قال ابن إسحق والطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا احدى عشر رجلا * ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ثم من بني كعب بن سواد كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين بن كعب رجل * ومن بني غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة سليم بن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غنم شهد بدرا * وقطبة بن عامر بن حديدة بن غنم بن عمرو شهد بدرا * ويزيد بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم وهو أبو المنذر شهد بدرا وأبو اليسر واسمه كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم شهد بدرا * وصيفي بن سواد بن عباد بن عمرو بن غنم خمسة نفر «قال ابن هشام» صيفي بن أسود بن عباد بن عمرو بن سواد وليس لسواد ابن يقال له غنم * قال ابن إسحق ومن بني نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة * ثعلبة بن عنمة بن عدي بن نابي شهد بدرا وقتل بالخندق شهيدا * وعمرو بن غنمة بن عدي بن نابي وعبس بن عامر بن عدي بن نابي شهد بدرا * وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة * وخالد بن عمرو بن عدي بن نابي خمسة نفر * قال ابن إسحق ومن بني حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة * عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * [illegible] بن عبد الله * ومعاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام شهد بدرا * وثابت بن الجذع واسم الجذع ثعلبة بن زيد بن الحرث بن حرام شهد بدرا وقتل بالطائف شهيدا * وعمير بن الحرث بن ثعلبة بن زيد بن الحرث بن حرام شهد بدرا «قال ابن هشام» عمير بن الحارث بن لبدة بن ثعلبة

وجشم معدول عن جاشم وهو من جشمت الأمر كما عدلوا عمر عن عامر وقد أمليناه جزءا في أسرار ما ينصرف وما لا ينصرف شرحنا فيه فائدة العدل عن فاعل إلى فعل وما حقيقة العدل والمقصود به ولم لم تعدل عن أسماء الأجناس ولم لم يكن إلا في الصفات ولم لم يكن من الصفات إلا في مثل عامر وزافر وقاسم ولم يكن في مالك وصالح وسالم ولم اختص فعل بهذا البناء بالعدل إليه وهل عدل إلى بناء غيره أم لا ولم لزم الخفض والبناء إذا كان معدولا إلى هذا البناء فمن اشتاق إلى معرفة هذه الأسرار فليطلبها هنالك فإن ابن جني قد حام في كتاب الخصائص على بعضها ورد وصا صافيا فمج * وذكر في بني بياضة عمرو بن وذفة بذال معجمة وقال ابن هشام ودفة بدال مهملة وهو الأصح والودفة الروضة الناعمة سميت بذلك لأنها تقطر ماء من نعمتها والإذاف الذكر وأصله وذاف سمي بذلك لموضع قطر الماء والبول منه ويقال للروضة الناعمة الذفري وعمرو بن ودفة هذا هو البياضي الذي روى عنه مالك في كتاب الصلاة ولم يسمه وفي الأنصار بنو النجار وهم تيم الله بن ثعلبة سمي النجار فيما ذكروا لأنه نجر وجه رجل بقدوم وقيل كان نجارا ونجار في العرب كثير في الرجال وقل ما يسمون ثعلبا وإن كان ذلك هو القياس كما يسمون نمر وسبع وذئب ولكن الثعلب اسم مشترك إذ يقال ثعلب الرمح وثعلب الحوض وهو مخرج الماء منه وفي الحديث حتى قام أبو لبابة يسد ثعلب مربده بردائه فكأنهم عدلوا عن التسمية بثعلب لهذا الاشتراك مع أن الثعلبة أحمى لأدراصها وأعمى على أجرائها من الذئب * وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني سلمة من سيدكم فقالوا الجد بن قيس على بخل فيه فقال وأي داء أكبر من البخل بل سيدكم الأبيض الجعد بشر بن البراء وروي عن الزهري وعامر الشعبي أنهما قالا في هذا الحديث عن النبي عليه السلام بل سيدكم عمرو بن الجموح وقال شاعر الأنصار في ذلك

وقال رسول الله والحق قوله * لمن قال منا من تعدون سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التي * نبخله فيها وما كان أسودا
فسود عمرو بن الجموح لجوده * وحق لعمرو بالندى أن يسودا

(فصل)

* قال ابن اسحق وخديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن الفرافر حليف لهم من بلى * ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد بن على بن أسد ويقال أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج وكان فى بنى سلمة شهد بدرا والمشاهد كلها ومات بعمواس عام الطاعون بالشام فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وانما ادعته بنو سلمة انه كان أخا سهل بن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة لامه * فنفر «قال ابن هشام» أوس بن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن أدى بن سعد * قال ابن اسحق ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج * عبادة ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف نقيب شهد بدرا والمشاهد كلها «قال ابن هشام» وهو غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف وكان ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له مهاجرى أنصارى وقتل يوم أحد شهيدا * وأبو عبد الرحمن بن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة حليف لهم من بنى غصينة من بلى * وعمرو بن الحرث بن لبدة بن عمرو ابن ثعلبة أربعة نفر وهم القواقل * ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج وهم (٢٨٣) بنو الحبلى «قال ابن هشام» الحبلى سالم ابن غنم بن عوف وانما سمى الحبلى لعظم بطنه * رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم شهد بدرا وهو أبو الوليد «قال ابن هشام» ويقال رفاعة بن مالك ومالك أبو الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم * قال ابن اسحق وعقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال بن الحرث بن عمرو بن عدى بن جشم بن عوف بن بهثة ابن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان حليف لهم شهد بدرا وكان ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة الى مكة فكان يقال له مهاجرى أنصارى «قال ابن هشام» رجلان * قال ابن اسحق ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج * سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة نقيب * والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن جشم بن الخزرج بن ساعدة نقيب شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى كان يقال له أعنق ليموت «رجلان» * قال ابن اسحق فجميع من شهد العقبة من الاوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم يزعمون انهما قد بايعتا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أقررن قال اذهبن فقد بايعتكن * ومن بنى مازن بن النجار نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن وهى أم عمارة كانت شهدت الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب وابناها حبيب بن زيد وعبد الله ابنا زيد وابنها حبيب الذى أخذه مسيلمة الكذاب الحنفى صاحب اليمامة فجعل يقول له أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم فيقول أفتشهد انى رسول الله فيقول لا أسمع فجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات فى يده لا يزيد على ذلك اذا ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه واذا ذكر له مسيلمة قال لا أسمع [illegible] فخرجت الى اليمامة مع المسلمين فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها

«فصل» وذكر خديج بن سلامة البلوى وهو خديج بحاء منقوطة مفتوحة ودال مكسورة كذلك ذكره الدارقطنى وغيره وذكره الطبرى وقال شهد العقبة ولم يشهد بدرا وقال يكنى أبا رشيد * وذكر معاذ بن جبل ونسبه الى أدى بن سعد بن على أخى سلمة وقد انقرض عقب أدى وآخر من مات منهم عبد الرحمن بن معاذ ابن جبل وقد يقال فى أدى أيضا أذن فى غير رواية ابن اسحق وابن هشام * وذكر أن معاذ بن جبل مات فى طاعون عمواس هكذا قيد فى النسخة عمواس بسكون الميم وقال فيه البكرى فى كتاب المعجم من أسماء البقاع عمواس بفتح الميم والعين وهى قرية بالشام عرف الطاعون بها لانه منها بدا وقيل انما سمى طاعون عمواس لانه عم وآسى أى جعل بعض الناس أسوة بعض * وذكر يزيد بن ثعلبة بن خزمة باسكون الزاى كذا قال فيه ابن اسحق وابن الكلبى وقال الطبرى فيه خزمة بتحريك الزاى وهو بلوى من بنى عمارة بفتح العين وتشديد الميم ولا يعرف عمارة فى العرب الا هذا كما لا يعرف عمارة بكسر العين الا أبى بن عمارة الذى يروى حديثا فى المسح على الخفين وقد قيل فيه عمارة بضم العين وأما سوى هذين فعمارة بالضم غير أن الدارقطنى ذكر عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبى فى نسب قضاعة قال مدرك بن عبد الله بن القمقام بن عمارة بن موءلة بن مالك وفى النساء عمارة بنت نافع وهى أم جد بن عبد الله بن عبد الرزاق وفى الانصار خزمة سوى هذا المذكور بفتح الزاى كثير * وذكر بنى الحبلى والنسب اليه حبلى بضم الحاء والباء فاله سيبويه على غير قياس النسب وتوهم بعض من ألف فى العربية أن سيبويه قال فيه حبلى بفتح الباء لما رآه قد جعل فى النسب الى جذيمة

اثنا عشر نجيحا من بني طلحة وقتل بقية * قال ابن إسحق حدثني هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي
صعصعة * ومن بني سلمة أم منيع واسمها أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحق المطلبي قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل
بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت
على من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم فهم من بين مفتون في دينه ومن بين معذب في أيديهم وبين هارب في البلاد
فرارا منهم منهم من بأرض الحبشة ومنهم من بالمدينة وفي كل وجه فلما عتت قريش على الله عز وجل وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة
وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم
في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم فكانت أول آية أنزلت في إذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم فيما
بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم
بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن
الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور
أي إني إنما أحللت لهم القتال لأنهم ظلموا ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس إلا أن يعبدوا الله وأنهم إذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة
وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه وقاتلوهم
حتى لا تكون فتنة أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين لله أي حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره * قال ابن إسحق فلما أذن الله تعالى له
صلى الله عليه وسلم في الحرب وتابعه هذا الحي من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى إليهم من المسلمين

ولم يذكر سيبويه بنية فعيلة إلا بياء قبلها على وزنه ولكن لا بياء شاذة مثله في القياس الذي ذكرناه عن سيبويه من تقييده
بالضم ذكره أبو علي القالي في البارع وقال هكذا وجدته في النسخ الصحيحة من سيبويه وحسبك من هذا أن جميع
المحدثين يقولون أبو عبد الرحمن الحبلي بضمتين لا يختلفون في ذلك فدل هذا كله على غلط من نسب إلى
سيبويه أنه فتح الباء

﴿فصل﴾ وذكر هجرة أم سلمة وصحبة عثمان بن طلحة لها وهو يومئذ على كفره وإنما أسلم عثمان في هدنة الحديبية

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار وقال إن الله عز وجل قد جعل لكم
إخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا أرسالا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من
مكة والهجرة إلى المدينة وكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بني مخزوم *
أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واسمه عبد الله هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة وكان قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجرا * قال ابن
إسحق فحدثني أبي إسحق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما
أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ثم خرج بي يقود بي بعيره فلما
رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا إليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتك هذه علام نتركك تسير بها
في البلاد قالت فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد رهط أبي سلمة فقالوا لا والله لا نترك ابننا
عندها إذ نزعتموها من صاحبنا قالت فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الأسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق
زوجي أبو سلمة إلى المدينة قالت ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي
سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين
زوجها وبين ولدها قالت فقالوا لي الحقي بزوجك إن شئت قالت ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني قالت فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني
فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة قالت وما معي أحد من خلق الله قالت فقلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي حتى إذا
كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال لي إلى أين يا بنت أبي أمية قالت فقلت أريد زوجي بالمدينة قال أوما
معك أحد قالت فقلت لا والله إلا الله وبني هذا قال والله ما لك من مترك فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي فوالله ما صحبت رجلا من

العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني حتى إذا نزلت عنه استأخر ببعيري فحط عنه ثم قيده في الشجر ثم تنحى إلى الشجرة فاضطجع تحتها فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني فقال اركبي فإذا ركبت فاستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقادني حتى ينزل بي فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال زوجك في هذه القرية وكان أبو سلمة بها نازلا فادخليها على بركة الله ثم انصرف راجعا إلى مكة قال فكانت تقول والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة وما رأيت صاحبا قط أكرم من عثمان بن طلحة * قال ابن إسحق ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبي سلمة عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب * ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بني أمية بن عبد شمس احتمل بأهله وبأخيه عبد بن جحش وهو أبو أحمد وكان أبو أحمد رجلا ضرير البصر وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد وكان شاعرا وكانت عنده الفرعة ابنة أبي سفيان بن حرب وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فغلقت دار بني جحش هجرة فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام بن المغيرة وهي دار أبان بن عثمان اليوم التي بالردم وهم مصعدون إلى أعلى مكة فنظر إليها عتبة بن ربيعة تخفق أبوابها يبابا ليس بها ساكن فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ثم قال

وكل دار وإن طالت سلامتها * يوما ستدركها النكباء والحوب

«قال ابن هشام» وهذا البيت لأبي دؤاد الإيادي في قصيدة له والحوب التوجع * قال ابن إسحق ثم قال عتبة أصبحت دار بني جحش خلاء من أهلها فقال أبو جهل وما تبكي عليه من قل ابن قل «قال ابن هشام» القل الواحد قال لبيد بن ربيعة كل بني حرة مصيرهم * قل وإن أكثرت من العدد * قال ابن إسحق ثم قال هذا عمل ابن أخي هذا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وقطع بيننا فكان منزل أبي سلمة بن عبد الأسد وعامر بن ربيعة وعبد الله بن جحش وأخيه أبي أحمد بن جحش على مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بقباء في بني عمرو بن عوف ثم قدم المهاجرون أرسالا وكان بنو غنم بن دودان أهل إسلام قد أوعبوا إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة رجالهم ونساؤهم عبد الله بن جحش وأخوه أبو أحمد بن جحش وعكاشة بن محصن وشجاع وعقبة ابنا وهب وأربد بن حميرة «قال ابن هشام» ويقال ابن حميرة

المدينة وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد وقتل يوم أحد إخوته مسافع وكلاب والحارث وأبوهم وعمه عثمان بن أبي طلحة قتل أبوه يوم أحد كافرا وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو جد بني شيبة حجبة الكعبة واسم أبي طلحة جدهم عبد الله بن عبد العزى وقتل عثمان رحمه الله شهيدا بأجنادين في أول خلافة عمر

﴿فصل﴾ وذكر هجرة بني جحش وهم عبد الله وأبو أحمد واسمه عبد وقد كان أخوهم عبيد الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها «فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها» وأم حبيب بنت جحش التي كانت تستحاض وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف وحمنة بنت جحش التي كانت تحت مصعب بن عمير وكانت تستحاض أيضا وقد روي أن زينب استحيضت أيضا ووقع في الموطأ أن زينب بنت جحش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف وكانت تستحاض ولم يقل أحد إن زينب كانت عند عبد الرحمن بن عوف ولا قاله أحد والغلط لا يسلم منه بشر وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ويقال فيها أم حبيبة غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح أخبرني أن أم حبيب كان اسمها زينب فهما زينبان غلبت على إحداهما الكنية فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ وهم ولا غلط والله أعلم وكان اسم زينب بنت جحش برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيبته عليه السلام كان اسمها برة فسماها زينب كأنه كره أن تزكي المرأة نفسها بهذا الاسم وكان اسم جحش بن رئاب برة فقالت زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله لو غيرت اسم أبي فإن البرة صغيرة فقيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لو كان أبوك مسلما لسميته باسم من أسماء أهل البيت ولكني قد سميته جحشا والجحش أكبر من البرة ذكر هذا الحديث مسندا في كتاب المؤتلف والمختلف أبو الحسن الدارقطني

﴿فصل﴾ ذكر البيت الذي تمثل به أبو سفيان حين مر بدار بني جحش وأبوابها تخفق

وكل بيت وإن طالت سلامته * يوما ستدركه النكباء والحوب

كل امرئ بلقاء الموت مرتهن * كأنه غرض للموت منصوب

والشعر لأبي دؤاد الإيادي واسمه حنظلة بن شرقي وقيل جارية بن الحجاج ذكر دار بني جحش وأم أحمد
دار أبان بن عثمان بالردم والردم ردم بالقتلى في الجاهلية فسمي الردم وذلك في حرب كانت بين بني جمح
وبين بني الحارث بن فهر وكانت الدبرة فيها على بني الحارث ولذلك قل عددهم فهم أقل قريش عددا * وقد ذكر
ابن إسحق شعر أبي أحمد بن جحش وفيه

الى الله وجهي والرسول ومن يقم * الى الله يوما وجهه لا يخيب

هكذا يروى بكسر الباء على الإقواء ولو روي بالرفع لجاز على الضرورة ويكون بتقديره فلا يخيب بإضمار الفاء
في مذهب أبي العباس وفي مذهب سيبويه نحو رأيت إلا على إضمار الفاء ولكن على نية التقديم للفعل على
الشرط كما أنشدوا * انك ان يصرع أخوك تصرع * وهو مع ان أحسن لأن التقدير إنك تصرع ان
يصرع أخوك وأنشدوا أيضا * من يفعل الحسنات الله يشكره * على هذا التقدير وفي الشعر أيضا
* ولا تقرب للارحام اذ لا تقرب * وتأول ابن هشام اذ هنا بمعنى اذا وهو خطأ من وجهين أحدهما ان
الفعل المضارع لا يحسن بعد اذا مع حرف النفي وإنما يحسن بعد اذ كقوله سبحانه «اذ يقول المنافقون» ولو
قلت سآتيك اذا تقول كذا كان قبيحا اذا أخرتها أو قدمت الفعل لما في اذا من معنى الشرط وإنما يحسن
هذا في حروف الشرط مع لفظ الماضي تقول سآتيك ان قام زيد واذا قام زيد ويقبح سآتيك ان يقم [illegible]
لأن حرف الشرط اذا أخر ألغي واذا ألغي لم يقع الفعل المعرب بعده وإنما يحسن في كيف نحو قوله سبحانه
«ينفق كيف يشاء ويبسطه في السماء كيف يشاء» لسر بديع لعلنا نذكره ان وجدنا النشاط محررا
ويحسن الفعل المستقبل مع اذا بعد القسم كقوله تعالى «والليل اذا يسري» لانعدام معنى الشرط فيه فهذا
وجه والوجه الثاني ان اذ بمعنى اذا غير معروف في الكلام ولا حكاه ثبت وما استشهد به من قول رؤبة
ليس على ما ظن انما معناه ثم جزاه الله ربي ان جرى أي من أجل ان بمعنى وجرى بمعنى كما قال تعالى «يوم
لا تجزي نفس عن نفس شيئا» ففاعل جزى مضمر عائد على الرجل الممدوح واذ بمعنى ان المفتوحة كذا
قال سيبويه في سواد الكتاب ويشهد له قوله سبحانه «بعد اذ أنتم مسلمون» وعليه يحمل قوله سبحانه
ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وغفل التسوي عما في الكتاب من هذا وجعل الفعل المستقبل الذي بعد لن
عاملا في الظرف الماضي فصار بمنزلة من يقول سآتيك اليوم أمس وهذا هراء من القول وغفلة عما في
كتاب سيبويه وليت شعري ما يقول في قوله سبحانه «واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم» فان
جوز وقوع المستقبل في الظرف الماضي على أصله الفاسد فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لا سيما مع السين
وهو ممتنع ان يقول غدا سآتيك فكيف ان قلت غدا فسآتيك وكيف ان زدت على هذا وقلت أمس
فسآتيك واذ على أصله بمنزلة أمس فهذه فضائح لا غطاء عليها ﴿فان قال قائل﴾ فكيف الوجه في قوله
سبحانه «ولو ترى اذ وقفوا» وكذلك «ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم» أليس هذا كما قال ابن هشام
بمعنى اذا التي تعطي الاستقبال ﴿قلنا له﴾ وكيف يكون بمعنى اذا واذا لا يقع بعدها الابتداء والخبر وقد قال
سبحانه «اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم» وإنما المعنى ولو ترى ندمهم وخزيهم في ذلك اليوم بعد وقوفهم على
النار فاذ ظرف ماض على أصله ولكن بالاضافة الى خزيهم وندامتهم بالخزي والندامة وإنما يقع بعد المعاينة
والتوقيف فقد صار وقت التوقيف ماضيا بالاضافة الى ما بعده والذي بعده هو مفعول ترى وهذا نحو مما
[illegible] وهم في قوله سبحانه «فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها» فتوهم ان اذا ها هنا بمعنى اذ لأنها حكاية قد
مضى زمانها وهي على بابها والفعل بعدها مستقبل بالاضافة الى الانطلاق لأنه بعده والانطلاق قبله

ولولا

* قال ابن إسحاق وعبد الله بن نباتة وسنبر بن رقيش ومحرز بن نضلة ويزيد بن رقيش بن جابر وعمرو بن محصن ومالك بن عمرو وصفوان بن عمرو وثقف بن عمرو وربيعة بن أكثم والزبير بن عبيدة وتمام بن عبيدة وسخبرة بن عبيدة ومحمد بن عبد الله بن جحش * ومن نسائهم زينب بنت جحش وأم حبيب بنت جحش وجدامة بنت جندل وأم قيس بنت محصن وأم حبيب بنت ثمامة وآمنة بنت رقيش وسخبرة بنت تميم وحمنة بنت جحش فقال أبو أحمد بن جحش بن رئاب وهو يذكر هجرة بني أسد بن خزيمة من قومه إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم وإيعابهم في ذلك حين دعوا إلى الهجرة

ولو حلفت بين الصفا أم أحمد * ومروتها بالله برت يمينها
لنحن الأولى كنا بها ثم لم نزل * بمكة حتى عاد غثا سمينها
بها خيمت غنم بن دودان وابتنت * وما إن غدت غنم وخف قطينها
إلى الله تغدو بين مثنى وواحد * ودين رسول الله بالحق دينها

وقال أبو أحمد بن جحش أيضا *

لما رأتني أم أحمد غاديا * بذمة من أخشى بغيب وأرهب
تقول فإما كنت لا بد فاعلا * فيمم بنا البلدان ولنأت يثرب
فقلت لها بل يثرب اليوم وجهنا * وما يشاء الرحمن فالعبد يركب
إلى الله وجهي والرسول ومن يقم * إلى الله يوما وجهه لا يخيب
فكم قد تركنا من حميم مناصح * وناصحة تبكي بدمع وتندب
ترى أن وترا نأينا عن بلادنا * ونحن نرى أن الرغائب نطلب
دعوت بني غنم لحقن دمائهم * وللحق لما لاح للناس ملحب
أجابوا بحمد الله لما دعاهم * إلى الحق داع والنجاح فأوعبوا
وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى * أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين أما منهما فموفق * على الحق مهدي وفوج معذب
طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم * عن الحق إبليس فخابوا وخيبوا
ورعنا إلى قول النبي محمد * فطاب ولاة الحق منا وطيبوا
نمت بأرحام إليهم قريبة * ولا قرب بالأرحام إذ لا تقرب
فأي ابن أخت بعدنا يأمننكم * وأية صهر بعد صهري ترقب
ستعلم يوما أينا إذ تزايلوا * وزيل أمر الناس للحق أصوب
قال ابن هشام ولنأت يثرب وقوله إذ لا تقرب عن غير ابن إسحق

«قال ابن هشام» يريد بقوله إذا إذا كقول الله عز وجل إذ الظالمون موقوفون عند ربهم قال أبو النجم العجلي

ولولا حتى ما جاز أن يقال إلا انطلقا إذ ركبا ولكن معنى الغاية في حتى دل على أن الركوب كان بعد الانطلاق وإذا كان بعده فهو مستقبل بالإضافة إليه وكذلك مسئلتنا الجزء وسوء الحال الذي هو مفعول ليرى وإن كان غير مذكور في اللفظ فهو بعد وقت الوقوف فوقت الوقوف ماض بالإضافة إليه وإذ لم يكن بد من حذف وكذلك لا بد من حذف في قوله تعالى «وإذ لم يهتدوا به» ونحوه لأنها وإن كانت بمعنى أن فلا بد لها من تعلق كأنه قال حرمهم الهداية من أجل أن ظلمهم أو من أجل أن لم يهتدوا به ضلوا * وذكر في نساء بني جحش جدامة بنت جندل وأحسبه أراد جدامة بنت وهب بن محصن وهي المذكورة في حديث الرضاع في الموطأ وقال فيها خلف بن هشام البزار جدامة بالدال المنقوطة هكذا ذكره مسلم بن الحجاج والمعروف جدامة بالدال وقد قال فيها جدامة بالتشديد والجدامة قصب الزرع وأملى علينا أبو بكر الحافظ وكتبت عنه بخطي قال المبارك بن عبد الجبار عن أبي إسحق البرمكي عن محمد بن زكريا بن حيوية عن أبي عمر الزاهد المطرز قال الجدامة بتشديد الدال طرف السعفة وبه سميت المرأة وكانت جدامة بنت وهب تحت أنيس بن قتادة الأنصاري وأما جدامة بنت جندل فلا تعرف في آل جحش الأسديين ولا في غيرهم ولعله وهم وقع في الكتاب وإنما هي بنت وهب بن محصن بنت أخي عكاشة بن محصن كما قدمنا والله أعلم * وذكر في بني أسد ثقف بن عمرو ويقال فيه ثقاف شهد هو وأخوه مدلاج بدرا وقتل يوم أحد شهيدا وقال موسى بن عقبة قتل يوم خيبر قتله أسير اليهودي * وذكر فيهم أم حبيب بنت ثمامة وهي مما أغفله أبو عمر في كتابه وأغفل أيضا ذكر غنم بن دودان وهو ممن ذكره ابن إسحق في هذه الجملة المذكورين من بني أسد * وذكر ابن إسحق في هذه الجملة أربد بن حميرة الأسدي بالحاء وقاله ابن هشام حميرة بالخاء ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحق بخلاف ما رواه البكائي وابن هشام فقال فيه ابن حمير بتشديد الياء كأنه تصغير حمار * وذكر فيهم محرز بن نضلة ولم يرفع نسبه وهو ابن نضلة بن عبد الله بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد قتل في غزوة ذي قرد شهيدا وكان قد شهد بدرا وكان يعرف بالأخرم ويلقب فهيرة وقال فيه موسى بن عقبة محرز بن وهب ولم يقل ابن نضلة * وذكر ابن إسحق أيضا يزيد بن رقيش وبعضهم يقول فيه أربد ولا يصح وهو ابن رقيش بن رئاب بن يعمر بن كبير بن غنم بن دودان * وذكر فيهم ربيعة بن أكثم ولم ينسبه وهو ابن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن بكير بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد يكنى أبا يزيد وكان قصيرا دحداحا قتل يوم خيبر بالنطاة قتله الحارث اليهودي

ثم جزاه الله عنا الأجر * جنات عدن في العلالي والعلا قال ابن اسحق ثم خرج عمر بن الخطاب وعياش بن أبي ربيعة المخزومي حتى
قدما المدينة فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال اتعدت لما أردنا الهجرة الى المدينة أنا وعياش
ابن أبي ربيعة وهشام بن العاصي بن وائل السهمي التناضب من أضاة بني غفار فوق سرف وقلنا أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض
صاحباه قال فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند التناضب وحبس عنها هشام وفتن فافتتن فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف
بقباء وخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام الى عياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما حتى قدما علينا المدينة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بمكة فكلماه وقالا ان أمك قد نذرت ان لا يمس رأسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك فرق لها فقلت
له يا عياش انه والله ان يريدك القوم الا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ولو قد اشتد عليها حر مكة
لاستظلت قال فقال أبر قسم أمي ولي هنالك مال فآخذه قال فقلت والله انك لتعلم اني لمن أكثر قريش
مالا فلك نصف مالي ولا تذهب معهما قال فأبى علي الا أن يخرج معهما فلما أبى الا ذلك قال قلت أما اذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك من القوم ريب فانج عليها فخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل والله يا أخي لقد استغلظت بعيري هذا أفلا تعقبني على ناقتك هذه قال بلى قال فأناخ وأناخا ليتحول عليها فلما استووا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن * قال ابن
اسحق فحدثني به بعض آل عياش بن أبي ربيعة انهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا ثم قالا
يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا * قال ابن اسحق وحدثني نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر في حديثه قال فكنا
نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة قوم عرفوا الله ثم رجعوا الى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان
الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم
من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال عمر بن الخطاب فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها الى هشام بن العاصي قال
فقال هشام فلما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت اللهم فهمنيها قال فألقى الله تعالى في قلبي انها انما
أنزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا قال فرجعت الى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام»
فحدثني من أثق به ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة من لي بعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاصي فقال الوليد بن الوليد بن

﴿ هجرة عمر وعياش ﴾

ذكر فيها تواعدهم التناضب بكسر الضاد كأنه جمع تنضب وهو ضرب من الشجر تألفه الحرباء قال الشاعر

أنى أتيح له حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

ويقال لثمره المتع وهو تفعل أدغمت النون في الميم وظاهر قول سيبويه أنه فعلل وأنه تمثال لحقته الزيادة بالتضعيف والقول الاول تقويه أن مثله الهندلع وهو نبت ويتخذ من هذا الشجر القسي كما يتخذ من النبع والشوحط والشريان والسراء والأشكل ودخان التنضب أبيض ذكره أبو حنيفة في النبات وقال الجعدي

كأن الغبار الذي غادرت * ضحيا دواخن من تنضب

شبه الغبار بدخان التنضب لبياضه وقال آخر

وهل أشهدن خيلا كأن غبارها * بأسفل علكد دواخن تنضب

وأضاة بني غفار على عشرة أميال من مكة والأضاة الغدير كأنها مقلوب من وضأة على وزن فعلة واشتقاقه من الوضاءة بالمد وهي النظافة لأن الماء ينظف وجمع الأضاة إضاء قال النابغة * وهن إضاء صافيات الغلائل * وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب ويكون الهمزة بدلا من الواو المكسورة في وضاء وقياس الواو المكسورة تبقى الهمز على أصل الاشتقاق ويكون الواحد مقلوبا لأن الواو فيه وجه لا تهمز مع أن لام الفعل غير همزة وقد يجوز أن يكون الجمع محمولا على الواحد فيكون مقلوبا مثله ويقال إضاة بالمد وقد تجمع إضاء على أضى قاله أبو حنيفة وأنشد * محافرها كأسرية الأضي * الأسرية جمع سري وهو الجدول ويقال للأضا أيضا السعيد

﴿ فصل ﴾ وذكر نزول الآية «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله» الآية في المستضعفين بمكة وقول هشام بن العاص فجعلت أقرؤها بذي طوى طوى مقصور موضع بأسفل مكة وذكر

المغيرة أتاك به رسول الله فأبيهما فخرج إلى مكة فقدمها مستخفيا فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها أين تريدين يا أمة الله قالت أريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكانا محبوسين في بيت لا سقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة لذلك ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت أصبعه فقال

هل أنت إلا أصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * قال ابن اسحق ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة بن المعتمر وخنيس ابن حذافة السهمي وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبد الله التميمي حليف لهم وخولي بن أبي خولي ومالك بن أبي خولي حليفان لهم (٢٨٩) «قال ابن هشام» أبو خولي من بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل * قال ابن اسحق وبنو البكير أربعتهم إياس ابن البكير وعاقل بن البكير وعامر بن البكير وخالد بن البكير وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر في بني عمرو بن عوف بقباء وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة ثم تتابع المهاجرون فنزل طلحة بن عبيد الله بن عثمان وصهيب بن سنان على خبيب بن إساف أخي بلحرث بن الخزرج بالسنح «قال ابن هشام» ويقال [illegible] أخبرني [illegible] ابن اسحق [illegible] نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زرارة أخي بني النجار «قال ابن هشام»

(٣٧ - روض ل) وذكر عن أبي عثمان النهدي أنه قال بلغني أن صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم إن جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي قالوا نعم قال فإني جعلت لكم مالي قال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب ربح صهيب * قال ابن اسحق ونزل [illegible] حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وأبو مرثد كناز بن حصين «قال ابن هشام» ويقال ابن حصن [illegible] قال ابن [illegible] وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة بن عبد المطلب وأنسة وأبو كبشة موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف [illegible] ويقال بل نزلوا على [illegible] ويقال بل نزل [illegible] عبد المطلب على [illegible] أخي بني النجار كل ذلك [illegible] ونزل عبيدة بن الحرث بن المطلب [illegible] الطفيل ابن الحرث [illegible]

أن آدم لما أهبط إلى الهند ومشى إلى مكة وحفت الملائكة به طرفة ذي طوى وأنهم قالوا له يا آدم ما زلنا ننتظرك ههنا منذ ألفي سنة وروي أن آدم كان إذا أتى البيت خلع نعليه بذي طوى وأما دو طواء بالمد فموضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكري وأما طوى بضم الطاء وبالقصر المذكور في القرآن فهو بالشام اسم للوادي المقدس وقد قيل ليس باسم له وإنما هو من صفة المقدس أي المقدس مرتين

﴿فصل﴾ وذكر نزول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف وقال فيه إساف بالألف وتقدم في غير رواية الكتاب وهو إساف بن عتبة ولم يكن خبيب يوم نزول المهاجرين عليه مسلما في قول الواقدي بل تأخر إسلامه حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر قال خبيب خرجت مع أنا ورجل من قومي وقلنا إنا نكره أن نشهد قومنا مشهدا لا نشهده معهم فقال أسلمتما فقلنا لا فقال ارجعا فإنا لا نستعين بمشرك وخبيب هو الذي خلف على ابنة خارجة بعد أبي بكر الصديق واسمها حبيبة وهي التي قول فيها أبو بكر عند وفاته ذو بطن بنت خارجة أراها جارية وهي بنت خارجة بن أبي زهير والجارية أم كلثوم بنت أبي بكر ماتت [illegible] في خلافة عثمان وجد خبيب بن عبد الرحمن الذي يروي عنه مالك في موطئه وذكر أنسة وأبا كبشة في الذين نزلوا على كلثوم بن الهدم فأما أنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكنى أبا مسروح وقيل أبا مسرح شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة أبي بكر وأبو كبشة اسمه سليم فقال إنه من فارس ويقال من مولدي أرض دوس شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عروة بن الزبير وأما الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبي عليه السلام إليه وتقول قال ابن أبي كبشة وفعل ابن أبي كبشة فقيل فيه أقوال قيل إنها كنية أبي أمه وهب بن عبد مناف وقيل كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى وقيل إن سلمى أم عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لبيد وأشهر من هذه الأقوال كلها أن أبا كبشة رجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب [illegible] فنسبته إليه لخروجه عن دين قومه وذكر الدارقطني أن اسم أبي كبشة هذا في المؤتلف والمختلف فقال اسمه وجز بن غالب وهو خزاعي وهو من بني غبشان وذكر نزولهم بقباء وهو مسكن بني عمرو بن عوف

بني عبد الدار وطليب بن عمير أخو بني عبد بن قصي وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله أخي بلحارث بن الخزرج في دار بلحارث ابن الخزرج ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى على منذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح بالعصبة دار بني جحجبى ونزل مصعب بن عمير بن هاشم أخو بني عبد الدار على سعد بن معاذ بن النعمان أخي بني عبد الأشهل في دار بني عبد الأشهل ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسالم مولى أبي حذيفة «قال ابن هشام» سالم مولى أبي حذيفة سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس سيبته فانقطع إلى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتبناه فقيل

سالم مولى أبي حذيفة ويقال كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبي حذيفة بن عتبة فأعتقت سالما سائبة فقيل سالم مولى أبي حذيفة * قال ابن إسحق ونزل عتبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر بن وقش أخي بني عبد الأشهل في دار عبد الأشهل * ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخي حسان بن ثابت في دار بني النجار فلذلك كان حسان يحب عثمان ويبكيه حين قتل وكان يقال نزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة وذلك أنه كان عزبا فالله أعلم أي ذلك كان * وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس أو فتن إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنهما وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكونه

﴿خبر دار الندوة﴾

* قال ابن إسحق ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم عرفوا أنهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرا إلا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه

وهو على فرسخ من المدينة وهو يمد ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ولا يصرف وأنشد أبو حاتم في صرفه

ولأبغينكم قبا وعوارضا * ولأقبلن الخيل لابة ضرغد

وكذلك أنشده قاسم بن ثابت في الدلائل فنصب القاف والباء وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعا وإنما هو كما أنشده سيبويه قنا وعوارضا إلا أن ما حمل عند عوارض قال له ولحمل آخر معه وإن بينهما مسافات وبلادا فلا يصح أن قرية قباء التي عند المدينة مع عوارض وقنا وكذا قال البكري في معجم ما استعجم وأنشد

كأنها لما بدا عوارض * والليل بين قنوين رابض

وقباء مأخوذ من القبو وهو الضم والجمع قاله أبو حنيفة وقال القوابي هن اللواتي يجمعن العصفر واحدتهن قابية قال وأهل العربية يسمون الضمة من الحركات قبوا وقولهم لا والذي أخرج قوبا من قابية يعنون الفرخ من البيضة فمن قال فيه قابية بقدم الباء فهو من الفوائدي ومن قال فيه قائبة فهو من لفظ القوب لأنها تنقوب عنه أي تتقشر قال الكميت يصف النساء

لهن وللمشيب ومن علاه * من الأمثال قابية وقوب

وفي حديث عمر وكانت قابية قوب عامها يعني العمرة في أشهر الحج وقد ذكرنا أن قباء اسم بئر عرفت القرية بها

﴿فصل﴾ وذكر سالما مولى أبي حذيفة الذي كان أبو حذيفة قد تبناه كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا وكان سائبة أي لا ولاء عليه لأحد وذكر المرأة التي أعتقته سائبة وهي ثبيتة بنت يعار وقد قيل في اسمها بثينة ذكره أبو عمر وذكر عن الزهري أنه كان يقول فيها بنت يعار وقال ابن قتيبة في المعارف اسمها سلمى ويقال في اسمها أيضا عمرة وقد أبطل التبني في أنه ذكر كثير من العلماء وجعلوا الولاء لكل من أعتق على أحد لحديث النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وحملاه على العموم ولما روي أيضا عن ابن مسعود أنه قال لا سائبة في الإسلام ورأى مالك ميراث السائبة لجماعة المسلمين ولم ير ولاء لمن سيبه وكان التبني والولاء قبل ذلك كان يحلفان وسالم هذا هو الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة بنت سهيل أن ترضعه ليحرم عليها فأرضعته وهو ذو لحية (فإن قيل) كيف جاز له أن ينظر إلى ثديها فقد روي في ذلك أنها حلبت له في مسعط وشرب اللبن ذكر ذلك محمد بن حبيب

﴿اجتماع قريش للتشاور في أمر النبي صلى الله عليه وسلم﴾

* قال ابن إسحاق فحدثني من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال لما أجمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا في اليوم الذي اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة فاعترضهم إبليس لعنه الله في هيئة شيخ جليل عليه بت فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا أجل فادخل فدخل معهم وقد اجتمع فيها أشراف قريش * من بني عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب * ومن بني نوفل بن عبد مناف طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم والحرث بن عامر بن نوفل * ومن بني عبد الدار بن قصي النضر بن الحرث بن كلدة * ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب وحكيم بن حزام * ومن بني مخزوم أبو جهل بن هشام * ومن بني سهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج * ومن بني جمح أمية بن خلف ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش فقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فإنا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا

قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم فقال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم برأي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأي فانظروا في غيره فتشاوروا ثم قال قائل منهم نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت قال الشيخ النجدي لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا غير هذا قال فقال أبو جهل بن هشام والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم قال فقال الشيخ النجدي القول ما قال الرجل هذا الرأي لا رأي غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر فنم فيه فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر فيه تمثل إبليس حين أتاهم في صورة شيخ جليل وانتسابه إلى أهل نجد * قوله في صورة شيخ جليل يقال جل الرجل وجلت المرأة إذا أسنت قال الشاعر * وما حظها أن قيل عزب وجلت * ويقال منه جللت يا رجل بفتح اللام وقياسه جللت لأن اسم الفاعل منه جليل ولكن تركوا الضم في المضاعف كله استثقالا له مع التضعيف إلا في لببت فإنك لببت حكاه سيبويه بالضم على الأصل وإنما قال لهم إني من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السيرة لأنهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمد فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدي وقد ذكر في خبر بنيان الكعبة أنه تمثل في صورة شيخ نجدي أيضا حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر الركن من يرفعه فصاح الشيخ النجدي يا معشر قريش أقد رضيتم أن يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوي أسنانكم فإن صح هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجديا وذلك أن نجدا منها يطلع قرن الشيطان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قيل له وفي نجدنا يا رسول الله قال هنالك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان فلم يبارك عليها كما بارك على اليمن والشام وغيرها وفي حديث آخر أنه نظر إلى المشرق فقال إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان وفي حديث ابن عمر أنه حين قال هذا الكلام وقف عند باب عائشة ونظر إلى المشرق فقاله وفي وقوفه عند باب عائشة ناظرا إلى المشرق تحذير من الفتن وفكر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة فهم من الإشارة وانضم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر رؤوس الفتن أنطوا أصحاب الحجر والله أعلم * وذكر تشاورهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأن بعضهم أشار بأن يحبس في بيت وبعضهم بإخراجه عليه السلام من بين أظهرهم ونفيه ولم يسم قائل هذا القول وقال ابن سلام الذي أشار بحبسه هو أبو البختري بن هشام والذي أشار بإخراجه ونفيه هو أبو الأسود ربيعة بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي وقول أبي جهل نسيبا وسيطا هو

قال ابن إسحاق فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما اجتمعوا له وفيهم أبو جهل بن هشام فقال وهم على بابه إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها قال وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال نعم أنا أقول ذلك أنت أحدهم وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم إلى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله إن هذا لمحمد نائما عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذي حدثنا

من السطة في العشيرة وقد تقدم في باب بنيان الكعبة حديث معنى الوسيط وأن يكون مدحا * وأما قوله على بابه يتطلعون فيرون عليا وعليه برد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظنونه إياه فلم يزالوا قياما حتى أصبحوا فقد ذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحم عليه في الدار مع قصر الجدار وأنهم إنما جاءوا لقتله فذكر في الخبر أنهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله إنها للسبة في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا فهذا هو الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج وفي قراءة الآيات الأول من سورة يس من الفقه الندب إلى قراءتها عند الخوف اقتداء به عليه السلام وقد روى الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذكر فضل يس أنها إن قرأها خائف أمن أو جائع شبع أو عار كسي أو عاطش سقي حتى ذكر خلالا كثيرة * وذكر ابن إسحق ما أنزل الله في ذلك وشرح ابن هشام ريب المنون وأنشد قول أبي ذؤيب * أمن المنون وريبه تتوجع * والمنون يذكر ويؤنث فمن جعلها عبارة عن المنية أو حوادث الدهر أنث ومن جعلها عبارة عن الدهر ذكر وريب المنون ما يريبك من تغير الأحوال وفيه سميت المنون لذهابها من الأشياء أي قواها وقيل بل سميت منونا لقطعها دون الآمال من قولهم حبل منين أي مقطوع وفي التنزيل قوله تعالى «فلهم أجر غير ممنون» أي غير مقطوع

تم الجزء الأول من كتاب الروض الأنف

مع سيرة الإمام ابن هشام

ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثاني وأوله

﴿ إذن الله لنبيه بالهجرة ﴾

* قال ابن إسحق وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقول الله عز وجل أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين «قال ابن هشام» المنون الموت وريب المنون ما يريب ويعرض منها قال أبو ذؤيب الهذلي

أمن المنون وريبها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع وهذا البيت في قصيدة له